



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

الدارسات العليا

قسم الأدب والبلاغة والنقد

## الاستنباط عند محمود شاكر

### (مصادر المعرفة وطرق الاستنباط)

بحث علمي مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص البلاغة والنقد من الطالب:

علي بن عوض عبد الله الزهراني

الرقم الجامعي : ٤٣٧٧٠٢٤٢

إشراف الأستاذ الدكتور:

هاني فراج أبو بكر

١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الدراسة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، ثم أما بعد :

فلا يزال الاستنباط منهجاً قائماً بين أهل العلم والمعرفة ، وهو من موارث علماء التراث العربي الذين أداروا عليه كثيراً من مؤلفاتهم، فالتأمل في كتب التراث العربي يقف على استنباطات علماء أجلاء ، فيرى اختلافاً في طرائقها وأنواعها وأساليبها ، والمتتبع لها يلاحظ إسهامها الفاعل في اكتمال نمو علوم العربية حتى تمامها ، ولقد عني علماء عصرنا الحديث بكتب التراث العربي ، فهبوا لإخراجها لطلبة العلم تحقيقاً ونشراً ، كما قاموا باستنباط بعض ما فيها من ودائع علمية ونفائس معرفية ، فكان تأثيرهم بعلماء التراث العربي على مستوى المنهاج والمعالجة ، وكان من أبرز هؤلاء العلماء في عصرنا الحديث ( الأستاذ : محمود مُجْد شاکر ) ، الذي أولى التراث العربي اهتماماً ومزيد عناية ، فقرأ وعلق على عدد من المخطوطات العلمية العربية الهامة ، والتي اشتملت حواشيها على العديد من الاستنباطات والجهود النقدية والأدبية ، شأنها في ذلك شأن مؤلفاته الخاصة به والتي كان له فيها نهج استنباطي يسترعي الانتباه ، فبحثت في المكتبة العربية لأرى من كتب في الاستنباط عند محمود شاکر ، فلم أجد - في حدود بحثي وإطلاعي - دراسة خاصة اختصت بالاستنباط عند محمود شاکر ، فعزمت بعد مشيئة الله وقدرته أن أخصص دراستي هذه عن الاستنباط عند محمود شاکر ، وقد عنونتها بعنوان (الاستنباط عند محمود شاکر مصادر المعرفة وطرق الاستنباط).

وتكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة كشفها القناع عن منهجية الاستنباط عند محمود شاکر ، من خلال قراءاته وتعليقاته على كتب التراث العربي ومن خلال مؤلفاته ، كما تكمن أهميتها في أنها ستوضح ذلك المنهاج الذي سماه محمود شاکر بالتذوقي ، والذي عالج به قضايا الأدبية ومشاريعه النقدية ، وجعله سبيلاً لفهم كلام العرب وسياقاتهم الشعرية والنثرية على حد سواء .

وتنحصر مشكلة هذه الدراسة في خصوصية الاستنباط وأدلتها والمصادر المعرفية عند محمود شاعر في مؤلفاته ،  
وقيمة تلك الاستنباطات والتعليقات والجهود والاستدراكات النقدية في حواشي قراءاته وتعليقاته على كتب  
التراث ، وإخضاع كل ذلك لميزان النقد والتأويل .

وكانت هذه المشكلة سبباً في طرح بعض التساؤلات التي حاولت هذه الدراسة الإجابة عنها ومنها : ما مفاهيم  
الاستنباط بالنظر إليه مابين الأصوليين والبلاغيين ؟ ما المصادر المعرفية عند محمود شاعر ؟ وما طرائقه  
الاستنباطية وما أصولها الثقافية ؟ وكيف سيطر التدقيق على الاستنباط عنده ؟ وهل استدراكاته قائمة على  
أساس علمي ؟ وماهي المعايير والأدوات التي استخدمها في ذلك ؟ وما أنماط الاستنباط عنده ؟ وما أنواع البنية  
الاستنباطية عنده ؟ وكيف تنوعت المواقف الاستنباطية عنده ؟ وما سبب ذلك التنوع ؟

وتهدف هذه الدراسة إلى تمييز مفاهيم الاستنباط ما بين الدرسين الأصولي والبلاغي ، والكشف عن المصادر  
المعرفية عند محمود شاعر من خلال نتاجه العلمي ومسيرته ، وتهدف أيضاً إلى الكشف عن طرائق الاستدلال  
وأنماطها عنده ، وإخضاعها لميزان النقد والمراجعة ، ومن أهم أهداف هذه الدراسة أيضاً تتبعها لطرائق  
الاستدلال واستقراء المواقف الاستنباطية عند محمود شاعر .

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أن مصادر المعرفة عند محمود شاعر مما يستحق الدراسة والعناية ، إذ إنها  
السبب الرئيس الذي جعلته يتميز عن غيره من علماء عصره ، كما أن هذه الدراسة ستحاول التوقف عند هذه  
المصادر المعرفية وبيان أثرها عليه ، ومما دفعني أيضاً لاختيار هذا الموضوع أن صور الاستنباطات والاستدلالات  
عند محمود شاعر تختلف من موضع لآخر ، ومن سياق لآخر ، وهي تحتاج إلى من يكشف عن دلالتها ويبين  
حقيقتها ، وذلك أن القضايا التي تناولها محمود شاعر في مؤلفاته وقراءاته وتعليقاته على كتب التراث العربي  
تختلف في سياقاتها بحسب المتغيرات الأدبية ، ونظرة النقاد والأدباء والبلاغيين لها ، كقضية الانتحال ، وترتيب  
القصيدة ، ووحدة القصيدة الجاهلية ، وقدم وحداثة الشعر ، والدلالة الوظيفية للصورة الشعرية والنغم ، ومما  
دفعني أيضاً لاختيار هذا الموضوع شهرة محمود شاعر العلمية في الدراسات الأدبية الحديثة والمشهد الثقافي  
المعاصر ، وأن مؤلفاته وتحقيقاته قد امتازت بجهود علمية تستحق الوقوف عندها والبحث فيها ومساءلتها .

وبعد هذه الدوافع نظرت فيما أستعين فيه - بعد الله - من المصادر والمراجع ، فكان نتاج محمود شاكر العلمي هو مصدر الدراسة وركنها الأساس ، لما تضمنه من جهود استنباطية تكشف معالم الاستنباط عنده ، سواء كانت تلك الجهود مؤلفات أهمها :

- ١- أباطيل وأسمار .
  - ٢- جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان .
  - ٣- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا .
  - ٤- قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام .
  - ٥- المتنبي .
  - ٦- مداخل إعجاز القرآن.
  - ٧- نمط صعب ونمط مخيف .
- أو كانت قراءات وتعليقات على كتب التراث العربي أهمها :

- ١- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني .
- ٢- تفسير الطبري (جامع البيان).
- ٣- جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار .
- ٤- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني .
- ٥- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي .
- ٦- كتاب الوحشيات لأبي تمام .

أما الدراسات السابقة فلم أجد دراسة اختصت بجانب الاستنباط عند محمود شاكر ، وأخص منها تلك الدراسات الأكاديمية المنظمة والتي أنجزت في رصد شخصية محمود شاكر ومسيرته العلمية ومنهجه النقدي ، ومن ثم تبين لي جدوى الوقوف على استنباطات محمود شاكر وبيان ما أنجز في مساقها البحثي من دراسات تتقاطع أو تتقارب مع هذه الدراسة ، وأهمها في حدود بحثي وإطلاعي :

١- شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق ، وهي رسالة علمية للأستاذ محمود الرضواني صدرت عن مكتبة الخانجي بمصر عام ٢٠٠٧ م ، وقد اشتملت على خمسة فصول : الفصل الأول : منهج التدقيق عند محمود شاكر وقد قام فيه بتحليل مصطلح التدقيق عند محمود شاكر ، وتتبع تاريخه ومراحله ، وربطه بإعجاز القرآن .

الفصل الثاني : السيرة الفنية لمحمود شاكر وتحدث فيها عن كتابه المتنبي وعن مسيرته العقلية.

الفصل الثالث : النص الشعري عند محمود شاكر والأدوات التي واجهها به .

الفصل الرابع : القضايا الأدبية التي أثارها الأستاذ (المتنبي - المعري - المجاز - دلالة اللفظ - النغم).

الفصل الخامس : منهج الأستاذ في تحقيق التراث العربي ، والآثار التي خلفتها ثقافته على منهجه في التحقيق .

٢- محمود مُحمَّد شاكر دراسة في حياته وشعره للباحثة : أماني حاتم مجدي بسيسو، الناشر: روافد ، عدد الأجزاء: ١. الطبعة: الأولى رجب ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

وهي دراسة علمية تقع في أربع وثمانين صفحة بعد المائة ، ركزت فيها الباحثة على حياة محمود شاكر وقصائده التي لم يتعرض لها النقاد ، وقد تكونت هذه الدراسة من خمسة فصول :

الفصل الأول : : تناول حياة محمود شاكر وتتبع مراحله العمرية والعلمية ، وسماته الشخصية.

الفصل الثاني : ركزت الباحثة فيه الحديث عن منهج التدوق عند محمود شاكر ، حيث أبانت فيه عن مفهوم المنهج التدوقي عنده ، وأصوله المنهجية ، وعرضت فيه لأنموذجين من نماذج التدوق وهما : المتنبئ ، ونمط صعب ونمط مخيف.

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن رؤية محمود شاكر للشعر العربي ، وتعريفه له وأركانه لديه ، ومدى توافق رؤيته الشعرية مع المدرسة الديوانية.

الفصل الرابع : ركزت فيه الباحثة على قراءة ثلاثة نصوص شعرية لمحمود شاكر : (القوس العذراء ، ألسنت أنت؟ ، اعصفي يارياح)

الفصل الخامس : وازنت فيه الباحثة بين شعر محمود شاكر ، وشعر سيد قطب ، من حيث الظواهر الموضوعية والظواهر الفنية.

٣- محمود مُجد شاكر ، الرجل والمنهج، وهي رسالة علمية للباحث عمر حسن القيام ، وقد طبعت في سلسلة أعلام المسلمين في العصر الحديث التي تصدرها دار البشير بالأردن ومؤسسة الرسالة ببيروت للعام ٢٠١٠م .

وهي رسالة علمية تكونت من خمسة فصول وهي :

الفصل الأول : تحدثت فيه باستفاضة عن معالم شخصية محمود شاكر ومسيرته الشخصية والعلمية.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن مفهوم المنهج عند محمود شاكر (منهج التدوق) وأصوله النظرية.

الفصل الثالث : تناول الحديث فيه عن تطبيق الأصول (قضية صحة نسبة الشعر الجاهلي، قضية اختلال ترتيب القصيدة الجاهلية ، مواجهة النص ودراسته).

الفصل الرابع : تحدثت فيه عن مداخل النص عند محمود شاكر ، وبدأها بلغة النص ، ثم موسيقى النص ، وكذلك الصورة الشعرية ، وختم الحديث في هذا الفصل عن بعض من جوانب المداخل الأخلاقية للنص عند محمود شاكر .

٤- محمود مُحمَّد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، وهي رسالة علمية للباحث: إبراهيم الكوفحي ، ط١، عام ١٩٩٨م ، لمكتبة الخانجي بالقاهرة .

وقد تكونت من تمهيد وبابين، اشتمل كل باب على فصلين أما التمهيد، فقد قصر الحديث فيه عن حياة محمود مُحمَّد شاكر وثقافته .

أما الباب الأول: فقد اشتمل على فصلين تحدث في الأول منهما عن شعر محمود مُحمَّد شاكر، الذي كان قليلاً بالنظر إلى إنتاجه الغزير في الميادين الأخرى.

وقد تحدث في الفصل الثاني عن أدب المقالة عند محمود مُحمَّد شاكر، وأن هذا المجال من الكتابة هو الذي استوعب أعظم أعماله، كـ "أباطيل وأسمار" و"نمط صعب ونمط مخيف" ، وختم هذا الفصل بحديث عن أسلوب شاكر ، وسماته المميزة القائمة على الأصالة والوضوح ، وما يقتضيه الاستطراد والتكرار، وما يتخلل ذلك من الحدة، والإدراك الدقيق لأسرار البيان العربي، ودلالة ذلك كله على شخصية شاكر.

أما الباب الثاني، فقد تبلور حول البعد النقدي لشخصية شاكر ، وانضم على فصلين، تحدث في الأول منهما عن الآفاق النظرية لمفهوم النهج كما تبلور على يد شاكر ، أما الفصل الثاني ، فقد توقف فيه الباحث عند الجهود التطبيقية التي تبلورت على يد شاكر، حيث تم اختبار فاعلية الجهاز النظري في المسارات التاريخية والأدبية والتي كشفت عن مقدرة بالغة في المواءمة بين المنظومة النقدية النظرية ومجالاتها التطبيقية، فتوقف عند كتاب المتنبي و "أباطيل وأسمار" و"نمط صعب ونمط مخيف"، كما تناول فيه علم معاني أصوات الحروف .

٥- دراسة لغوية بعنوان ( آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية ) وهي رسالة علمية نالت بموجبها الطالبة: محاسن قربان الماجستير في قسم اللغة والنحو بجامعة أم القرى ، وهذه الدراسة قيمة جداً في بيان جهود محمود شاكر اللغوية وتعامله الفريد مع معطيات معاجم اللغة واستدراكاته على علماء اللغة ، وكل ذلك بلا شك سيؤثر تأثيراً كبيراً على الجانب الاستنباطي عنده ، وقد تكونت هذه الدراسة من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن موقف الأستاذ محمود شاكر من اللغة العربية ، وموقفه من التجديد واللهجة العامية ، وموقفه من إلغاء الإعراب وكتابة حروف العربية بالحروف اللاتينية ، ونظرة الأستاذ إلى اللغة العربية.

الفصل الثاني: تحدثت فيه الباحثة عن جهود الأستاذ محمود شاكر في تفسير الألفاظ واستدراكاته على معاجم اللغة العربية ، ومنهجه في تصويب اللفظة العربية .

الفصل الثالث : تحدثت فيه الباحثة عن جهود الأستاذ محمود شاكر اللغوية ، واهتمامه بمسائل النحو العربي ، واهتمامه بمعاني أصوات الحروف ، واهتمامه بإحياء اللغة العربية ، واستعماله للغة العربية العالية.

ويلاحظ في هذه الدراسات العلمية عدم اختصاص أحدها بجانب الاستنباط عند محمود شاكر ومصادره المعرفية وطرائقه ، كما يلحظ أيضاً عدم اختصاص فصل أو مبحث منها عن ذلك ، ولكن ذلك لا يعني خلوها من الحديث عن الاستنباط عند محمود شاكر في سياق الحديث عن منهجه العلمي ، إلا أنها لم تتناوله وهي في معرض ذلك بما تطمح له هذه الدراسة من تناول ، كما أنها تناولت منهج التذوق عند محمود شاكر بشكله العام ، وهذه الدراسة سوف تتناوله في حدود منهجه الاستنباطي ، والحق بأن هذه الدراسات قد أبانت لي عن كثير من مسيرة محمود شاكر وحياته ، والتي كان لها تأثير مباشر على مصادره المعرفية وطرائقها ، وكانت ذات صلة وطيدة بمنهجه الاستنباطي وإجرائه التذوقي ، هذا وقد سرت في البحث وفق مخطط مكون من تمهيد وأربعة فصول :

أما التمهيد : فقد تناولت فيه مفاهيم الاستنباط بين الأصوليين والبلاغيين ، وإجراءات المنهج الاستنباطي وضوابطه.

وأما الفصل الأول: فقد خصصته لمصادر المعرفة عند محمود شاكر ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث : (الدوق والدرية - اللغة والاستعداد الذاتي - الثقافة والتجربة).

وأما الفصل الثاني فقد جعلته لطرائق الاستنباط عند محمود شاكر وضمنته مبحثين : (المنطوق وأدلته الظاهرة - المفهوم وأدلته الظاهرة).

أما الفصل الثالث : فقد خصصته بأنماط الاستنباط وأدلته عند محمود شاكر وضمنته ثلاثة مباحث : (الاستنباط بين الأفراد والتركيب - الاستنباط بين الظهور والخفاء - أدلة الاستنباط).



أما الفصل الرابع : فقد خصصته للموقف الاستنباطي وضمته ثلاثة مباحث : (القبول - الاعتراض - النقض) .

ثم ختمت البحث ببيان أهم ما وصلت له من نتائج وما أشرت له من اقتراحات ، ثم أثبت المراجع والمصادر بحسب ترتيبها الهجائي ، وختمت البحث بثبت لفهرس محتوياته.

أما منهج هذه الدراسة فإنها ستعالج في حدود المنهج الاستنباطي ، الذي ينطلق من القاعدة أو الحكم إلى الجزء الخاص ، إذ يتدرج مع الظواهر الكلية حتى يصل إلى أحكام خاصة ويقوم في خطواته الإجرائية على الملاحظة والاستقراء ومقايضة الأحكام ، لبيان الخصوصية والسمات المميزة للقضايا المطروحة ، ونتيجة لوجود بعض من الأعلام في المادة المعروضة ، فقد جنحت لترجمة بعض الأعلام بتصرف اضطرني إليه الاختصار معتمداً في ذلك - بعد الله - على كتب الأعلام والتراجم والطبقات ، كما أنني جنحت أيضاً إلى توضيح معاني بعض المفردات التي بدا لي أنها غامضة في النماذج التحليلية التي اخترتها ، وقد اعتمدت في ذلك على ما توفر لدي من معاجم اللغة ، وقد عانيت في البحث كثيراً من قلة المراجع والصعوبة ذات الصلة الوثيقة بالبحث وصعوبة توفيرها كنسخ ورقية أصلية ، وقد خشيت كثيراً من تلك المراجع بعد جمعها لأن تزج بي في خلافات بلاغية ونقدية قديمة وحديثة لا تخدم الجانب الاستنباطي والتدوقي عند محمود شaker ، ولكنني ابتعدت عن ذلك جاهداً إلا ما له علاقة مباشرة تؤثر على منهجية البحث ، وقد قمت ببيان ذلك في موضعه.

وختاماً أتقدم بالشكر الجزيل لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، والتي نشأت فيها ولیداً في المرحلة الجامعية الأولى ، ثم درست على يدي كوكبة لامعة من رموز الأدب والبلاغة والنقد في العالم العربي بقسم الدراسات العليا بنفس الكلية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه ، وما قاموا به من جهود مضيئة في توفير الجو العلمي اللائق بهذه المرحلة ، كما أتقدم بشكر خاص وجزيل لسعادة الأستاذ الدكتور هاني فراج أبو بكر المشرف على هذه الرسالة ، والذي غمرني فيها وقبلها بجميل خلقه وكریم فضله وحرصه وتواضعه ومتابعته الدائمة ، فله خاصة ولجميع الأساتذة خالص الدعاء وجميل الثناء اللذان لن يؤديا لهم كل فضلهم علي وعلى زملائي في هذه المرحلة ، والشكر موصول إلى لجنة المناقشة وكل من امتدت أياديها البيضاء إلى هذه الدراسة ، والشكر لله أولاً وآخراً وهو حسبي ونعم الوكيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

## مهاده الدراسة

### مفاهيم الاستنباط بين الأصوليين والبلاغيين

لقد حرص علماء المسلمين على تعلم العربية وسبر أغوارها ، وقد دفعهم لشرف ذلك التعلم معرفتهم بحق لغتهم العربية ، وما حباها الله به من ودائع لا تكاد تكون في غيرها من اللغات ، فتجدهم حتى مع علمهم بلغة أخرى ولسان آخر لا ينبسون بغير حروف لغتهم العربية ، ويُفَرِّقُونَ الناس من التحدث بها لغير حاجة ، حتى قال في ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله : "وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية .. حتى يصير ذلك عادة ... فلا ريب أن هذا مكروه.... واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشاهدة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابھتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".<sup>(١)</sup>.

ولم يكن حرص علماء التراث الإسلامي على لغتهم العربية تعصباً وهوى ، بل كان له دافع ديني وحاجة علمية، فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، والقرآن الكريم هو المدونة الرئيسة للأحكام الشرعية والقيم الجمالية المعجزة للغة العربية ، فعلم العربية عندهم هو السلم الذي يرتقي بهم للاستنباط ، وهو السبيل الذي يسلكونه إلى فهم الخطاب ، ولم تكن اختلافات علماء الفقه الإسلامية وعلماء البلاغة العربية في كثير منها إلا استجابة طبيعية لتوسعهم في لغة العرب ، وطريقة كل منهم في فهم كلام العرب وربطه بمقاماته وبمقتضياته ، كل ذلك باعتماد خالص على اللغة العربية ، وطرائق دلالاتها وإعرابها ، فالأصوليون مثلاً تناولوا دلالة اللفظ بحسب الوضع وبحسب الاستعمال متصلين في ذلك بمبثني الحقيقة والمجاز عند البلاغيين ، وتناولوا كذلك دلالات الأمر والنهي بحسب فهمهم للسياق العام والخاص ، واسترسلوا من ذلك إلى دلالة اللفظ بحسب الوضوح والإيهام ووضعوا القواعد الأصولية لاستنباط الأحكام المتضمنة لكل هذه الدلالات اللغوية، بل وتجاوزوا ذلك إلى طرق دلالة الألفاظ على المعاني المتصلة بمنطوق النص ومفهومه ، وربطوا كثيراً من الأحكام الفقهية

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور ناصر العقل ، ط ٧ ،

عام ١٤١٩ هـ ، لدار عالم الكتب ببيروت ، ج ١ ، ص ٤٦٨-٤٦٩ .

والقواعد الأصولية بدلالات التراكيب والإعراب كدلالة التعريف والتذكير ودلالة الحال ودلالات التوابع ودلالات الشرطيات المتصلة والمنفصلة، كل ذلك يبين الأثر البالغ لعلوم العربية بما فيها البلاغة عند الفقهاء والأصوليين بشكل أخص.

وهذا التأثير هو ما يقارب مفهوم الاستنباط بين متقدمي الأصوليين والبلاغيين ؛ فمفهوم الاستنباط عند الفريقين كان تفسيراً دقيقاً عن الممارسة المنهجية العلمية التي كانوا يزاوونها ، فهو عندهم مضاد للحفظ ؛ لأنه طريقة فكرية تعتمد على إعمال العقل تفكيراً بالدرجة الأولى ، والعالم المستنبط عندهم أجل منزلة من العالم الحافظ، يقول الجصاص :

"درجة المستنبطين أفضل درجات العلوم، ألا ترى: أن المستنبط أعلى درجة من الحافظ غير المستنبط ، فلم يكن الله ليحرم نبيه - عليه السلام - أفضل درجات العلم التي هي درجة الاستنباط." <sup>(١)</sup> ، وهو لا يبتعد عندهم في مفهومه من المعنى اللغوي (الاستخراج) المرتبط بمنهجهم العلمي ، فهو يعتمد على إدراك واستخراج الأحكام العامة من خلال النصوص القطعية عن طريق الرأي والاجتهاد ، فالاستنباط " ليس إلا استخراج المعنى من المنصوص بالرأي ...." <sup>(٢)</sup> ، ويتعلق مفهوم الاستنباط لديهم بالتوجيه الإلهي النَّاص على استخدام الطريقة الاستنباطية في البحث والفهم ، إذ لا بد أن تُردَّ بعضاً من الحوادث الفردية والوقائع الخاصة المطلوب بحثها ودراستها إلى مصدر أصيل وصريح يستطاع به التفسير والوصول إلى الحقيقة الشرعية ، يقول تعالى :

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ <sup>(٣)</sup>

---

(١) الفصول في الأصول ، لأحمد بن علي الجصاص ، تحقيق الدكتور : عجيل النشمي ، ط ٢ ، عام ١٤١٤ هـ ، لوزارة الأوقاف الكويتية ، ج : ٣ ، ص ٢٤٠ .

(٢) أصول السرخسي ، لمحمد بن أحمد السرخسي ، حقق أصوله : أبو الوفا الأفعاني ، ، ط ١ ، عام ١٤١٤ هـ ، للجنة إحياء المعارف النعمانية ، ج ٢ ، ص : ١٢٨ .

(٣) سورة النساء الآية الكريمة رقم (٨٣).

ويُستطاع عند تتبع تفسير هذه الآية أن نتلمس المفهوم المشترك ما بين علماء التراث العربي عموماً للاستنباط<sup>(١)</sup>، إذ إنها مفاهيم متقاربة منسجمة مع طبيعة المنهج العلمي التراثي للعلماء العرب ، فهي تتراوح ما بين الفحص والتتبع والتنقيح عن الحقائق والأحكام<sup>(٢)</sup> ، وهذه المعاني قريبة من مفهوم البلاغيين القدامى أيضاً للاستنباط ، فعبد القاهر الجرجاني يضع الاستنباط إلى جانب المباحثة والاستشارة والتدبر والتأمل ويجعلها كالمترادفات اللفظية التي تنظم في المنهجية العلمية<sup>(٣)</sup>، وإذا كانت المفاهيم الاستنباطية قريبة من بعضها البعض إلى هذا الحد عند قدامى الأصوليين والبلاغيين ، فإن هناك مجموعة من القواسم المنهجية البحثية المشتركة الاستنباطية بين الفريقين غير المفهوم ، الأمر الذي يؤكد التشابه الكبير بين الفريقين في الاستنباط على مستوى المفهوم وعلى مستوى المدونات والمنهجية البحثية والطرائق .

### القواسم المنهجية المشتركة بين استنباط الأصوليين والبلاغيين : أولاً : البحث في القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي ، فقد "اتفق المسلمون على أن القرآن الكريم حجة يجب العمل بما ورد فيه ولا يجوز العدول عنه إلى غيره من الأدلة ، إلا إذا لم يرد فيه حكم الحادثة التي يبحث عن حكمها"<sup>(٤)</sup> ، وهذا ما يبرر حرص الأصوليين على استنباط أحكام القرآن ومعانيه وتشريعاته ، والاستعانة على ذلك بالعلم الواسع بلغة العرب وطرائقهم البيانية ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله : " فكل ما أنزل في كتابه جل ثناؤه رحمة وحجة ، عَلمه من عَلمه ، وجهله من جهله ، لا يعلم من جهله ، ولا يجهل من علمه ، والناس في العلم طبقات ، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به ، فحق على طلبة العلم بلوغ

(١) نبه الدكتور محمد توفيق سعد على تتبع مفهوم الاستنباط الاصطلاحي القديم من خلال تتبع أقوال المفسرين في الآية الكريمة الثالثة والثمانين من سورة النساء ، في كتابه سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة ، ط ١ ، عام ١٤٣٢ ، مكتبة وهبة بالقاهرة ، ص ٣٣ .

(٢) ذكر كل هذه المعاني ابن جرير الطبري في تفسيره نقلاً عن جماعة من المفسرين ، ينظر في ذلك لجامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، تحقيق أحمد شاکر ومحمود شاکر ، ط ١ ، عام ١٤٢٢ هـ لمؤسسة الرسالة ، ج ٨ ، ص ٥٧٨ .

(٣) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق : محمود شاکر ، ط ٣ ، عام ١٤١٣ هـ ، لدار المدني ، ص ٣٣٩ .

(٤) أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ، ط ١ ، عام ١٤٠٦ هـ ، لدار الفكر بدمشق ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

غاية جهدهم في الاستكثار من علمه ، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصاً واستنباطاً ، ....فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة ، إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها <sup>(١)</sup>.

ومن استنباط معاني القرآن الكريم تشكل أغلب الفقه الإسلامي وجل أحكام الشريعة الإسلامية ، فالقرآن الكريم هو أول المصادر النقلية و أقواها عند الأصوليين والفقهاء ؛ لأنه قطعي الثبوت ، والأصوليون متفقون جميعاً على أن القرآن المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي ، ولم أجد - في حدود بحثي وإطلاعي - أصولياً معتبراً عدَّ القرآن الكريم إلا أولاً في التشريع ، وهم مع ذلك الإجماع مختلفون في حجية المصادر فمنهم من جعلها أربعة وهي (القرآن ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ) ، ومنهم من توسع وجعلها عشرة مصادر حجية <sup>(٢)</sup>، إلا أن المتفق عليه بين الجميع أن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأقوى ؛ ولذلك اعتنى به الأصوليون استنباطاً وفهماً .

وإذا كان الاهتمام الأول عند الأصوليين بالقرآن الكريم لاستخلاص الأحكام الشرعية واستنباطها، فإن الاهتمام البلاغي الأول كان البحث في إعجاز القرآن الكريم ونسقه البياني ، وقد شُغل علماء البلاغة العربية بالبحث عن إعجاز كتاب الله ، وقد وجهوا جل همهم واهتمامهم لخدمة كتاب الله جل وعز ، ففند العديد منهم الإعجاز للقرآن والبيان فيه بطريقة تلتقي مع مصادره الفكرية والمعرفية ، وتلتقي غالباً مع المعتقد المذهبي والديني، والذي كان له أثر لا يستطاع نكرانه في توجيه العديد من الآراء البلاغية ، وتوسعت عند علماء البلاغة مجالات البحث في إعجاز كتاب الله ونسقه البياني ، حتى خصَّه بعضهم بالبحث والتأليف؛ كالذي في معاني القرآن "للفراء" (ت ٢٠٧هـ)، و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ)، و "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، و "جامع البيان" للطبري (ت ٣١٠هـ) وغير ذلك من المؤلفات البلاغية التي عيّنت بالقرآن الكريم ، أما المؤلفات التي لم تحمل عناوين ذات دلالة للاهتمام المباشر بالقرآن

---

(١) الرسالة للإمام المطلبي مُجَّد الشافعي ، تحقيق أحمد شاكر ط ١ ، عام ١٣٩٩هـ ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر . ، ص

(٢) ينظر في ذلك شرح الكوكب المنير ، لابن النجار ، تحقيق د . مُجَّد الزحيلي ، د. ونزيه حماد ط ١ ، عام ١٤١٣هـ ،

لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ج ٢ ، ص ٥ - ١٠ .

الكريم ، فإن مؤلفيها يجعلونها أيضاً في خدمة كتاب الله عز وجل ، فتجد في تصديرات مؤلفاتهم ما يتضمن الهدف من تأليف الكتاب ، ويصرحون فيها بأن الاهتمام بجانب البلاغة العربية واجب ديني وغاية معرفية لا تضاهي ؛ فهي السبيل إلى الكشف عن إعجاز القرآن الكريم ومضامينه الجمالية والبيانية ، يقول أبو هلال العسكري في مقدمة كتابه الصناعتين :

"اعلم... أن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة، الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرشـد ..."<sup>(١)</sup>

ثم تضاعفت جهود العلماء بعد ذلك وسارت في نشاط متصاعد ، همهم في ذلك التعرف على بلاغة كتاب الله ووجوه الإعجازية ، ومع محاولاتهم الجادة في كشف النقاب عن ذلك إلا أنهم مُقِرُّون بصعوبته البالغة ، ولكنها صعوبة لم تمنعهم من محاولة تلمس تلك الجوانب ، بل ورغبات منهم جادة في الكشف عن ذلك ؛ فقاموا بتخصيص مسار بحثي خاص يحمل عنوان إعجاز القرآن ، كالنكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي ابن عيسى الرماني (ت ٣٨٦هـ)، وبيان إعجاز القرآن للخطابي (ت ٣٨٨هـ)، و(كتاب إعجاز القرآن ) للقاضي أبي بكر مُحمَّد بن الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ) ، ولم يأت عبد القاهر الجرجاني إلا وبين يديه من جهود العلماء قبله ما يفيد ويعينه للحديث عن مضان الإعجاز القرآني ، وقد وجد في تلك الكتب الجذور الأولى لفكرة النظم التي جعلها مفتاح البحث في إعجاز القرآن الكريم ، وقد أقر عبد القاهر بجهود سابقه عليه في فكرة النظم ، إلا أنه لم يرض منهم الطريقة التي وظفوها بها لفكرة النظم للكشف عن إعجاز القرآن الكريم ، فثمن لهم اكتشافهم لإعجاز القرآن ، وعاب عليهم وقوفهم عند هذا الاكتشاف ، يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابه دلائل الإعجاز :

" وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم ... وإجماعهم ألا فضل مع عدمه .... وما كان بهذا المحل من الشرف .... كان حرياً بأن توقظ له الهمم ، ..... وكان العاقل جدير ألا يرضى من نفسه بأن يجد فيه سبيلاً إلى مزية علم وفضل وتلخيص حجة وتحرير دليل ، ثم تجده يعرض عن ذلك صفحاً... وتدخل

---

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي البجاوي ومُحمَّد أبو الفضل إبراهيم ، ط

(بدون) ، عام ١٤٣٤هـ ، المكتبة العصرية ببيروت ، ص ٧ .

عليه الأنفة من أن يكون في سبيل المقلد الذي لا يثبت حكماً ولا يقتل الشيء علماء.....<sup>(١)</sup> .

ولم يقف البحث الإعجازي في القرآن لدى علماء البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني ، بل امتد بعده حتى بعد أن قُعدت بلاغة الأسرار والدلائل ، فجاء بعده الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) وألف كتابه (نهایة الإيجاز في دراية الإعجاز) ، وابن الزمكاني (ت ٦٥١هـ) في كتابه (التبيان في علم البيان المطلاع على إعجاز القرآن) ، ولا زالت الكثير من دراسات البلاغة اليوم تسعى لخدمة كتاب الله والبحث فيه عن مواطن الجمال والإعجاز ، وفيما يبدو فإن البحث الأصولي القرآني قد تميز بالشمولية والعمق ، حتى أصبح مرجعاً لأهل البلاغة بل وحتى أهل اللغة أنفسهم في تفسير بعض القضايا اللغوية ، فأهل اللغة أنفسهم يفسرون بعض المفردات القرآنية على وفق تفسير الأصوليين لها ، ولا يجدون حرجاً من تقليدهم ونسبة الرأي لهم ، ولم يتأت ذلك إلا من ثقة أهل اللغة بعمق البحث الأصولي في القرآن الكريم ، و من ذلك أن ابن السيد البطليوسي الذي عقد باباً في كتابه (الإنصاف) سماه (باب في الخلاف العارض من جهة اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة) ، وافتتحه بمعنى كلمة (القرء)، وقال فيه :

" ذهب الحجازيون من الفقهاء الى أنه الطهر ، وذهب العراقيون الى أنه الحيض ولكل واحد من القولين شاهد من الحديث ومن اللغة"<sup>(٢)</sup> ، والذي دفع ابن البطليوسي إلى الاعتماد على آراء الفقهاء اللغوية في توجيه معنى الكلمة انصراف الذهن إلى أنه مصطلح قرآني بني عليه حكم شرعي ورد في قوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> ، فعلم أن الفقهاء لم يقوموا باستخلاص الحكم الشرعي المبني على معنى هذه المفردة إلا بالبحث العميق والنظرة غير العجلى في مقتضيات اللغوية والسياقية المتصلة والمنفصلة ، فجعل رأيهم مرجعاً وجعل

---

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق :محمود شاكر ط ٣ ، عام ١٤١٣هـ ، لدار المدني ، ص ٨٠ .

(٢) الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف، لعبد الله بن السيد البطليوسي ، تحقيق : مُجدد رضوان

الداية ، ط ٢ ، عام ١٤٠٣هـ ، لدار الفكر بيروت ، ص ٣٧ .

(٣) سورة البقرة ، الآية الكرمة (٢٢٨) .

اختلافهم محل اختيار ، وخلاصة ما يقال في البحث القرآني لدى الأصوليين والبلاغيين ما يأتي :

أولاً : اشتراك الفريقين في الاعتماد على مدونة بحث واحدة وهي القرآن الكريم ، باعتباره مصدراً تشريعياً عند الأصوليين ، ومدونة للكشف عن أسرار الإعجاز والنمط العالي من البيان عند البلاغيين.

ثانياً : تشابه الهدف المعرفي عند الأصوليين والبلاغيين في البحث القرآني ، والمتمثل في استخلاص الأحكام.

ثالثاً : ثقة اللغويين في عمق البحث الأصولي في القرآن الكريم حتى أصبح الرأي الأصولي مرجعاً للغويين.

### القواسم المنهجية المشتركة بين استنباط الأصوليين والبلاغيين : ثانياً : الاعتماد على الجانب اللغوي بمختلف مستوياته :

اتكأ الأصوليون كثيراً على الجانب اللغوي ، واعتمدوا عليه جل الاعتماد في طرائقهم الاستنباطية ، بل واعتبروه الأداة الرئيسية التي لا بد وأن تتوافر للأصولي والفقيه ؛ وسبب ذلك أن علوم اللغة العربية تمد علم أصول الفقه بالعديد من الروافد ، الأمر الذي أسس اهتمام الأصوليين باللغة العربية ، فلا تكاد تقلب كتب الأصوليين حتى تجد جانباً من ذلك الاهتمام وحثاً وترغيباً على تعلم العربية ، يقول الإمام الشافعي :

" فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العربية ما بلغه جهده ، .... وما ازداد من العلم باللسان كان خيراً له ..... وإنما بدأت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحدٌ جهل سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها".<sup>(١)</sup>

فالإمام الشافعي هنا يرى ألا سبيل لإيضاح جمل كتاب الله إلا بالتمكن من لغة العرب والحدق بها ، ومعرفة وجوهها واختلاف واتفاق معانيها وطرائقها التعبيرية ، ويرى أن الجهل بالعربية شبهة تدخل على من يريد استنباط الأحكام الشرعية والخوض في المسائل الفقهية ، بل وقد اعتبر بعض الفقهاء أن العجمة والجهل بأساليب العربية سبباً للضلال والزيغ عن الحق ؛ لأنها تفضي إلى فهم النصوص على غير وجهها ، وفي ذلك

---

(١) الرسالة للشافعي : ص ٤٨-٤٩-٥٠.



سئل الإمام الحسن البصري عن سبب ضلال بعض الفرق فقال : "إنما أهلكتهم العجمة"<sup>(١)</sup> . والمقصود بالعجمة هنا عدم امتلاك القدرة الكافية على فهم اللسان العربي وطرق إبانته ودلالاته وإعرابه، وفي ذلك أيضا يقول ابن جني في تصديره لباب أسمائه (باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية) في كتابه الخصائص :

" اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب ، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية ولا وراءه من نهاية ، وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة ، التي خوطب الكافة بها"<sup>(٢)</sup> .

والناظر في مباحث أصول الفقه يجد أن الأصوليين لم يتخرجوا من وسم بعض مباحثهم الأصولية بوسوم لغوية وبلاغية محضة ؛ للترابط الشديد والتماسك العلمي ما بين علوم الفقه الإسلامي واللغة العربية، كالحقيقة، والمجاز، والعموم ، والخصوص ، والإطلاق ، والتقييد ، والحذف ، والإضمار والمنطوق ، والمفهوم وغير ذلك.

وهنا أمر لا بد من إيضاحه عند الحديث عن الشراكة اللغوية بين الأصوليين أنفسهم ، فالأصوليون لم يرتضوا أن يقلدوا أشياخهم الأوائل في مسائل حساسة وذات خطورة بالغة ، فقد كانت لبعضهم آراء خاصة تتعارض مع آراء كبار الفقهاء والأصوليين في مجال اللغة العربية ، ومن ذلك قضية الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم ، ومخالفة بعض تراكيبه للقواعد و المقاييس اللغوية الأصيلة ، فالشافعي يقول بأن كل ما ورد في القرآن الكريم عربي خالص لا يشوبه لفظ أعجمي، واستدل على ذلك بمنطوق القرآن الكريم، يقول الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة :

"وقد تكلم في العلم من لو أمسك .. لكان الإمساك أولى به.... فقال منهم قائل: إن في القرآن عربياً وأعجمياً، والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب .... فإن قال قائل : ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين ، ط ، عام

١٤١٥هـ ، لدار ابن كثير بدمشق، ص ٣٥٠ .

(٢) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، ط ٤ ، عام ١٩٨٩م ، للهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ .

فالحجة فيه كتاب الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾<sup>(١)</sup> ، على أن الشافعي في هذا الحكم الصارم تطغى عليه صبغة الفقيه أكثر من صبغة اللغوي ؛ حيث قدم الدليل النصي القاطع على كل أمر ، إلا أن بصره بلغة العرب ألزمه أن يعترف بوجود ألفاظ أعجمية في لغة العرب عموماً ، ولكنه كان حذراً جداً من نسبة ذلك للقرآن الكريم بشكل خاص حيث يقول :

" و لا ننكر إذ كان اللفظ قيل تعلماً أو نُطِقَ به موضوعاً ، أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب ، كما ياتفق<sup>(٢)</sup> القليل من السنة العجم المتباينة في أكثر كلامها ، مع تنائي ديارها ، واختلاف لسانها"<sup>(٣)</sup> ، والشافعي في ذلك لا يبتعد عن رأي بعض غير الأصوليين في عصره ، فقد توافق رأيه مع رأي صاحب مجاز القرآن حيث يقول : "نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومن زعم أن طه بالتبطيّة فقد أكبر ، وإن لم يعلم ما هو ، فهو افتتاح كلام وهو اسم للسورة وشعار لها، وقد يوافق اللفظ ويقاربه ومعناها واحد وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها"<sup>(٤)</sup> ، وقد وافق الشاطبي الشافعي في هذا الرأي<sup>(٥)</sup> ، إلا أن جلال الدين السيوطي كان له رأي يتدافع مع رأيهما في هذه المسألة المهمة ، ويستدل لرأيه بالنقل المركب ، وبالفهم الخاص لمضامين الخطاب القرآني الكريم ، فقال بعد أن سرد أقوال جملة من أهل العلم في ذلك :

---

(١) الرسالة للشافعي : ص ٤١ إلى ٤٥ .

(٢) ذكر الشيخ أحمد شاكر محقق الرسالة للشافعي كلاماً في الفعل (ياتفق) الذي لم تدغم فيه تاء الافتعال ، بل قلبت حرف لين من جنس الحركة قبلها ، وقال بأنها لغة أهل الحجاز ، ينظر في ذلك حاشية رقم (٥) من ص ٣١ من الرسالة.

(٣) الرسالة للشافعي : ص ٤٥ .

(٤) مجاز القرآن صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق مُجَدِّ فؤاد سركين ، ط ١ ، عام ١٩٨٨ م ، مكتبة الخانجي بمصر، ج ١ ، ص ١٧ .

(٥) الموافقات لإبراهيم الشاطبي ، تحقيق مشهور حسين آل سلمان ، ط ١ ، عام ١٤١٧ هـ ، دار ابن عفان بالقاهرة، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

" وأقوى ما رأيته - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير ، فقال : أنبأنا ابن حميد ، .... عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً ؟ فأنزل الله : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ﴾<sup>(١)</sup> ، وأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكل لسان ، فيه : ﴿حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ﴾<sup>(٢)</sup> فارسية"<sup>(٣)</sup>.

وقد تناول الأصوليون - شأنهم في ذلك شأن البلاغيين - اللغة العربية على المستويات الظاهرة والشكل العام للغة اللسان العربي ، وعلى المستويات الباطنة التي تحملها اللغة العربية والمتعلقة بالمقام والقرائن الخارجية ؛ لأن استنباط الأحكام الشرعية لا يتحقق إلا بمثل هذا النحو من النظر ، مستنيرين في ذلك باتساع اللغة وامتدادها ومحاولاتهم الجادة لتلمس جوانب هذا الامتداد فيما يخص الاستنباط ، ومن ذلك قول (العجلي) الأصولي: "فصار إنزاله القرآن بلغة العرب كالإخبار منه بأنه يعني به ما وضعوه له ، وكالأمر بما يحملوه بما وضعوه له إلا إذا قرن به قرينة ..."<sup>(٤)</sup> ، فصار بهم الأمر إلى التوسع في توظيف اللغة العربية مجتمعة على مستوى اللغة والنحو ، وعلى مستوى علوم البلاغة العربية التي تكتشف القرائن المذكورة في النص السابق ، وفي حقيقة الأمر فالأصوليون في ذلك تتطابق رؤاهم ومنهجيتهم مع شيوخ اللغة والبلاغة والعربية ، فابن فارس مثلاً يرى أن لعلم اللغة العربية أصولاً وفروعاً ، فالفرع كعرفة أسماء الذوات والصفات ، وأصولها كعرفة وضع اللغة وأوليئها ومنشأها ، والبصر برسوم العرب في مخاطباتها ومالها من الجمال والافتنان في صورها البيانية ، وهو يرى أن السبيل الوحيد الموثوق لعلم وفقه الخطاب القرآني والنبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم المعرفة

(١) الآية ٤٤ من سورة فصلت ، وقد وردت عند السيوطي بهذا الشكل المثبت ، و هو مختلف عما بين يدينا من مصاحف الرسم العثماني الشريفة وهو قوله تعالى : ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ﴾ ، وتام الآية : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

(٢) سورة الفيل ، الآية الكريمة رقم (٤).

(٣) المهذب فيما وقع من القرآن من المعرب لجلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ ، مطبعة فضالة بالإمارات العربية المتحدة، ص ٦٠ .

(٤) الكاشف عن المحصول في علم الأصول ، لمحمد بن محمود العجلي ، تحقيق عادل عبد الجواد وعلي المعوض ، ط ١ ، عام ١٤١٩هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت . ج ٢ ، ص ٤٨٨ .

التامة بأصل علم اللغة وفروعها ، ويرى أن المهتمين بأصول الفقه منقسمين في العلم الأصولي وفروعه إلى واحد من رجلين:

" رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره ، وآخر جمع الأمرين معا، وهذه هي الرتبة العليا ، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة وعليها يعول أهل النظر والفتيا ، وذلك أن طالب العلم العلوي يكتفي من سماء الطويل باسم الطويل ، ولا يضيره أن لا يعرف الأشق والأمق<sup>(١)</sup>، وإن كان في علم ذلك زيادة وفضل"<sup>(٢)</sup>.

أما البلاغيون فمزجهم بين فروع اللغة وعلومها لما يخدم البلاغة العربية فبين لا يخفى ، وهو المحور الذي دارت عليه فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني والمتأثرين به من بعده ، فالسكاكي الذي قعد بلاغة عبد القاهر مثلاً يقسم كتابه مفتاح العلوم إلى ثلاثة أقسام : أولها في علم الصرف ، وثانيها في علم النحو ، وثالثها في علمي المعاني والبيان ، ويعلل وجود هذه المزج بين علوم الصرف والنحو والبلاغة عنده في كتابه الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب ، حيث اعتبر مشارات الخطأ في لغة العرب " إذا تصفحتها ثلاثة :

المفرد والتأليف وكون المركب مطابقاً لما يجب أن يتكلم له ، وهذه الأنواع بعد علم اللغة المرجوع إليها في كفاية ذلك مالم يتخط إلى النظم ، فعلمنا الصرف والنحو يرجع إليها في المفرد والتأليف ، ويرجع إلى علمي المعاني والبيان في الأخير"<sup>(٣)</sup>.

ونستطيع أن نجمل القول في الاعتماد على الجانب اللغوي عند الأصوليين والبلاغيين فيما يأتي :

---

(١) بيّن محقق كتاب الصاحبي أن الأشق : من الخيل ما يشتق في عدوه يمينا وشمالا ، أو البعيد ما بين الفروج ... والأمق: من الخيل الطويل ، ينظر للحاشية الثانية والثالثة من كتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأحمد بن فارس ، تحقيق : أحمد حسن بسج ، ط ١ ، عام ١٤١٨ هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت، ص ١١ .

(٢) السابق نفسه.

(٣) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط ١ ، عام ١٤٠٣ هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص ٨ .

أولاً : علوم اللغة العربية بجميع فروعها هي القنطرة التي سار عليها الأصوليون في تأصيل القواعد الشرعية واستنباط الأحكام الشرعية .

ثانياً : جاءت تسمية بعض مباحث علم الأصول مطابقة لبعض المصطلحات ومباحث علوم اللغة العربية الصرفة بفروعها ؛ وكان ذلك نتيجة طبيعية لاعتماد الأصوليين التام على اللغة العربية وفروعها وتأثرهم البالغ بها.

ثالثاً : لم يقف الأصوليون على مسافة واحدة عند بعض المسائل اللغوية المهمة ، بل اختلفوا فيما بينهم إذ لم يرتضوا أن يسلموا أنفسهم لتقليد علمائهم المؤسسين لعلم الأصول ، أو حتى تقليد أهل الاختصاص باللغة ، فقد كانت لبعضهم آراء لغوية خاصة تعتمد على الفهم والقراءة والدربة اللغوية والاستنباطية.

### القواسم المنهجية المشتركة بين استنباط الأصوليين والبلاغيين : ثالثاً : المنهج العلمي :

ليس الاشتغال بالبحث في كتاب الله جل وعز والاعتماد على اللغة ما يقارب مفاهيم الاستنباط الأصولية والبلاغية فحسب ، بل إن المنهج العلمي الباحث في القرآن الذي اعتمد عليه الأصوليون هو نفسه أو قريب منه المنهج الذي اعتمد عليه البلاغيون ، فكلا الفريقين كان يعتمد على الاستنباط كونه منهجاً علمياً قادراً على تلبية رغبتهم وأهدافهم العلمية من دراساتهم ، فالأصولي يستنبط من القرآن أحكام التشريع الإسلامي ، والبلاغي يستنبط منه مظان الإعجاز البلاغي ومواطن الجمال ، وهناك تداخل ما بين الفريقين حتى على مستويات أدوات البحث الخاصة ، وكون البحث في الدلالة السياقية من اختصاص علماء البلاغة ، إلا أن الأصوليين اعتمدوا كثيراً على هذه الأداة في استنباط أحكامهم الأصولية ، واعتنوا كثيراً بدلالة منطوق التركيب القرآني ومفهومه كل بحسب رؤيته وثقافته اللغوية ودربته الشرعية ، الأمر الذي ساعد وبجلاء على انتشار الخلافات الفقهية وتعدد الآراء الشرعية ، وبالمقابل فقد اضطر البلاغيون للاعتماد على ما يشبه القياس الذي يعتبره الأصوليون مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي ، فوازنوا بين كلام الله عز وجل وكلام العرب ؛ لإثبات النمط العالي من البيان ، وهذه الموازنة في حقيقتها شديدة الشبه بكل قياس أصولي يعتمد على طرفين ؛ هما كلام الله عز وجل ، وكلام العرب ، وعلاقة بين الطرفين متمثلة في جمال كل منهما.

وما تنبغي الإشارة إليه في حدود المنهج العلمي المشترك ما بين الفريقين ، اعتماد علماء الأصوليين والبلاغيين على عدد من المناهج تتزامن مع الاستنباط وهما الاستقراء التام ، والاستدلال ، أما الاستقراء فهو الخطوة الأولى من خطوات البحث الأصولي والبلاغي على حد سواء ، فقد لجأ علماء الأصول والبلاغة كثيراً إلى "تتبع الأمور وجمعها لمعرفة خواصها للحكم على الكلي بأمر لوجود هذا الأمر في أكثر جزئياته"<sup>(١)</sup> ، وقد نقل الزركشي إجماع الأصوليين والفقهاء على أن الاستقراء حجة بدون خلاف<sup>(٢)</sup> ، ودعم نقله لذلك الإجماع بأنه قد "احتج الشافعي بالاستقراء في مواضع كثيرة ، كعادة الحيض بتسع سنين ، وفي أقله وأكثره ، وجرى عليه الأصحاب"<sup>(٣)</sup> .

ولعل الإجماع الذي نقله الزركشي خاص بالاستقراء التام لا الاستقراء الناقص ، والذي يجب فيه تتبع جميع الجزئيات ، أما الاستقراء الناقص فهو محل نزاع وخلاف بين العلماء ، فمنهم من يرى أن الاستقراء الناقص حجة في الأحكام الشرعية ، ومنهم من يرى عدم حجتيه ، ومنهم من يشترط دليلاً آخر ليكون الاستقراء الناقص حجة في الأحكام الشرعية ، واشترط بعضهم العلة الصحيحة لحجتيه<sup>(٤)</sup> .

أما البلاغيون فإن استقراءهم لكتاب الله وسنة نبيه عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام وكلام العرب شعراً ونثراً حاضر في تضاعيف مؤلفاتهم ، ولكنه يختلف عن المنهجية الاستقرائية عند الأصوليين ، إذ إن استقراء البلاغي يفرز عدداً من الجزئيات يخضعها في نهاية الأمر لذوقه الشخصي ورؤيته النقدية ، ومن ثم يصدر أحكاماً غير قادرة على أن تكون قطعية كقطعية وثبوت أحكام الأصوليين بعد استقراءاتهم ، ومن هنا كان

(١) معجم لغة الفقهاء للدكتور: محمد رواس ، ط ١ ، عام ١٤١٦هـ ، لدار النفائس ببيروت ، ص ٤٤ .

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه ، لبدر الدين الزركشي ، تحرير : د. عبد الستار أبو غدة ، ط ٢ ، عام ١٤١٣هـ ، لدار الصفوة للطباعة والنشر بالغردقة بمصر ، ج ٦ ، ص ١٠ .

(٣) نفسه ص ١٠ .

(٤) للتوسع في ذلك ينظر الاستقراء وأثره في القواعد الأصولية والفقهية دراسة نظرية تطبيقية للطبيب السنوسي أحمد ، ط ٣ ، عام ١٤٣٠هـ ، لدار التدمرية بالرياض ، ص ٢٥٩-٢٦٢ .

اختلاف البلاغيين على العديد من القضايا البلاغية والأدبية ، وأهمها على الإطلاق قضية إعجاز القرآن الكريم التي شغل بها الدرس البلاغي كثيراً ، فمع اشتراك البلاغيين في الاستقراء التام للقرآن الكريم ومعرفتهم الجيدة بالنمط العالي من البيان العربي الذي ربطوه بالإعجاز القرآني ، إلا أنهم عجزوا عن وضع حدود صارمة وواضحة ومرجعية علمية لهذه القضية ، واختلفت آراؤهم ورؤاهم نتيجة طبيعية لإخضاع الجزئيات المستقراء للذوق الشخصي والملكة النقدية المتفاوتة ، وقد كان هذا التباين في حدود الجزئيات التي من الممكن أن يتم استقراء جزئياتها استقراء تاماً ، والتباين أكثر والاختلاف أوسع بين البلاغيين وعلماء التراث الأدبي والنقدي في الاستقراء الذي لا يمكن أن يكون تاماً ، ونعني به استقراء جميع الفنون الأدبية عند العرب شعراً ونثراً ، فعلماء البلاغة والأدب لم يتخرجوا مطلقاً من التصريح بصعوبة الاستقراء التام للأدب العربي ، فالأصمعي مثلاً عمد في كتابه طبقات فحول الشعراء إلى تقسيم الشعراء إلى طبقات بحسب استقراءه للشعر العربي، في الفترة التي عاش فيها (١٣٩-٢٣١ هـ) وما تزامن معها وسبقها من شعر أموي وإسلامي وجاهلي ، ولكنه وجد صعوبة بالغة في استقراء الأدب كله خلال تلك الفترة ، فبنى طبقاته على الاستقراء الناقص لا التام ، واعتذر عن ذلك للمتلقي بقوله في مهاده كتابه:

" ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يحمله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر " (١) ، وهذا النص صريح على صعوبة الاستقراء التام لكلام العرب شعراً ونثراً على الرغم من أنه محصور في فترات زمنية متعاقبة لا تتجاوز القرن والنصف من الزمان، وعلى الرغم من أن قائل النص عالم موسوعي بلغة العرب وأيامهم وأشعارهم ، وبذلك يُستبان فرق آخر بين الاستقراء التام عند الأصوليين والبلاغيين ، إذ إن الاستقراء التام عند الأصوليين ممكن لحصر جزئيات تبنى عليها أحكام شرعية ، وإنما كان ممكناً لأن مدونته البحثية محصورة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أما البلاغيون وعلماء التراث الأدبي العربي ، فالاستقراء التام عندهم للقبض على جزئيات مشتركة يبنى عليها

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، قراءة وتعليق محمود شاكر ، ط ١ ، عام بدون ، لدار المدني بجدة ، ج

أحكام بلاغية ونقدية صارمة غير ممكن ؛ لأن مدونة البحث الشفاهية والكتابية غير محصورة ، ولأن المستقرأ منها يخضع للذوق والقدرات الشخصية المتفاوتة ، فلا تنشأ بناء على ذلك الاستقراء أحكام صارمة مثل أحكام الأصوليين .

ولا يعني القول بصعوبة تطبيق الاستقراء التام في التراث البلاغي القديم أن البلاغيين القدماء لم ينجحوا إليه مطلقاً ، فبعض الأحكام البلاغية والنقدية القديمة قائمة على ما يشبه الاستقراء التام ، ومن ذلك استقراء الجاحظ للدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، حيث حصرها في خمسة أشياء : "لا تنقص ولا تزيد، وأولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى النُصبة"<sup>(١)</sup> .

ولم يكن الاستقراء التام عندهم في الأحكام العامة فقط ، بل وجدت دراسات قديمة تقوم على ما يشبه الاستقراء التام، ومن ذلك كتاب الموازنة للآمدي ، فقد التزم في بداية كتابه بعدم إفصاحه عن تفضيل أبي تمام أو البحتري، إلا بعد إجرائه لموازنة نقدية بين الشاعرين ، حيث تقوم هذه الموازنة على استقراء تام للقوائد عندهما المتفقة في الوزن والقافية والإعراب والمعنى ، ثم يصدر بعد هذا الاستقراء أحكامه النقدية ، يقول الآمدي في فاتحة كتابه الموازنة :

" فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكني أوازن بين قصيدة وقصيدة ، من شعرهما إذا اتفقا في الوزن والقافية وإعراب القافية وبين معنى ومعنى ، ثم أقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى ..."<sup>(٢)</sup>

ويعد الاستدلال من الخطوات الرئيسة التي اشترك فيها البعثان البلاغي والأصولي ، بل ويمكن عدّه الدائرة العريضة التي تحيط بمنهجية البحث عند علماء أصول الفقه وعلماء البلاغة العربية تحديداً ، " ... ولئن كان الاستدلال مفهوماً مشتركاً بين في المنظومة المعرفية القديمة بين علوم المنطق والكلام وأصول الفقه والبلاغة

---

(١) البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ تحقيق عبدالسلام هارون ، ط ٧ ، عام ١٩٩٨ م ، مكتبة الخانجي ، ج ١ ، ص ٧٦ .

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن الآمدي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط ٤ ، عام ١٩٩٤ م ، لدار المعارف ومكتبة الخانجي ، ج ١ ، ص ٦ .



فهو أيضا مشترك في علومنا الحديثة ....<sup>(١)</sup> ، والاستدلال النقلي عند الأصوليين يكاد يأخذ نسقاً واحداً ؛ " لأن الأصوليين اتفقوا على الأدلة الأربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، واتفقوا كذلك على أن هناك دليل خامس ، لكنهم اختلفوا ... في تشخيصه ، فمنهم من ذهب إلى أنه الاستصحاب ، ومنهم من شخصه بأنه الاستحسان ، ومنهم من شخصه بأنه المصالح المرسلة ....<sup>(٢)</sup> .

وأمر آخر يستطيع تفسير النسقية المتشابهة للبنية الاستدلالية عند الأصوليين ، حيث يلاحظ من الأدلة المتفق عليها عندهم اعتمادهم على الجانب النقلي أكثر بكثير من الجانب العقلي ، فالجانب العقلي لا يشغله عندهم إلا القياس المنطقي ، والذي هو في حقيقته أيضاً متصل بالدليل النصي القطعي ؛ إذ إن المقاس عليه عند الأصوليين غالباً ما يكون أمر ثابت بالدليل النقلي ، ومعنى ذلك أن جنوح الأصوليين إلى الجانب العقلي المتمثل في القياس له أصول نقلية تعزز القول باعتمادهم على الجانب النقلي بشكل شبه تام ، وفيما يبدو فإن القياس العقلي هو المدخل الذي جعل البعض يتهمون المنطق الأرسطي بالتسلل إلى الفكر الأصولي العربي ، حيث يرى الدكتور علي النشار أن تأثير القياس بالمنطق الأرسطي بدأ بعلم أصول الفقه وتمركز وظهر جلياً في مبحث القياس ، ولاسيما رسالة الشافعي التي ظهرت في أواخر القرن الثاني والتي تعد الملهم الأول للأصوليين والمقعد الأقدم لحدود علم أصول الفقه ، فبعد أن تناول الكليات والجزئيات الموجبة والسالبة التي بنى عليها الأصوليون القياس ، قال علي النشار في الاستدلال بالقياس عند العرب :

" الطريق الاستدلالي الأول : هو القياس : وهو الجزء الجوهرى الهام من منطق أرسطو، ولم يقف الإسلاميون فيه عند مجرد الفكرة الارسططاليسية — بل أضافوا إليها — متباعدة للشرح اليونانيين — مبحثين هامين أولهما : أنهم قسموا القياس إلى .. الحملية .. والشرطية .. ، ثانيهما : الشكل الرابع الذي أضافه جالينوس ....<sup>(٣)</sup> .

(١) الاستدلال البلاغي لشكري مبخوت ط١ ، عام ٢٠٠٦ م ، لدار الكتاب الجديدة المتحدة بينغازي، ص ١٣ .

(٢) الاستدلال عند الأصوليين للدكتور : أسعد الكفراوي ط١ ، عام ١٤٢٣ هـ ، لدار السلام بالقاهرة ، ص ٧٤ .

(٣) مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي ، للدكتور علي النشار ط٣ ، عام

١٤٠٤ هـ ، لدار النهضة العربية ببيروت، ص ٦٨ .

والحق أن الفقه الإسلامي الذي احتاجه المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ ، جعل صحابة رسول الله ﷺ في حاجة للاستدلال والاستنباط فقاوسوا واجتهدوا ، بما يؤكد أن بواكير القياس كانت في تلك الفترة ولا يكاد تكون له علاقة تبعية مباشرة بالمنطق اليوناني ، وما قام به الإمام الشافعي في رسالته إنما هو في حقيقة الأمر استكمال وتقعيد لجهود صحابة رسول الله ﷺ بعد موته ، واستقراء لطرق استنباطهم ، ومنهجة طرائق الاستدلال الشرعي عندهم ، ومما يؤكد القول بعدم تبعية القياس الإسلامي المباشرة بالمنطق الأرسطي في بواكيره الأولى ، أن عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- نص عليه في رسالته التي استوفى فيها شروط القضاء و الموجهة إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فقال في ذلك : " أما بعد ، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، وآس بين الناس في وجهك وعدلك.... الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه ، ثم اعرف الأمثال والأشباه ؛ وقس الأمور بنظائرها ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليه...." (١) ، إلا أن بعضاً من الأصوليين المتأخرين تناولوها تناولاً منطقياً متأثرين جداً بالأدلة المنطقية والقواعد الاستدلالية الجافة ، مثل الاستصحاب والسير والتقسيم (٢) .

وينبغي التنبيه إلى أمر في غاية الأهمية ، فبالإضافة إلى أن أسلوب الأصوليين قد اعتمد على العديد من الأنماط الحجاجية الاستدلالية تعضد الجانب النقلي ، إلا أنهم تنبهوا إلى أن مصدرهم النقلي الأول (القرآن الكريم)

(١) الأحكام السلطانية لعللي بن محمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق : أحمد مبارك البغدادي ط ١ ، عام ١٤٠٩ هـ ، مكتبة دار ابن قتيبة بالكويت ، ص ٩٥-٩٦ .

(٢) الاستصحاب عند الأصوليين : الحكم بثبوت أمر في الزمان الثاني بناء على ثبوته في الزمان الأول لعدم وجود ما يصلح للتغيير ، كاستصحاب اليقين الثابت لمن ينوي الصوم وهو متيقن بعدم طلوع الفجر ثم شك في طلوعه ، فاليقين هنا لا يزول بالشك ، أما السير والتقسيم عندهم فهو : حصر الأوصاف التي تحتل أن يُعَلَّلَ بها حكم الأصل في عدد معين ، ثم إبطال ما لا يصلح بدليل ، فيتبين أن يكون الباقي علة ، مثال ذلك أن يقول المجتهد: تحريم الربا في البرّ ثبت لعله ، والعلة هذه هي إما كونه مكبلاً ، وإما كونه مطعوماً ، وإما كونه قوتاً ، وإما كونه مُدَّخِراً ، وإما كونه موزوناً ، وإما كونه مالاً ، وهذا يسمى التقسيم ، ثم يبدأ بسير هذه العلل -والسير هو الاختبار- فيختبرها ويُسقط ما لا يراه صحيحاً ، وما لا يصلح أن يكون علة ، ينظر في ذلك لطرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين للدكتور : يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين :، ط ٢ ، عام ٢٠٠١ م ، مكتبة الرشد بالرياض ، ص ٥١٥ - ٥٣٠ .

يتميز بأسلوب الحجاج والاستدلال ويشتمل على غالب أنواع الأدلة والبراهين التي تعتمد على العقل المجرد، وهذا ما يفسر اشتغال أساليبهم الاستنباطية على بعض آليات الحجاج الاستدلالي ، وهذا يعني أن تركيزهم على الاستدلال النقلي لم يصادر هويتهم العقلية ؛ إذ إن الأسلوب الحجاجي يعتمد كثيرا على الجانب العقلي، يقول السيوطي في ذلك:

" ... قال العلماء : قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وَمَا مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلَالَةٍ وَتَقْسِيمٍ وَتَحْذِيرٍ يُبْنَى مِنْ كَلِمَاتِ الْمَعْلُومَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ إِلَّا وَكِتَابَ اللَّهِ قَدْ نَطَقَ بِهِ لَكِنْ أوردته على عادة العرب دُونَ دَقَائِقِ طَرُقِ الْمُتَكَلِّمِينَ ... " (١) .

أما الاستدلال عند البلاغيين فإن العديد من الأنماط الاستدلالية النقلية مبثوثة في تضاعيف كتب التراث البلاغي، من كلام الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وكلام العرب شعره ونثره ، شأهم في ذلك شأن الأصوليين ، وقد لجأ البلاغيون إلى استخدام الموازنات البلاغية بين القرآن الكريم وكلام العرب لإثبات مزية بيان القرآن الكريم ، كما فعل الرماني في رسالته (النكت في إعجاز القرآن الكريم) (٢)، وكذلك الموازنات الأدبية بين شاعر وشاعر ، كصنيع الآمدي في موازنته بين الطائيين ، وتأتي هذه الموازنات ككونها نمطاً استدلالياً يتغى به الوصول إلى أحكام نقدية معلة ، ولا يخفى أيضا اعتمادهم على الجانب الحجاجي كثيراً ، وخاصة المتكلمين منهم لتعضيد استدلالاتهم النقلية والعقلية ، الأمر الذي يقارب بينهم وبين الأصوليين في البنية الاستدلالية ،

---

(١) الإنتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، عام ١٣٩٤ هـ ، للهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج ٤، ص ٦٠.

(٢) ينظر في ذلك لصفحة ٧٧ وما بعدها من : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، ط٣، عام ١٣٧٦ هـ ، لدار المعارف المصرية ، وبذور الموازنات بين القرآن الكريم وكلام العرب أقدم من صنيع الرماني في نكته ، ويبدو أنه اطلع وبشكل جيد على جهود من سبقوه في ذلك ، مثل الموازنة الشهيرة التي أكملها الرماني وكانت جذورها عند سابقيه - كابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن - بين قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة : ١٧٩) وبين قول العرب: القتل أنفى للقتل ، ينظر في ذلك لتأويل مشكل القرآن شرح ونشر السيد أحمد صقر ط٢، عام ١٣٩٣ هـ ، لدار التراث العريص ٧ .

وقد تم تناول ذلك في العديد من المؤلفات والبحوث العلمية <sup>(١)</sup> ، والأمر الرئيس الذي يميز الاستدلال البلاغي عن الأصولي إنه الأول منهما لم يكتف بتوظيف الاستدلال كمؤثر خارجي على الاستنباط كما فعله الأصوليون، ولم يرتبط عندهم فقط بالإجراء المنهجي الذي ينتج الأحكام البلاغية والنقدية ويسهم في إثباتها ، بل تجاوز ذلك إلى بحث الاستدلال في الاستخدام اللغوي ، وما يتضمنه الخطاب العربي من علاقات استدلالية تربط بين الأقوال ، ومعنى ذلك أن البلاغيين وظفوا الاستدلال داخل اللغة وخارجها على مستوى التعبير وعلى مستوى التنظير والتأطير .

فالبلاغة عند البلاغيين تنطلق من الاعتبارات المقامية ، وموضوع البلاغة يتعلق بتحليل ما يشتمل عليه القول من تلك الاعتبارات <sup>(٢)</sup> ، فاختلف صياغة المعنى الواحد على أنساق متعددة يكسب كل نسق دلالة ، وهو الأمر الذي اعتنى به البلاغيون كثيراً في قضايا مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني وفصل القول في قضية الاستدلال على المعنى بالمعنى ، وهي قضية وظف فيها بعض الأنماط البيانية توظيفاً استدلالياً ، فقد جعل للنمط البياني دلالة وضعية مباشرة كموضع جمالي وبياني ، ودلالة عقلية لا تدرك إلا بانتقال الذهن إلى ما وراء المعاني العامة ، يقول الجرجاني في ذلك : " الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ؛ وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد ، وبالنزاع عن عمرو فقلت عمرو منطلق وعلى هذا القياس وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة

---

(١) مثل كتاب : البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ ، لمحمد مشبال ، ط ١ ، عام بدون ، لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد الملك السعدي بالمغرب ، وكتاب : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري ، لحماصي صمود ، ط ١ ، عام ١٩٨١ م ، للمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ص ٤٧٧ وما بعدها ودراسة الاستدلال في منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، للباحثة : خديجة كلاتمة ، جامعة محمد خيضر بالجزائر ، ودراسة : الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير ، للباحثة نعيمة يعمران ، جامعة مولود معمري الجزائرية ، ومقالة : الحجاج عند الجاحظ : بحث في المرجعيات النصيات والآليات لهيثم سرحان ، مقالة علمية نشرت في المجلة العربية للعلوم الإنسانية بجامعة الكويت ، العدد ١١٥ ، العام ٢٠١١ م ، ص ٥٥ .

(٢) ينظر في ذلك للاستدلال البلاغي لشكري المبخوت : ص ٢٥ .

ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل<sup>(١)</sup>، وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني أن مشروعه البلاغي (معنى المعنى) متصل بدائرة الاستدلال اتصالاً مباشراً ، بل وصرح بذلك صراحة فقال بعد قوله السابق : " أو لا ترى أنك إذا قلت هو كثير رماد القدر أو قلت طويل النجاد أو قلت في المرأة نؤوم الضحا<sup>(٢)</sup> فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال<sup>(٣)</sup> " ، ونصا عبد القاهر السابقين مثال واحد فقط يبين أثر الاستدلال عند البلاغيين داخل اللغة وخارجها ، وهو ما يجعل ذلك خصيصة تميز علماء البلاغة العربية عن علماء الأصول ، وخلاصة ما يقال في المنهج العلمي عند الأصوليين والبلاغيين :

أولاً : اعتماد الفريقين على المنهج الاستنباطي بمفهومه القديم المرتبط بالاستخراج والفهم و الإدراك والاستنتاج.  
ثانياً : الاستقراء التام غالباً هو الخطوة الأولى من خطوات البحث الأصولي والاستقراء الناقص غالباً هو الخطوة الأولى من خطوات البحث البلاغي .

ثالثاً : اعتماد الفريقين على الجانب الاستدلالي ، وتأثير هذا الجانب يبدو جلياً وواضحاً في الأسلوب الحجاجي عند بعض العلماء .

رابعاً : تقارب مفاهيم الاستنباط بين الأصوليين والبلاغيين على مستوى المفهوم والتطبيق العملي.

---

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص : ٢٦٢ .

(٢) ترددت في كتابة ضحا على هذا النحو ، فقد رأيت جمعا من العلماء والمحققين يتباينون في كتابتها قصراً ومدا ، حتى وجدت في كتابتها خلافا بين البصريين والكوفيين هداي له ملتقى أهل اللغة الإلكترونية ، وقد أشار ابن خالويه لذلك الخلاف في (شرح مقصورة ابن دريد ) " فقال : وتكتب الدجى بالياء ، إذا جعلته جمع دجية ، وجائز أن يكون من ذوات الواو ، من دجا الليل يدجو ، فإذا كان كذلك فأهل البصرة يكتبونه بالألف ؛ لأنه من ذوات الواو ، وأهل الكوفة يكتبون ذوات الواو إذا انضم أول الاسم أو انكسر بالياء نحو : الضحى ، والرضى ، والعدى بالياء ، وأهل البصرة بالألف على القياس " . ينظر في ذلك لكتاب (ابن خالويه) وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد ، دراسة وتحقيق : محمود جاسم محمد ، ط ١ ، عام ١٤٠٧ هـ المؤسسة الرسالة ببيروت ، ص ١٥٩ .

(٣) السابق نفسه .

## إجراءات المنهج الاستنباطي وضوابطه

المنهج الاستنباطي عند علماء المسلمين كما مر في الشق الأول من هذا المهاد، هو في حقيقته إجراء علمي ومنهج تفكيري ، و هو يتعد كثيراً عن المنهج الاستنباطي بمفهومه الحديث في المناهج البحثية المعاصرة ، وسيحاول هذا الشق أن يتلمس إجراءات المنهج الاستنباطي الحديث وضوابطه من خلال تحديد مفهومه وحدوده ، والكشف عن مدى نجاعة المنهج الاستنباطي الحديث في مجالات الدراسات البلاغية .

### تعريف المنهج الاستنباطي :

المنهج لغة : أصله نَهَجٌ ، " وطريق نَهَج : بين واضح ... والمنهاج : الطريق الواضح " <sup>(١)</sup> ، " وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ " <sup>(٢)</sup> .... وَمِنْهُ مِنْهَاجُ الدَّرَاسَةِ وَمِنْهَاجُ التَّعْلِيمِ وَنَحْوَهُمَا .. " <sup>(٣)</sup> .

والمنهج اصطلاحاً : "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم ، بواسطة طائفة من القواعد العامة تحيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة " <sup>(٤)</sup> .

أما الاستنباط لغة : فأصله نَبَط : "والتَّبَطُّ: الماء الذي يَنْبُطُ من قَعْرِ الْبُئْرِ إِذَا خُفِرَتْ، وَقَدْ نَبَطَ مَاءُهَا يَنْبِطُ نَبْطًا وَنَبُوطًا، وَقَدْ أَنْبَطْنَا الْمَاءَ، أَي: اسْتَبَطْنَاهُ، يَعْنِي: انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ " <sup>(٥)</sup> .

ولعله يكون من الصعب إيجاد تعريف اصطلاحى للاستنباط يجمع بين مفهوم علماء التراث والمعاصرة له ،

---

(١) لسان العرب لابن منظور ط ٨، عام ٢٠١٤ م ، لدار صادر بيروت، ج ١٤، ص ٣٦٥ .

(٢) سورة المائدة : الآية الكريمة : ٤٨ .

(٣) المعجم الوسيط للمؤلفين (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار ط ١، عام (بدون) لدار الدعوة، ج ٢ ، ص ٩٥٧ .

(٤) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ط ٣، عام ١٩٧٧ م، لوكالة المطبوعات الكويتية، ص ٥ .

(٥) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق : عبد الحميد هنداوي ط ١ ، عام ١٤٢٣ هـ ، لدار الكتب العلمية بيروت، ج ٤ ، ص ١٨٤ .

وقد مر بنا في الشق الأول من هذا المهاد <sup>(١)</sup> أن الاستنباط عند علماء التراث العربي لا يتعد مفهومه الاصطلاحي عن مفهومه اللغوي ، فالاستخراج هو الجامع ما بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي ، "فاستعير لما يستخرجه الرجل بفرط ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ، فكان في العدول عن لفظ الاستخراج إلى لفظ الاستنباط إشارة إلى الكلفة في استخراج المعنى من النصوص التي بها عظمت أقدار العلماء وارتفعت درجاتهم، فإنه، لولا المشقة ساد الناس كلهم ، وإلى أن حياة الروح والدين بالعلم والغوص في بحاره كما أن حياة الجسد والأرض بالماء"<sup>(٢)</sup> .

أما المنهج الاستنباطي عند علماء مناهج البحث فهو منهج مستقل شكلياً عند بعضهم ، وأداة من أدوات المنهج الاستدلالي عند البعض الآخر <sup>(٣)</sup>، ومن جعله منهجاً مستقلاً فقد وضعه سوريا بإزاء ما يعرف بالمنهج الاستقرائي التجريبي ، الذي يعتمد فيه الباحث على " استقراء الجزئيات ووصفها وتحليلها ووضع الفروض وتأويلها ثم استخراج الكلية الضابطة"<sup>(٤)</sup> ، أما من اعتبره أداة من أدوات المنهج الاستدلالي فقد جعله بإزاء الاستدلال المباشر باعتباره الضرب الأول من ضروب الاستدلال غير المباشر وباعتبار الاستقراء الضرب الثاني بعده ، وكثير منهم يلحق منهج الاستنباط بالمنطق الصوري بعمومه والاستدلال منه بشكل خاص، فهو عندهم إجراء ذهني ينطلق من مقدمة عامة ترتبط بمسلمات كلية ، ما يعني أنه يتعد عن الواقع ، وينطلق أيضاً من مقدمات عامة وكمالات مسلمة هو ما دفعهم لإدراجه تحت الاستدلال ، إذ حدّد علماء مناهج البحث بأن

---

(١) ينظر لأول صفحة من مهادهذا البحث وما يليها .

(٢) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي ، ، (الكتاب غير محقق وليس فيه تحديد لعام النشر)، الناشر : مطبعة الشركة الصحافية العثمانية ، وأعاد نشره : دار الكتاب العربي بيروت . ج ١ ، ص ٢٠ .

(٣) ينظر في ذلك لمناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي : ص ٢١ وما بعدها ، والمنطق الصوري لعلي النشار وما بعدها ، ط ١ ، عام ٢٠٠٠ م ، لدار المعرفة الجامعية بمصر ، ص ٥٤ ، وكتاب : البحث العلمي ، لإبراهيم محمد تركي ، وما بعدها ، ط ١ ، عام ٢٠١٠ م ، لمطابع شتات بمصر ، ص ١٣٩ .

(٤) سبل استنباط المعاني لمحمود توفيق : ص ٣٧ .

الاستنباط: " استنتاج نتيجة معينة من مقدمة أو عدة مقدمات <sup>(١)</sup>، بيد أن العلماء الذين تناولوا الاستنباط باعتباره كلاً مستقلاً حتى على مستوى الشكل ، لم يستطيعوا فصل روحه عن المنهج الاستدلالي <sup>(٢)</sup> ، إذ إن ربطهم الاستنباط بالمقدمات والعمل الذهني والبرهان الغير مباشر يطغى على حديثهم عنه حتى مع محاولات فصله كمنهج مستقل <sup>(٣)</sup>، مما يسهل القول بأن الاستدلال أعم من الاستنباط بمفهوميها المنطقي عند علماء المناهج البحثية الحديثة .

### نشأة المنهج الاستنباطي الحديث :

يعتمد بعض علماء مناهج البحث <sup>(٤)</sup> عند حديثهم عن المنهج الاستنباطي على جهود الفيلسوف الأستاذ ديكارت <sup>(٥)</sup>، وذلك أنه بحث عن منهج علمي يعصم التفكير من الخطأ ويحيد بالضلال جانباً عن طرائق

---

(١) البحث العلمي أسسه ومناهجه لإبراهيم مُجّد : ص ١٣٩ .

(٢) ينظر للمصدر السابق ص ١٣٩-١٤٠ .

(٣) دمج عبد الرحمن حبنكة الميداني الاستنباط دمجاً في الاستدلال ولم يجعله حتى من ضروب الاستدلال وأقسامه ، وجعله كالمرادف له وإن لم يصرح بذلك ، ينظر في ذلك لضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، لعبد لرحمن حسن حبنكة الميداني، ط ٤، ١٤١٤هـ ، لدار القلم بدمشق ، ص ١٣٢-١٣٣ ، وص ١٤٥ وما بعدها .

(٤) ينظر في ذلك لخطوات وضوابط البحث العلمي للدكتور أمين منتصر ، ، ط ١، عام ١٤٣١هـ، لدار الفكر العربي بمصر، ص ٣٣٢ وما بعدها ، ومناهج البحث المعاصرة رؤية إسلامية ، لمحمد حسن بخيت ، ط ١، عام ٢٠١٤م، لعالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع بالأردن ، ص ١٧٧ وما بعدها ، وكتاب : البحث العلمي أسسه ومناهجه لإبراهيم مُجّد تركي : ص ١٣٩ وما بعدها .

(٥) ديكارت رينيه : ١٥٩٦م - ١٦٥٠م فيلسوف ورياضي وعالم فرنسي كثيراً ما يلقب بأبي الفلسفة الحديثة ، ألف ثلاثة مؤلفات رئيسية: رسالة في منهج التصرف العقلي السليم للمرء والبحث عن الحقيقة في العلوم ، وتأملات في الفلسفة الأولى، ومبادئ الفلسفة ، ينظر للموسوعة العربية العالمية ط ٢، عام ١٤١٩هـ ، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض ، ج ١٠، ص ٥٧٢ .



المعرفة ، فوازن بين العلوم التي درسها فوجد أن أكثرها يقيناً وأصحها في النتائج الرياضية لصحة استدلالاتها، فجعل يدرس طرائق التفكير الرياضي ويوازن بينها وبين طرائق التفكير في العلوم الأخرى ، و"قام بتحليل المنهج الرياضي إلى عناصره العقلية فلم يتعسر عليه أن يشاهد أنه ينحصر في استنباط النتائج استنباطاً عقلياً أي القياس ، ولكن القياس لا يبدأ من غير أن يسبقه عمل عقلي آخر... يسمى البداهة أو الحدس"<sup>(١)</sup>، وتوصل إلى أن عدم ضبط العلوم الأخرى بقوانين صارمة ونتائج حقيقية ثابتة يرجع إلى المنهج، ذلك المنهج الذي تبع فيه الدارسون المنطق الأرسطي الذي ثبت لديكارت فشل مبادئه وآرائه ، " وما من دليل على فساد مبادئ أرسطو أقوى من أن نقول بأن الناس قد اتبعوها منذ قرون عديدة، دون أن يحرزوا أي تقدم عن طريقها"<sup>(٢)</sup> ، وحينما تقرر له ذلك أسس منهجاً كاد يسميه الاستنباطي تلميحاً وتصريحاً ، فقد رمز لهذه التسمية في الرسالة التي وجهها لمترجم كتابه مبادئ الفلسفة ، والتي وسم فيها غائية منهجه بقوله: " ذلك هو البحث عن العلل الأولى والمبادئ الحقة التي يستطيع المرء أن يستنبط منها أسباب كل ما في مقدورنا أن نعرفه "<sup>(٣)</sup>، ووسمه بالاستنباط ووصفه بالضروري في كتابه التأملات في الفلسفة الأولى دون أن يضعه اسماً لمنهجه حيث قال : " ليس أمام الجنس البشري طرق مفتوحة للمعرفة اليقينية سوى طريق الحدس البديهي والاستنباط الضروري "<sup>(٤)</sup> ، ويبدو أن فكرة ديكارت وجدت قبولاً عند الدارسين والفلاسفة منهم بشكل أخص من بعده فتلقفها الفلاسفة الغربيون والعرب ، فوسموه بالمنهج بالاستنباطي وأعجبوا به أيما عجب ، " فاستخدام العالم للرياضيات إلى جانب التجريب المستمر واتخاذها معاً معايير الصدق يؤكد أن مصدر القوة في العلم الحديث هو اختراع المنهج الاستنباطي وهو المنهج الذي يضع تفسيراً في صورة فرض رياضي يمكن استنباط الوقائع الملاحظة منه "<sup>(٥)</sup> .

(١) مناهج البحث المعاصرة لمحمد حسن بخيت : ص ١٩٧-١٩٨ .

(٢) ديكارت مبادئ الفلسفة ترجمة : عثمان أمين ط ١ ، عام ١٩٧٥ م ، لدار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ، ص ٤٨ .

(٣) نفسه ص ٣٤ .

(٤) التأملات في الفلسفة الأولى لديكارت ، ترجمة عثمان أمين ، ط ١ ، عام ١٩٨٠ م ، لدار الأنجلو المصرية ، ص ١٠-١١ .

(٥) نشأة الفلسفة العلمية ، رشنباخ هانز ، ترجمة فؤاد زكريا ط ١ ، عام ١٩٦٨ م ، لدار الكتاب العربي بالقاهرة ، ص ٩٦ .

كما أن الفلاسفة العرب - وكعلماء المناهج البحثية الحديثة - لم يستطيعوا إخفاء إعجابهم بأفكار ديكارت في المنهج الاستنباطي ، وما ذاك إلا لأنه " أحدث ثورة فلسفية نفضت غبار العصور الوسطى وقد كان هذا الغبار نفسه من مخلفات القياس الأرسطي " <sup>(١)</sup> .

ولكن هل يصح أن يقال بأن ديكارت هو من وضع هذا المنهج ؟ الجواب عن ذلك يكمن في التفريق بين مرتكزات الاستنباط المنطقي عند أرسطو ومرتكزاته عند ديكارت ، إذ إن الاستنباط الديكارتي يعتمد على القضايا الظنية أو الاحتمالية ، في حين يقوم القياس الأرسطاطاليسي على قضايا يقينية بحيث تكون نتائجه متضمنة في مقدماته ، أما نتائج الاستنباط فتولد معرفة جديدة تُكتسب بالتأمل العقلي <sup>(٢)</sup> ، إذ إن الاستنباط المنهج كان مضمناً للقياس المنطقي عند أرسطو الذي يعتمد في غالبية إجراءاته على الاستقراء ، ولكن ديكارت أدخل القياس الأرسطي في دائرة الاستقراء وأخرجه من الاستنباط لأن مقدماته يقينية ، وبهذا يعلم كيف أن الاستنباط المرتبط بالمقدمات الاحتمالية قد جاء كردة فعل للقياس الأرسطي الاستنباطي المعتمد على الاستقراء ؛ وعليه فقد تصحح نسبة الاستنباط المبني على الاحتمالات الظنية لديكارت إذا لم يُقل بتأثر ديكارت بأبي حامد الغزالي ، فالغزالي المتأثر كثيراً بمنطق أرسطو على وجه الخصوص يكاد يكون أول من مزج بين أصول الفقه وعلم المنطق ، وجعله شرطاً في تحصيل العلوم ، وصنف في ذلك كتبه ، "معيار العلم" و "محك النظر" و "مقاصد الفلاسفة" <sup>(٣)</sup> ، مما يتوهم في بعده كثيراً عن منهج ديكارت الذي يعتبر في حقيقته ثورة على المنهج الأرسطي ، ولكن الغزالي دعا بشكل صريح ولافت إلى قاعدة الشك التي بنى عليها ديكارت منهجه

---

(١) نحو فلسفة علمية : زكي نجيب محمود ، ط٢ ، عام ١٩٨٠م ، لدار الأنجلو المصرية ، ص ١٦١ .

(٢) ينظر في ذلك لمناهج البحث المعاصرة رؤية إسلامية لمحمد حسن بخيت : ص ١٩٩ .

(٣) أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي ، ( ٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ) ، أصولي وفقه وفيلسوف ، قال صاحب سير أعلام النبلاء : " والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، غلا في طريقة التصوف ، وتجرّد لنصر مذهبهم ، وصار داعية في ذلك ، وألف فيه تواليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون أمة ، والله أعلم بسره ، " ينظر لسير أعلام النبلاء : لشمس الدين الذهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ط: ٣ عام : ١٤٠٥ هـ ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ج: ١٩ ، ص ٣٢٧ .

الاستنباطي والتي جعلها أول عتباته ، وهو الأمر الذي يدفع للقول بتأثر ديكارت بأبي حامد الغزالي ، فالغزالي يرى أن الشك في جميع العلوم والمعارف التي يتلقاها الإنسان أمراً ضرورياً ، وهو المرحلة الأهم عنده من مراحل التطور العقلي ، فالشك هو ما يجعل الوصول إلى الحقيقة أمراً ممكناً ، فلا بد عند الغزالي أن تواصل البحث عن الحقيقة بنفسك ولا بد أن تطلب " الحق بطريق النظر ، لتكون صاحب مذهب ، ولا تكن في صورة أعمى تقلد قائداً يرشدك إلى طريق وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك..... ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث ، لتتدب للطلب ، فناهيك به نفعاً ، إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر ، بقي في العمى والضلال. نعوذ بالله من ذلك" (١) أما تأثير المنهج الديكارتي على الثقافة العربية فيكاد يكون أشد وضوحاً في الأدب العربي ، فقد اعتمد عليه طه حسين في مشروعه النقدي حول الشعر الجاهلي ، ذلك المشروع الذي أثار ضجة في الأدب العربي لم يكن لها مثيل في الأدب الحديث ، ولم يتورع طه حسين عن التصريح باعتماده الكلي على منهج ديكارت الاستنباطي ، تصريح أبدى فيه مزيداً من السرور والابتهاج العلمي بهذا المنهج ، فقد وجد فيه ضالته وغايته العلمية والبحثية التي طالما كان يبحث عنها ، يقول طه حسين في كتابه (في الأدب الجاهلي):

" ... سأسلك في هذا البحث مسلك المحدثين من أهل العلم والفلسفة ، أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت ، للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث ... والناس جميعاً يعلمون أن هذا المنهج ...أخصب المناهج و أقواها وأحسنها أثراً ، وأنه قد جدد العلم والفلسفة تحديداً ، قد غير مذاهب الأدباء في أدبهم ، ... وأنه هو الطابع الذي يمتاز به في هذا العصر الحديث " (٢) .

وقد أعقب تطبيق طه حسين لمنهج ديكارت في مشروعه النقدي في الأدب الجاهلي ، حراكاً علمياً كبيراً في الأوساط الأدبية في العالم العربي ، حيث انتهى به تطبيق هذا المنهج إلى القول بأن: " الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء ، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام ، فهي إسلامية تمثل حياة

(١) ميزان العمل ، لأبي حامد الغزالي ، تحقيق : سليمان دنيا ، ط ١ ، عام ١٩٦٤ م ، لدار المعارف بمصر ، ص ٤٠٩ .

(٢) في الأدب الجاهلي : طه حسين ، ط ٣ ، عام ١٣٥٢ هـ لمطبعة فاروق بالقاهرة ، ص ٦٥-٦٦ .

المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين " <sup>(١)</sup>، الأمر الذي دفع الكثيرين من النقاد والأدباء البارزين في العصر الحديث لنقد مشروع طه حسين ومنهجه ، ما أدى إلى تكون نتاج علمي وأدبي وبحثي غزير ووافر على يد أساطين النقد والأدب العرب الحديث .

إلا أن هناك ما يجب التنبيه له والتنويه عليه ، إذ إن غالب الناتج الأدبي المناهض لمشروع طه حسين حينما تناول المنهج الديكاري الذي اعتمد عليه طه ، حصر هذا المنهج في جانب الشك فقط، حتى شاع بين الدارسين وسم هذا المنهج بمنهج الشك <sup>(٢)</sup>، والصحيح أن الشك هو الخطوة الأولى من خطوات المنهج الاستنباطي عند ديكرت كما سيأتي بيانه في ضوابط المنهج الاستنباطي ، وعليه فإن تسمية الشك منهجاً تسمية غير دقيقة ، كما أن وصف منهج طه حسين بمنهج الشك وصف غير دقيق أيضاً ؛ لأنه ألزم نفسه بمنهج ديكرت والذي يُعتبر الشك أول خطواته وإجراءاته كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

### ضوابط المنهج الاستنباطي عند ديكرت :

حدد ديكرت المنهج الاستنباطي الخاص به في عدد من القواعد تمثل في حقيقة الأمر عتبات المنهج من الأسفل للأعلى ، واشترط في مقالته عن المنهج مراعاة الترتي البحثي للباحث عن الحقيقة عبر هذه القواعد بشكل دائم عند أي مجهود بحثي <sup>(٣)</sup> ، وقد وجد في تطبيق تلك القواعد عصمة للعقل البحثي من الخطأ والزيغ المعرفي ، وهي السبيل المضمون للأمان العلمي والنتائج الصادقة ، وقد قام ديكرت بتلخيص القواعد فيما يأتي:

**القاعدة الأولى :** التجرد من الأحكام الثقافية السابقة وعدم التسليم بما كيقينيات علمية ، فلا وجود عنده

---

(١) في الأدب الجاهلي لطله حسين ، ص ٦٣ .

(٢) يقول عفيف عبد الرحمن في تاريخ الأدب الجاهلي : " منهج الشك في الأدب الجاهلي كان نعمة على ذلك الشعر بالرغم من كل ما حدث ؛ لأنه أدّى إلى البحث عن الحقيقة وعمّق صلتنا بهذا التراث " ينظر الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا ، للدكتور عفيف عبد الرحمن ط ١ ، عام ١٩٨٥ م ، لدار الفكر بالأردن ، ص ٤٣ .

(٣) ذكر ديكرت ضوابط المنهج وقواعده في كتاب : مقال عن المنهج ، تأليف رينيه ديكرت ، وترجمة محمود الخضيري ، ط ٢ ، عام ١٩٦٨ م ، لدار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ص ١٠٨-٢٠٦ .

ليقينيّات يتلقاها الشخص منذ طفولته ، أو يتلقاها بالسند النقلي من دون أن يمعن النظر فيها ويشك في صحتها ، وبذلك فإن الأحكام الماثورة في تضاعيف الكتب التراثية عند ديكارت لا تؤخذ من الباحث عن المعرفة كيقينيّات يسلم بها أيا كان تخصصها ، بل هي إن " قرئت بتمحيص فإنها تعين على تكوين الحكم "(١) وليست هي أحكاما يقينية بعينها ، فعلي كباحث ألا أقبل أي شيء على أنه حق مالم أتقن بنفسه أنه حق يقيني ، لأنني " تعلمت ألا أعتقد اعتقاداً جازماً في شيء بحكم التقليد أو العادة ، وكذلك تخلصت .. من الأوهام ، التي تستطيع أن تحمد فينا النور الفطري ، وتنقص من قدرتنا على التعقل ، ولكن بعد أن أنفقت بعض السنين في الدرس...فإني عزمّت أن أبحث أيضاً في نفسي وأن أصرف قواي العقلية في اختيار الطريق التي يجب أن أسلكها "(٢)، ولتطبيق قاعدة التجرد من الأحكام المسبقة فلا بد عند ديكارت من التشبث ببعض المبادئ الرئيسة التي تخرج الشك من مجرد الشك ، فلا بد أن يكون وضوح الأفكار أو غموضها ولبسها معياراً لصدقها وخطئها على حد سواء ، ولا بد أن يُراعى عدم التهور والتسرع بحيث لا يستعجل الباحث في بلوغ النتائج قبل التيقن من صدق المقدمات ، ولا ينبغي عند تطبيق هذه القاعدة النظر إلى صدق القول أو عدم صدقه بالنظر إلى قائله مهما كانت شخصيته الاعتبارية ، والدائرة العريضة التي تجمع مبادئ هذه القاعدة وحدودها عدم تأثر الباحث عن الحقيقة بأي أفكار سابقة وتطهير العقل من أفكار الآخرين المملأة عليه (٣).

وهذه القاعدة المتحررة من المسلمات الفكرية وحتى الفطرية الراسخة عند ديكارت لا تستثني شيئاً حتى اليقينيّات الدينية ، فهي وإن تمرت على النظام الثقافي المتراكم بما يؤسس غائية البحث بدون أهواء مسبقة وتوجيه فكري مسبق للباحث ، فإنها أيضاً تتمرد على القيم الدينية الراسخة والتي تجعل منها مدونة بحثية كأبي ظاهرة علمية وفكرية ، يجب على من ينشد الحقيقة فيها التحرر من يقينيّتها ونزع قدسيّتها ، بوصفها حقائق علمية تطبق عليها قواعد الاستنباط الحديث المبتدئة بالشك المنهجي ، " وقد تذرّع الكثيرون بهذه القاعدة لنبد الدين لما يعول عليه من أحداث تاريخية تتعلق بنزول الوحي ، وما يتضمن من عقائد تفوق إدراك العقل وقالوا:

(١) مقال عن المنهج ، تأليف رينيه ديكارت : ص ١١٣ .

(٢) السابق : ص ١٢٠ .

(٣) ينظر لمناهج البحث المعاصرة رؤية إسلامية ، لمحمد حسن بخيت ، ص ٢٠٠-٢٠١ .

إن هذه القاعدة عبارة عن إعلان حرية الفكر وإسقاط كل سلطة<sup>(١)</sup> .

**القاعدة الثانية :** قاعدة التقسيم والتحليل ، وعبر عنها ديكارت بقوله : "أن أقسم كل واحدة من العضلات التي سأختبرها إلى أجزاء على قدر المستطاع على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على غير الوجه<sup>(٢)</sup>" وهذه القاعدة تعتمد بشكل كلي على رد العناصر العلمية المركبة المعقدة إلى أجزائها البسيطة المفردة الغير معقدة ، وهذه القاعدة لا تعين الباحث على اكتشاف آفاق معرفية جديدة بالفهم والإدراك الكامل فحسب ، بل تضيف لذلك تجسس الطريقة التي كان يفكر بها علماء القضية التي هو في صدد البحث عنها ، إذ إن الوصول إلى طريقة تفكير أحد ما لا تكون إلا برد أفكاره إلى أجزائها البسيطة ومقدماتها الذهنية ، كما أن هذه القاعدة تساعد الباحث على تلمس الأجزاء التي قد تكون غير معلومة لديه بمعرفة العلاقات بين مكونات العضلة كما يسميها ديكارت .

**القاعدة الثالثة :** قاعدة التأليف والتركيب<sup>(٣)</sup> ، وهي القاعدة التي عبر عنها ديكارت بقوله " أن أُسَيِّر أفكارى بنظام بادئاً بأبسط الأمور ، وأسهلها معرفة كي أُنْدرج .. حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيباً ، بل وأن أفرض ترتيباً بين الأمور التي لا يسبق بعضها بعضاً الآخر إلا بالطبع<sup>(٤)</sup> " ، وقد ذكر بعض الباحثين<sup>(٥)</sup> بأن هذه الطريقة هي ما يكشف بجلاء محاولات ديكارت لتطبيق مناهج بحث الرياضيات على جميع العلوم على المستوى التطبيقي بعد أن نادى بذلك شكلياً ، إذ إن الوصول إلى المعرفة الأكثر تركيباً لا يكون إلا بالتدرج الذي يتميز به حل المعادلات الرياضية ، حيث لا يخطئ الرياضيون عادة في حلولهم المتدرجة ، بل ويتفوقون على النتيجة

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديث ، ليوسف بطرس كرم ، ط١ ، عام ٢٠١٢ م ، المؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة، ص

(٢) مقال عن المنهج لرينيه ديكارت ص : ١٣١ .

(٣) ينظر للهامش رقم : ١ من السابق : ص : ١٣٢ .

(٤) السابق : ص : ١٣١-١٣٢ .

(٥) ينظر لمناهج البحث المعاصرة لمحمد بنحيت : ص ٢٠٣ .

ذاتها ، إذ إن هذه القاعدة تعتمد على الإحصاء الرياضي كثيراً ، وقد شبه ديكارت من يستغني عن هذه القاعدة من الباحثين بالأشخاص الذين وجدوا في أسفل بناية وحاولوا بقفزة واحدة أن يصلوا إلى أعلاها ، "وذلك إما لأنهم لم يأخذوا في اعتبارهم درجات السلم المعد للصعود وإما لأنهم لم يتفطنوا إليها .." (١) .

ومن المنطقي أن تأتي قاعدة التأليف والتركيب بعد قاعدة التقسيم والتحليل ، فتفكيك العناصر المركبة إلى أجزائها البسيطة يتطلب إعادة تأليف تلك العناصر وفق رؤية الباحث وتفكيره ، وكما هو بين فإنها تركز على التدرج البحثي بغية الوصول إلى النتائج الصحيحة ، ولا بد للباحث من افتراض نظام يعيد جمع العناصر المركبة بتدرج منطقي ، يستطيع معه الباحث الوصول إلى نتائج غالباً ما تكون نتائج صحيحة .

**القاعدة الرابعة :** قاعدة الاستقراء ، وهي القاعدة التي ختم بها ديكارت منهجه الاستنباطي البحثي الحديث ، وهي تحتم علي كباحث " أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ، مما يجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئاً " (٢) ، ويلاحظ أن هذه القاعدة الختامية والتي تعتمد على الاستقراء التام ، هي الخطوة الأولى التي تعتمد عليها كثير من المناهج البحثية التي يعتمد عليها الباحثون في التراث المعرفي العربي ، حيث تأسر الباحث في أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون ، مما يجعل نمو المعرفة نمواً تكاملياً تكتمل معه أصول المعرفة وضوابطها العامة ، أما الاستقراء الديكارتي فهو خطوة بحثية أخيرة يرمي فيها إلى احتواء الباحث لكل مسألة تتصل ببحثه ، وبذلك يستطيع الباحث أن يقارن بين النتائج التي وصل إليها الآخرون وبين النتائج التي توصل إليها بالقواعد الثلاث الأولى ، ويستطيع من خلال تلك المقارنة التحقق من صحة نتائجه الخاصة ، وبذلك يتبين أن المنهج الاستنباطي عند ديكارت تمتاز فيه المناهج كأدوات بحثية تتظافر جهودها جميعاً للوصول إلى حقيقة ثابتة ، فالاستقراء والإحصاء مثلاً والذات يمثلان منهجين مستقلين ليسا هنا إلا أداتين للاستنباط ومرحلتين متعاقبتين من مراحل ، والعجيب في منهج ديكارت أن استطاع أن يوظف الاستقراء لمنهجه الاستنباطي على الرغم من وجود ما يشبه التضاد والتقابل بينهما ، فمعلوم أن الاستقراء يعتمد على

---

(١) قواعد لتوجيه الفكر لرينيه ديكارت ، ترجمة وتقديم سفيان سعد الله ، ، ط١ ، عام ٢٠٠١م ، الناشر : مجموعة سراس

بتونس ، ص ٤٧-٤٨ .

(٢) ينظر للهامش رقم : ٢ من مقال عن المنهج لرينيه ديكارت : ص : ١٣٢ .

" السير من الحقائق الخاصة للاستدلال على القواعد العامة ، فالدراسة تتجه فيها من المستوى الخاص إلى المستوى العام <sup>(١)</sup> " بعكس الطريقة الاستنباطية التي " تتجه الدراسة فيها من العام إلى الخاص فتحاول استنباط جزئيات من المبادئ والقواعد العامة <sup>(٢)</sup> " ، وأشد من ذلك العجب أنك حينما تريد تطبيق قواعد هذا المنهج بحسب ديكارت ، فلا بد وأن تبدأ بأن تعلن براءتك التامة من الأحكام اليقينية المسبقة التي تتشكل في ذهن الباحث باستقراء الظواهر ، ثم ما تلبث أن تتوب عن ذلك وتعود لاستقراء الظواهر في آخر مرحلة من مراحل هذا المنهج ، و الذي يزيل هذا العجب أن ديكارت اقتدح زناد منهجه من تعاطيه مع المسائل الرياضية ذات النتائج الثابتة ، " ومن المعلوم أن القضايا في العلوم الرياضية إنما هي قضايا تحليلية لا يتوقف صدقها على مطابقة الواقع الخارجي ، فالعلوم الرياضية علوم عقلية صرفة تقوم على استنتاج بعض التصورات أو القضايا <sup>(٣)</sup> " .

#### مقاربة بين الاستنباط القديم والحديث :

في الشق الأول من هذا المهاد تبينت بعض من ملامح الاستنباط عند علماء التراث العربي ، واتضح فيما بعده معالم المنهج الاستنباطي الحديث المعتمد فيه كثيراً على ديكارت ، والذي ينشد الحقيقة الثابتة في معزل أولي عن القيم الثقافية السابقة المهيمنة على العقل العلمي والبحثي ، وإذا كان ينشد الحقيقة على نحو من ذلك فينبغي التنويه على أن ديكارت لا يؤسس لقطيعة علمية وثقافية مع السابق الثقافي ، فالقاعدة الأخيرة من قواعد الاستنباط الديكارتي الحديث تعتمد على الاستقراء ، الأمر الذي يجعل من الاستقراء قاسماً مشتركاً بين قديم الاستنباط وحديثه بغض النظر عن أوليته .

و لعل المعنى اللغوي للاستنباط هو رابط آخر يستطيع أن يقارب بين القديم والحديث منه ، فاستخراج الحقائق العلمية هو حجر الزاوية الذي يجمع بين مفاهيم الاستنباط ومنهجيته عند المتقدمين والمتأخرين باختلاف الطرائق والإجراءات .

---

(١) خطوات وضوابط البحث العلمي لأمين منتصر ، ص : ٣٢٨ .

(٢) السابق : ص ٣٣٢ .

(٣) البحث العلمي ، لإبراهيم محمد تركي ، ص : ١٤١ .



ومما يقارب مفاهيم الاستنباط القديمة والحديثة تلك المحاولات الحثيثة لضبطه ووضع أطره بين علماء الفريقين وامتداح من يلتزم بتلك الأطر من الباحثين ، فكما أن ديكارت امتدح منهجه وكاد يلزم الباحث بالترقي على عتباته دون غيرها حتى يصعد للحقيقة ، معتبرا إياها الخلاص الوحيد من الزيغ والضلال العلمي و العاصم من النتائج البحثية المتباينة ، فابن قيم الجوزية - مثلاً - أحد الفقهاء الذين امتدحوا الباحثين الفقهاء الملتزمين بالاستنباط بمفهومه القديم ، معتبرا إياهم أهل العلم وخاصته وكاد يضع للاستنباط الفقهي أطرا وضوابط لولا أنه تناوله كأداة من أدوات القياس الأصولي ، يقول ابن قيم الجوزية في ذلك :

" ومعلوم أن الاستنباط إنما هو استنباط المعاني والعلل ونسبة بعضها إلى بعض، فيعتبر ما يصح منها بصحة مثله ومشبهه ونظيره، ويلغى ما لا يصح، هذا الذي يعقله الناس من الاستنباط... ومعلوم أن ذلك قدر زائد على مجرد فهم اللفظ، فإن ذلك ليس طريقة الاستنباط ؛ إذ موضوعات الألفاظ لا تنال بالاستنباط، وإنما تنال به العلل والمعاني والأشباه والنظائر ومقاصد المتكلم، والله - سبحانه - ذم من سمع ظاهراً مجرداً فأذاعه وأفشاه، وحمد من استنبط من أول العلم حقيقته ومعناه <sup>(١)</sup> " ، وهذه المقطوعة من كلام ابن القيم تشير من طرف لاحب أيضا إلى تقارب المنهجين القديم والحديث حتى في بعض القواعد المؤسسة بالمنهج للاستنباط ، فكما أن ابن قيم الجوزية كاد يحصر الاستنباط في معرفة العلاقات بين العلل المعاني والأشباه والنظائر ، فإن ديكارت جعل قاعدة التقسيم والتحليل القاعدة الثانية من قواعد منهجه، وهي القاعدة التي تساعد الباحث على تلمس الأجزاء التي قد تكون غير معلومة لديه بمعرفة العلاقات بين مكونات العضلة كما يسميها، فابن قيم الجوزية وديكارت يلزمان الباحث بتتبع العلاقات بين المكونات العلمية ، معتبرين تتبع تلك العلاقات إجراء استنباطي صرف .

ومن خلال ما سبق يتضح أن ثمة قواسم مشتركة تقارب بين وجهات نظر العلماء تجاه الاستنباط قديمهم وحديثهم و باختلاف مشاربهم العلمية ، وجميع هذه القواسم تقبع تحت خط عريض وعنوان كبير ، و هو خدمة العلم وتسهيل طرائق تحصيله .

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، ط: ١، عام ١٤١١هـ ، لدار

الكتب العلمية ببيروت ، ج ١، ص ١٧٢ .

## نجاحة المنهج الاستنباطي في مجالات البحث الأدبي والنقدي :

يرتبط الاستنباط بالتفكير في مفهومه القديم والحديث ، ولا شك أن التفكير وإعمال العقل غاية عليا تسعى المؤسسات البحثية لتنميتها لدى الباحثين ؛ وذلك أنه يسهم في الجدة والابتكار العلمي، ويسعى بالعقول لتحقيق سبق علمي واقتناص الفرص المتاحة المباحة في مجالات العلم والمعرفة ، ولعل الأمر الذي يفسر اختلاف المناهج العلمية البحثية عند الباحثين في التخصص الواحد بالإضافة إلى التناسب بين طبيعة الموضوع ومنهجه ، هو تلك القدرات العقلية المتنوعة عند الباحثين ، من باحث حباه الله القدرة على الإدراك ، وآخر استودعه الله القدرة على التذكر والحفظ ، إلى باحث رزقه الله بالقدرة على التخيل والتذوق الجمالي واللغوي ، ومنهم من مكّنه الله موهبة الاستنباط والاستنتاج، والقدرة على التحليل والتركيب والاستقراء ، ولم يقف تأثير ذلك على المناهج الخاصة بالباحث فقط ، فقد تسرب تأثير اختلاف تلك القدرات إلى تكوين مدراس واتجاهات علمية ، فالمدرستان البصرية و الكوفية النحويّتان تأسستا على نحو من ذلك ، مما جعل كثيراً من العلماء يقولون بأن النحوي البصري أضبط في الأخذ، وأتقن في الاستنباط، وأن النحوي الكوفي أوسع في الرواية، وأكثر في النقل ، وقد تنبه العلماء القدامى لمناهج تلك المدرستين وطرائقهما العلمية ووازنوا بينها ، فابن جني لاحظ أن "أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة" <sup>(١)</sup> نتيجة إتقانهم الاستنباط أكثر من الكوفيين .

وإذا كان الاستنباط عند كثير من علماء التراث ذروة سنام العلم ومرتبته العليا ، فإنهم لم يهملوا ما يقابله من المناهج العلمية بحسب مفاهيمهم الاستنباطية ، فأبو عثمان الجاحظ مثلاً أطلق حكماً منهجياً على إثر مقارنة عجلى بين منهجي الاستنباط والاستقراء بعد أن سمى الأخير حفظاً وجعله مقابلاً للاستنباط ، وطالب الباحث المزج بين المنهجين وعدم الاعتماد الكامل على أحدهما دون الآخر ، ولكنه لم يتردد في تفضيل الحفظ على الاستنباط على الرغم من ذكره لبعض من عيوب الحفظ ، وفيما يبدو فإن تفضيله الحفظ على الاستنباط نابع من اعتماده الشخصي عليه في كثير من مؤلفاته ، فامتداحه للحفظ جانب من جوانب امتداحه لمنهجه الخاص به واعتزازه بطريقته العلمية ، يقول الجاحظ: "كرهت الحكماء الرؤساء، ... جودة الحفظ، لمكان

---

(١) الخصائص لأبي الفتح ابن جني ج ١، ص ٣٨٧.

الاثكال عليه ، وإغفال العقل من التمييز ، .... ولأنّ مستعمل الحفظ لا يكون إلّا مقلّداً ، والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه إلى برد اليقين وعزّ الثقة ، ... والحكم المحمود: أنّه متى أدام الحفظ أضّر ذلك بالاستنباط، ومتى أدام الاستنباط أضّر ذلك بالحفظ ، وإن كان الحفظ أشرف منزلة منه.<sup>(١)</sup>

والاستنباط التراثي العربي القديم كان له كبير الأثر في إثراء المكتبة العربية بنفائس المؤلفات في مختلف العلوم ، وأخص منها المؤلفات الفقهية والأصولية وعلوم اللغة العربية ، والتي لا تزال تشكل مدونة بحثية ومرجعية علمية، وإليها يحتكم طلاب العلم والباحثون في كل مشكل علمي ؛ ومن ثم فإن القول بنجاعة المذهب الاستنباطي القديم في حينه وزمانه أقرب للحق و الصواب .

أما الاستنباط بمفهومه الحديث عند ديكارت فتظل نجاعة منهجيته البحثية محط خلاف بين العلماء ، فرأي يذهب إلى نجاعة المذهب الاستنباطي الحديث ، ويرى هذا الرأي الاستنباط الحديث من كونه أورياً خالصاً ، فالأدباء العرب المجددون كانوا يقرأون في الآداب العالمية والعربية وبرعوا في ابتكار نزعة علمية مصرية جريئة ، جمعت ما بين التيار العربي والغربي والقديم والحديث ، وهذه " النزعة المحددة لم تكن هدماً للقديم ؛ وإنما كانت إحياء له وبعثاً وتنمية في صور جديدة ، " فنحن في تجديدنا لم ننقطع عن القديم لا في الأدب ولا في النقد ؛ بل ظللنا نعتد على عنصرين متكافئين؛ وهما: المحافظة على إحياء القديم، والإفادة من الآداب الغربية<sup>(٢)</sup> ، ورأي آخر يرى أن هذا الاستنباط بمفهومه الحديث غير صالح لمجالات البحث العلمي في الدرسين الأدبي والبلاغي ؛ فهو منهج رياضي " لا يعتمد على استقراء الجزئيات وتحليلها ، ولا ينتج معرفة جديدة ... لأنه يعتمد على كلية يعدها مسلمة بديهية ... فأنت مضطر إلى التسليم بمقدمات قد تكون محل شك ، وكل جهد تبذله في النظر والمراجعة والاستنتاج ، فأنت مرهون بهذه المسلمة التي بني عليها هذا المنهج<sup>(٣)</sup> " ، وعلى إثر رفض هذا المنهج قامت الثورة على كتاب في الشعر الجاهلي لطله حسين ، فالاتجاه الفكري المضاد لمشروع طه حسين

---

(١) رسائل الجاحظ ، الرسائل الأدبية ، لأبي عثمان الجاحظ ، تقديم وتبويب وشرح : علي أبو ملحم ، ط ٢٠٠٢ م ، لدار ومكتبة الهلال ببيروت، ص ٢٠٠ .

(٢) الأدب العربي المعاصر في مصر شوقي ضيف ط ١٣ ، ط ١٣ ، عام : بدون ، لدار المعارف المصرية ، ص ١٩٣ .

(٣) سبل استنباط المعاني لمحمود توفيق : ص ٣٧ .

سلك غاية السبل لإجهاض نجاعة منهج الاستنباط الديكارتى في مجالات الدرس الأدبي ، فقد عد مصطفى صادق الرافعي أن أقبح ما في كتاب طه حسين تصريحه باتباع منهج ديكارت ، وعد ذلك تجرداً من الدين وتبرؤاً منه عند البحث العلمي ، وحكم بعدم نجاعة هذا المنهج - بحسب مفهوم طه حسين له - في مجالات الدرس الأدبي ، وعلل ذلك بوجود فروق "بين البحث عن حقيقة فلسفية عقلية محضة، وبين البحث عن حقيقة أدبية تاريخية قائمة على النص وقول فلان وفلان" <sup>(١)</sup> ، ورأي آخر يرى أن الاستنباط بمفهومه الحديث لا بد أن يكون مشفوعاً بالاستقراء في مجالات الدرس الأدبي بشكل خاص، فإذا أراد باحث أن ينقب عن الخصائص الفنية المميزة لشعراء مصر مثلاً عن شعراء العراق ، فإن مما يضمن وجود نتائج بحثية أقرب للصواب الاتكاء على منهجي الاستقراء والاستنباط معا ، لأن " المقصود بالاستقراء الإمام بالحقائق الجزئية، أما الاستنباط فهو يقوم على استنتاج الحقائق الكلية من هذه الجزئيات، ولا غنى للباحث الأدبي من الاتكاء على هذين المنهجين من مناهج البحث، ففي الحديث عن الموضع السالف الذكر لا بد من استقراء المعلومات المتعلقة بنصوص الشعراء موضوع الدراسة استقراء شاملاً ثم استنتاج الحقائق المتعلقة في قواعد كلية" <sup>(٢)</sup> .

وقد يكون الرأي الأقرب للصواب في نجاعة المنهج الاستنباطي في مجالات الدرس الأدبي والبلاغي بشكل خاص ، أن الباحث حينما يريد إثبات حقيقة علمية فلا بد من استعانتة بالمنهج البحثي المناسب لمادة بحثه ولطريقته العلمية ، ومنهج الاستنباط بمفهومه الحديث وحتى القديم هو واحد من المناهج التي تجعل من البحث قنطرة للوصول إلى الحقائق العلمية ، فلا ضير أن يستخدم الباحث ذلك المنهج وغيره لخدمة العلم وتلمس الحقائق ، دون أن تزل به القدم ويقع به منهج الاستنباط أو غيره من المناهج في محذور عقائدي ، فاستخدام المنهج الاستنباطي لخدمة البحث العلمي مع الحفاظ على الثوابت الدينية واحترام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سيحقق -بعد توفيق الله - نتائج علمية قد تقلب بعض مواضع أهل العلم القدماء منهم والمحدثين ، فمحمود شاكر وإن سمي منهجه تدقيقاً في كثير من مؤلفاته وتحقيقاته العلمية كما سيأتي بيانه في الفصل الأول

(١) تحت راية القرآن ، لمصطفى صادق الرافعي ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ ، للمكتبة العصرية ببيروت، ص ١١٤ .

(٢) فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه ، لمحمد صالح الشنطي ، ط ٥ ، عام ١٤٢٢هـ ، لدار الأندلس للنشر والتوزيع

بجائل ، ص ٢٨٥ .

من هذا البحث ، إلا أنه في حقيقة الأمر يقف على مسافة قريبة جداً من المنهج الاستنباطي بمفهومه الحديث، والقول بنجاعة المذهب الاستنباطي في مجالات الدرس الأدبي والبلاغي لا يتعد عن الحقيقة ، إذ إن ذلك المنهج قادر على استنتاج حقائق علمية تتسم بالعمق ودقة النظر ، كالتائج التي وصل إليها محمود شاكر في كتاب (نمط صعب ونمط مخيف) و كتابه (المتنبئ) مثلاً ، والتي كانت على قدر عالٍ من الأهمية والنبوغ ، حيث طبق فيهما محمود شاكر مفاصل المنهج الاستنباطي كما سيأتي بيانه في الحديث عن مبحث الذوق من الفصل الأول من هذا البحث .

وربما لا يستطيع الحكم بنجاعة المذهب الاستنباطي في مجالات الدرس الأدبي والبلاغي الكثير من أهل الاختصاص ؛ لأنه مرهون لديهم بالفرية التي جاء بها طه حسين على أدبنا الجاهلي ، ولكن الرفض القاطع لفكرة مشروعه النقدي ، لا تعطي أحداً الحق في نبذ المنهج الذي أقام عليه هذا المشروع ، إذ إنه منهج قادر على استخراج الحقائق العلمية بعد توفيق الله وفضله كقدرة الاستنباط على استخراج الماء من قاع الأرض .

---

## الفصل الأول : مصادر المعرفة عند محمود شاكر

تتكون الثقافة في فكر الإنسان نتيجة لعدد من العوامل المؤثرة ، تتظافر مجتمعة لتكون أفقاً يسيطر على طريقة تفكيره وتكوينه العلمي والمعرفي حتى على مستوى حياته العادية ، يزيد من أثر تلك العوامل ويقلل أيضاً من أثرها عليه المقدرة الذاتية على التجاوب معها أو التبرؤ منها ، ليستطيع توجيهها إيجاباً أو سلباً لصالح رأيه وميوله ومجالاته التخصصية في جميع المجالات الإنسانية المختلفة ، وتشكل مصادر المعرفة عند العلماء الأصول التي تنبثق منها أفكارهم ورؤاهم وقضاياهم ، والحديث عنها عند الأستاذ محمود شاكر في هذا البحث حديث لا غنى عنه ، فهي الأساس الذي قام عليه مشروعه العلمي ، وهي المؤثر الكبير والفاعل في توجهاته الفكرية وقضاياها الأدبية التي شغل بها ، ومما يساعد على ضرورة الحديث عن مصادر محمود شاكر المعرفية تعدد النزعات المعرفية في زمانه ، تلك النزعات التي جاست في أدب العرب وبلاغتهم ونقدمهم على وجه الخصوص ، وقد أسهم اختلاف مصادر تلك النزعات في تكوين نتاج أدبي ونقدي وافر ؛ إذ تمخض عنها آراء متباينة ومعارك وخصومات نقدية وأدبية ، كان لمحمود شاكر فيها نصيب لا تخطئه العين ، والمتتبع لحياة محمود شاكر من خلال المؤلفات الكثيرة التي رصدت جوانب حياته الشخصية والأدبية <sup>(١)</sup> ، يستطيع رصد شيء من مصادره المعرفية التي كونت نتاجه العلمي ، فنشأته في بيت علمي يرأسه والده مُحمَّد شاكر ، إذ كان والده شخصية أزهريّة كبيرة ، و كان عالماً كبيراً من علماء الشريعة والإفتاء ، وقد عين أميناً لدار الإفتاء المصرية، ثم قاضياً للقضاة في السودان ، ثم شيخاً لعلماء الإسكندرية ، ثم وكيلاً للجامع الأزهرى <sup>(٢)</sup> ، وأخوه الأكبر أحمد من كبار محققي التراث في العصر الحديث ، فقد حقق العديد من أمهات كتب التراث العربي في مجالات الحديث الشريف والتفسير والتوحيد والأدب ، كمسند الإمام أحمد وتفسير الطبري وشرح العقيدة الطحاوية

---

(١) ينظر للفصل الأول من : محمود مُحمَّد شاكر دراسة في حياته وشعره ، لأماني حاتم بسيسو ، ط ١، عام ١٤٣٤هـ ، لوزارة الشؤون الإسلامية بالكويت ، وينظر للفصل الأول من الدراسات العلمية : محمود مُحمَّد شاكر ، الرجل والمنهج ، لعمر حسن القيام ، ط ١ ، عام ١٤١٧هـ ، لمؤسسة الرسالة ببيروت ، وينظر لمهاد الدراسة العلمية : محمود مُحمَّد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي ، ط ١، عام ١٩٩٨م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، وينظر للباب الأول من كتاب : ظل النديم ، لوجدان العلي ، ط ١، عام ١٤٣٦هـ ، لمركز تفكر للبحوث والدراسات .

(٢) ينظر لمحمود مُحمَّد شاكر الرجل والمنهج، لعمر القيام ص : ١٦٩ .

والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ؛ وعليه فقد كان محمود شاكر محاطاً بأسرة علمية ذات شأن علمي كبير على مستوى مصر كلها ، الأمر الذي يُسهّل القول بعظيم الأثر لتلك النشأة في تكوينه المعرفي ونهمه العلمي ، ومما أسهم وبشكل فاعل في تثوير مصادر المعرفة عند محمود شاكر تلك الثورة العلمية التي حُمّ بها الأدب العربي على يد أساطين الأدب في العصر الحديث ، وقد أدرك محمود شاكر ألا سبيل لاشتراكه بهذه الثورة إلا بعد تكوين معرفي قوي ومنهج علمي خاص ، وقد تكشف في تلك الفترة تحديداً إجماعات الحالة الفكرية عنده ، فظن ظنا حسنا في قدراته الفكرية ؛ فطفق يقرأ كتب التراث العربي بعزيمة باحث ونهم طالب علم ، واضعاً بين عينيه قضيته الأم التي شغلته عن الدنيا والناس ، وهي قضية الشعر الجاهلي التي أضرم النار في جذوتها لديه أستاذه طه حسين ، وإن تتبع هذه المراحل وغيرها من حياة محمود شاكر لهُو خير معين على الكشف عن مصادره المعرفية ، وتكتمل تقريباً صورة تتبع تلك المصادر شيئاً فشيئاً عند التنقيب عنها في منهجه وطريقته العلمية المختبئة ما بين سطور مقالاته ومؤلفاته وتحقيقاته ، لاسيما ما يختص منها بقضيته الكبرى.

ومما يزيد من أهمية الحديث عن المصادر المعرفية التي كون منها محمود شاكر هذا الإرث العلمي ، محاولة اكتشاف الطريقة العلمية التي كان يفكر بها ، والتي استطاع بها أن يكون نتاجه مرحلة علمية تسترعي الانتباه ، وتستحق من طلبة العلم الاهتمام والعناية بما حق الاعتناء ، كما أن محاولة تلمس طريقة التفكير عند محمود شاكر تستطيع القبض على بعض صفاته القيادية العلمية ، ولا شك أن الوصول إلى نتائج صحيحة في رصد ملامح طريقة تفكير العلماء ، تنمي المواهب الطبيعية للباحثين ولطلبة العلم ، حيث لا يخفى امتداد تأثير طريقة التفكير على عقل الباحث المحيط بعالم ما ولا سيما عالم كمحمود شاكر .

ويتناول هذا الفصل الحديث عن بعض من مصادر محمود مُحمَّد شاكر المعرفية ، وكيف أثرت على طريقة تفكيره وتوجيه آرائه ، وسوف أجرؤ على استدعاء لبعض الجوانب الحياتية والسير الذاتية له كلما دعت الحاجة إليها ، على الرغم من استهلاكها بحثاً ودراسة ، إلا أنه لا غنى عنها عند الحديث عن المصادر المعرفية ، وأخص منها تلك البيئة الداخلية المنظمة لفكره والمتمثلة في الخبرات العلمية والمعرفية التي ورثها عن والده وعن أخيه أحمد شاكر ، وكذلك البيئة الخارجية المنظمة لفكره أيضاً والتي تتوقف على العلاقة التي ربطت تفكيره بفكر الآخرين من أشياخه وأهل زمانه على وجه التوافق أو التضاد ، فقد كان للبيئة المحيطة بمحمود شاكر أثر لا يستطاع

جحدانه على مستوى التكوين العلمي ، ساعد على قوة أثر هذا المحيط اهتمامه الشخصي وميله النفسي والفكري للأدب العربي واستعداده الذاتي والفطري ، ويكاد يجعل أكثر المهتمين بالأدب العربي البيئة المحيطة التي نشأ فيها الأديب ، رأس الهرم المعرفي الذي ينشد الوصول إلى مصادره المعرفية والثقافية ، والتعرف على كيفية تشكل جوانب صفاته وسماته العلمية ، وتحديد اتجاهاته باختلاف تخصصات العلم والمعرفة<sup>(١)</sup>.

ولن يغفل هذا الفصل أيضاً بعضاً من الصفات الشخصية التي منّ الله بها على محمود شاكر، والتي أسهمت في تكوينه المعرفي وراثته الثقافي ، وسيأتي بيان كل موضع منها في حينه والله الموفق.

---

(١) ينظر لكتاب : مصطفى صادق الرافعي الناقد والمؤلف ، لإبراهيم الكوفحي ، ط ١، عام ١٤١٨ هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت، ص ٦٧ .



## المبحث الأول : الذوق والدربة.

### مصادر المعرفة ومؤهلات الناقد (الذوق) :

الذوق من الصفات الفطرية التي استودعها الله في خلقه، يصقل هذه الموهبة وينميها عند الشخص استعداداته الذاتي واستيعابه التام لكيفية توظيف هذه الملكة في مجاله المعرفي ، وإطلاعه على طرائق العلماء الأفذاذ الذين استفادوا من هذه الفطرة ووظفوها فيما يخدم تعاطيهم مع العلم ، ونعني بالذوق المصدر المعرفي عند شاعر: مراعاته لأدق التفاصيل في المادة الأدبية ، والإلمام بكافة الجوانب المحيطة التي تؤثر في هذه المادة واستقراءها استقراء كاملاً ، وإعادة النظر مرة تلو المرة تجاه هذه المادة، وملكته الفطرية التي تستهجن وتستقبح ابتداء لتتوافق مع استنتاجه المعلن ، ومما ساعد على تنمية ملكة الذوق عند محمود شاعر ملكته اللغوية التي كونها لنفسه وهو فتى صغير ، فقد أتم محمود شاعر قراءة الأغاني ولسان العرب قراءة تامة وهو في الرابعة عشر من عمره ، واستظهر ديوان المتنبي كله وهو في تلك السن الصغيرة<sup>(١)</sup>، ولقد وظف محمود شاعر هذه الملكة كثيراً عند حديثه عن المتنبي في كتابه الشهير باسم المتنبي ، وكذلك حينما اشتغل بقضية الشعر الجاهلي وهي قضيته الأولى ، والذي أثار في نفسه كوامنها أستاذ طه حسين الذي لم يكذب يسلم من التأثير به في عصره أحد من المهتمين بالأدب العربي إيجاباً أو سلباً ، وطفق يحشد كل ما يستطيع حشده بغية مناصرة قضيته وإبطال دعاوى المشككين فيها ، فتتبع خيوطها وفتش عن أسرارها في الكم المعرفي التراثي الهائل ، وأخضعها لميزان النقد والتحليل والذوق الشخصي ، والذوق غالباً هو ما دندن عليه شاعر كثيراً في العديد من مؤلفاته ، وجعله مرجعاً موثقاً لاستخلاص النتائج ، ووضع لهذا المنهج أطراً وملامح أفاض في الحديث في سلسلة مقالات نشرها في مجلة الثقافة عن المتنبي<sup>(٢)</sup>، وسيكون حديثه عن منهجه التذوقي في هذه المقالات وفي رسالته في الطريق إلى

---

(١) ينظر للفصل الأول من الدراسة العلمية : محمود محمد شاعر دراسة في حياته وشعره ، لأمانى حاتم بسيسو ، وينظر للفصل الأول من الدراسات العلمية : محمود محمد شاعر ، الرجل والمنهج ، لعمر حسن القيام ، وينظر لمهاد الدراسة العلمية : محمود محمد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي ، وينظر للباب الأول من كتاب : ظل النديم ، لوجدان العلي .

(٢) ينظر لجمهرة مقالات الأستاذ محمود شاعر ، جمع وقراءة وتقديم عادل سليمان جمال ، ، ط١، عام ٢٠٠٣ م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج٢، ص ١٦٠ وما بعدها.

ثقافتنا وكتاب أباطيل وأسماير مدونة هذا المبحث لتناول الذوق عنده في حدود التنظير وبمقايستها مع الشق التطبيقي، وقبل الولوج إلى الذوق عند شاكر كفترة استقامت بالدربة ، و كمصدر معرفي ، وكمنهج علمي وبحثي ارتضاه ، فلا بد قبل ذلك كله أن يتم إلقاء الضوء على الدوافع التي كانت وراء مصدرية ومنهجية الذوق عنده ، إذ إن هذه الدوافع تساعد على اكتشاف ملامح منهجه والطرائق التي وظفه فيها واعتمد به عليها .

### دوافع التذوق عند محمود شاكر :

كان محمود شاكر من بين علماء عصره الذين اهتموا بقضية المنهج الملائم للبحوث والدراسات الأدبية وفق رؤيته النقدية الخاصة ، حيث نشأ في عصره سباق محوم بين علماء الأدب الحديث ؛ بغيته تحديد منهج بحثي يتلاءم مع طبيعة الدراسات الأدبية ، ويقدم شيئاً جديداً للثقافة العربية كغيرها من الثقافات التي درست آدابها بمناهج متباينة وأحدثت حراكاً علمياً غير مسبوق ، فالبحت عن جماليات الأدب لم يعد كافياً عند بعض علماء الأدب العربي لدراسته ، والطريقة التراثية القديمة التي كان يتعاطاها العلماء القدامى مع الأدب لم تعد عند البعض الآخر مطمئناً علمياً و لا بغية نقدية ، فلا بد عندئذ من ابتكار مناهج بحثية جديدة تضيء الجدة والابتكار على الدرس الأدبي والنقدي ، وتخرج الأدب والنقد من ربة النقد السابق والقديم الذي كاد يحصر نفسه في قواعد البلاغة العربية ، فالدراسات الأدبية والنقدية وحتى اللغوية ما قبل القرن التاسع عشر في نظر المحدثين لم تضيف شيئاً جديداً سوى أنها " قدمت للنقد القديم من الأفكار والأصول ما يمكنه من البقاء عبر القرون ، ولما ظهرت الاتجاهات الحديثة في النقد وأراد أصحابها أن يكشفوا عن النقص الذي زعموه في النقد القديم لم يجدوا من المطاعن ما يدمغونه به إلا أنه نقد لغوي الطابع .... وإنما جاء هذا الطعن على النقد القديم من جهة أنه لخص عطاءه في قواعد البلاغة العربية حتى لم يعد قادراً على التطور و لاسيما بعد أن تطور النقد في مجالات عدة متكاملة ... " (١) .

وبناء على هذه النظرة الجديدة نحو الأدب والنقد العربيين وقياسها بالثقافات الأخرى نشأت محاولات تأسيس المدارس الأدبية والاتجاهات النقدية الحديثة عند أدباء ونقاد العرب في العصر الحديث ، بحيث لم يتردد أديب

---

(١) اللغة والنقد الأدبي : لتمام حسان ، ، العدد الأول : طبعة عام ١٩٨٣ م ، للهيئة المصرية العامة

للكتاب، ج٤، ص١١٦ .

كبير كطه حسين في الدعوة الصريحة إلى ابتكار منهج جديد لدراسة الأدب ، منطلقه التحلل من الأغلال التي قيدت الأدب كالقومية العربية والدين الإسلامي وكل ما يتصل بهما ، ولا بد لنا —بحسب طه حسين— أن ننسى الدين والقومية العربية حين نؤمم وجهتنا البحثية نحو أدبنا وتاريخه ، وليس من الضرورة أن نغلّ دراساتنا بتلك القيود المضنية التي أتهكت مجالات البحث الأدبي ، بل يجب " ألا ندعن إلا للمناهج البحث العلمي الصحيح ؛ ذلك أننا إذا لم ننس قوميتنا وديننا وما يتصل بهما فسنضطر إلى المحاباة وارتضاء العواطف ، وسنغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين " <sup>(١)</sup> .

نشأ محمود شاعر في هذا السباق المحموم للمنهجية البحثية والعلمية ، فاصطدم بما أفرزته من نتائج ومن حقائق بحثية ، واضطرته معها إلى البحث عن منهج خاص يستطيع به مواجهة تلك المناهج البحثية الجديدة ، بعد أن عكف على كتب التراث العربي ، ليؤزر من استقراءها رأيه في قضيته الأكبر (الشعر الجاهلي) ، فتتبع خيوط هذه القضية بعد أن عاش في كنفها طويلا ، وضاق بها ذرعا ، فترك جامعته بسبب من ذلك ، بل وهجر مصر كلها " بعد أن ييس الثرى بينه وبين أستاذه طه حسين " <sup>(٢)</sup> ، الذي أثار رأيه حفيظة محمود شاعر ، ووقع منه موقعاً كان له الفضل بعد الله في تكوين نتاجه العلمي الذي هو بين يدينا اليوم ، وكان هو الدافع الأكبر لاعتماده على الذوق كمنهج يستطيع بها مجابهة تلك المناهج الحديثة التي تتناقض نتائجها العلمية جملة وتفصيلاً مع معتقداته الأدبية والنقدية الراسخة.

ويبدو أن ما دفع محمود شاعر إلى تسمية منهجه تذوقاً <sup>(٣)</sup> ووضعه لأطره وحدوده التي سيتناولها هذا الفصل لاحقاً ؛ هو أن الذوق من خلال قراءاته للتراث مصطلح أدبي فضفاض عند علماء الأدب والنقد العربيين ، يحمل من الإبهام والشمولية ما يتدافع مع اعتباره منهجاً علمياً موثقاً بصحته مسلماً بحقائقه ، فلجأ بعد أن

---

(١) في الشعر الجاهلي لطله حسين : ط ١ ، عام ١٩٢٧ م ، لدار المعارف للطباعة والنشر في سوسة بتونس ، ص ٢٤ .

(٢) ظل النديم لوجدان العلي : ص ١٩ .

(٣) ينظر للصفحة : ٨-٩ من رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاعر ، ط ١ ، عام ١٩٩٧ م ، للهيئة المصرية العامة للكتاب .

سماء تذوقا إلى وضع أطره وحدوده ؛ حتى تتضح ملامحه الخاصة ، وحتى يستبان الفرق بينه وبين الذوق القديم الذي يميل في غالب الأمر إلى الانطباع الذاتي ، ولكي يتبرأ من الذوق الساذج الذي تلوكه ألسنة العامة والمتأرجح بين الاستحسان والتقيح غير الملعل ، وجوز لنفسه تسمية منهجه بمنهج (تذوق الشعر) <sup>(١)</sup> ، مع ما يجده في نفسه وأفقه الفكري من كلمة (منهج) ، تلك الكلمة التي أصابه بها أستاذه طه حسين في مقتل ، حينما استدعى الأخير منهج ديكارت وطبقه على قراءته النقدية في الشعر الجاهلي ، حتى تسببت هذه الكلمة بنشوب صراع لم يهدأ بين الأستاذ وطالبه ، ولم يتردد محمود شاكر في الإقرار بأن مفهوم كلمة المنهج والأدوات التي يمارس المنهج بها هو السبب الحقيقي لصراعه الثقافي مع أستاذه <sup>(٢)</sup> ، بل ولم يجد حرجاً في ذروة صراعه مع المنهج وأستاذه في أن يعترف صراحة بحذره الشديد من هذه الكلمة وما تتضمنه من مفاهيم وما يتعلق بها من علائق ، فلم يجد لنفسه خلاصاً منها إلا أن يرفض " متخوفاً حذراً ، شيئاً فشيئاً أكثر المناهج الأدبية والسياسية والاجتماعية والدينية ، التي كانت يومئذ تطفئ كالسيل الجارف ... " <sup>(٣)</sup>.

وهي ذاتها كلمة المنهج التي أذكت الصراع بينه وبين لويس عوض حول شيخ المعرة أبي العلاء ، حيث استخدم لويس عوض المنهج التاريخي لقراءة رسالة الغفران للمعري ، في سلسلة مقالات نشرتها صحيفة الأهرام المصرية ، جمعها لويس عوض فيما بعد في كتابه المشهور على هامش الغفران ، حيث توصل بهذا المنهج إلى نفي الأصالة العربية الخالصة عن أبي العلاء المعري ، وادعى أنه قد تأثر بالأدب اليوناني وحشد لهذا الادعاء العديد من الأدلة التي لم تقنع محمود شاكر ، فهاجمه محمود شاكر هجوماً ثقافياً عنيفاً <sup>(٤)</sup> ، ونقد منهجه الذي استخدمه في استخلاص هذا الحكم ، وهكذا أحدثت كلمة المنهج عند محمود شاكر عقدة لم تنفك عنه، فكبريات معاركه الأدبية كانت تدور حول المنهج الذي أفرز نتائج لم يكن ليرتضيها ، فقرر حينها مدافعة تلك

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر : ص ٨.

(٢) أباطيل وأسمار لمحمود شاكر ط ١ ، عام ١٣٩١ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : ص ٦ .

(٤) ينظر لأباطيل وأسمار ابتداء من ج ١ ، ص : ١٧ وما بعدها .

النتائج بمنهجها الخاص في تذوق الشعر ، والذي يعتمد اعتماداً كبيراً على مواجهة النص ومساءلته واستخلاص الأحكام والنتائج والحقائق من جوفه.

### أساس التذوق عند محمود شاكر :

لا شك أن ملكة الذوق الضرورية الأولى من ضرورات الناقد والأديب ، وقد نشأت كثير من الأحكام النقدية والأدبية بناء على تباين ما استودعه الله من هذه الملكة عند كل ناقد وأديب ، وإن مؤلفات أساطين التراث العربي لمهي خيراً شاهد على تباين درجات الذوق المهيمن الأول على توجيه الرأي النقدي ، و يكفي أن يُستلهم في ذلك قضية اللفظ والمعنى التي استطاع الذوق فيها أن يكون مرجعاً ومحكاً ، بل وتجاوز ذلك إلى مرحلة محاكمة الرأي الآخر ومصادرة نتائجه ، فالأبيات المشهورة في قضية اللفظ والمعنى والتي مطلعها :

فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِئَى كُلِّ حَاجَةٍ      وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سِخٌ<sup>(١)</sup>

شغلت حيزاً كبيراً من أذواق كبار علماء التراث ، فمنهم من يوجهه ذوقه إلى ألفاظ هذه الأبيات دون معانيها، ومنهم من يرى ذوقه أن وراء جمال ألفاظها معانٍ مكنونة تستحق جمالية هذه الألفاظ ، ومنهم من يرى أن جمالياتها تظهر جلياً في إطار النظم الذي ينصهر فيه المعنى باللفظ ، وهذا شاهد واحد فحسب على اختلاف الذوق حتى عند العلماء ، وكيف استطاع هذا الاختلاف أن يوجه الرأي النقدي ويتسبب في إطلاق الأحكام.

---

(١) اختلف كثيراً في نسبة هذه الأبيات ، فالقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني نسبها إلى يزيد بن الطثيرة في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : مُجَّد أبو الفضل إبراهيم - علي مُجَّد البجاوي ، ط ١ ، عام ١٩٦٦م ، لدار الحلبي ، ص ٣٤-٣٥ ، والشريف المرتضى علي بن الحسين ينسبها للمضرب عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى ، في كتابه : أمالي المرتضى ، تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم ط ١ ، عام ١٩٥٤م ، لدار الحلبي ، ج ١ ، ص ٤٥٧-٤٥٨ ، ونسبها عبد الرحيم ابن عبد الرحمن بن أحمد العباسي إلى كثير عزة في كتابه : معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص ، تحقيق : مُجَّد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، عام ١٩٤٧م ، لمطبعة السعادة بمصر ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ، بينما ذكرت دون نسبة لأحد عند كثير من العلماء : كابن قتيبة ، في كتابه الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد مُجَّد شاكر ، ط ٢ ، عام ١٩٦٦م ، دار المعارف بمصر ، ج ١ ، ص ٦٦ ، وعبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة ، ص ٢١ ، وكذلك ابن جني في كتابه الخصائص ج ١ ، ص ٢١٨ .

وإذا كان الذوق في أصله يعود إلى كونه واحداً من الحواس الخمس التي استودعها الله في الإنسان السوي ، فإن هذا الأصل قد استطال ليشمل الذوق في فنون الكلام وبلغ البيان ، فالذوق الأدبي قادر على أن يعالج فنياً الفنون الأدبية ويستظهر ما فيها من جمال <sup>(١)</sup> .

ومحمود شاكر هو واحد من النقاد والأدباء الذين شكل الذوق عندهم مصدراً معرفياً ، فالذوق عنده قبل توظيفه له كمنهج خاص بشقيه النظري والتطبيقي ، كان له أساس في تكوينه الثقافي كفطرة ربانية اكتشفها في نفسه ورعاها بالاطلاع والتشاقف ، ففطرية الذوق عنده لم تكن كافية وحدها لأن يجعلها له منهجاً علمياً ، فقد تعاضدت تركيبته الفطرية والعملية معا للنهوض بهذه الملكة وتمكين قدراته العقلية الفطرية والعملية منها إلى جانب استعداده الذاتي ، فقد عكف على كتب التراث الأدبي والنقدي والبلاغي طويلاً ، ورأى أن يوظف هذه الملكة كمنهج يستطيع أن يصل به إلى نتائج العلمية التي كان يتطلع إليها ، ولم يقصر الذوق على الشعر وحده ، بل جعله أداة أولية يسلطها على كل كلام حتى لو لم يكن شعراً ولا أدباً <sup>(٢)</sup> ، ومما زاد إصراره على انتهاج الذوق ثقته في النتائج التي وصل إليها عبد القاهر الجرجاني في قضية إعجاز القرآن ، فقد وقع بين يدي محمود شاكر نسخة من الرسالة الشافية للإمام عبد القاهر بعد تصريحه بمنهجه الذوقي ، وعلم حين فرغ من قراءتها أنه مسبوق بهذا المنهج من الإمام ليس في الشعر بحسب ، بل في كل كلام وفي كل مجال من مجالات العلم والمعرفة ، يقول شاكر في ذلك :

" ومع ذلك فقد كنت أتوهم في سنة ١٩٥٣ حين فرغت من إجراء منهجي في تذوق الشعر ، على كل كلام غير الشعر ، أي قد سبقتُ إلى ذلك ، حتى كانت سنة ١٩٥٦... حين طُبعت الرسالة الشافية ... فوقفت على فصل نفيس ... هو أوضح ما قرأته قط في إجراء التذوق على كل كلام في كل علم ، مهما ظننت أنه أبعد علم من إجراء التذوق عليه .." <sup>(٣)</sup> ، ومعنى هذا أن شاكر لم يدّع أنه من قام بفحص كل الكلام شعره

---

(١) ينظر : النقد الأدبي الحديث: أصوله واتجاهاته ، لأحمد زكي ط ١ ، عام ١٩٩٧ م ، للشركة المصرية العالمية للنشر ، ومكتبة لبنان ، ص ٤١ .

(٢) ذكر محمود شاكر ذلك عن نفسه في : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : ص ٨ .

(٣) السابق : ص ٩ .

ونثره بأداة الذوق ، سواء أكان الكلام المفحوص أدبيا أم غير أدبي ، بل وجد - بعد أن طبق ذلك لمدة عشرين سنة من وهمه المسبق لذلك - أن عبد القاهر الجرجاني قام بهذا الإجراء في رسالته الشافية ، حين استشهد الأخير بشواهد من كلام العرب بلغت الغاية في معناها ومبناها ، ليس في الأجناس الأدبية وحدها فقط ، بل حتى في غيرها كالكتب المبتدأة الموضوعة في العلوم المستخرجة ، ومثل له بحد سيبويه للفعل في كتابه (الكتاب)<sup>(١)</sup> ، والذي كان جامعا لجميع أجناس المُعرّف ومانعا من دخول غيره إليه بألفاظ مخصوصة لم تتأني حتى لبعض كبار العلماء ، واعتبر محمود شاكر صنيع عبد القاهر هذا السابقة الوحيدة التي سبقه فيها عبد القاهر دون غيره في إجراء الذوق على كل كلام حتى ولو لم يكن جنساً أدبياً ؛ بدليل أنه لم يستحضر غير عبد القاهر ولم يشير إلى جهد عالم غيره ، ولو فطن إلى عالم آخر قام بهذا الإجراء أو أشار إليه ، ولجعله ثبناً في هذا الموضع على وجه خاص ، والحق أن عبد القاهر هو أيضاً مسبوق بإجراء الذوق على كل كلام ، فالحدود التي وضعها سيبويه في الكتاب كانت مثار إعجاب اللغويين قبل إعجاب البلاغيين ، لما تتضمنه من إيجاز واحتراز وتفریق بين أنواع الإعراب ، فأبو سعيد السيرافي مثلاً لم يستطع أن يكظم إعجابه بقدرة سيبويه الفائقة على انتقاء المفردات في الحدود والمصطلحات النحوية ، ومن ذلك أن سيبويه جعل مجاري أواخر الكلام في اللغة العربية ثمانية<sup>(٢)</sup> ، وعلل ذلك أبو سعيد السيرافي بقوله : " اعلم أن سيبويه لقب الحركات والسكون هذه الألقاب الثمانية وإن كانت في الصورة أربعاً ، ليفرق بين المبني الذي لا يزول ، وبين المعرب الذي يزول ، وإنما أراد بالمخالفة بين تلقيب ما يزول وما لا يزول ، إبانة الفرق بينهما ، لأن في ذلك فائدة جسيمة تقريباً وإيجازاً ؛ لأنه متى قال هذا الاسم مرفوع ، أو منصوب ، أو مخفوض ، علم بهذا اللفظ أن عاملاً عمل فيه يجوز زواله ، ودخول عامل آخر يحدث خلاف عمله ، فيكتفي بمرفوع ، على أن تقول هذه ضمة تزول ، أو تقول عمل فيه

(١) أسهب محمود شاكر في الحديث عن ذلك بعد النص الأنف ذكره في الصفحة السابقة (٥٤) من هذا البحث ، الموثق في الفقرة رقم (٣) في الحاشية ، وقد أطل الحديث فيه بعد النص المشار إليه في رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : ص ٩-١٤ ، وحد سيبويه للفعل المذكور في صدر كتابه الكتاب ، تحقيق عبد السلام مُحمَّد هارون ، ط ٣ ، عام ١٤٠٨ هـ ، لمكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٢) شرح السيرافي (مجاري أواخر الكلام عند سيبويه) بأنها حركات أواخر الكلم في لغة العرب ، ينظر لشرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق : أحمد حسن مهدي ، وعلي سيد علي ط ١ ، عام ١٤٢٩ هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ج ١ ، ص ٢٠ .

عامل فرفعه ففي هذا حكمة وإيجاز فاعرفه<sup>(١)</sup> " فالسيرافي هنا لم يزد على أن تذوق قسمة سيوييه وما أسقط على تلك القسمة من ألفاظ وحدّ ، بل إن مبلغ تذوقه لكلام سيوييه العلمي الصارم ، سوغ له أن يصفه بالإيجاز والحكمة ، تلك الصفتين اللتين تتردد كثيراً أن تسمّ بها بعضاً من الأشعار المحكمة ، وعند معاودة النظر في كلام سيوييه هذا الذي استوقف أبا سعيد السيرافي ووسمه بما وسم ، فإنك لن تجد فيه نمطاً عالياً من البيان الجمالي المرتبط بأخيلة الشعراء والأدباء ، ولكنه ذات السبب الذي أثار مكان الإعجاب عند عبد القاهر في حد سيوييه للفعل ، واستخدام كبار العلماء ومنهم سيوييه في مثل هذين الموضعين ضرباً " من النظم والتأليف أعيا من بعدهم أن يطلبوا مثله ، أو يحيثوا بشيئه له ، فجعلوا لا يزيدون على أن يحفظوا تلك الفصول على وجوهها ، ويؤدوا ألفاظهم فيها على نظامها وهي كما هي<sup>(٢)</sup> .

ومهما يكن من أمر فإن محمود شاكر قد أقر بأنه لم يكن صاحب سبق في الاستناد على الذوق باعتباره منهجاً ، حينما تكشف له بعض من جهود عبد القاهر في الرسالة الشافية كما أشير إليه سابقاً ، ولكنه أيضاً مع هذا الإقرار الصريح فإنه لم يقل بتطابق رؤيته المنهجية مع جهود عبد القاهر ، بل جعله شبيهاً به ومقارباً له من بعض الوجهات ، إلا أنه لم يكن صريحاً كل الصراحة في الإبانة عن منهج التذوق الخاص به والذي ظن بأنه لم يسبق إليه<sup>(٣)</sup> ، ومعنى ذلك أن محمود شاكر يجعل من هذا التذوق خصوصية تميزه عن غيره من العلماء ، ويجعل من توظيفه له في سياق المنهاج البحثي طريقاً لم يسلكه أحداً على النحو الذي انتهجه هو ، إذ إنه رأى ألا يسلم نفسه لمنهاج بحثية تفرض عليه بعضاً من النتائج النقدية والأدبية الخاطئة ، كتلك المناهج التي استحكمت على النتائج المسبقة التي توصل لها طه حسين ولويس عوض حينما استدعيا البحث للمنهج وليس العكس ، فرأى محمود شاكر أن يخرج من ربقة المنهج وألا يسلم نفسه له ، وأن ينطلق في استخلاص الحقائق العلمية من النصوص عن طريق تذوقها واستخراج خبيئها ، وقد وضع لمنهجه هذا أطراً وحدوداً لا بد وأن يتناولها هذا البحث ؛ لأنها ستكشف بعضاً من وجوه التقارب بين منهج محمود شاكر ومنهج خصومه .

### حدود التذوق عند محمود شاكر :

حينما حاول لويس عوض تطبيق المنهج التاريخي كمنهج بحثي في مشروع نقدي أداره حول أبي العلاء المعري ،

(١) شرح كتاب سيوييه للسيرافي : ج ١، ص ٢٠-٢١ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ملحق الرسالة الشافية : ص ٦٠٤ .

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : ص ٩-١٠ .



ثار محمود شاكر على استدعاء لويس عوض لهذا المنهج وما توصل له به ، وغص كتابه بأباطيل وأسمار بسلسلة مقالات تناولت قراءة لويس عوض لأبي العلاء المعري ، بلغ معها محمود شاكر مبلغاً كبيراً من الحدة والتوتر ، وقد اضطر اضطراراً للحديث عن المنهج العلمي من رؤيته الخاصة ، ووضع من خلال ذلك الحديث الملامح العامة والأطر العريضة التي توضح منهجه الخاص في تذوق الكلام ، وهنا لابد من إيراد كلام محمود شاكر عن أطر منهجه كاملاً غير مبتور ، لنوازن بينه وبين مناهج خصومه حتى مع اختلاف مسمياتها ومحاولة ادعاء اختلاف اتجاهاتها ، يقول في ذلك محمود شاكر :

" ولفظ المنهج يحتاج مني هنا إلى بعض الإبانة ، وإن كنت لا أريد به الآن ما اصطلح عليه المتكلمون في مثل هذا الشأن ، بل أريد به ما قبل المنهج ، أي الأساس الذي لا يقوم المنهج إلا عليه ، فهذا الذي أسميته منهجاً ينقسم إلى شطرين : شطر في تناول المادة ، وشرط في معالجة التطبيق ، فشرط المادة يتطلب قبل كل شيء جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر ، ثم تصنيف هذا المجموع ، ثم تمحيص مفرداته تمحيصاً دقيقاً ، وذلك بتحليل أجزائها بدقة متناهية .... أما شرط التطبيق فيقتضي إعادة تركيب المادة بعد نفي زيفها ، وتمحيص جيدها ، باستيعاب أيضاً لكل احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرع <sup>(١)</sup> "

إذن فتذوق محمود شاكر يتصل بالمادة العلمية نفسها ويتصل بالتطبيق العملي كالتحليل وقراءة النصوص ، أما المادة العلمية فخطوات تذوقها تبدأ من الاستقراء التام وهو ما سماه بالاستيعاب المتيسر ، وقد توحى كلمة المتيسر بأن محمود شاكر يقصد إلى الاستقراء الناقص ، فالمفهوم من وصف الاستيعاب بالمتيسر أن ما تيسر من الاستقراء كاف لأن يحقق نتائجاً ، وقد يفهم أن (المتيسر) هنا وصف للاستيعاب من ناحية الفهم والإدراك وتوفر المراجع ليكون تمام المعنى : الاستقراء التام بحسب الفهم الذي يسره الله لكل شخص وبحسب توفر المراجع ، ولكن شاكر عاب كثيراً على لويس عدم استقراءه التام للحقائق التاريخية ، فاقترح عليه أولاً وقبل دراسة أبي العلاء أن يكون مطيقاً لقراءة أدبه كاملاً قراءة واعية متعمقة تتفحص هذا الأدب من جميع مظاهره ، واستيعاب دراسة اللغة السابقة على لغة أبي العلاء ، واستيعاب دراسة لغة عصره ، واستقراء كافة الظواهر المتعلقة بذلك ؛ لمعرفة التطور الدلالي اللغوي للألفاظ والتراكيب والسمات اللغوية التي يختص بها كل عصر <sup>(٢)</sup>.

(١) أباطيل وأسمار : ص ٢٤-٢٥.

(٢) السابق ص : ٢٥-٢٦.

ومطالبته للويس عوض بذلك تتدافع مع تفسير قوله (الاستيعاب المتيسر) بالاستقراء الناقص ، ولو قصد إلى الاستقراء الناقص لما عد ذلك مأخذاً على لويس عوض ، فالأقرب أنه قصد بالاستيعاب المتيسر الفهم المتيسر، وغاية ما يقال هنا أن القاعدة الأولى من قواعد تطبيق المنهج عند محمود شاعر من الناحية النظرية هي قاعدة الاستقراء ، تليها قاعدة التقسيم والتحليل ، وذلك بتصنيف المادة وتمحيص مفرداتها وتحليل جزئياتها بدقة متناهية ، ورأى أن هاتين القاعدتين تتعلقان بإجراءات المادة المجموعة منفصلة عن الشق التطبيقي ، حيث تنطلق القاعدة الثالثة للمنهج من الشق التطبيقي، وهي قاعدة إعادة تأليف المادة المقسمة وتركيبها بعد نفي كل زيف عنها ، ثم اشترط لإعادة تركيب المادة وتأليفها الاستيعاب أيضاً لضمان التخلص من الأخطاء والتسرع في إطلاق الأحكام ، وهذا الاستيعاب يشبه إلى حد بعيد الاستيعاب المتيسر الذي افتتح به عتبات المنهج في النص السابق ، ومن الممكن عد الاستيعاب الأخير القاعدة الرابعة من قواعد المنهج الذي قصد إليه محمود شاعر ، فهذه العتبات هي التي اعتمدها في منهجه نظرياً وأبان عنها بشكل صريح ، ويتبقى أن نتساءل : هل اعتمد محمود شاعر على هذه العتبات في منهجه العلمي ؟ وهل هناك فوارق -حتى وإن كانت لاحبة - بين ما جعله نظرياً وما ارتضاه تطبيقاً ؟ لم يدع محمود شاعر لنا مجالاً كي نتأول في الإجابة عن هذا التساؤل من الناحيتين النظرية والتطبيقية ، أما من الناحية النظرية فقد أقر محمود شاعر بأن العتبة الأولى من عتبات منهجه التدقيق هي عتبة عدم التسليم بالأحكام المسبقة والشك في صحتها ، حيث أقر إقراراً بأن ما دفعه لدراسة المتنبي عدم تسليمه للرواة وعدم القطع بصحة ما أثبتوه حيث يقول في حديثه عن المتنبي في كتاب المتنبي ومقالاته عنه في مجلة المقتطف: "وقد كانت كلمتي عن أبي الطيب بدءاً لطريقة انتهجتها في ترجمة الرجل ، لم أتعب فيها بأقوال الرواة تعبد الوثني بالصنم .... وكان مما ذهبت إليه ما أثبتته هناك من الشك في أن المتنبي كان كما زعم الرواة ابن سقاء...<sup>(١)</sup>" ، وهذا النص شديد الصراحة في أن القاعدة الأولى التي بنى عليها محمود مشروعه النقدي في قراءة المتنبي كانت قاعدة الشك وعدم التسليم للأحكام المسبقة ومن ذلك أيضاً قوله:

".....وبين الحرج والضيق والحيرة والضياح يذهب الشعر هباء... ولا يجني منه جانيه إلا السامة .. فإن أفرط في حسن الظن بالنقاد والشرح تعود بالإلف ..... سوء البصر ، واختلاط النظر ، ..... والإفراط في حسن الظن قد أضر بالشعر وبغير الشعر ، ولو تطلبت شواهد لوجدتها فاشية في كثير مما تقرأ مما كتب القدماء

(١) جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاعر ، لعادل سليمان جمال ، ج٢ ، ص ٩٣٣ .

والمحدثون<sup>(١)</sup> ، فهذه النصوص وغيرها صريحة في الإبانة على أن الشك هو أول الخطوات المنهجية لبحث قضية علمية عند محمود شاكر ، ولعل ما أذكى عنده الشك المنهجي شكه الكبير في كل ما أثير حول قضية الشعر الجاهلي ، وخصوصاً ما أثاره فيه أستاذه طه حسين ، وغاية ما يقال أن ثمة تبايناً بين أطر منهج تذوق الشعر التي وضعها ، وبين شق التطبيق والمعالجة للمنهج ذاته ، فإذا كان تنظيره يجعل الاستقراء التام أولاً ، فإن تطبيقه المنهج من خلال تناوله للقضايا الأدبية والنقدية التي شغل بها يجعل الشك أولاً ، وليس أدل على ذلك من كتابه (نمط صعب ونمط مخيف) كمثال على تباين تنظيره للمنهج ومعالجته له .

فقد طبق محمود شاكر مفاصل المنهج الاستنباطي الحديث وقواعده في هذا الكتاب دون أن يشير إليه إلا أنه منهج تذوقي خالص ، ففي بداية الكتاب تجرد الباحث من كل قديم في نسبة قصيدة (إن بالشعب الذي دون سلع) لتأبط شراً وشك في نسبة الرواة لها، وتجرد من ترتيب أبياتها وشك كل الشك في صحة ذلك الترتيب ، كما شك في صحة الاستدلال بهذه القصيدة على افتقار القصيدة العربية للوحدة ، وهذا الإجراء يمثل القاعدة الأولى من قواعد منهج الاستنباط الديكارتي<sup>(٢)</sup> والمتمثل في التجرد من الأحكام الثقافية السابقة وعدم التسليم بما كيقينيات علمية والشك في صحتها ، ثم فكك القصيدة عروضياً وأسلوبياً حتى وصل إلى وزنها المديد الأول، وأعاد تأليفها ليصل إلى النسبة الحقيقية لقائلها ، وهو ما يمثل القاعدتين الثانية والثالثة من قواعد منهج ديكارت المعتمدة على التقسيم والتحليل ومن ثم التأليف والتركيب ، مستقرناً في كامل بحثه جهود السابقين له الذين تعاطوا مع هذه القصيدة من العلماء العرب وأعاجم المستشرقين ، ومستقرناً في ذات الوقت تلك السمات والظواهر الفنية التي تنفي عن الشعر الجاهلي وحدته ، ومستقرناً أيضاً قضية نسبة الشعر الجاهلي وصحته ، وفي هذا تطبيق للقاعدة الأخيرة من قواعد منهج ديكارت القائمة على الاستقراء ، يقول شاكر في مقدمة الكتاب مبيناً منهجه: " وهكذا وجدتني أسير في طريق طويل أعالج الحديث عن نسبة القصيدة ، وعروضها ... وترتيب أبيات القصيدة كما جاء في روايات الأقدمين ... ثم ما اقترحتة أنا من ترتيب وفق منهجي في تذوق الشعر ... ومخالفتي في ذلك عما قاله بعض شراح القصيدة من النقاد الأوائل، ثم عدولي عن

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر ط١ ، عام ١٤١٦ هـ ، مطبعة المدني بجدة ، ص : ٢٠٣-٢٠٤ .

(٢) ينظر لقواعد منهج ديكارت في هذا البحث : ص ٣٦ وما بعدها .

شروحهم اللغوية المجردة لبعض ألفاظها ، ورأيت أننا إذا وقفنا عندها دفننا الشعر في تابوت من اللغة <sup>(١)</sup> ، وهكذا فعل شاكر أيضا في كتابه المتنبي ، الذي ألفه وهو ابن السادسة والعشرين ، بعد أن كلفه فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف بأن يكتب دراسة عن المتنبي في حدود الثلاثين صفحة ، فاستحال هذا التأليف إلى كتاب وصل إلى نتائج غير مسبقة ، قامت مجلة المقتطف بنشره في عددها الأول لست مضين من شهر شوال، في عام أربعة وخمسين وثلاث مائة وألف للهجرة النبوية المشرفة <sup>(٢)</sup> ، فقد شك فيما أثبتته الرواة في نسب المتنبي ، وافترض أنه علوي النسب للغموض الذي أحاط بنسب المتنبي لعدم اقتناعه بعلاقة تلك الروايات مع شخصيته التي قرأها من خلال نتاجه الأدبي ، كما شك في صحة ادعائه المتنبي للنبوة ، وشغل نفسه كثيراً بالرد على من ادعى ذلك ، ثم قام بتفكيك المادة الشعرية للمتنبي وأعاد تركيبها وتحليلها فاستنطق النصوص لوصف شخصية ونسب المتنبي وادعائه للنبوة ، مستقراً الروايات والأخبار التي اشتملت على كل ذلك ، ومستخلصاً النتائج من قراءاته التدقيقية لديوان المتنبي ، وإذا ما تم وضع هذه الإجراءات المنهجية التطبيقية في هذين الكتابين بإزاء الجانب التنظيري فإن الفرق يبدو واضحاً بين أول الخطوات تأطيرا ومعالجة ، أما باقي الإجراءات فتكاد تكون هي في الجانبين ، وعند الحاجة لاستخلاص منهج علمي لعالم ما فإن أول ما يستطيع الباحث الوثوق به والاطمئنان إليه طريقة ذلك العالم في معالجة القضايا ، فاستيعاب تلك القضية وتتبع تدرجها وسبر أغوارها الفكرية ، تنتج الطريقة والنهج العلمي والبحثي الذي كان ينتهجه ، مما يدفع بالقول أن الإجراءات المنهجية الحقيقية لمنهج التدقيق عند محمود شاكر والمستخلصة من خلال معالجته لبعض القضايا تبدأ بالشك المنهجي ، ثم التقسيم والتحليل ، ثم التركيب والتأليف ، أما الاستقراء التام والاستيعاب المتيسر للتأكد من صحة النتائج فيكاد يكون أداة تتسلل إلى كافة هذه الإجراءات تسبقها تارة وتعقبها تارة أخرى .

وهذه الإجراءات في عمومها تشبه إلى حد كبير المنهج الاستنباطي لديكارت ، الذي اعتمد عليه طه حسين في نقده للشعر الجاهلي ، والذي يتكون من أربع عتبات : وهي الشك و عدم التسليم للأحكام المسبقة ،

(١) نمط صعب ونمط مخيف ، لمحمود مُجَّد شاكر ، ص ١-٢ .

(٢) ينظر في ذلك لمحمود مُجَّد شاكر دراسة في حياته وشعره لأماني بسيسو ص : ٥٧ وما بعدها ، وينظر لمحمود مُجَّد

شاكر قصة قلم لعائدة الشريف ط ١ ، عام ١٩٩٧م ، لدار الهلال المصرية ، ص ٢٣١ وما بعدها .

والتقسيم والتحليل ، والتأليف وإعادة التركيب ، والاستقراء <sup>(١)</sup> .

وهذا الشبه يبدو أكثر وضوحاً في الشق التطبيقي عند شاكر أكثر من الجانب النظري ، وذلك أن الشك المنهجي الذي يبنى عليه افتراض علمي نخرج أدار عليه الأستاذ محمود شاكر أهم مؤلفاته العلمية كما تم ذكره آنفاً .

ومما يزيد التقارب بين التذوق والاستنباط أن الأخير قد نشأ تلبية لرغبة ديكارت في منهج علمي يسعى لإيجاد حقائق علمية مشتركة وثابتة وصارمة كنتائج علم الرياضيات ، إذ إن ديكارت أراد من هذا المنهج إبعاد العقل العلمي عن الزيغ والضلال ، ولما بدا له أن منهج الرياضيات الاستنباطي هو أقدر المناهج على الوصول إلى الحقائق والنتائج الصحيحة ، دعا إلى تطبيق منهج الاستنباط الرياضي في سائر العلوم ومختلف الدراسات ، وإذن فالعقلية الرياضية عند ديكارت هي التي أسست لهذا المنهج بمفهومه الحديث .

وعند تتبع سيرة محمود شاكر يلاحظ بأنه كان محباً لعلم الرياضيات باعترافه الشخصي هو حيث يقول في إجابة على سؤال ضمن لقاء إذاعي بث في إذاعة الكويت يطلب معرفة السبب الذي دفعه لقطع دراسته في مرحلة متقدمة من عمره :

" ... فأنا درّست في المدارس الثانوية وظللت أتابع حفظ الشعر وقراءة الكتب ، وقرأت وأنا في السنة الأولى الثانوية لسان العرب حرفاً حرفاً من أوله إلى آخره ، وأنا في داخل الدراسة ، ثم ظللت أنتقل في الدراسة ومتقدماً فيها أيضاً ، ودخلت القسم العلمي لا القسم الأدبي ، ... فأنا كنت أختار القسم العلمي لأنني كنت متميزاً في الرياضة ، وكنت أحبها حباً جماً ، ولكني كنت أحب الأدب في ذلك الوقت حباً جماً ...." <sup>(٢)</sup> .

فالميلول إلى المنهج الرياضي قاسم مشترك بين ديكارت وشاكر على حد سواء ، وإذا كان المنهج الرياضي هو ما أسس لمنهج الاستنباط بمفهومه الحديث عند ديكارت ، فقد يكون المنهج الرياضي ذاته هو ما أثر على محمود

---

(١) ينظر لكتاب : مقال عن المنهج ، تأليف رينيه ديكارت ، ص ١٠٨-٢٠٦ .

(٢) ينظر لظل النديم لوجدان العلي ص : ١٠٠ ، وقد قام المؤلف بنشر هذا اللقاء الإذاعي كاملاً في كتابه ابتداء من

ص: ٩٧ وحتى ١٢١ .

شاكر في انتهاج منهج التدوق الخاص به والذي لا يتعد كثيراً عن المنهج الاستنباطي الحديث ، وغاية ما يقال في ذلك أن منهجي البحث العلمي عند ديكارت وشاكر تكونا في عقليتين تعبران الرياضيات أهمية بالغة ، تلك الأهمية التي كان لها الدور الأكبر في توجيه الرأي وقبول النتائج المبنية على المنهج الرياضي الذي يحقق عادة نتائج عادلة وصحيحة .

وليست عتبات المنهج المتشابهة وطرائق المعالجة المتقاربة والفكر الرياضي ما يدل على تقارب منهجي التدوق والاستنباط عند الرجلين ، بل ثمة أمر يمكن عده الوجه الآخر لكل منهج ، فكلا المنهجين يعتبران نفسيهما مخلصين للباحث من الزيغ والضلال المعرفي ، فلسنا في حاجة لإعادة القول بأن الدافع الأكبر لديكارت لتأسيس منهجه الخاص هو إيجاد منهج بحثي ومعرفي يتمخض عنه نتائج تتصل بالحقيقة أكبر كاتصال نتائج الرياضيات بالحقائق أكثر من باقي النتائج ، وهو ذات الأمر الذي دفع بمحمود شاكر لتأسيس وتأطير منهجه التدوقي الخاص ، حيث رأى في هذا المنهج وحده دون غيره كفاية للباحث في مجالات الأدب العربي ، فأدوات التدوق وأطره واستنطاق النصوص ودلالاتها الخبيثة التي يعالجها المنهج التدوقي هي المخلص الأول من الزيغ الأدبي العربي ، ويعد محمود شاكر الباحث الذي لا يمتلك هذه الأدوات غير قادر على انتهاج نهج أدبي خاص أو حتى غير أدبي في كل ما يتعلق بعلوم وتخصصات اللغة العربية يقول محمود شاكر في الدوافع والغايات التي كانت وراء تأسيسه لمنهج التدوق :

"... أردت أن تقف بالدليل الواضح على أن المنهج الذي استطعت أن أمهده لفكري كان نابعاً من صميم المناهج الخفية التي سنّ لنا آباؤنا واسلافنا طرقها ، وأن كل جهدي فيه هو معاناة كانت مني لتبين دروبها ومسالكتها ، ... معتمداً على دلالات اللسان العربي ... والذي لا يملك القدرة على استيعاب مثل هذه الدلالات وعلى استشفاف خفاياها غير قادر البتة على أن ينشئ منهجاً أدبياً لدراسة إرث هذه اللغة ، في أي فرع من فروع هذا الإرث ، إلا أن يكون الأمر كله تبجحاً وغطرسة وزهواً وغروراً وتغريباً ، كما هو الحال في حياتنا الأدبية هذه الفاسدة <sup>(١)</sup> " .

إذن فعدم القدرة على امتلاك أدوات منهج التدوق تجعل — من وجهة — نظر الأستاذ محمود شاكر رحمه الله

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر ص ١٥ .

الباحث غير قادر على إنشاء منهج أدبي صالح لدراسة اللغة في كافة مجالاتها ، وعدّ عدم توظيف أدوات المنهج التذوقي تبجحاً وغطرسة يتمخض عنها حياة أدبية فاسدة ، لا سبيل لإزالة فسادها إلا بامتلاك هذه الأدوات والتعاطي مع هذا المنهج .

وقد جعل عدم التمسك بأدوات المنهج وأطره التي وضعها أكبر المزالق التي نقدها في قراءة لويس عوض لشيخ المعرة ، وقد نقض شاكر نتائج تلك القراءة ابتداء من المنهج التاريخي الذي استدعاه لويس دون استدعاء لمنهج تذوق كل كلام الذي طالما دعا إليه شاكر ، بل ولم يتردد في جعله الإطار العام لمنهجه الخاص .

إذن فهذه مجموعة من الروابط النظرية والتطبيقية التي تقارب بين منهجي التذوق والاستنباط بالنظر إلى الأول منهما ككل غير منقسم ، أما عند تجزئة إجراءات المنهج التذوقي والنظر المفرد لكل جزئياته ، فقد يحق لمن طالعهما كإجراءات منقسمة أن يقول بأن كلمة المنهج هي وحدها ما يجمع تلك الإجراءات ، وأن تلك الإجراءات بحد ذاتها يمكن عدها مناهجاً بحثية مستقلة عن بعضها البعض ، وبيان ذلك أن المنهج التذوقي عند محمود شاكر يعتمد في كثير من إجراءاته على الإحساس المنعم بجمال اللغة والذي لا يتأتى إلا بـ " إرادة واضحة وإلى تنبه وتبصر .. ويحتاج أيضاً إلى ترديد الكلام وترجيعة وإلى إعادة النظر فيه مرة بعد مرة .. " (١) وهي هي ذات الطريقة التي تأثر بها محمود شاكر من شيخه سيد بن علي المرصفي حينما كان يردد المرصفي ويعيد ترديد الأبيات ويشير حينها بكلتا يديه وتبرق عيناه ويهتز بمنة ويسرة ، " وترى شفتيه والكلمات تخرج من بينهما تراه كأنه يجد للكلمات في فمه من اللذة والنشوة يفوق (٢) كل تصور .. " (٣) ، وغاية ما يقال في هذا

---

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان : ص ١١٧٨ .

(٢) وردت العبارة هكذا " كأنه يجد للكلمات في فمه من اللذة والنشوة يفوق كل تصور " في المرجع السابق ، والكلام قد لا يستقيم إلا بإضافة (ما) الموصولة قبل الفعل يفوق ، لتصبح العبارة (كأنه يجد للكلمات في فمه من اللذة والنشوة ما يفوق كل تصور) ولم أهتدي لنسخة مجلة الثقافة الأصلية والتي أصدرتها دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٧٨ حيث اشتمل العدد الثالث والستين منها على سلسلة مقالات (المتنبى ليتني ما عرفته) ، لأحكم بأن ما الموصولة قد تكون ساقطة من جمهرة المقالات فقط .

(٣) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان : ص ١١٧٩ .

أن الإحساس بجمال اللغة والتعبير الأدبي هو ما يثير في النفس مثل هذه الانفعالات ، وهو ما يدفع نفس الناقد نحو مواجهة النص مواجهة جمالية ، تقوم على الإحساس بالجمال الفني وطبيعة الإبداع داخل النسق اللغوي ، ومواجهة النصوص الأدبية على هذا النحو هو ما سماه بعض علماء المناهج الأدبية الحديثة بالمنهج الجمالي ، " وهو منهج يُقصد به إلى دراسة القيم الجمالية في العمل الأدبي ، من أجل تقويمه ووضعه في مكانه الصحيح بين الأعمال الأدبية الأخرى التي تمثل التطور الفني لتاريخ الأدب <sup>(١)</sup> " ، وهكذا يمكن عد ما يسمى بالمنهج الجمالي أداة من أدوات المنهج التذوقي عند محمود شاكر بالنظر إلى جزئياته ، وكذلك يمكن عد المنهج التاريخي أداة من أدوات المنهج التذوقي عند النظر في إجراءات المذهب التذوقي عند محمود شاكر ، فنقد محمود شاكر لسيد قطب <sup>(٢)</sup> ولويس عوض <sup>(٣)</sup> كان ينقد منهجهما التاريخي ويتخذ ذلك النقد من المنهج التاريخي أداة له تحت عنوان منهج التذوق ، وإذا كان المنهج التاريخي في مجالات الدرس الأدبي يعتمد إلى " تتبع الأدب العربي تتبعاً تاريخياً في رحلته الطويلة عبر التاريخ ... <sup>(٤)</sup> " فإن المنهج التذوقي عند محمود شاكر قد عالج بعضاً من القضايا الأدبية بأدوات المنهج التاريخي، بل وجعل لنفسه الحق في تعديل النصوص الشعرية الجاهلية على أساس من الحقائق التاريخية <sup>(٥)</sup> ، وكثيراً ما تشبه القضايا الأدبية التي يعالجها محمود شاكر بأدوات المنهج التاريخي ومنهجه التذوقي الخاص وخصوصاً فيما يتعلق بالرواية بما اصطلح عليه العلماء بالفيلولوجيا <sup>(٦)</sup> التي تهتم بضبط النصوص وحسن تأويلها ، والتعليق عليها وتفضي إلى الاعتناء بتاريخ الأدب والأخلاق <sup>(٧)</sup>.

(١) مناهج البحث الأدبي للدكتور يوسف خليف ، ، ط ١، عام ١٩٩٧م، لدار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة، ص ٥٦.

(٢) ينظر في ذلك لمقال : تاريخ بلا إيمان ، في جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان : ص ٩٧٩.

(٣) ينظر في ذلك لأباطيل وأسمار لمحمود شاكر : ج ١، ص : ١٧ وما بعدها.

(٤) مناهج البحث الأدبي للدكتور يوسف خليف ، ص ٣٩.

(٥) ينظر في ذلك مثلاً لطبقات فحول الشعراء الحاشية الأخيرة ص : ٢٣٨-٢٣٩.

(٦) ينظر في ذلك لظل النديم لوجدان العلي : ص ١٨٣.

(٧) ينظر لدروس في الألسنية العامة لفريدناند دي سوسير ، تعريب صالح القرمادي ، ونجّـد الشاوش ، ط ٣، عام ١٩٨٥م للدار العربية للكتاب، ص ١٨.



وعند إنعام النظر في طريقة قراءة محمود شاكر للمتنبي بشكل خاص ، يبدو واضحاً اعتماده على أدوات المنهج النفسي ، ذلك المنهج الذي يعتمد على علم النفس كثيراً والذي يقود الجانحين إليه إلى " استغلال نظرياته وتطبيق تجاربه على النصوص الأدبية يستخرجون منها دلالاتها النفسية على شخصيات أصحابها ، ويرفعون الحجب عما عليه من رموز وإشارات لما يدور في أعماق النفس الإنسانية <sup>(١)</sup> " ، وبناء على ذلك يمكن عد منهج التذوق عند شاكر خليطاً من المناهج البحثية يحيط بها التذوق ، واستدعاء العديد من المناهج البحثية في بحث واحد بغية الوصول إلى حقيقة أدبية علمية ليس منهجاً تذوقياً فحسب ، فقد لاحظ علماء المناهج البحثية الأدبية الحديثة أن البحث الأدبي أعقد من أن يعتمد على منهج بحثي واحد ، إذ لا يمكن أن يستوعب المنهج الواحد الأدب كله ، وقد حكموا بإلزام الباحث في مجالات الأدب وفنونه أن يستفيد من كافة المناهج البحثية ، وأن يطلع على الدراسات التي تحدد تلك المناهج وتستجلي حدودها وأطرها وتبين الفوارق بينها ، وأباحوا للباحث ذلك تحت مسمى (المنهج التكاملي) ، ويتضح من وسم هذا المنهج بالتكاملي أنه متكون من عدة مناهج بحثية متكاملة يبيح لنفسه مالا يبيح لغيره من خلط المناهج ومزجها وصبها مجمعة في قالب البحث الأدبي ، بل وقد عدّوا المنهج التكاملي منهجاً بحثياً ملحاً للكشف عن كل ما يتعلق بالأدب والأديب ، ف " الأديب لا يعيش في بيئة منعزلة ولا في عصر منعزل ، بل يعيش دائماً في بيئة .. وعصر .. يموجان بعلاقات شتى من الظروف المكانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية ، وكلها تستدعي وشائج تربط بين الأديب وبين وسطه المكاني ، وكلها تنعكس عليه وعلى أدبه وتؤثر فيه بحيث لا تتكامل دراسته ودراسة آثاره بدونها ، وإلا كانت ناقصة مبتورة ..... وواضح من كل ما سبق أن الباحث الأدبي الحديث لابد أن يستضيء في عمله بكل المناهج والدراسات السابقة ، إذ لا يكفي منهج واحد ولا دراسة واحدة لكي ينهض بعمله على الوجه الأكمل ... <sup>(٢)</sup> " ، وخلاصة القول في المقاربة ما بين منهج التذوق والاستنباط والمناهج البحثية الحديثة الأخرى ، أن المنهج التذوقي عند شاكر يتقاطع مع منهج الاستنباط تأطيراً وتطبيقاً، كما أن منهج التذوق يضم إلى جنباته العديد من أدوات المناهج البحثية الأخرى وأخص منها المناهج البحثية الأدبية .

(١) مناهج البحث الأدبي ليويسف خليف : ص ٤٧ .

(٢) البحث الأدبي ، طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره ، لشوقي ضيف ، و ص ١٤٤ ط ٧ ، عام ١٩٧٢ م ، لدار المعارف المصرية، ص ١٣٩ .

## مصادر المعرفة ومؤهلات الناقد (الدربة) :

إن امتلاك الذوق الأدبي وحده لا يكفي لإنتاج أحكام نقدية موضوعية معلة ، فربما أسهم وحده في إنتاج أحكام نقدية ساذجة وغير معلة تعتمد على الانطباع الشخصي الغير معلل ، مما يجعل هذه الأحكام المنتجة من الذوق الساذج ضعيفة القبول حتى وإن كانت صائبة ، بل ويجعلها وهي ناقدة عرضة للنقد لخلوها من التعليل والتحليل أو الموازنة والترجيح ، والدربة بعد ملكة الذوق هي ما يكفل للأديب الوصول إلى حقائق ونتائج نقدية تنجح إلى الصواب و تبعد غالباً عن مجانبته ، ولا تزال الدربة الحلقة المفقودة بين الناقد وبين ممارساته العلمية في النتاج الأدبي ، وهي تلك الحلقة التي تجعله مؤهلاً لإصدار أحكام نقدية علمية تتسم بالموضوعية والإنصاف والتأصيل العلمي ، ومحمود شاعر هو واحد من النقاد والأدباء الذين استودعهم الله ملكة الذوق الفطرية ، وقد أدرك ذلك في نفسه في سن مبكرة من عمره ، فعمد إلى تنميتها وصقلها والتدرب عليها ، حتى توصل بتلك الدربة إلى جعل الذوق نفسه منهجاً عرف به في الوسط الأدبي ، وكما أن محمود شاعر تحدث عن منهجه التذوقي ووضع أطره وملاحمه كما ذكرناه سابقاً ، فإنه قد تناول الحديث عن الدربة باعتبارها صنو الذوق وقسيمه ووجهه الآخر ، والواضح من خلال مسيرة محمود شاعر الأدبية التي غصت بها بعض البحوث والدراسات العلمية<sup>(١)</sup> أن الذوق فطرة ربانية اكتشفها في نفسه منذ طفولته ، وهي تلك الفطرة التي جعلته يحب الأدب العربي ويميل إليه ميلاً كبيراً على الرغم من حبه لبعض العلوم الأخرى ، والمستنتج من ذلك أن الذوق سابق للدربة ، وهذا التابع بين الذوق كأول والدربة كثنان يتابع منطقي غالباً ، إلا أن محمود شاعر وفي حديثه عن الدربة جعل التذوق نتاجاً للدربة وسبباً ناشئاً عنها ، وهذا لا يتصادم مع التابع المنطقي للذوق ثم للدربة ، فالتذوق لا يُجنح إليه ولا يوثق به إلا بعد الدربة ، والدربة لا ينشدها إلا من وجد في نفسه

---

(١) ينظر للفصل الأول من الدراسة العلمية : محمود مجد شاعر دراسة في حياته وشعره ، لأمني حاتم بسيسو ، وينظر للفصل الأول من الدراس العلمية : محمود مجد شاعر ، الرجل والمنهج ، لعمر حسن القيام ، وينظر لمهاد الدراسة العلمية : محمود مجد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفي ، وينظر للباب الأول من كتاب : ظل النديم ، لوجدان العلي .

(٢) ينظر لظل النديم لوجدان العلي ص : ١٠٠ ، حيث ذكر محمود شاعر عن نفسه أنه يحب الرياضيات منذ طفولته ، ولكنه أحب الأدب مع ذلك أكثر ، وقد قام المؤلف بنشر هذا اللقاء الإذاعي كاملاً في كتابه ابتداء من ص :

ذوقاً فطرياً يبتغي صقله وتنميته ورعايته ، وليبيان تأثير الدربة على التذوق عند محمود شاكر فلا بد من اقتصاص أهم ما قاله في الدربة على طوله ، يقول في ذلك بعد أن عرض رفضه لأكثر المناهج الأدبية والسياسية والاجتماعية والدينية ، وبعد أن قضى عشر سنوات منغمساً في تكوينه الأدبي والمعرفي منذ ربيع السبع عشر : " ويومئذ طويت كل نفسي على عزيمة ... ماضية : أن أبدأ وحيداً منفرداً ، رحلة طويلة .... بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كله ، أو ما وقع تحت يدي منه يومئذ على الأصح ، قراءة متأنية طويلة ... عند كل لفظ ومعنى ، كأني أقبليهما بعقلي ، وأروهما <sup>(١)</sup> .. بعقلي ، وأجسها جساً بصرى وبصيرتي ، ... ثم أتذوقها تذوقاً بعقلي وقلي وبصيرتي .... كأني أطلب فيها خبيئاً قد أخفاه الشاعر الماكر بفنه وبراعته ، وأتدسس إلى دفين قد سقط من الشاعر عفواً أو سهواً تحت نظم كلماته دون قصد منه أو تعمد أو إثارة <sup>(٢)</sup> " ، إذن فهي عشر سنوات أو تزيد قضاها محمود شاكر في تقليب أوراق ما وقع تحت يديه من الشعر العربي ، تلك الأعوام التباع وتلك القراءة الآنية للشعر العربي نفسه خلال تلك الأعوام كفلت له دربة عضدت ذوقه الفطري ، وقد كان طول تلك الأعوام والكثرة الكثيرة مما قرأه من شعر فيها مسوغاً لأن يقول " الشعر العربي كله " ، على الرغم من صعوبة ذلك وربما استحالة عليه وعلى غيره من العلماء ، وحينما أوجس في نفسه خيفة من صعوبة انتزاع إقرار من المتلقي بإحاطته بشعر العرب ، استثنى من (كله) ما (وقع تحت يده منه) <sup>(٣)</sup> ، فذوقه الذي رفض أغلب المناهج الأدبية في مقتبل شبابه هو الذي أسس حاجته للاطلاع والتوسع في عشرة أعوام خلون من

---

(١) فسر محمود شاكر أروهما بين معكوفين بقوله : (أي أزعجتهما مختبراً) ، وقد جرت عادته في مؤلفاته على نحو من ذلك عند استخدامه لمفردات يغلب على ظنه حاجتها لتفسير وبيان .

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : ص ٦ .

(٣) تواصلت مع وجدان العلي مؤلف كتاب ظل النديم ، - وهو كتاب ألفه في أوراق وأسمار محمود شاكر ، وساعده على تأليفه صلاته الوطيدة بعائلة محمود شاكر - ، وأفادني بأن رأى مكتبة محمود شاكر بعينه في منزله ، ووصفها بأنها مكتبة ضخمة ، اشتملت على أغلب كتب التراث العربي في مجالات اللغة العربية وعلم الأصول وعلم الحديث والتفاسير والسيرة النبوية وبعض الكتب المترجمة ، وذكر لي أن كل ما يريده الباحث من دواوين الشعراء في العصر الجاهلي والأموي والعباسي يجده في هذه المكتبة دون عناء ، وأن أغلب الكتب التي وقعت يد وجدان العلي عليها لم تسلم من تعليقات محمود شاكر الخطية وملاحظاته .

عمره، ونفس الحاجة لذلك الاطلاع والاستقراء هي ركيزة ذوقه وصقل موهبته النقدية ، مما جعله يتخذ من الذوق منطلقاً أولياً ومرجعاً نهائياً لإصدار أحكامه النقدية وآرائه الأدبية ، وهو من الأمور التي دفعته لأن يسمي منهجه تذوقاً ، وبالنظر إلى المسيرة الأدبية لشاكر التي صقلت فطرته الذوقية ومقايستها بما أفرزته من نتاج أدبي وحقائق علمية ، يتضح بأن هناك ضوابط ألحت عليه في تكوين محيط للدربة ، تلك الضوابط مجمعة استطاعت تكوين فكره الثقافي وأساسه المعرفية وسنحاول فيما يلي تجسس بعض تلك الضوابط وفق ما يأتي :

### ضوابط الدربة عند محمود شاكر : أولاً : الضابط الأخلاقي الديني :

الضابط الديني للأفق المعرفي عند محمود شاكر هو الأساس الذي قام عليه فكره وتكوينه العلمي ، وهو بحق الحد اللائق بين منهجه التذوقي والمناهج الأدبية والبحثية الحديثة ، فإذا كان المنهج الاستنباطي بمفهومه الحديث أقرب المناهج شبهاً بمنهج التذوق ، فإن الأول يطلق عنان الباحث للتبرؤ من الدين إذا تسبب الدين في إملاءات على فكر الباحث ؛ ولذلك اضطر طه حسين في كتابه المثير للجدل إعلان ذلك لإثبات تجرده التام ونبذه لكل قيد وشج كل انتماء حتى وإن كان بسبب من الدين ؛ فانتفاء الباحث - بحسب منهج طه حسين - لأي جهة لا يحقق النتائج البحثية الموثوقة ، وكسر هذا الانتماء حتى وإن كان دينياً هو ما يمكن الباحث من الشك - كعتبة أولى من عتبات المنهج الاستنباطي الحديث - في كل أمر حتى وإن كان دينياً ، ولم يتردد طه حسين في التصريح بذلك وهو ذات الأمر الذي ألب عليه أغلب علماء مصر في زمانه ومنهم محمود شاكر ، يقول طه حسين :

" يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها ، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به ، وأن ننسى ما يضاد هذا الدين ، يجب ألا ندعن إلا للمناهج البحث العلمي الصحيح ؛ ذلك أننا إذا لم ننس قوميتنا وديننا وما يتصل بهما فسنضطر إلى المحاباة وارتضاء العواطف ، وسنغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين " <sup>(١)</sup> ، فانتفاء الباحث هنا لقوميته العرقية وهويته الدينية ليست إلا أغلالاً يجب على الباحث الخلاص منها وكسر قيودها ، وستكون سببا في تحقيق نتائج علمية تقوم على المحاباة والعواطف .

---

(١) في الشعر الجاهلي لطلح حسين : ص ٢٤ .

ولعل التحلل من قيود الانتماء الديني والقومي عند طه حسين هو ما تسبب في جعل الهوية الدينية بل والهوية العربية أهم ضوابط الدربة الفكرية عند محمود شاكر ، فكما أن طه بدأ بفك أغلال الدين لتنفيذ مشروعه النقدي ، فإن محمود شاكر بدأ بوضع الدين الإسلامي أصلاً لمشروعه النقدي واتجاهه الأدبي ، فالدين عند محمود شاكر من الأصول البحثية التي لا تنفك عن دربة الباحث ولا بد أن تسري روح الدين عنده في البحث وشخصية الباحث على حد سواء ، وهي السبيل الأمثل لعصمة العقل من الزيغ والضلال ، ولم يتردد محمود شاكر في بيان تمسكه بالأصل الديني مقابل تنصل طه حسين منه ، بل وجعله بشكل صريح موازياً له ومقابلاً له ، الأمر الذي يثبت الأثر المضاد الذي أحدثه طه في فكر محمود شاكر ودربته الثقافية والذوقية ، يقول محمود شاكر في معرض ردوده على من يوازن بينه وبين أستاذه طه ويفتعل بينهما خصومة شخصية :

" ليس الأمر أمر خصومة ولكنه أمر خلاف بعيد الجذور ، يبلغ حد التباين الكامل في الأصول ... يفضي إلى تباين في كامل الآراء التي تنبع من هذه الأصول ... <sup>(١)</sup> فالخلاف لم ينشأ عن خصومة شخصية ولا خصومة أدبية فرعية على قضية معينة كقضية الشعر الجاهلي مثلاً ، بل الخلاف بين طه ومحمود بحسب الأخير خلاف يعود إلى الأصول التي تكون منها فكر الباحث ومنهجه ، فشاكر يصرح بأنه لم يكتب شيئاً كثيراً في نقد طه حسين بل كتب شيئاً على قلته : " كان يحمل في ثناياه وجوه التباين في الأصول ، وفي طريقة تناول الأدب والتاريخ وفي أسلوب تكوين التفاصيل التي تبني عليها الصورة التي يصورها الكاتب بقلمه وبيانه ، فمن أجل ذلك كان حكمي واضحاً صريحاً على كثير مما كتبه في التاريخ والأدب ككتابه (على هامش السيرة) وكتابه (الفتنة الكبرى) وسائر هذه الفصيلة وأنها بنيت بناء فاسداً كل الفساد بفساد التفاصيل التي أعدها ونظر فيها واستخرج منها مادته " <sup>(٢)</sup> ، فالأصل الديني الذي أقام عليه طه حسين دربته الثقافية والفكرية وألف به كتباً مثل كتاب ((على هامش السيرة)) و ((الفتنة الكبرى)) هو نفسه الأصل الذي اعتمد عليه في قضاياها الأدبية والنقدية ، وهو ذاته جوهر الخلاف الذي نشأ بينه وبين محمود شاكر ، وهو أيضاً ذاته الأساس غير القويم الذي التزمه طه بحسب شاكر وحاد عنه محمود شاكر رحمهما الله بحسب رؤيته .

---

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان : ج ٢، ص ١١٢٩ .

(٢) السابق نفسه .

وقد صرح محمود شاكر بأصالة الضابط الديني في حراكه العلمي والفكري ، وسماه (الأصل الأخلاقي) <sup>(١)</sup> ، واعتبر الأساس الذي يبنى عليه الهرم الثقافي عند الأمم ولا سيما العلماء ذلك الأصل الأخلاقي الذي تبلور في الدين ، "ورأس كل ثقافة هو الدين بمعناه العام والذي هو فطرة الإنسان ، - أي دين كان - أو ما كان في معنى الدين ، وبقدر شمول هذا الدين لكل لجميع ما يكبح جموح النفس الإنسانية ويحجزها عن أن تزيع عن الفطرة السوية العادلة " <sup>(٢)</sup>، وبرأ محمود شاكر سلطة العقل من التفرد بالقدرة على تكوين الإنسان لقواعد عقلية يسير عليها ابتداء من نفسه في الثقافة ؛ وذلك أن الأمر في ذلك متعلق بالإنسان ، والإنسان فيه من الطبائع والغرائز مقادير مختلفة لا يمكن ضبطها عند بني جنسه كافة على نسق واحد ، فالضابط لثقافة الإنسان لا ينبغي أن يكون هذا الموج المتلاطم المتصادم من الغرائز والطباع المتباينة ، ولا تستطيع تلك القواعد العقلية بناء على تباين الغرائز والطباع الإنسانية القيام بالعبء الثقافي وتكوين قواعد ضابطة صارمة للمعرفة الإنسانية ، "فالقواعد العقلية المجردة لا تكاد تقوم بهذا العبء كله ، بل العقائد وحدها هي صاحبة هذا السلطان على الإنسان ، لأنها إما أن تكون مغروزة في فطرته منذ خلق إنساناً ... وإما أن تكون مكتسبة ولكنها مُنَزَّلَةٌ مُنَزَّلَةً العقائد المغروزة فيه " <sup>(٣)</sup> ، ويستطاع القول بأن هذا الضابط الأخلاقي الديني الصارم الذي ارتضاه محمود شاكر ضابطاً لدربته ورحلته الثقافية والمعرفية ، كان يقتضي أثره من البيئة التي نشأ فيها وليداً ، فوالده ترقى في مجال عمله بسبب من أثر التدين إلى أن أصبح قاضياً لقضاة السودان ثم شيخاً لعلماء الإسكندرية ومؤسساً للمعهد الديني بها ، ثم وكيلاً للجامع الأزهر <sup>(٤)</sup> " وكانت داره مورداً كثير الزحام لعلية القوم والعلماء والأدباء ورجال الأزهر " <sup>(٥)</sup> ، و لا يخفى الأثر الذي تخلفه البيئة المكانية على النسيج الثقافي وطرائق التفكير والمصادر المعرفية عند الإنسان ، ولا سيما أن ذلك الأثر لم يحد عنه محمود شاكر ، ولم يتحول عنه إلى غيره.

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : ص ٣١.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق ص ٣٢-٣٣.

(٤) محمود مُجَدِّد شاكر دراسة في حياته وشعره لأمامي بسيسو : ص ١٩.

(٥) معالم هادئة على طريق سيرة عطرة للطاهر أحمد مكي ، مجلة الهلال العدد ٧٠ ، عدد فبراير ١٩٩٧م.

## ضوابط الدربة عند محمود شاكر : ثانياً : الضابط العرقي :

يكاد يكون الاحتفاظ بالهوية العربية عند محمود شاكر الإطار الشمولي الذي أدار عليه حراكه الثقافي وارتكز فكره قبل ذلك عليه ، فقد نشأت وتدرجت الدربة وتذوق الشعر خاصة عند محمود شاكر في مهد العلوم العربية بشتى مجالاتها وأقسامها ، وقد يكون من اللائق بمن يتدرب على نقد الشعر وتذوقه أن يخص نفسه بالاطلاع على كتب التراث والمعاصرة التي احتبكت على هذا الفن ، ويحيط بما فيها ولا يخرم من أصولها شيئاً متى ما أراد تمكين دربته ودرايته بالشعر العربي ، ولكن محمود شاكر قد أفضى به القلق المنهجي إلى مصادرة هوية الاطلاع المتخصص ، وارتقى به إلى المثاقفة التذوقية مع كتب التراث العربي في العديد من العلوم والمعارف ، وقد ألزم نفسه بهذا المنطلق الواسع تمكيناً لدربته وبغية منه للوصول إلى أعماق التذوق الشامل ، على اعتبار أن الدربة على تذوق الشعر تفضي بالباحث إلى تذوق كل كلام حتى لو لم يكن شعراً ، وبناء على هذا المنطلق الشمولي دلف محمود شاكر إلى كتب التراث العربي خاصة ، فتدرب على ما في كتب التفسير وعلوم القرآن لكرم والحديث الشريف ومصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل وكتب الفقه وأصوله ، وكتب الملل والنحل وكتب التاريخ ؛ ليتحسس ما فيها من تذوق واستنباط ، ومن هنا تدرجت الدربة عند محمود شاكر حتى استطاعته إلى تشكيل ملامح منهجه بعد قراءة واسعة واطلاع شامل ، بل وأسهمت هذه القراءات في تحقيقه لتفسير الطبري ، كمجهود علمي يضاف إليه في غير ما اشتهر به في مجالات الأدب والنقد ، وساعده ذلك على توظيفه هذه العلوم في خدمة هويته النقدية والأدبية ، فقد تمكن من علم الجرح والتعديل تمكناً لا تخطئه العين في قراءته وتعليقاته على طبقات فحول الشعراء مثلاً ، حيث أبطل نسبة كثير من الأبيات الشعرية والأقوال والأحكام إلى من نسبت إليه على أساس من ذلك التوظيف ، وقد أقر محمود شاكر بأثر هذا الاطلاع الواسع الشمولي على دربته وتكوين ملامح منهجه الأدبي ، بل واعتبره ضرورة ألحت عليه ونازعتها عليه همته ونفسه حتى تأتى له مراده ، يقول في ذلك :

" ... فأخذت أهبطي لتطبيق هذا التذوق على كل كلام .. فأقدمت ... على قراءة كل ما يقع تحت يدي من كتب أسلافنا : من تفسير لكتاب الله إلى علوم القرآن على اختلافها إلى دواوين الحديث وكتب الرجال والجرح والتعديل إلى كتب ... الفقه إلى كتب أصول الفقه وأصول الدين ... وكتب الملل والنحل ثم كتب الأدب

وكتب البلاغة وكتب النحو وكتب اللغة وكتب التاريخ وما شئت بعد ذلك من أبواب العلم ... كل إرث آبائي وأجدادي كنت أقرؤه على أنه إبانة منهم عن خبايا أنسهم بلغتهم ، على اختلاف أنظارهم وأفكارهم ومناهجهم ، وشيئاً فشيئاً انفتح لي الباب على مصراعيه فرأيت عجباً من العجب ..... " (١).

وقد ألّف محمود شاكر رسالته في الطريق إلى ثقافتنا على أساس من ضابط النزعة العرقية ، فهو لم يستطع أن يكتف في هذا المؤلف تحديداً تعصبه لهوية ثقافته العربية التي نشأ فيها فكره وتدرجت فيها دربته ، فقد حاول هذا الكتاب أن يرصد ملامح محاولات مصادرة الهوية الثقافية العربية ، مشدداً على أن الثقافة بمفهومها العام لا بد وأن يتحقق فيها الإيمان بها أولاً عقلاً وقلباً ، ثم العمل بها ثم الانتماء إليها<sup>(٢)</sup> ، وقد عمد إلى هذه الشروط ليقوي ربط القارئ بالثقافة العربية كما هي قوية عنده ، وليخرج بذلك محاولات من يسميهم دائماً في هذا الكتاب بالأعاجم المستشرقين من أصالة الهوية العربية ؛ لينفي عنهم تمكنهم من العلوم والثقافة العربية ، فهم وإن كانوا يعلمون طرفاً منها فإنهم لا ينتمون لها ؛ فهم لذلك غير مؤهلين لترقي منابر الإفتاء في كل ما يتعلق بثقافتنا العربية الخالصة ، هذه الثقافة التي يرى أنه قد طالتها محاولات باغية لهدم أركانها والقبض على مقدراتها، حيث يرى أنها تعرضت لمحاولات إفساد متكررة على يد الأوروبيين الذين لم يدخروا جهداً في ذلك ، حتى انتهوا بها إلى ما يقارب الفساد والكساد، يقول محمود شاكر في ذلك مبيناً سبب فساد الثقافة العربية :

" وذلك لأن الفساد لم يدخل على ثقافتنا دخولاً يوشك أن يطمس معالمها ويطفئ أنوارها إلا بعد التصادم المخيف الذي حدث بيننا وبين الثقافة الأوروبية الحاضرة " (٣) الأمر الذي جعله يصف الحياة الأدبية بالحياة الأدبية الفاسدة في مواضع متفرقة من هذه الرسالة<sup>(٤)</sup> .

لقد سعى شاكر في هذه الرسالة سعياً حثيثاً لمحاولة إقناع القارئ بأن ثقافته العربية ثقافة أصيلة يجب عليه وعلى

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر : ص ٧-٨.

(٢) السابق ص : ٢٨ .

(٣) السابق ص : ٣٤ .

(٤) ينظر في ذلك للمرجع السابق ص : ٦ و ٣٤ .



التمسك بها والاهتداء إليها ، والقارئ يستطيع أن يلحظ في هذه الرسالة بكل سهوله غير شاعر على ثقافته العربية الخالصة التي تكفي وحدها لأن تمثل الهرم الفكري والبناء المعرفي لكل عربي ، وأن الثقافة الأوربية حاولت هدم هذه الثقافة وتقويض بنائها ، وقد حدا به ذلك إلى ربط الاستعمار والاستشراق والتبشير برابط واحد وغاية محددة وهي النيل من الثقافة العربية ومحاولة اجتثاثها ، فإذا كان من يقول بأن لكل واحد من هذه الثلاثة غاية فإن محمود شاكر يرى أن غايتها هي السيطرة الثقافية على ثقافة المسلمين وعلومهم العربية ، يقول شاكر معللاً سبب اهتمامه بالاستشراق في رسالة في الطريق إلى ثقافتنا رغم ارتباطه الوثيق بالاستعمار والتبشير :

" ولكن ههنا مصروف إلى الاستشراق لعلاقته الحميمة بفساد حياتنا الأدبية والاجتماعية ، ولأن حاجة التبشير والاستعمار حاجة ملحة .... لا يستغنيان عنه ولا عن نصائحه وإرشاداته وملاحظاته طرفة عين ، ومرة أخرى لا تنس ماحييت أن هذه الثلاثة إخوة أعيان لأب واحد وأم واحدة لا تفرق قط بين أحد منهم .." (١)

حتى رأى شاكر أن الاستشراق " نجح في تحقيق هدفه كل النجاح واستطاع أن يدرج الإسلام وشرائعه وثقافته وحضارته في مستنقع القرون الوسطى " (٢) ، وكل ما يمكن قوله أن الاستشراق عند محمود شاكر كان غالبه معول هدم في الثقافة العربية الإسلامية .

والحق أن الاستشراق كان كما عده شاكر وأشد ، فقد عرّفه المفكر إدوارد سعيد بأنه : " المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق ؛ التعامل معه بإصدار تقارير حول ، وإجازة الآراء فيه وإقرارها ، وبوصفه ، وتدريبه ، والاستقرار فيه ، وحكمه ، وبإيجاز ؛ الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق ، وامتلاك السيادة عليه ، وهو الفرع المنظم تنظيمياً عالمياً الذي استطاعت الثقافة الغربية من طريقه أن تتدبّر الشرق ؟ بل حتى أن تنتجته ؟ سياسياً ، واجتماعياً ، وعسكرياً ، وعقائدياً ، وعلمياً ، وتخليياً ، في مرحلة ما بعد عصر التنوير " (٣) ولكن محمود

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : ص ٤٩-٥٠ .

(٢) السابق ص : ٦٠

(٣) تعقيبات على الاستشراق إدوارد سعيد ،: ترجمة وتحرير صبحي حديدي ط١ ، عام ١٩٩٦م ، للمؤسسة العربية

للدراسات والنشر بيروت ، ص ١١٢-١١٣ .

شاكر في هذه الرسالة وغيرها تغاضى كثيراً عن الجهود التي قدمها المستشرقون في خدمة الثقافة العربية خصوصاً والإسلامية بشكل عام ، فمما لا يخفى أن الاستشراق قد أسهم بفاعلية في إدكاء روح البحث والتنظيم المنهجي في الثقافة العربية مع ما عليه من مأخذ ونوايا سيئة ، فقد ساعد الاستشراق على تنظيم التدريس الجامعي في البلاد العربية فيما يخص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، كما قام بجمع المخطوطات حتى قام بعضهم بفهرستها في عشر مجلدات في مكتبة برلين للمخطوطات ، حيث بلغت المخطوطات المفهرسة أكثر من عشرة آلاف مخطوطة ، بل تجاوزت جهودهم حفظ المخطوطات إلى تحقيقها ونشرها ؛ فقد نشر المستشرقون العديد من المخطوطات العربية مثل سيرة ابن هشام والإتقان للسيوطي وكتاب سيبويه والاشتقاق ومعجم الأدباء والكمال للمبرد والجمهرة وغيرها ، أما الترجمة فقد ترجم المستشرقون العديد من الكتب العربية كتاريخ الطبري وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، كما كانت لهم مشاريع علمية كبيرة وهامة جداً لا زالت معيناً للباحثين حتى اليوم ، كتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ودائرة المعارف الإسلامية والمعجم المفهرس للألفاظ الحديث الشريف<sup>(١)</sup> ، وفي مجال اللغة العربية والأدب العربي تحديداً سطعت أسماء بعض المستشرقين وأسهمت في إثراء المكتبة العربية ، كنشر مرجليوث لكتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، ورسائل أبي العلاء المعري ومقالته الشهيرة في الانتحال ، والعالم المستشرق الشهير فرايتاج الذي اهتم بالشعر العربي وبخاصة التعليقات وحقق ونشر بعض الشعر الإسلامي ، وشارك في نشر كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، وكذلك المستشرق هيلموت ريتز الذي حقق أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني<sup>(٢)</sup> ، وغيرهم ممن ليس هذا البحث في صدد حصره ، ولكن ماتم استدعاؤه من الأسماء يكفل بأن يذكر لهم محمود شاكر في هذه الرسالة بعضاً من المزايا والإنجائيات التي سكبته جهودهم على الثقافة العربية والإسلامية ، إلا أن التعصب للثقافة العربية ولهويتها المصادرة هو في حقيقة الأمر ما منعه من الإدلاء بشهادة واضحة ذات حيز تحفظ شيئاً من حق هؤلاء المستشرقين ، وإذا فعل شيئاً من ذلك فعلة على عجل وعلى تخصيص لا تعميم ، فإذا أعجب بفكرة لعالم أوروبي

---

(١) ينظر للفصل الأول من : كتاب الإسلام والاستشراق لمحمود حمدي زقزوق ، ط ١ ، عام ١٤٠٤ هـ مكتبة وهبة بالقاهرة .

(٢) ينظر في جهود المستشرقين للمبحث الأول كاملاً من كتاب : الاستشراق في الأدبيات العربية لعلي النملة ، ط ١ ، عام ١٤١٤ هـ ، لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، وفيه نبذة عن حياة كل من ذكرهم هنا.

أو لمستشرق قام بتسجيل إعجابه به مربوطاً فقط بما استدعاه له ذلك الإعجاب فقط مبتوراً عن جهوده الأخرى ، وليس أدل على ذلك من شهادته للعالم (جوته) في كتابه نمط صعب ونمط مخيف ، ويكفي أن يذكر في ذلك أنه أورد ذكره في هذا الكتاب أكثر من ثلاثين مرة ، كان فيها جوته : " شاعر عظيم في لسان قومه ولغته الألمانية في الذروة من الحسن والجمال <sup>(١)</sup>" ، إلا أن جوته نفسه الشاعر العظيم المتمكن في لسان قومه والذي ترجم قصيدة إن بالشعب الذي دون سلع التي دار عليها كتاب نمط صعب هو صاحب " ترجمة هابطة من قلة الإحكام إلى حضيض التفكيك .. <sup>(٢)</sup>" لهذه القصيدة ؛ لا لشي إلا لأنه التزم التزاماً شديداً بألفاظ اللغة العربية التزاماً برأه من التعاطي مع اللغة الشعرية في هذه القصيدة ، وحينما تنبه جوته إلى (تشعيت الأزمنة <sup>(٣)</sup>) في هذه القصيدة فإنه عند شاكر قد " نفذ بتوتره وتوقده إلى عمق لا بأس به من الإحساس بشيء لا عهد له بمثله وحسبه هذا من الفضيلة ... <sup>(٤)</sup>" ، إلا أن النفوذ والتوقد الذي أوصل جوته إلى هذا التشعيت الذي هو حسبه من الفضيلة والنبوغ كونه أعجيباً هو ذاته (خبط عشواء <sup>(٥)</sup>) ، وجوته نفسه صاحب هذا التوقد والنفوذ وصاحب خبط عشواء التشعيت الزمني ، غريب منه أن هدم فضيلة قبضه على التشعيت التي حسبها له محمود وكفاه بها فضلاً ؛ وذلك أنه قام بإعادة ترتيب القصيدة على الرغم من أنه جعل هذا التشعيت سر روعة القصيدة ، فقد " انزلق إلى التناقض حين اقترح لها ترتيباً ينسف هذا التشعيت الذي فرح به نفساً ... وهذا غريب جداً من مثله ... <sup>(٦)</sup>" إذن هي مجموعة من الأحكام المتقابلة المتعلقة بشخصية واحدة ، رابطها الوحيد

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر ص : ٣٥.

(٢) السابق ص : ٢٣٤.

(٣) فسر محمود شاكر تشعيت الأزمنة في القصيدة بقوله : " أعني تشعيت أزمنة الأحداث ، ثم تشعيت أزمنة التغني بالتقديم والتأخير والتفريق والجمع " نمط صعب ص : ٢٤٠ ، والمراد : أن شاكر أراد تبرئة الشاعر من إرادته قص قصة في هذه القصيدة ، لأن القصة ترتبط بالأحداث الزمنية المتسلسلة ، والقصيدة فيها تشعيت زمني أي ليست متسلسلة زمنياً بما يتواءم مع طبيعة فن القصة.

(٤) نمط صعب ونمط مخيف ص : ٢٤٠.

(٥) السابق ص : ٢٤١.

(٦) السابق ص : ٢٤١.

أنها صادرة عن محمود شاعر الذي لا يرى جوته إلا أعجيباً ، ولا يراه محسناً إلا في نطاق ضيق إلى أبعد الحد حينما يتعلق الأمر بالثقافة العربية التي هو دخیل عليها ، أما إذا تعلق الأمر بثقافة جوته العرقية فهو شاعر عظیم في بني قومه ، وينبغي بحسب محمود شاعر ألا ننازعه أمراً يختص بلسان قومه وشعره كما أنه لا ينبغي أن ينازعنا في لساننا وشعرنا وثقافتنا العربية الخالصة ؛ ولذلك يرى شاعر أن الباحث العربي مطالب ألا يسلم عقله للمستشرقين حينما يتناولون الثقافة العربية خصوصاً حتى ولو تناولوها بشكل جيد ومنظم وألا يثقوا في قدراتهم العلمية من جهة عجمتهم ، وذلك أن الباحثين العرب " أدري بأساليب هؤلاء الأعاجم الذين اتخذوا العربية عملاً من أعمالهم من أن نخالفهم في الجيد من مذاهبهم ، فتحرير النص ومراجعته على كل النسخ ... عمل ضروري لكل باحث ، ولكن هؤلاء الأعاجم تعقد بهم سلاقتهم عن معرفة أسرار العربية <sup>(١)</sup> " .

ومع هذه الدعوة الصارخة بعدم الثقة في الناتج العلمي الجيد المنظم من المستشرقين إلا بعد المراجعة والتمحيص ، يشهد محمود شاعر لهم بالأمانة العلمية المشكورة حينما تعقد بالمستشرقين ألسنتهم عن أسرار العربية ، فهم حينما يصلون إلى تلك العقدة ويختلط عليهم الأمر ويعجزون عن بيان اللغة العربية ، " كان من أمانتهم أن يتوقفوا فلا يقطعون برأي في صواب أو خطأ ، وهي أمانة مشكورة لهم <sup>(٢)</sup> " .

على أن القول بأن ضابط النزعة العرقية يلح إلحاحاً شديداً على شخصية محمود شاعر ، وعلى أن القول بأن رسالته في الطريق إلى ثقافتنا بشكل خاص قد أظهر فيها حقناً ، وضاق فيها ذرعاً فيها بالأعيب المستشرقين في ثقافته العربية التي تدرب عليها ، فإن ذلك لا يبطل القول بأن شيئاً من دربه قد نالها تأثير من غير الثقافة العربية ، ويتضح ذلك بجلاء في أمرين :

أولهما : تلك العلاقة العلمية بل والاجتماعية الوطيدة التي ربطته بواحد من كبار المستشرقين ، وذلك أن شاعر حينما يبس الثرى بينه وبين أستاذه طه حسين في الجامعة وتقرر للأول منهما ترك الجامعة بل وترك مصر كلها والسفر إلى الحجاز في المملكة العربية السعودية ، زاره بعض أساتذته الجامعيين يريدون منه العدول عن قراره

---

(١) جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان : ج ١ ، ص ١١٩ .

(٢) السابق : ج ١ ، ص ١١٩ .

المتمثل في ترك الجامعة ، وكان من بينهم أستاذه نلّينو<sup>(١)</sup> الذي كان حريصاً على أن يواصل محمود شاعر دراسته الجامعية<sup>(٢)</sup>، لا لشيء إلا لتلك العلاقة الوطيدة التي كانت تربطهما ببعضهما البعض ولا سيما العلاقة العلمية، فقد كان محمود شاعر مهتماً بتدوين محاضرات نلّينو التي كان يلقيها في الجامعة عن تاريخ اليمن تحديداً<sup>(٣)</sup> ، وبعد أن قام بتلخيص هذه المحاضرات تولى نشرها في مجلة الزهراء<sup>(٤)</sup> ، ويرى الدكتور إبراهيم الكوفحي أن سبب توطد العلاقة الاجتماعية بين محمود شاعر وأستاذه المستشرق نلّينو كثرة اللقاء ما بينهما بسبب من تمحيص وفحص تلخيصات شاعر لمحاضرات أستاذه نلّينو قبل نشرها ، فكان الأخير " حريصاً جداً على تلميذه يديه منه ويجوّه برعايته وعنايته حتى إذا ما احتدم الخلاف بينه وبين أستاذه طه حسين .... كان نلّينو في طليعة الساعين للصلح بينهما ومنع محمود من السفر وإقناعه بأن يعود إلى الجامعة ، وإن كانت جهوده ... قد ذهبت أدراج الرياح<sup>(٥)</sup>" ، وبناء على هذه العلاقة العلمية والاجتماعية يمكن القول بأن شيئاً من درية محمود شاعر العلمية قد صقلت على يد أستاذه نلّينو المستشرق الإيطالي ، لا سيما وأن الاتصال العلمي بينهما كان في عنفوان شباب شاعر ، وفي مرحلة دراسته الجامعية التي تُعد بحق المرحلة الأهم في تاريخ محمود شاعر وتنشئته الأدبية ودربته العلمية ، إلا أن هذا الأثر الإيجابي لهذا المستشرق في شخصية محمود شاعر لم يكن قادراً على

(١) مستشرق إيطالي (١٢٨٨ - ١٣٥٧ هـ) غزير العلم بالجغرافية والفلك عند العرب ، كان عارفاً بالإسلام ومذاهبه، كثير التتبع لتاريخ اليمن القديم وخطوطه ولهجاته ، ودّرس العربية في المعهد الشرقي بنابولي سنة ١٨٩٤ - ١٩٠٢ ودُعي إلى مصر سنة ١٩٠٩ فألقى في جامعتها محاضرات بالعربية جُمعت خلاصاتها في كتاب سمي " علم الفلك، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، ودّرس " تاريخ اليمن " في كلية الآداب بمصر، في شتاء أربعة أعوام ١٩٢٧ - ١٩٣١ وكان من أعضاء المجمع العلمي الإيطالي (سنة ١٩٣٢) والمجمع اللغوي بمصر (سنة ١٩٣٣) له كتب وأبحاث كثيرة، بالإيطالية ، ينظر الأعلام لخير الدين الزركلي : ط ١٥، عام ٢٠٠٢م، لدار العلم للملايين، ج ٥، ص ٢١٣.

(٢) ينظر لمحمود مُجد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم الكوفحي : ص ٥٠.

(٣) نشر محمود شاعر ملخصات نلّينو في جزأين : أولها تحت عنوان (رواد اليمن من الأوربيين) مجلة الزهراء ، المجلد ٣، عدد شعبان ، لعام ١٣٤٥ هـ ، ص ٥٠٢-٥٠٩، والجزء الثاني بعنوان : المشتغلون بدراسة الآثار اليمنية ، مجلة الزهراء ، المجلد ٣، عدد رمضان ، ١٣٤٥ هـ ، ص ٥٦٢-٥٦٨.

(٤) محمود مُجد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم الكوفحي : ص ٥٢.

كبح جماح هجومه على المستشرقين ، ولم يكن شافعاً حتى للبعض منهم ممن كان لهم الأثر في نفسه شخصياً وفي تكوينه العلمي ، ومع تلك العلاقة الوطيدة التي كانت تربط التلميذ بأستاذه والتي كانت تؤهل أحدهما أن يقترح على الآخر ما يقترحه الصديق الحميم لصديقه ، إلا أن النزعة العرقية وكره المستعمر صفة لازمة في شخصية محمود شاعر لا تنفك عنه ، فقد يكون من المنتظر أن يستجيب محمود شاعر لبعض من مطالب أستاذه نلّينو واقتراحاته في أوج العلاقة بينهما ، إلا أن شاعر رفض وبصرامة متناهية طلباً لأستاذه وهما في بداية تدوين المحاضرات التي أشرنا لها آنفاً ، فحينما قدم نلّينو عرضاً على شاعر بأن يأتي لإيطاليا ليكون أستاذ كرسي الأدب في جامعته ، وليجد من طلابها وأساتذتها التقدير والاحترام مما لم يجده في مصر ، حينها نظر إليه التلميذ قائلاً : " أنا لا أدخل بلادكم إلا غازياً <sup>(١)</sup> " ، وهذا الرد يعكس الحالة النفسية التي كانت تسيطر على محمود شاعر تجاه الآخر الغربي ، الذين دخلوا البلاد العربية واستعمروها ثقافياً وعسكرياً ، وهذا ما يفسر لنا بوضوح تلك اللغة العنيفة التي لهج بها بوح رسالته في الطريق إلى ثقافتنا ، وتضمنتها بعض من مؤلفاته الأخرى ، وخلاصة ما يقال في هذا أن دربة محمود شاعر وإن كانت عربية خالصة متعصبة لثقافة لسان قومه وعرقهم وثائرة على المستشرقين ، فإن هذه الدربة لم تخل من التأثير بهم والجنوح إليهم في فترة من الفترات كتأثره بنليو ، وأكاد أصل بالشك إلى اليقين أن منهج محمود شاعر الذي كان يعتمد اعتماداً واضحاً على مزيج من المناهج ومن بينها المنهج التاريخي ، كان أساس تنميته لديه وتدريبه عليه على يد نلّينو الذي اهتم شاعر بتدوين ونشر محاضراته عن تاريخ اليمن في أهم مراحل تكوينه العلمي ، ويبدو هذا الأثر واضحاً في أهم كتب محمود شاعر (المتنبى) و (نمط صعب ونمط مخيف) ، فقد كانت المعالجة التاريخية سبباً واضحاً فيهما ونهجاً قائماً برأسه.

ثانيهما : من أهم المؤثرات على الثقافة عموماً والدربة خصوصاً عند محمود شاعر تمكنه من بعض اللغات الأجنبية ، وإقدامه بناءً على هذا التمكن على ترجمة ما يجيد من هذه اللغات إلى اللغة العربية من جهة ، ومن جهة أخرى كان الإمام عنده بهذه اللغات سبباً لإطلاق بعض الأحكام النقدية حينما تطال ألسنة هذه اللغات الثقافة الأدبية العربية ، أما ما يخص الترجمة فقد كان محمود شاعر محباً للغة الإنجليزية منذ صغره ، ومن

(١) ظل النديم لوجدان العلي : ص ٢٠.

العجيب حقاً أن شاعر كان يميل في صغره للغة الإنجليزية وقد فاق اهتمامه بها لغته العربية ، وقد أرجع محمود شاعر نفسه ذلك لنظام التعليم المصري العام الذي كان في عصره ، والذي كان يعتمد إلى إضعاف الطلاب في العربية وتمكينهم من اللغة الإنجليزية ، باعتبارها اللغة العالمية التي تقوم بها الحضارة وتتأسس بها الثقافة العالمية ، ومن الأعجب من ميله للغة الإنجليزية في صغره أن كان ضعيفاً في دراسته الابتدائية في اللغة العربية حتى أخفق بسبب من ذلك في السنة الرابعة ؛ فأعادها فملاً من الدروس المعادة فتوجه بعدها للأزهر ، "فارتد إليه قدر كبير من إحساسه بالعربية وبدأت أنغام الشعر تتردد في جوانحه ولكن التنازع المر بين العربية والإنجليزية ظل قائماً في نفسه" <sup>(١)</sup> ، وعلى إثر ذلك وصل إلى المرحلة الثانوية فتمكن من اللغة الإنجليزية تمكناً بلغ حد الإتقان قراءة وتحديثاً وترجمة وكتابة <sup>(٢)</sup> ، فاستطاع بذلك أن يترجم عدداً من الأعمال الأدبية الإنجليزية إلى اللغة العربية ، وقام بنشر تلك الترجمات في مجلة المقتطف <sup>(٣)</sup> ، ومنها :

• قصيدة (صاحب المسحاة) لأدوين ماركهام . <sup>(٤)</sup>

• قصيدة (القارئ يناجي شاعره) لريتشارد لاغالين . <sup>(٥)</sup>

• قصيدة (رحمة الله عليها) لأوسكار وايلد . <sup>(٦)</sup>

وقد كانت إجادته للغة الإنجليزية خصوصاً نقطة تحول هامة لا يمكن إغفالها في الدربة العلمية عنده ، فقد

---

(١) ينظر في ذلك محمود مُجَّد شاعر الرجل والمنهج لعمر القيام : ص ٣٨-٣٩ .

(٢) ذكر ذلك الدكتور إبراهيم الكوفحي نقلاً عن الدكتور إحسان عباس ، ينظر محمود مُجَّد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم الكوفحي : ص ٣٤ .

(٣) ينظر ل محمود مُجَّد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم الكوفحي : ص ٣٤ .

(٤) مجلة المقتطف : المجلد ٨٤ ، عدد إبريل عام ١٩٣٤م ، ص : ٤٩٤-٤٩٥ .

(٥) مجلة المقتطف : المجلد ٨٥ ، عدد نوفمبر عام ١٩٣٤م ، ص : ٣٥٥ .

(٦) مجلة المقتطف : المجلد ٨٥ ، عدد ديسمبر عام ١٩٣٤م ، ص : ٥٠٤ .

تمكن معها من الوصول لبعض الحقائق العلمية التي ضج بها عصره ، ومن ذلك قضيته الكبرى وهمه العظيم (الشعر الجاهلي) وما يتعلق بصحته ، فحينما أثار طه حسين قضية صحة الشعر الجاهلي لم يتردد محمود شاكر في محاجته واتهامه مباشرة بالسطو المجرد على مقالة مرجليوث الشهيرة التي شك بها في صحة الشعر الجاهلي<sup>(١)</sup> ، بل وصل بمحمود شاكر إتقانه للغة الإنجليزية أن منح نفسه ثقة مقارعة مرجليوث نفسه أدبيا في الشعر الإنجليزي نفسه وتلعبه بنشأته ، حيث ذكر عبد الرحمن بدوي عن محمود شاكر قوله في مقالة نشرتها مجلة الجمعية الآسيوية الملكية :

" أنا لاشك أعرف من الإنجليزية فوق ما يعرفه هذا الأعجم من العربية أضعافاً مضاعفة ، بل ما فوق ما يمكن أن يعرفه منها إلى أن يبلغ أرذل العمر ، وأستطيع أن أتلعب بنشأة الشعر الإنجليزي منذ سوشر إلى يومنا هذا تلعباً هو أفضل في العقل من كل ما يدخل في طاقته أن يكتبه عن الشعر العربي "<sup>(٢)</sup> .

ولم تقتصر معرفة محمود شاكر بمعرفة اللسان الإنجليزي وإتقانه ، بل ذكر محمود شاكر عن نفسه في نمط صعب ونمط مخيف تحديداً أنه كان يعرف اللغة الألمانية عن طريق صديق له سويسري ألماني يدعى روبرت ران ، يقول

---

(١) ينظر لشيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود مُجد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق لمحمود إبراهيم الرضواني : ص ١٩ ، وينظر لمحمود مُجد شاكر الرجل والمنهج ص ٤٧ ، وينظر محمود مُجد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم الكوفحي : ص ٤٦ ، ويدل اتهام محمود شاكر المباشر لأستاذه طه حسين بالسطو على مقالة مرجليوث وأن كلامه في صحة الشعر الجاهلي لا يعدو إلا أن يكون حاشية لتلك المقالة ، يدل على أن محمود شاكر قد اطلع على هذه المقالة اطلاعا سابقا على الأقل يسبق إدعاء طه حسين ، ومعنى ذلك أن اطلاع شاكر على هذه المقالة قد يكون في مرحلة دراسته الجامعية ، والقول بأن محمود شاكر قد اطلع عليها بعد تركه الجامعة وهجرته للمملكة العربية السعودية قول يتناقض مع الواقع الذي أنكر به شاكر على أستاذه ما أنكر ، وقد وجدت في دراسة ( محمود مُجد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق لمحمود إبراهيم الرضواني ) مانصه عن محمود شاكر ( ص ٢١ ) : " ... وكان يتردد على دار المطبعة السلفية ، وهناك تعرف بالأستاذ أحمد تيمور شاكر باشا ، وتكررت جلساتهما هناك ، وعن طريقه قرأ مقالة مرجليوث عن الشعر الجاهلي " .

(٢) ينظر دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي لعبد الرحمن بدوي باب (نشأة الشعر العربي) ، ، ط ٢ ، عام ١٩٨٦ م ، لدار العلم للملايين ، ص : ٨٧ وما بعدها.



محمود شاكر في ذلك :

"وقد كان من سؤالف الأفضية ، أن سولت نفسي وأنا في صدر شبابي أن أتعلم الألمانية من صديق سويسري ألماني أعلمه العربية هو الدكتور (روبرت ران) ، فلما مضى دهر أعلمه ويعلمني أهداني الديوان الشرقي وزين لي أن نقرأ معاً ، فكان مما قرأناه معا هذه القصيدة العربية التي ترجمها جوته إلى الألمانية ، وعلمت يومئذ أن جوته لم يزد على أن ترجم ولم يأت فيها بجديد وأنه وقع في أخطاء ...."<sup>(١)</sup> .

وهذا الكلام يعكس مدى الفائدة التي تحققت لمحمود شاكر بمعرفة اللغة الألمانية وأثرها الوافر الجم على دربته ومعرفته ، والحق أن العصر الذي عاش فيه محمود شاكر كان ملحاً عليه أن يجيد بعضا من اللغات الأجنبية ، لاسيما تلك التي لامست مشروعه النقدي والعلمي في الشعر الجاهلي ، فقد ضج عصره بالعديد من القضايا التي أثارها علماء الغرب في الأدب العربي ، بل تجاوزت القضايا إلى المناهج العلمية الحديثة التي ينبغي أن يدرس بواسطتها الأدب العربي ، والتي تمخض عنها العديد والعديد من المعارك النقدية والأدبية التي أقامها شاكر مع العديد من رموز الأدب العربي في عصره ، ومن المعقول جدا أن تتسبب عولمة الأدب في الرغبة إلى تعلم اللغات الأخرى سواء كان ذلك التعلم ممنهجاً أو ذاتياً بدائياً ، وقد كانت معرفة محمود شاكر باللغتين الإنجليزية والألمانية تحديداً من حسن الطالع والخط الباسم ، فقد أسهمت معرفته بهما في تكوين أرائه النقدية الخاصة به تجاه القضايا التي أثارها علماء من يتكلمون بتلك اللغات ، فتسببت تلك المعرفة بزيادة قدراته الإبداعية النقدية، وأتاحت له الفرصة لمقابلة بعض المستشرقين والاستفادة من خبراتهم كما سبق ذكره آنفاً ، كما أن تلك المعرفة فتحت له آفاقاً جديدة في صناعة منهجه النقدي الخاص به ، وزادت فرصه للظهور بشخصية نقدية ذات طابع مميز وفريد ، ويمكن الاطمئنان إلى القول بأن معرفة محمود شاكر بالترجمة وحبه للرياضيات منذ صغره قد ساعدا وبشكل فاعل في تميزه وتكوينه العلمي والمنهجي ، وأتاهما العلامتان الفارقتان في تعاطي محمود شاكر مع القضايا النقدية والأدبية التي أثرت في عصره ، إلا أن هناك ما يجدر التنبيه إليه في مجال سعة علم محمود باللغتين الإنجليزية والألمانية ، وهو أنه مع هذا الإتقان لا نكاد نرى تحبيراً له في كتبه ومؤلفاته بحروف هذه اللغات حتى على مستوى المصطلحات بل وعلى مستوى الأعلام ، فمتى ما أراد منه السياق التصريح باسم

---

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر ص : ٣٥ .

عالم من علماء الغرب تجده يكتب اسمه بالحروف العربية ، ويأتي هذا في إطار النزعة العرقية والتعصب للهوية العربية التي تكاد تكون طابعاً مميزاً لشخصيته ، ولم يقف الأمر على ذلك فحسب بل تجاوزه إلى عدم تحدّثه باللغات الأخرى اعتزازاً بالعربية ، ومن طريف ذلك أنه سافر إلى بريطانيا ترافقه ابنته زلفى وهو كبير في سنه ، فتحدّث إليه طبيب بالإنجليزية وشاكر يتقن أن يحدثه بالإنجليزية كأهلها ، ومع ذلك فقد جعل بينه وبين ذلك الطبيب مترجماً يترجم عن شاكر حديثه بالعربية إلى الطبيب ، فقد استمسك بلسانه العربي مع قدرته وحاجته للتخاطب مع ذلك الطبيب ، ولم يكن ذلك منه إلا اعتزازاً بلغته العربية ، وتعصبا لهويته الثقافية والعرقية<sup>(١)</sup>.

### ضوابط الدربة عند محمود شاكر : ثالثاً : الضابط المنهجي :

حينما تعرض محمود شاكر لمحنة صحة الشعر الجاهلي ورمي بها من أستاذه طه حسين في مقتل فكري ، حمل نفسه إلى رحلة ثقافية بعيدة المدى ، منشؤها تطبيق منهج التذوق الذي اختطه لنفسه منهجاً ليطبقه على كل كلام ، فوصف نفسه عند تأهبه لهذه الرحلة العلمية بقوله : " فأقدمت ... على قراءة كل ما يقع تحت يدي من كتب أسلافنا : من تفسير لكتاب الله إلى علوم القرآن على اختلافها إلى دواوين الحديث وكتب الرجال والجرح والتعديل إلى كتب ... الفقه إلى كتب أصول الفقه وأصول الدين ... وكتب الملل والنحل ثم كتب الأدب وكتب البلاغة وكتب النحو وكتب اللغة وكتب التاريخ وما شئت بعد ذلك من أبواب العلم ... كل أرث آبائي وأجدادي كنت أقرؤه على أنه إبانة منهم عن خبايا أنفسهم بلغتهم ، على اختلاف أنظارتهم وأفكارهم ومنهجهم ، وشيئاً فشيئاً انفتح لي الباب على مصراعيه فرأيت عجباً من العجب ..... " (١) ، ويهمننا من ذلك تحديد اطلاعنا على دواوين الحديث وكتب الرجال والجرح والتعديل المتعلقة بالحديث النبوي ، فعلماء المسلمين في روايتهم للسنة النبوية قد اصطنعوا لها القوائم وابتكروا السند والإسناد وهي أمور ظهرت أهميتها بين أمم الدنيا كأشياء لها قيمة في تأسيس قواعد المنهج .. " (٢) ، وعلمنا مصطلح الحديث والجرح والتعديل لها

---

(١) ظل النديم لوجدان العلي ، ص ٢٨ .

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر : ص ٧-٨

(٣) دقة المحدثين في نقل السنة وتدوينها ونشأة علمي مصطلح الحديث والجرح والتعديل ، للدكتور : عمر مُجَّد عبد

الرحمن، ط١، عام ١٤١٩هـ ، لدار المعرفة، ص٣٦.

علاقة قوية ووشائج لا تخطئها العين مع الأدب العربي تحديداً ، وقد وجد محمود شاكر شيئاً من ضالته المنهجية في هذين العلمين فطفق يطبق مفاصلها في دراساته وقراءاته وتعليقاته على كتب التراث العربي ، ولاغرو أن يكون تأثير هذين العلمين كبيرين على دربة شاكر وثقافته وحتى تكوين منهجه الخاص ولعل ذلك يتلخص في ثلاثة أسباب :

أولاً : فساد الحياة الأدبية في نظر محمود شاكر يتعلق عنده كثيراً بالمنهجية العلمية التي تتناسب مع طبيعة الموضوع وطبيعة الجنس العلمي ، فمنشأ فساد الحياة الأدبية في نظره كان ناجماً عن عدم تلاؤم المنهج مع المادة العلمية ؛ ولذلك أصابته عقدة نفسية من كلمة منهج لم يتحرج من التصريح بها والإبانة عن مردودها النفسي عليه <sup>(١)</sup> ، ومن الطبيعي أن يتأثر الإنسان بما يعقب صدمته النفسية بشكل مباشر ، ولم يعقب صدمة محمود شاكر من المنهج الذي قوض معنى الجامعة في نفسه بل والحياة الأدبية كلها ، إلا عزمه على تذوق كل كلام حتى لو لم يكن شعراً ، فألزم نفسه بالاطلاع على كل ما بين يديه من كتب التراث العربي ، ومن بين تلك الكتب ما يختص بهذين العلمين الجليلين ، فكان تأثره الشديد بهما .

ثانياً : أن القضية التي كانت تؤرق محمود شاكر والتي لم تفارقه في مشروعه العلمي قضية صحة الشعر الجاهلي ، التي كانت تتعلق كثيراً بالرواة ما بين النحل والانتحال أو حتى المصنوع من الشعر ، وكان من المنهجية التي ينبغي أن تراعى في بحث هذه القضية التركيز على الراوي والرواية ، وهذا بالضبط ما تنص عليه مفاصل علوم مصطلح الحديث وعلمي الجرح والتعديل ؛ إذ إن علم مصطلح الحديث ببساطة " علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد <sup>(٢)</sup> " ، أما علم الجرح والتعديل فالجرح في اصطلاح علماء الحديث هو " رد الحافظ المتقن رواية الراوي لعله قاذحة فيه أو في روايته من فسق أو تدليس أو كذب أو شذوذ أو نحوها . " والتعديل هو : " وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته <sup>(٣)</sup> " ، فهما علمان يتعلقان وبشكل مباشر بذات القضية

---

(١) ينظر في ذلك إلى رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر ص: ٦-٨ ، وينظر أباطيل وأسمار لمحمود شاكر ص :

١٨-٢٤ .

(٢) مصطلح الحديث للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط ١ ، عام ١٤١٥ ، مكتبة العلم بالقاهرة ، ص : ٥ .

(٣) علم الجرح والتعديل لعبد المنعم السيد نجم ، ، ط ١ ، عام ١٤٠٠ هـ ، للجامعة الإسلامية بالمدينة ، ص ٥٤ و ٥٥ .

التي كانت تشغل محمود شاعر في صحة الشعر الجاهلي من ناحية الراوي والرواية ، وهي ذات القضية التي لا بد وأن يتخذ لها ذات المنهج المتعلق بالرواية .

ثالثاً : توظيف أدوات هذين العلمين تحديداً يتواءم مع أصول المنهج الذي ارتضاه محمود شاعر لنفسه، فرأس المنهج وأساسه القويم هو ما سماه بـ (الأصل الأخلاقي) <sup>(١)</sup> ، وقد فسر هذا الأصل بالدين "ورأس كل ثقافة هو الدين بمعناه العام والذي هو فطرة الإنسان ، - أي دين كان - أو ما كان في معنى الدين ، وبقدر شمول هذا الدين .... ما يكبح جموح النفس الإنسانية ويحجزها عن أن تزيع عن الفطرة السوية العادلة " <sup>(٢)</sup> ، فطالما كان هذا المنهج مرتضى ومجازاً دينياً ولا يقدر في الأصل الأخلاقي ويفضي إلى المعرفة فهو منهج مباح ومنهج يحتاج إليه الباحث ، كاحتياجه للوصول إلى الحقيقة العلمية ، فالبحت عن الرواية ورد روايتهم وجرحهم وتعديلهم لا يعد من باب الغيبة والإساءة لهم ، بل يعتمد على إزالة اللبس واصطفاء المنهجية الصحيحة التي تؤكد نسبة الرواية وصحتها ، ومحمود شاعر وإن أدخل منهجية هذين العلمين في منهجه الخاص به بطريقة لا تستبهم على من يريد تلمس مواطنها ، إلا أنه قد أظهر ذلك في جهوده العلمية الكبيرة في تحقيق كتب التراث العربي وقراءاته وتعليقاته عليها ، وأخص منها طبقات فحول الشعراء وجمهرة نسب قريش وأخبارها ، فقد عني محمود شاعر في هذين المؤلفين خصيصاً باضطراب الأخبار والمرويات ونسبة الأبيات الشعرية والمرويات الأدبية الأخرى .

ولتحقيق ذلك كله كان محمود شاعر يلجأ إلى منهج علماء مصطلح الحديث والجرح والتعديل ، فكان ينظر في سند الخبر ويوازن بين الأخبار ويقابل بينها ، ويرجع كثيراً للمصادر التاريخية المختلفة في الخبر الواحد ، وهو في ذلك كله لا يستغني عن العودة إلى دواوين الشعراء كمادة رئيسة ، كما أنه يحيط الرواية بشيء من الجوانب الاجتماعية واللغوية التي تحقق الصحة أو تنفيها ، ويزيد على ذلك في نظره للمادة المروية نفسها، فلا يجد بأساً من رد الرواية أو تصحيح كلمة فيها لتتفق مع تلك الجوانب الآنف ذكرها ، حتى تكتمل معها منظومة صحة الرواية وقبولها على الوجه اللائق الذي تطمئن إليه نفسه، بحسب معطيات منهجه التدقيقي الخاص

---

(١) ينظر لرسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاعر : ص ٣١.

(٢) السابق ص: ٣١.

به<sup>(١)</sup> ، وتجدد الإشارة هنا إلى أن محمود شاكر عند تطبيقه لهذا المنهج لا يهتم كثيراً لقواعد التحقيق العلمي ، وهو الأمر الذي أثار عليه انتقادات من البعض كعلي جواد الطاهر ، ومنير سلطان ، والسيد أحمد صقر ، مما اضطر محمود شاكر لتأليف (برنامج طبقات فحول الشعراء ) ، الذي فُتد فيه آراء هؤلاء وغيرهم وقام بالرد على دعاواهم ، وحينما أحس محمود شاكر بأن منهجه لا يتطابق كثيراً مع قواعد المنهج العلمي للتحقيق تراءى له أن يستبعد كلمة تحقيق من بعض كتبه التي حققها واستبدلها بـ (قرأه وعلق عليه ) ليخرج من ربة المنهجية العلمية للتحقيق وليسمح لنفسه منهجاً خاصاً في التحقيق ربما يفضي به إلى الجرأة المطلقة على المتن ، فلا يتردد في تغيير بعض كلمات النصوص متى ما تراءى له أنها لا تتفق مع المحيط اللغوي أو الاجتماعي أو حتى التاريخي<sup>(٢)</sup> ، واضطلاع محمود شاكر على هذا النحو من منهجية العلوم كان له كبير الأثر في دربه وطريقة تعاطيه مع المنهج العلمي الخاص به ، ويكفي أن يشار إلى تأثير محمود شاكر في كتبه المحققة بعلمي مصطلح

---

(١) سيأتي بيان ذلك بمشيئة الله في الفصل الرابع من هذه الدراسة (الموقف الاستنباطي ، القبول الاعتراض النقض) .

(٢) وسيأتي بيان ذلك أيضاً بمشيئة الله في الفصل الرابع من هذه الدراسة (الموقف الاستنباطي ، القبول الاعتراض النقض) ومثال ذلك ما قام به في طبقات فحول الشعراء من تغيير كلمة لابن الزبيري ؛ لأنها لا تلتقي مع بعض المعطيات التاريخية ، وهو قوله في وصف قتلى معركة أحد :

فقتلنا النصف من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وقد ورد هذا البيت في (شعر عبد الله بن الزبيري) تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ص ٤٢ ، الطبعة الثانية عام ١٩٨١ م المؤسسة الرسالة ببيروت ، تبعاً لرواية ابن سلام ب(قتلنا) وليس ب(قبلنا) ، أما محمود شاكر فقد بدل كلمة قتلنا بقبلنا وعلق على ذلك بقوله في طبقات فحول الشعراء ج ١ : ص ٢٣٩ : " (فقتلنا) وأثبت ما في (م) مضبوطة ، وهذا أيضاً بيت تكثر روايته في سائر الكتب (فقتلنا النصف) أو (فقتلنا الضعف) وهو خطأ كله ، فإن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة ، فإن من شهد القتال من المسلمين في يوم أحد سبعة قتلى منهم أربعة وسبعون من الشهداء ، ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين فإن عدة قتلى بدر من المشركين سبعون .... وإنما أراد ابن الزبيري أنهم قتلوا من المؤمنين في أحد مثل الذي قتله المسلمون منهم يوم بدر ، فانتصفوا منهم أي أخذوا حقهم كاملاً حتى صاروا على النصف سواء... فرواية ابن سلام في الطبقات هي أحق الروايات بالصواب ، وأما الروايات الأخرى فهي خطأ قديم كالخطأ في رواية البيت السابق ..".

الحديث والجرح والتعديل أن يشار إلى ما أورده في مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء من حديث يتعلق بإسناد الرواية ، حيث خصص فصلاً بأكمله درس فيه إسناد الكتاب في المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما في التحقيق ، ثم الفصل الذي عقده أيضاً المأخوذ من نسخة أبي الفرج الأصفهاني من كتاب الطبقات وجمعه أسانيد أبي الفرج إلى ابن سلام ومقابلته بينهما من ناحية الرواية وأحوال الرواة و الأخبار<sup>(١)</sup> ، والعمل على نحو ذلك في أسانيد الرواة والرواية لا يخفى أنه من عمل أهل الحديث في أسانيد متون السنة النبوية المطهرة .

وخلاصة ما يقال في الدربة عند محمود شاكر أنها ركن أساس من مصادره المعرفية التي اشتراطها كبار أهل العلم لكل ناقد ، فالشعر عند ابن سلام " صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تتقفه العين، ومنها ما تتقفه الأذن، ومنها ما تتقفه اليد، ومنها ما يتقفه اللسان....<sup>(٢)</sup> " فالدربة والممارسة والخبرة هي الصناعة النقدية للشعر العربي والتي لا بد من توافرها في أهله وخاصته ، والدربة هي تلك القدرة غير المحسوسة التي تستكن في عقل النقد وفطرته الذوقية والتي تُكتسب بإطالة النظر في المادة المراد نقدها وتمحيصها من كل جانب ، ولا يملك منازعة صاحب الدربة إلا من ملك دربة تقارع الأخرى وتطارحها يقول الأملدي في ذلك : " فمن سبيل من عرف بكثرة النظر في الشعر والارتياض فيه وطول الملازمة له أن يُقضى له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه، وأن يسلم له الحكم فيه، ويقبل منه ما يقوله، ويعمل على ما يمثله ، ولا ينزع في شيء من ذلك؛ إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم، ولا يخاصمهم فيها، ولا ينزعهم إلا من كان مثلهم نظراً في الخبرة وطول الدربة والملازمة...<sup>(٣)</sup> " ، "فمن هذه الدربة يتكون ذوق الناقد، ومنها يستدل على ما جرت به العادة<sup>(٤)</sup> " ، وقد كان محمود شاكر في غالب الأمر ممن يجمع كثيراً من ذلك.

---

(١) ينظر في ذلك لمقدمة طبقات فحول الشعراء لمحمود شاكر : ص ٤٧ ومابعدها.

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي: ص ٥.

(٣) الموازنة بين أبي تمام والبحري للأملدي تحقيق السيد أحمد صقر : ج ١، ص ٤١٤.

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس ط ٤، عام ١٩٨٢ م ، لدار الثقافة ببيروت، ص :

## المبحث الثاني : اللغة والاستعداد الذاتي

من أهم المصادر المعرفية عند محمود شاکر تمكنه العجيب من اللغة العربية وحبّه الشديد لها والتعصب لهويتها التي تمثل هوية العربي المعتر بأصالته ، وقد تزامن تمكنه منها وتعصبه لها مع تلك الدعوات التي انتشرت في عصره كالدعوة إلى العامية واستهجان اللغة العربية الفصيحة ، والدعوة إلى إلغاء الإعراب جملة وتفصيلاً ، والدعوة العجيبة أيضاً إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وكل هذه الدعوات الهدامة اصطدمت مع تمكن شاکر وحبّه للغة العربية ، الأمر الذي دفعه للنهوض بوجه هذه الدعوات من ناحية ، وكذلك تسببت من ناحية أخرى في أن زادت في نفسه حب لغته بعد أن حاول في كشف معالم خصوصيتها وجمالها مما يعلمه هو علم اليقين ومما هو مستقر في نفسه ، ومما اضطره إليه من الاطلاع والتوسع في الكشف والإبانة عن ذلك ، فقامت قيامته من أجل ذلك مع المبشرين ولويس عوض وأحمد لطفي السيد وتوفيق الحكيم وجمهرة من الكتاب والأدباء الذين أيقضوا همهم لإذكاء هذه الدعوات المضللة <sup>(١)</sup> ، وقد كان للأثر الذي خلفه في نفسه بعض أساتذته سبب في نخوضه إلى هذه الدعوات والوقوف ضدها موقفاً قوياً وجامحاً ، وقد لاحظ ذلك شوقي ضيف حينما وضع جهود محمود شاکر إزاء هذه الدعوات موضع المتابعة والاحتذاء وحمل لواء المحافظة والدفاع المستميت عن المثل العربية والإسلامية <sup>(٢)</sup> ، شأنه في ذلك شأن شيخه سيد المرصفي ومصطفى صادق الرافعي ، ولإنعام النظر في تنصيب محمود شاکر نفسه حمل لواء المحافظة على العربية ، فإنه ينبغي العلم بأن شاکر لم يكتف برودده على من أثاروا تلك الدعوات ، بل تجاوز ذلك إلى مراقبة محموعة لما يكتب ولما يقال في هذه القضايا سلباً وإيجاباً ، ومن ذلك ثناؤه العاطر على بعض الآراء التي عضدت رأيه ، وحملت معه هم لواء المحافظة والأصالة ، ومن ذلك ثناؤه على كتاب (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) للدكتورة نفوسة زكريا ، إذ رآه "كتاباً صالحاً لكل مثقف ، يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية ..."<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر في ذلك لأباطيل وأسمار لمحمود شاکر : ص (١٥٧-١٧٠) (١٨٤-١٨٨) (٢٦٣-٢٦٦) (٣٥٩-٣٦٧)

وينظر كذلك جمهرة مقالات محمود شاکر لعادل سليمان : ج ١ ، ص : ٢٥٨-٢٦٣.

(٢) الأدب العربي المعاصر في مصر للدكتور شوقي ضيف : ص ٢٤٤ .

(٣) أباطيل وأسمار لمحمود شاکر ص : ١٢٥ .

والحق أن التمكن من اللغة سمة ظاهرة لا تكاد تنفك عن محمود شاعر في مؤلفاته وقراءاته وتعليقاته على كتب التراث ، وقد لاحظ بعض الباحثين تفشي هذه الظاهرة في أعمال شاعر فقاموا بدراساتها وجمع ما تفرق منها في كتبه ، ويمكن أن يميز التمكن اللغوي عند محمود شاعر داخل ثلاثة دوائر عريضة هي : التمكن من الدلالة المعجمية وتطويعها بحسب ما يقتضيه المعنى ، والتمكن من الدلالة الإعرابية وتوظيفها بما يتلاءم مع السياق ، والاهتمام بالجانب الموسيقي والصوتي .

### أولاً : تأويل الدلالة المعجمية عند محمود شاعر :

لعل الاستعداد الذاتي الذي توفر لمحمود شاعر منذ صغره كان له كبير الأثر في التمكن من الدلالة المعجمية ، فمما عرف عن والد محمود شاعر حرصه على التنشئة اللغوية العربية السليمة ليس لأبنائه فحسب ، بل لأبناء معهد الاسكندرية حينما تم تعيينه شيخاً له ، حيث تقرر له أن تكون هدايا الطلبة الناجحين كتب الأدب واللغة ، وهو ما يفسر الاستعداد الذاتي لحب اللغة والتمرس عليها لمحمود شاعر منذ مراحل حياته الأولى<sup>(١)</sup> ؛ وهو أيضاً ما يفسر اهتمام محمود شاعر بالهدية النفيسة التي حصل عليها من أحد أبناء خاله المتمثلة في ديوان المتنبي بشرح الشيخ اليازجي ، إذ كان فيما يقول محمود شاعر عنه مشكولاً جيد الورق ، " فلم أكد أظفر به حتى جعلته وردي في ليلي ونهاري حتى حفظته يومئذ ...<sup>(٢)</sup> " ، ويمكن القول أيضاً بالأثر الكبير الذي خلفه ذلك على تمكن محمود شاعر اللغوي ، فشرح اليازجي لديوان المتنبي كان يعنى بالناحية اللغوية كبير العناية والاهتمام ، وناصيف اليازجي<sup>(٣)</sup> نفسه محسوب على أهلة اللغة كأهل الأدب .

(١) محمود محمد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم الكوفحي : ص ٢٣ .

(٢) أباطيل واسمار لمحمود شاعر ص : ٤٤٦-٤٤٧ .

(٣) ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، (١٢١٤ - ١٢٨٧ هـ = ١٨٠٠ - ١٨٧١ م) الشهير باليازجي، شاعر من كبار الأدباء في عصره ، أصله من حمص (سورية) ومولده في (كفرشما) بلبنان، ووفاته ببيروت، استخدمه الأمير بشير الشهابي في أعماله الكتابية نحو ١٢ سنة، انقطع بعدها للتأليف والتدريس في بعض مدارس بيروت، وتوفي بها، له كتب، منها (مجمع البحرين) مقامات و (فصل الخطاب) في قواعد اللغة العربية، و (الجواهر الفرد) في فن الصرف، و (نار القرى في شرح جوف الفرا) في النحو، و (مختارات اللغة) بخطه ، ينظر الأعلام للزركلي: ج ٧، ص ٣٥٠ .



ومن الممكن أن يقال إن التعاطي مع المعجم اللغوي عند محمود شاعر له طريقة خاصة تكاد تميزه عن غيره من النقاد ، فإذا كان الكثير من النقاد يعتبر كتب معاجم اللغة مرجعاً عند استعجام اللفظ واستبهام دلالاته مع السياق ، فإن محمود شاعر يرفض الوثوق بكتب معاجم اللغة والجنوح إليها كمحكم رئيس في الدلالة ، ومحكمة ألفاظ النص على أساس من الدلالة المعجمية فيه وأد للغة الشعرية ومصادرة لهويتها الجمالية ، ولم يتردد محمود شاعر في التصريح بمخالفته كل من تعامل مع النص الشعري على أنه وثيقة لغوية ، حتى وإن اضطره ذلك إلى الاختلاف مع الشراح القدامى وعلماء التراث ، وقد اختصر محمود شاعر منهجه في التعاطي مع المعجم اللغوي في كتابه نمط صعب ونمط مخيف ، بقوله مبيناً موقفه من الاختلاف مع كبار أهل العلم الذين شرحوا قصيدة (إن بالشعب الذي دون سلع) : " ومخالفتي في ذلك عما قاله بعض شراح القصيدة من النقاد الأوائل، ثم عدولي عن شروحهم اللغوية المجردة لبعض ألفاظها ، ورأيت أننا إذا وقفنا عندها دفننا الشعر في تابوت من اللغة <sup>(١)</sup> " ، ويلاحظ عند محمود شاعر في تعامله مع معاجم اللغة ملاحظات تسترعي الانتباه :

أولها : أنه يعيب على معاجم اللغة عدم نصها على بعض معاني المفردات مما استنبطه هو من معاني لتلك المفردات من غير المعاجم اللغوية ، وله في ذلك العديد من الأمثلة والنماذج وخاصة في تحقيق تفسير الطبري، ولحمود شاعر في ذلك أنموذج مشرق فيه تتبع عالي الدقة لمعاني كلمة آية في لغة العرب وتتبع دلالاتها بما يتواءم مع ما نصت عليه كتب اللغة ومما لم تنص عليه ، فجعل من معانيها الرسالة وحكم بأن استعمال الآية بمعنى الرسالة مستفيض في شعر العرب وكلامهم وقد أغفلته كتب اللغة بحسب رأيه ، واستدل بقول الشاعر:

مَنْ مُبْلَغٌ عَمَرَوْ بَنَ هِنْدٍ آيَةً      وَمَنْ النَّصِيحَةُ كَثُرَ الْإِنْدَارُ <sup>(٢)</sup>

يقول محمود شاعر : " أي من يبلغه رسالة مني ، في شعر كثير مثله ، ويفسر قدماء شراح الشعر الآية في مثل هذا الشعر بأنها العلامة وهو تفسير لا يليق... " <sup>(٣)</sup> ، وقد أوردت الباحثة محاسن أحمد قربان عدداً من النماذج

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر ص : ٢-٣.

(٢) البيت للناطقة الديباني ينظر لدبوانه شرح حمدو طقاس، ط ٢، عام ١٤٢٦ هـ، لدار المعرفة ببيروت، ص ٦٧.

(٣) مداخل إعجاز القرآن لمحمود شاعر، ط ١، عام ٢٠٠٢ م، لدار المدني ، ص ١٣٠.

المنتقاة التي تمثل عدم نص معاجم اللغة على مرادفات لبعض الكلمات عند الأستاذ محمود شاكر<sup>(١)</sup>.

ثانيها : استخدام محمود شاكر كثيراً للقياس والاجتهاد في تفسير بعض معاني المفردات ، سواء كان ذلك القياس والاجتهاد ناجماً من قدراته اللغوية الذاتية ، أو كان شاكر فيه موافقاً لاجتهادات وقع عليها اطلاعه لبعض العلماء والمفسرين والشرح ، أما القياس والاجتهاد الذاتي فأمثله أكثر من أن تعد ، وقد ألف الأستاذ منذر محمد أبو شعر معجماً خاصاً لمحمود شاكر<sup>(٢)</sup>، حصر فيه كثيراً من تلك الاجتهادات ، وقد كان هذا النوع لا يعترضه كثيراً إلا حينما يواجه الكلمة المرادة في النص ويمارس عليه تفسيره أو نقده أو تحليله ، ويجتهد اجتهداً كبيراً في إصابة المعنى المراد من السياق مما لم تنص عليه معاجم اللغة العربية ، ومن أمثلة ذلك كلمة (السَّرار) بكسر السين وفتحها ، وذلك في تفسير ابن جرير الطبري لقوله تعالى ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وأذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ حيث قال ابن جرير<sup>(٤)</sup> : "وقال: فأنقذكم منها ، يعني فأنقذكم من الحفرة، فرد الخبر إلى الحفرة ، وقد ابتدأ الخبر عن الشفا ؛ لأن الشفا من الحفرة ، فجاز ذلك ، إذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التي ذكرها في هذه الآية خبراً عن الحفرة كما قال جرير بن عطية:

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذَنَ مِئِي  
كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ"<sup>(٥)</sup>

وقد علق محمود شاكر على بيت ابن جرير الطبري بقوله : "والسرار (بكسر السين وفتحها) : آخر ليلة من

---

(١) آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية لمحاسن بنت أحمد قربان رسالة علمية تمت مناقشتها في جامعة أم القرى الفصل

الدراسي الثاني من العام الدراسي ١٤٢٩-١٤٣٠هـ تحت إشراف الدكتور عليان بن محمد الحازمي ، ص ٤٦ .

(٢) معجم محمود محمد شاكر إعداد منذر محمد أبو شعر ، ط ٢ ، عام ١٤٢٨هـ ، للمكتب الإسلامي بعمّان .

(٣) سورة آل عمران الآية الكريمة رقم ١٠٣ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، ج ٧ ، ص ٨٦

(٥) ديوان جرير ، شرح حمدو طمّاس ط ٢ ، عام ١٤٢٦هـ ، لدار المعرفة ببيروت ، ص ٣١٢ .

الشهر، ليلة يستسر القمر أي يختفي، وأراد جرير بالسرار في هذا البيت: نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالاً، حتى يخفى في آخر ليلة، فهذا النقصان هو الذي يأخذ منه ليلة بعد ليلة، أما "السرار" الذي شرحه أصحاب اللغة، فهو ليلة اختفاء القمر، وذلك لا يتفق في معنى هذا البيت<sup>(١)</sup>، وقد وجدت في معجم الصحاح ما نصه: "والعرب تسمى أول المحاق: الدَّعْجَاء، وهي ليلة ثمانٍ وعشرين، والثانية السرار، والثالثة الغلثة، وهي ليلة الثلاثين<sup>(٢)</sup>" ووجدته يقول بعد ذلك: "وسرر الشهر بالتحريك: آخر ليلة منه، وكذلك سرَّاهُ وسرَّاه. وهو مُشْتَقٌّ من قولهم: اسْتَسَرَ الْقَمَرَ، أي خَفِيَ لَيْلَةَ السَّرَارِ، فربما كان ليلتين"<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن منظور في معنى السرار: "وَالْعَرَبُ تُسَمِّي أَوَّلَ الْمِحَاقِ الدَّعْجَاءَ، وَهِيَ لَيْلَةُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ، وَالثَّانِيَةُ السَّرَارُ، وَالثَّلَاثَةُ الْغَلْثَةُ، وَهِيَ لَيْلَةُ الثَّلَاثِينَ. وَشَقَّةٌ دَعْجَاءُ، وَلَيْلَةُ دَعْجَاءٍ؛ وَالدَّعْجَاءُ: لَيْلَةُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ"<sup>(٤)</sup> وفي تاج العروس: "وَبَلَعْنَا دَعْجَاءَ الشَّهْرِ وَدَهْمَاءَهُ، الدَّعْجَاءُ (: أَوَّلُ الْمِحَاقِ، وَهِيَ لَيْلَةُ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ)، وَالثَّانِيَةُ السَّرَارُ، وَالثَّلَاثَةُ الْغَلْثَةُ، وَهِيَ لَيْلَةُ الثَّلَاثِينَ<sup>(٥)</sup>"

ومن ذلك يعلم أن بعضاً من كتب معاجم اللغة قد جعل السرار بما أراده محمود شاكر نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالاً، حتى يخفى في آخر ليلة، وهو يكون عادة في الثامن والعشرين من كل شهر تام، وهذا يعني أن بعضاً من معاجم اللغة قد أتى على غاية شاكر ومراده.

ثالثها: أن قناعة محمود شاكر لا تكاد تفارقه في أن معاجم اللغة قد أخلت ببعض المعاني، وقد ذكر عبارة (لا تصيب مثلها في معاجم اللغة) مراراً وتكراراً وخصوصاً في تحقيقه النفيس لكتاب جامع البيان تفسير الإمام

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، حاشية رقم ١، ج ٧، ص ٨٦.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، عام ١٤٠٧هـ، لدار العلم للملايين ببيروت، ج ١، ص ٣١٥.

(٣) السابق ج ٢، ص: ٦٨٢.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج: ٢، ص ٢٧٢.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، لمجموعة من المحققين، ط ١، عام ١٨٨٩م، لدار الهداية، ج ٥، ص ٥٦٧.

الطبري أو نحواً من هذه العبارة<sup>(١)</sup>، وقد تسببت هذه القناعة لديه في إطلاقه أحكاماً على معاجم اللغة ليست دقيقة كدقة محمود شاكر في أحكامه النقدية والأدبية واللغوية بشكل عام ، فقد يتسبب إرادته لمعنى مفردة في النص لا تتوافق مع ما نصت عليه معاجم اللغة في اتهام تلك المعاجم بأنها لم تستوعب كل المعاني التي قد تعترض مفردات العربية ، ومثال ذلك تفسيره للكمح بأثر كمح الفرس باللجام أي رده وجذبه باللجام لكي يقف ، فيترك ذلك أثراً حيث موقع اللجام من الفرس ، وقد أورد ذلك في قول أعشى بن ثعلبة<sup>(٢)</sup>:

وَلَقَدْ أَمْنَحُ مَنْ عَادَيْتُهُ  
كُلَّ مَا يَحْسِمُ مِنْ دَاءِ الْكَشْحِ  
وَقَطَعْتُ نَاطِرِيهِ ظَاهِرًا  
لَا يَكُونُ مِثْلَ لَطْمٍ وَكَمَحٍ

يقول شاكر في تفسيره للكمح : "وقوله: ظاهراً صفة لمحذوف، أي كياً ظاهراً الأثر، ليس أثره كأثر اللطم أو الكمح ، والكمح (بفتحيتين) : هو أثر كمح الفرس باللجام، أي رده وجذبه باللجام ليقف، فيترك ذلك أثراً حيث موقع اللجام، وهو حرف لم تذكره كتب اللغة ، وشرحته من سياق معنى الشعر، يقول: أثر اللطم غير بين فهو يزول ، وأثر كمح اللجام سهل يأتي متتابعاً فلا يؤدي ...."<sup>(٣)</sup> ومعنى هذا أن محمود شاكر يجعل من معاني الكمح التي يجب أن تصيبها معاجم اللغة العربية معنى الأثر الذي يتسبب به الكمح على موضع اللجام من الفرس ، و أعتقد بأن ذلك المعنى لا يستنبط إلا من خلال القراءة الجمالية للبيت وليس القراءة اللغوية التي

(١) ينظر في ذلك مثلاً لحاشية جامع البيان للإمام الطبري تحقيق أحمد ومحمود شاكر ، ج ٤ ، ص ٥٥٠ ، وينظر أيضاً نفس الكتاب : ج ٥ ، ص ١٠٢ ، وينظر أيضاً لنفس الكتاب : ج ٩ ، ص ٥٣٢ ، وينظر أيضاً نفس الكتاب : ج ١٠ ، ص : ١٤٧ .

(٢) قال عنه صاحب المؤلف : "ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشاعر المشهور المقدم، وكان أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي المعروف بنفطويه أملى علينا أسماء الأعاشي فذكر ثمانية منهم أعشى بني قيس بن ثعلبة ، ينظر للمؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكتاهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، للحسن بن بشر الأمدي ، تحقيق : كرنكو ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، لدار الجيل بيروت ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) هامش جامع البيان للإمام الطبري تحقيق أحمد ومحمود شاكر : ج ٩ ، ص ٥٤٣ .

التي يطالب محمود شاكر بإضافتها لمعاجم اللغة <sup>(١)</sup> ، وذلك أن كثيراً من معاجم اللغة لا تكاد تتعد عن أن الكمح "رُدُّ الفَرَسِ بِاللِّجَامِ" <sup>(٢)</sup> ، والكمح الذي هو رد الفرس باللجام يتسبب في إبقاء ذلك الأثر الذي أراده محمود شاكر على خدي الفرس ، ومن هنا ينشأ في الكلمة مجاز مرسل علاقته السببية ؛ إذ إن الأثر الذي يبقى على خدي الفرس سببه ردها باللجام مراراً وتكراراً حتى يتكون ذلك الأثر ، وهذه العلاقة علاقة بلاغية محضة مستخرجة من جمالية البيت ومما وراء تراكيبه ، وهي من اهتمامات علم البيان باعتباره فرعاً من فروع علوم البلاغة العربية ، فلا حاجة بهذا الاعتبار البلاغي أن يُجعل الأثر من معاني الكمح التي غفل عنها أهل اللغة ، ولو كان الأمر كذلك لفسر أهل اللغة الغيث بالعشب ، وذلك لعلاقة السببية التي تربط بين الغيث والعشب في مثل قول العرب : رعينا الغيث ، وهم يقصدون رعينا العشب الذي تسبب في وجوده الغيث ، وخلاصة القول في ذلك أن قناعة محمود شاكر في عدم استيعاب معاجم اللغة لبعض معاني المفردات تقف وراء بعض أحكامه غير الدقيقة على معاجم اللغة ، ولو كان لكل متمكن من اللغة العربية أن يفسر ألفاظ العربية بمعزل عن تلك المعاجم ؛ لنشأت فوضى لغوية ليس لها ضابط ولا رادع ، فالانطلاق من المعاجم اللغوية لتفسير مفردات اللغة وربطها بالسياق الذي وردت فيه هو الضابط الأهم في عدم نشوء مثل هذه الفوضى ، والخروج عن ضوابط تلك المعاجم وما نصت عليه وإضافة أو إبطال معنى فيها لا يكون إلا بدليل صحيح ممن يحتج بكلامه ،

(١) وجدت الباحثة محاسن القربان اعترضت على تفسير محمود شاكر مستندة على سياق الشعر للكمح بأنه الأثر لا الكمح نفسه ، فقالت "إذ لو كان المراد بالكمح أثر كمح الفرس باللجام لا الكمح نفسه سيكون المراد بالطم بناء على ذلك أثر اللطم أيضاً لا اللطم نفسه " ينظر لآراء محمود شاكر وجهوده اللغوية لمحاسن بنت أحمد قربان ، ص ٥٠ . ، وأرى أن قراءة محمود شاكر للكمح بأنه الأثر أقوم لمعنى هذا البيت من غيره ، فالشاعر إنما أراد أن قطع الناظرين الظاهر لمن عاداه لا يكون له أثر كأثر اللطم و الكمح .

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، وقال صاحب الصحاح : " [كمح] الأصمعي: أَكْمَحْتُ الدَّابَّةَ، إِذَا جَذَبْتُ عَنْانَهُ حَتَّى يَنْتَصِبَ رَأْسُهُ " الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري : ج ١، ص ٤٠٠ ، وقال ابن منظور : "كمح: الكَمْحُ: رُدُّ الْفَرَسِ بِاللِّجَامِ. وَالْكَمْحَةُ: الرَّاضَةُ. ابْنُ سَيِّدَةَ: كَمْحْتُ الدَّابَّةَ بِاللِّجَامِ كَمْحاً إِذَا جَذَبْتُهُ إِلَيْكَ لِيَقِفَ وَلَا يَجْرِيَ. وَأَكْمَحَهُ إِذَا جَذَبَ عَنْانَهُ حَتَّى يَنْتَصِبَ رَأْسُهُ..." لسان العرب لابن منظور : ج ٢، ص ٥٧٥ ، وقال مثله مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس : ج ٧، ص ٨٢ .

ولا يعني وجود مثل هذا المأخذ على محمود شاكر إنكار تمكنه من اللغة العربية وسيره لأغوارها أو حتى قليل من القدح فيه وفي جليل علمه ومعرفته ، فمن الحق أن نتيقن بتمكنه من اللغة والأخذ بزمامها ، وأن وراء هذا الثراء اللغوي الهائل الذي امتلكه نشأة منذ الصغر ، استطاع معها أن يقرأ لسان العرب لابن منظور وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني وهو ابن أربع عشرة سنة <sup>(١)</sup> ، فمن الطبيعي أن تتكون لديه هذه الثروة اللغوية التي استطاع بها بعض الدارسين تكوين معجم خاص بمحمود شاكر ، وخلاصة القول أن أثر هذا الثراء اللغوي لدى محمود شاكر لا ينحصر على المطارحات العلمية والاستدراكات اللغوية التي أقامها مع كبار علماء اللغة ورموز الأدب العربي <sup>(٢)</sup> ، بل يتجاوز ذلك اقتراحاته على زيادة معاني معاجم اللغة لبعض المفردات .

### ثانياً : التأويل الملائم لدلالات السياق :

من السمات الجلية الواضحة في منهج محمود شاكر تمكنه من علم النحو وتوظيف الدلالة النحوية فيما يخدم السياق ، وقد كان لقراءته كتب عبد القاهر الجرجاني وتعليقاته عليها بالغ الأثر في ذلك ، فمحمود شاكر يرى أن المكانة العلمية الرفيعة لعبد القاهر الجرجاني في التراث العربي إنما تأتت له من تمكنه من علم النحو أولاً ثم من حسن تذوقه للبيان العربي <sup>(٣)</sup> ، والشيخ عبد القاهر الجرجاني نفسه هو من أكد لمحمود شاكر استواء منهجه العلمي التذوقي ، وهو من عزز لديه ثقته في هذا المنهج الذي هو قادر على تذوق الكلام كله شعره ونثره أدبيه وعلميه على حد سواء ، فكما سبق ذكره أن محمود شاكر اختط لنفسه منهج التذوق لكل كلام بعد أن

---

(١) ظل النديم لوجدان العلي : ص ١٨ .

(٢) عارض محمود شاكر كبار علماء التراث العربي في اللغة بآراء لا تخلو من الدقة والأخذ بناصية اللغة ومزج دلالاتها بالسياق الذي وردت فيه ، وهذه المعارضات مادة جيدة كافية لأن تثبت أثر التمكن اللغوي في فكره ومنهجه العلمي ، ومن أمثلة ذلك احتجاجه على أبي عبيدة معمر بن المثنى (جامع البيان للطبري : ج ١ ، ص ٤٣٩ ، حاشية رقم ٢) ، والجاحظ : (مداخل إعجاز القرآن لمحمود شاكر : ص ٥٦-٦٣) ، والمرزوقي : (نظم صعب ونظم مخيف لمحمود شاكر : ص ١٥٧ ، ص ١٥٩ ، ص ١٨٢ ، ص ٢٥٦) .

(٣) ينظر في ذلك مداخل إعجاز القرآن لمحمود شاكر : ص ٨٩ وما بعدها .

أصيب بفاجعة أستاذة طه حسين في الشعر الجاهلي ، فبدأ برحلة طويلة جيدة قلب فيها ما وقع بين يديه من أوراق التراث العربي بمختلف تخصصاته تحت منهج التذوق لكل كلام ، يقول محمود شاعر في ذلك :

" ومع ذلك فقد كنت أتوهم في سنة ١٩٥٣ حين فرغت من إجراء منهجي في تذوق الشعر ، على كل كلام غير الشعر ، أنني قد سبقت إلى ذلك ، حتى كانت سنة ١٩٥٦... حين طُبعت الرسالة الشافية ... فوقفت على فصل نفيس ... هو أوضح ما قرأته قط في إجراء التذوق على كل كلام في كل علم ، مهما ظننت أنه أبعد علم من إجراء التذوق عليه .." (١) .

وهذا الفصل النفيس الذي يقصده شاعر هو تعليق عبد القاهر الجرجاني على حد الفعل عند سيبويه ، ومن هنا ومن علم النحو تحديداً يتجلى منطلق الثقة والتعزيز الذي لاح في أفق محمود شاعر فيما يتعلق بمنهجه التذوقي على كل كلام ، فلم يخف محمود شاعر إعجابه الشديد بعبد القاهر الجرجاني ومشروعه النقدي الذي ربط فيه معاني النحو بالنظم لخدمة الإعجاز القرآني ، حتى أقدمه ذلك على تأليف مداخل إعجاز القرآن نتيجة لهذا الامتداد الفكري الذي خلفه فيه عبد القاهر نحواً وبلاغة ، وقد لاقى هذا الامتداد النفسي والمنهجي اطلاعاً واسعاً ونظرة ثاقبة لدلالة الإعراب الوظيفية في فهم النص ، فقد كان لمحمود شاعر استنباطات نحوية ذات قيمة عالية استظهرها من قراءته الآنية للنص ، ويبدو كتابه نخط صعب ونخط مخيف مثال صالح لتلك الاستنباطات التي استقل فيها محمود شاعر برأي نحوي خاص تحقّظ به عن باقي آراء النحويين ، ومن ذلك رده القول بأن الباء زائدة في قول ابن أخت تأبط شراً :

بَرِّئِي الدَّهْرَ وَكَانَ غَشُومًا      بِأَيِّ جَارُهُ مَا يُذَلُّ (٢)

حيث رأى محمود شاعر أن الباء للتعدية وله كلام نفيس في ذلك يحسن نقله هنا على طوله لاستبانة طريقته

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا : ص ٩ .

(٢) هذا البيت من قصيدة ألف فيها محمود شاعر كتابه نخط صعب ونخط مخيف ، وقد تحدث في أول كتابه عن نسبة

هذه القصيدة ورجح فيها أن تكون لحفاف بن نضلة ابن أخت تأبط شراً ، وقد أثبت في كتابه آراء العلماء في نسبة هذه

القصيدة إلى الشعراء ، ينظر في ذلك نخط صعب ونخط مخيف : ص ٤٦ وما بعدها .

في استنباط الدلالة النحوية من المعنى الشعري يقول في ذلك :

"...هذا الفعل بَرَّ قد يتعدى إلى مفعول واحد ، ويراد به عندئذ مجرد الخبر عن وقوع السلب .. فالوقوف عند آخره يتم به الكلام ، ولكن هذا مكر الشاعر الخفي فإنه لم يرد الخبر عن مجرد السلب بل أراد (بَرَّ) الذي يتعدى إلى مفعولين فكان حق الكلام أن يقول : بزني الدهر أبيعاً ، ولكنه لما ذكر الدهر ومالقي من عسفه به وبخاله فظَّع به وبخالته فكفَّ عن إيصال الفعل إلى مفعوله الثاني وتركه مطروحاً كأنه لا يتطلب هذا المفعول..."<sup>(١)</sup> . وهذا النص واضح الدلالة في الطريقة الفريدة التي يوظف فيها محمود شاكر المعنى النحوي بقراءته الخاصة للنص، والتي تراعي أدق تفاصيل كل حرف في كل كلمة ، بل ويتجاوزه بمنطوق الكلمات والحروف إلى ما يستكن خلفها من معان وما يحيط بها من أجواء نفسية للشاعر للمبدع ، وحينما استقرت هذه القراءة في نفسه وعالجها بحسن بيانه وأسلوبه ، لم يتردد في مهاجمة أهل اللغة الذين جعلوا الباء زائدة مراعاة للقواعد النحوية التي جلبوا هذا البيت لخدمتها وإقرار صحتها ، فأهل اللغة "يدعون أحياناً زيادة هذه الباء وأحياناً يسلكونها وأمثالها في باب التضمنين ويقولون : ضمَّن (بز) معنى (فجع) ؛ لأن كل من سُلِب شيئاً فُجِع به وهو كلام لو كان له عناج"<sup>(٢)</sup> .. ، وإنما هو ما أقول لك لأنك لا تستطيع أن تقول في مدرج الكلام على مذهبهم في التضمنين بزني الدهر بأخي وأنت تريد فجعني به وإذا قلته فهو .. غث أسقط من أن يُعتد به"<sup>(٣)</sup> ، فتأويله لهذا البيت على هذا النحو هو ما يقف وراء قوله بأن الباء للتعدية وليست زائدة ، ولعله حينما أنكر على أهل اللغة زيادة الباء في هذا الموضع إنما قصد المرزوقي شارح الحماسة ، حيث يقول المرزوقي في شرحه للبيت ما نصه : " .. وقوله بزني الدهر أي غلبني واستلبني ، وقوله بأبي الباء دخلت للتأكيد زائدة..."<sup>(٤)</sup> ولا بد

---

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١٥٤ .

(٢) فسّر محمود شاكر عناج في نفس هذا النص بقوله : (حبل يشده ويقويه ويمسكه) ، وهو كذلك في المعاجم اللغوية ، فالعنّاج: حَيْطٌ أو سَيْرٌ يُشَدُّ في أسفل الدلو ثم يُشَدُّ في عروته فإذا انقطع الحبل أمسك العنّاج الدلو من أن تقع في البئر، وكل شيء يُجْعَل له ذلك فهو عنّاج " العين للخليل بن أحمد : ج ١، ص ٢٣١ .

(٣) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١٥٥ .

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق غريد الشيخ ، ط ١، عام ١٤٢٤ هـ لدار الكتب العلمية ببيروت، ص ٥٨٨ .



من التنبيه على أمر في غاية الأهمية هنا ، وهو أن محمود شاعر متبع لا مبتدع في القول بتعدية الباء في هذا المواطن ، حيث قال بذلك التبريزي شارح الحماسة في معرض شرحه للبيت ، ومنه قوله :

" قوله بأبي : الباء دخلت للتأكيد زائدة كأنه قال : بزني الدهر أياً ، ويجوز أن يكون عدى بزني بالباء لما كان معناه فجعني ويكون من باب ما عُذّي بالمعنى دون اللفظ .... <sup>(١)</sup> " ومن هنا يمكن القول بأن التبريزي قد أتى على ما في نفس محمود شاعر من الباء ، ولعل محمود لم يطلع على شرح التبريزي على هذا البيت تحديداً ، ولو اطلع عليه لأثبتته ووثقه كما جرت به عادته ، فقد ذكر محمود شاعر التبريزي في كتابه نمط صعب ونمط مخيف في اثني عشر موضعاً <sup>(٢)</sup> ، نصف تلك المواضع جاء في نسبة القصيدة وترتيبها ، والنصف الآخر جاء في نسبة بعض شروحه على أبيات القصيدة سواء خالفه شاعر أم وافقه ، فمن المنطقي جداً أن ينسب له هذا القول لو أنه اطلع عليه ، وغاية ما يقال إن محمود شاعر كان شديد التمرس والتمكن من النحو العربي ، وقد قاده هذا التمكن إلى استظهار جماليات النص والمعاني التي أرادها الشاعر من خلال الطريقة الإعرابية التي سلكها في بناء العمل الأدبي .

### ثالثاً : المقاربة التطبيقية للجانب الإيقاعي في النص :

اهتم محمود شاعر كثيراً بمعاني الحروف اهتماماً بالغاً ، وقد شكل هذا الاهتمام أحد المداخل التي ولج بها إلى مواجهة النص واستنطاق ما يستتر خلف تراكيبه ، وقد وقف وراء هذا الاهتمام إحساس من شاعر بإهمال الكثير للجمالية الموسيقية التي يقف وراء جمالها أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي ، التي لم يعد أغلب الدارسين قادرين على البيان عنها في النص إلا بملء فراغات نوع البحر وبيان تامه ومجزؤه وعلله وزحافاته وأسبابه وأوتاده، ولهذا أطلق محمود شاعر تأوهاً صدر به القسم الثاني من مقالات نمط صعب ونمط مخيف ، حيث صدر هذا القسم بيتين لأبي العلاء المعري أتت على شيء مما يجده في نفسه من عروض الخليل والتي يمتد أثرها

---

(١) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ليحيى بن علي بن محمد التبريزي ، كتب حواشيه غريد الشيخ ، ووضع فهارسه أحمد

شمس الدين ، ط١ ، عام ١٤٢١ هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ج ١ ، ص ٥٣٩ .

(٢) ينظر لنمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر : ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٦٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩ .

النفسي عنده إلى محاولات الانقلاب الثقافي على التراث العربي الأصيل ، يقول محمود شاكر معلقاً على بيتين لأبي العلاء المعري :

تَوَلَّى الْخَلِيلُ إِلَى رَبِّهِ      وَحَلَّى الْعُرُوضَ لِأَرْبَابِهَا

فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ أَوْتَادِهَا      وَلَا مُرْتَجٍ فَضْلَ أَسْبَابِهَا<sup>(١)</sup>

" ... ثم رحم الله الخليل بن أحمد ، فلو هبّ من رقدته فاطلع على أهل هذا الجيل ، كيف يخوضون فيه وفي عروضه ، لرأى العقل الذي في الجماجم قد عاد راراً<sup>(٢)</sup> ،... و لتمنى ألا يكون وضع للناس عروضه ، حتى يسلم عرضه لقوارص ألسنتهم ، ومن طيش عقولهم ، وأيُّ رجل كان الخليل لو كان لعلمه ورثة ..."<sup>(٣)</sup> .

وقد جاء اهتمام محمود شاكر بالجانب الموسيقي ودلالاته على الشقين التطبيقي والتنظيري ، أما ما يغلب عليه الجانب التنظيري فقد جاءت في سلسلة مقالات ثلاث حملت اسم : (علم معاني أصوات الحروف سر من أسرار العربية نرجو أن نصل إلى حقيقته في السليقة العربية)<sup>(٤)</sup> ، نشرها في مجلة المقتطف في العام أربعين وتسعمائة وألف ميلادي ، وكان يقصد في هذه المقالات ما تحمله أصوات حروف اللغة العربية لا الحروف نفسها من معان نفسية يمكن أن تنبض بها الموجات النطقية عند المتكلم ، وما تحمله أيضاً من صور عقلية معبرة عن الطبيعة وما يتصل بها من أصوات وصفات ، وقد حاول شاكر في هذه المقالات جاهداً الكشف عن المعاني الفطرية لصوت الحرف العربي منطلقاً في ذلك من الأسس والقواعد التي وضعها أهل اللغة في صفات

---

(١) اللزوميات لأبي العلاء المعري ، تحقيق أمين الخانجي ط ١ ، عام ١٩٢٤ م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج ١ ، ص ١٤٠ -

١٤١ .

(٢) فسر محمود شاكر (رارا) في نفس هذا النص بقوله : مخّا ذائباً كمخ العظام البوالي ، قال ابن منظور : "تَرَكَّتِ الْمَخَّ رَاراً

أَيَّ ذَائِبًا رَقِيقًا لِلْهُزَالِ وَشِدَّةَ الْجَدْبِ" لسان العرب لابن منظور : ج ٤ ، ص ٣١٤ .

(٣) نط صعب ونط مخيف لمحمود شاكر : ص ٨٧ ، وقد أثبت بيتي المعري في صفحة مستقلة في بداية المقالة الثانية "

على هذا دار القمقم " ص ٨٣ .

(٤) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان جمال : ج ٢ ، ص ٧٠٨ - ٧٣٤ .

الحروف وتقاربها وتباعدها من ناحية المخرج ، وقد وضع محمود شاكر بعد أن استعرض ذلك منهجه في معاني أصوات الحروف العربية ، حيث قال :

" ونحن نريد أن نأخذ معاني هذه الأصوات التي تدل على حروف العربية من جهة طبيعة الإنسان حين يريد العبارة عن شيء في نفسه ، أحس به أو عزم عليه محاكياً أو مقلداً أو منبهاً أو مصوراً أو مقرباً للمعنى الذي يريده ، بالجرس الصوتي المفرد الذي يتبادر إليه فيحاوله ويعالجه ويتهجم عليه ..... " (١).

والحق أن هذا الإجراء الذي يريد محمود شاكر تطبيقه على معاني أصوات الحروف ، ما هو إلا من الأثر النفسي للتذوق الذي انتهجه وعرف به طريقته العلمية ، ويبدو ذلك جلياً وواضحاً من الأمثلة وطريقة المعالجة التي حاول أن يصل فيها إلى المعاني الفطرية لصوت الحرف العربي في هذه المقالات ، فالهمزة والهاء والألف وهي الحروف الحلقية التي تلاقي الهواء حال تصويتها ولا يقف في سبيلها ما يعترضها ويرتطم بهوائها ، ولا يعمل معها اللسان عملاً في تكوين صداها وجرسها ، وتحقيق بها بعد أن اتصفت بذلك هي وبعض من أخواتها الحروف الحلقية " أن ترتبط بالحاجات الأولى التي يُدفع الإنسان للتعبير عنها ، كالنداء ، والتعجب ، والتأوه ، والأنين ، والإشارة ، والتنبيه ، وغير ذلك مما تدعو إليه معاناة الحياة الفطرية الأولى التي بدأ الإنسان بها عمله على الأرض .... " (٢) وعلى هذا النحو سار شاكر في محاولات حثيثة للكشف عن معاني الأصوات الفطرية ، ولو قُدِّر له طول عهد في مناقشة هذه القضية لفتح باباً من العلم ، لاسيما وأنه أكد إمكانية تطبيق ذلك كله على أصوات اللغة كلها ، فحين فرغ من هذه المقالات التي لم تكن كافية لتحقيق كل ما وعد به في صدرها ، قال :

" ونحن نقف بالقول عند هذا الحد .... ولعلك تجد له من الطرافة والحسن واللذة ما يجعلك تمضي في إتمام ما أسقطناه من كلامنا ، فإذا فعلت عرفت لطف هذه اللغة ، وملاستها للطبع والطبيعة والفطرة ، وأن أصحاب هذا اللسان كانوا أرق الناس إحساساً وألطفهم فهماً وأحسنهم تهدياً إلى المعاني .... " (٣) ، على أن الشق النظيري في هذه المقالات الثلاثة كان يأخذ الحيز الأكبر من اهتمام شاكر بالصوت والجرس المنتج للنغم

---

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان : ج ٢ ، ص ٧١٧.

(٢) السابق ، ج ٢ ، ص ٧٢٢.

(٣) السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٤.

والموسيقى ، وكان منطلق دراسته التطبيقية دوائر الخليل بن أحمد الفراهيدي العروضية ، وذلك بعد أن رأى المستشرقين خصوصاً أن عروض الخليل تحتاج إلى إعادة نظر ، إذ إن العروض التي ابتكرها الخليل بن أحمد قد تسبب في مخالفة الواقع من جهات كثيرة ؛ لأنها أحدثت فروضاً نظرية عن الأوزان تخالف الواقع الشعري من حيث عدد التفاعيل ، والناظر في طبيعة هذه الدوائر يجد أنها لا تعني أكثر من الجمع بين البحور ، " وحسبك دليلاً على ذلك أن .... الكامل والرجز والسريع موزعة على ثلاث دوائر مختلفة عند الخليل في حين أنها تدخل في مجموعة واحدة في تصنيف المستشرقين " <sup>(١)</sup> ، فاقتنص محمود شاكر فرصة تأليف مقالاته التي نظمها في نمط صعب ونمط مخيف للرد على تهم المستشرقين الموجهة للعروض العربي من ناحية ، ولتطبيق تحليل القيمة الصوتية للحرف والنغم في الشعر العربي على النحو الذي يقابل به الشق النظري في مقالاته عن معاني أصوات الحروف ، " وتتبع بدقة بالغة الصورة الأولية التي صاغها الخليل مما لم يصلنا في كتاب ، وكشف عن أسرار العلاقات بين بحور الشعر في الدائرة الواحدة ... " <sup>(٢)</sup> ، والحق أن محمود شاكر حينما تناول العروض في كتابه نمط صعب فإنه قد اعترف بأن العروض قد خرج من عند الخليل تاماً جامعاً ، ولكن " انحصار الهمم في ضبط علم العروض وفي تفسير بعض قواعده كان سببه تلك المبهمات الكثيرة التي أحاطت بهذا العلم " <sup>(٣)</sup> ، على أن الجهد الذي بذله الخليل كان جهداً منظماً وخارقاً ودقيقاً ، " تلقى به موسيقى الكلام نثره وشعره حتى استطاع أن يميز كلاً من كل ، ثم استطاع أن يميز نغماً من نغم ، ثم استطاع أن يفصل كل نغم على حدته ، ثم استطاع أن يعرف نسب كل نغم إلى أخيه ، ثم استطاع أن يضع لكل نغم أساساً يقوم عليه لا يختل ، ثم استطاع أن يركب لهذا النغم أجزاء فيها ضابط لا ينحل ضبطه ثم يركب من هذه الأجزاء دوائر جامعة لبحور جمهرة الشعر العربي كله.... " <sup>(٤)</sup> ، ومع هذا الثناء على جهود الخليل فإن شاكر يقطع بأن الشعر العربي لا يمكن أن يقف حده عند هذه البحور الخمسة عشر التي جاء بها الخليل ويرى أن الخليل نفسه لا يمكنه توهم ذلك، لوجود شعر جاهلي لا

(١) ينظر لكتاب موسيقى الشعر لإبراهيم أنيس الفصل الرابع تحليل المستشرقين للأوزان : ط ٢ ، عام ١٩٥٢ م ، لدار الأنجلو المصرية، ص ١٤٤ - ١٥٩ .

(٢) محمود مجد شاكر ، الرجل والمنهج ، لعمر حسن القيام : ص ٢١٨ .

(٣) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١٠٨ .

(٤) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١٠٩ - ١١٠ .

يدخل في عروضه مستويًا كل الاستواء مع أنه من جيد الشعر وبارعه <sup>(١)</sup>، وحينما وصفت جهود محمود شاعر في نمط صعب ونمط مخيف بأنها جهود تطبيقية أكثر منها تنظيرية حيال النغم والجرس والموسيقى ، فإن ذلك يتأكد لمن ينظر إليه حينما طبق مفصلات تنظيراته على بحر المديد وتفعيلاته الذي بنيت عليه قصيدة إن في الشعب الذي دون سلع ، فقد استوقف محمود شاعر كلام لبعض النقاد الذين رأوا أن في بحر المديد صلابة ووحشية وعنفاً ، وأنه على الرغم من تلك البساطة والسهولة التي يتكون منها بتفعيلاته إلا أنه يطلب كلمات متقطعة ، ولأجل تلك السهولة في تفعيلاته وطلبه لكلمات متقطعة مع تلك السهولة ؛ فإن الشعراء قد تحاموه وتجنبوا جاهدين الإنشاد عليه ، وقد أقر شاعر بقول النقاد في ذلك ولم يتوقف عند الإقرار به ، بل تجاوزه لمحاولات تطبيقية لمعرفة ذلك واكتشاف خفاياه من خلال نغم قصيدة إن في الشعب الذي دون سلع ، فبين شاعر أولاً أن البحور العروضية ثلاثة أقسام <sup>(٢)</sup> :

أولها : بحور مركبة من التفاعيل الأصول (فعلون - مفاعيلن - مفاعلتن فاع لاتن ) وهي : (البحر الطويل والوافر والهزج والمضارع والمتقارب ) .

ثانيها : بحور مركبة من بعض فروع الأصول (فاعلن - مستفعلن - متفاعلن - مفعولات) ولا يخالطها شيء من الأصول والوتد فيها طرف ، وهي : (البحر البسيط والكامل والرجز والسريع والمنسرح والمقتضب ) .

ثالثها : بحور مركبة من بعض فروع الأصول الأربعة ولا يخالطها شيء من الأصول والوتد فيها وسط ، وهي : (البحر الرمل والخفيف والمجثث ) .

" فهذه أربعة عشر بحراً ، شذ عنها بحر واحد هو (المديد) ، فإنه مركب من فرعين لا يخالطهما شيء من الأصول ، وأحد الفرعين وتده (وسط) ، والثاني : وتده (طرف) ، وهكذا جاء في دائرة المختلف من دوائر الخليل مخالفاً للأصل الذي سار عليه ..... " <sup>(٣)</sup> .

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر : ص ١٠٨-١٠٩ .

(٢) السابق ص : ٩٩-١٠٠ .

(٣) السابق ص ٩٩ .

وهذا الاستنباط يكشف بجلاء العمق العروضي الذي وصل إليه محمود شاكر ؛ إذ إنه محاولة جادة للتقاطع مع الطريقة التي كان يفكر بها الخليل بن أحمد الفراهيدي حينما اختط دوائره العروضية وبحوره الشعرية ، وأراد أن يصل بذلك إلى غاية هي في حقيقة الأمر ما يود إثباته من خلال هذه الأصول النظرية ، وهي أن بحر المديد بحر تتحاماه الشعراء لأنه بحر نمطه صعب ومخيف وثقيل وعسر ، إذ إن تركيب مصراع المديد بعد الجزء :

فاعلن مستفعلن فاعلن      فاعلن مستفعلن فاعلن

فلما دخل الترفيل (زيادة سبب خفيف على الودد) في العروض والضرب جميعاً أصبح :

فاعلن مستفعلن فاعلن تن      فاعلن مستفعلن فاعلن تن

" فالحادي والمجيب في المصراع الأول ، وهما الصوت والصدى - أي الجزآن الأولان معا ووتدهما طرف- يتطلبان من تمام النغم أن يقف على وتد طرف في العروض وهو آخر المصراع الأول (فاعلن) ، فتكاد تقف وتتردد قليلاً وتحجم بعض الإحجام ، ولكن الترفيل يسرع بك إلى طرح التردد والإحجام مسرعاً قائلاً : فاعلن تن ... ، ثم تأخذ في المصراع الثاني فيحملك الحادي والمجيب (فاعلن مستفعلن) على أن تقطع النغم مرة أخرى على وتد طرف في الضرب ، وهو آخر المصراع الثاني (فاعلن) ؛ فتقف متردداً مُحجماً مرة أخرى ، وسرعان ما يستفزك الترفيل ؛ فتنتقل مسرعاً قائلاً فاعلن تن ... " <sup>(١)</sup> .

وشاكر يريد أن يثبت أن هناك نزاعاً خفياً مصدره نغم الحادي والمجيب واستفزاز الترفيل بعدهما ، كلها تقود مجتمعة إلى التردد والإحجام ثم ترك التردد والإحجام عن طريق الترفيل ، وحدوث ذلك كله في زمن متقارب وفي نفس واحد ؛ وهذا كله السبب الحقيقي وراء ثقل بحر المديد وعسره وصعوبته وإحجام الشعراء عنه ، وقد جعل من هذا المنطلق كشافاً استجلى به أنغام قصيدة إن في الشعب الذي دون سلع ، ولم يتردد بعد الإبانة عن ذلك في معالجة هذه القصيدة ومحاكمتها بناء على هذا المنطلق ، ففي بداية قراءته الفعلية النقدية المواجهة للنص بشكل مباشر في كتابه نمط صعب ونمط مخيف يقول عن قول الشاعر (أنا بالعبء له مستقل) <sup>(٢)</sup> :

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١١٠-١١١ .

(٢) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١٤٩ .

" ولو قال : وأنا بالعبء مستقل ، وحذف (له) ، لسقط الكلام سقوطاً ظاهراً ، فهذه مهارة الشاعر ، وسلطان بحر المديد ، الذي يحمل الشاعر على أن ينبذ إليه بالكلمات حية موجزة مقتصدة خاطفة الدلالة في أناة وتؤدة ، ويوقعها في حاقّ موضعها لا يتجاوزها ... " ويقول في موضع آخر<sup>(١)</sup> :

" (مُطَرِّقٌ - يَرَشِّحُ مَوْتًا - كَمَا أَطَرَقَ أَفْعَى - يَنْفُثُ السَّمَّ - صِلُ) وهذا ضرب آخر من التشعيث ... هو تشعيث لمخارج الألفاظ عند الإنشاد وأعان على تجويده سطوة بحر المديد ، وما فيه من غلبة الأنانة والتؤدة.... "

ويعضي محمود شاكر في بيان قيمة النغم الفنية الذي أفرزه بحر المديد في هذه القصيدة ، متخذاً من تلك الأحكام النظرية التي أطلقها جذوة قبس لا ينكفي وهجها عن فكره وعينه ، حتى يصل إلى الجزء الثامن من هذه القصيدة التي تراءى له تجزئتها بحسب أزمنة التغني ، ويكاد يسكب في قراءته لهذا الجزء جل ما أثبتته في بداية كتابه عن بحر المديد وسبب صعوبته وعسره وثقله ، يقول في ذلك<sup>(٢)</sup> :

" .... ثم انبعث يتغنى بأخلاقه في ثمانية أبيات من حُرّ الشعر وعتيقه ورائعه ، يقسم كلماته لفظاً لفظاً على حركة بحر المديد ، بين البسط والقبض ، يبطئ مرة ويسرع مرة ، يذعن لسطوة النغم ، ثم يسطو بالنغم حتى يذعن له ، كلمات متعاقبة تنساب ، وكلمات مفردة تُنبذ على ذبذبات النغم وقراراته ، فينسب بها أو يتند ، كلمات سافرة وكلمات أخرى تتبرج من وراء نقاب .... "

ثم يطيل القول في ذلك ويصل به إلى تطبيق كلي لقيمة النغم الصوتي في بحر المديد ، وفق ما حكم به بعض النقاد وما أقر به هو من عسر الإنشاد على بحر المديد ، وهو تحليل رائع وقراءة نقدية ملهمة بالذوق وترقي الإحساس بعذوبة النغم ، ولا يُشكُّ في أن الإحساس بقيمة النغم الشعري قيمة مهيمنة على تعاطي محمود شاكر مع الشعر كلّهُ ؛ فقد حدّد الشعر في كلمات تدل على قيمة الإيقاع والنغم الشعري المتأصلة في ذوقه وقراءاته النقدية وذلك حين قال : " ولفظ الشعر في لسان العرب موضوع للدلالة على كل كلام شريف المعنى

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١٥١ .

(٢) السابق ص : ١٥٦ .

نبيل المبنى ، محكم اللفظ ، يضبطه إيقاع متناسب الأجزاء ، و ينتظمه نغم ظاهر للسمع مفطر الإحكام والدقة في تنزيل الألفاظ وجرس حروفها في مواضعها منه ، لينبعث من جميعها لحن تتجاوب أصداؤه متحددة من ظاهر لفظه وباطن معانيه ، وهذا اللحن المتكامل هو الذي نسميه القصيدة ....<sup>(١)</sup> فحده للشعر على هذا النحو يثبت لنا مدى اهتمامه بالإيقاع والقيمة الصوتية للنغم الشعري ، إذ شكل التعبير عن الإيقاع الحيز الأكبر من محتوى هذا الحد مع شيء من ترقى الإحساس بقيمته، يستبان من طريقته الأسلوبية التي عبر بها عنه ، وإذا كان المكون الرئيس عنده لضابط الشعر وحده هو الإيقاع والنغم فليس من المستغرب أن نجد في قراءته للشعر وتحليله لنصوصه ما يعكس الاهتمام والعناية بالجرس والموسيقى الشعرية ، لا سيما وأن محمود شاعر منذ صغره كان يحس بقيمة ذلك منذ صغره ونشأته العلمية ، فقد كان شديد التأثر بالترنم الذي كان ينشئه لديه ويشعل فتيله في قلبه شيخه السيد بن علي المرصفي ، صاحب (رغبة الآمل من كتاب الكامل) و (أسرار الحماسة) ، فقد ذكر محمود شاعر عنه أنه كان يجلس بين يديه لقراءة الشعر ، وحين يقرأه يهتز يمناً ويسرة ، ويرى شفثيه والكلمات تخرج من بينها وكأنه يجد لها في فمة من الحلاوة واللذة والنشوة مالا يمكن وصفه ، فكان يصغي إليه كل الإصغاء وينظر إليه لا تكاد تفارقه عينه وهو على هذه الحال ، " وصوته يتحدر في أقصى أعماق نفسي كأنه وابل منهمر ... فإذا كف عن الإنشاد والترنم أقبل يشرح ويبين ... ولكن شرحه .... كان دون ما أحسه وأفهمه يتغلغل في أقاصي نفسي من هيئته وملاحمه وهو يترنم بالشعر أو يردده ..."<sup>(٢)</sup> ، فقد تسرب أثر الإحساس بالترنم والإنشاد ووقع النغم في نفسه وامتلاً به قلبه منذ نشأته الأولى وفي سنه الصغيرة ، يقوي ذلك ويعضده تلك الموهبة التدوقية التي وجدها في نفسه وتدرّب عليها حتى سمي بها منهجه العلمي .

(١) مقالة الشعر الجاهلي ، مجلة العرب السنة العاشرة ، ج : ٥-٦ ، عام ١٩٧٥ م ، ص ٣٤٨ ، ولم أجد هذه المقالة في جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان ، ولم أجد عادل سليمان أخذ من مجلة العرب لمحمود شاعر إلا مقالة واحدة ج ٢ ، ص ١٠١٦-١٠٤٣ ، بعنوان : قرى عربية ، السنة الثانية ، ج ٩ ، لربيع الأول في عام ١٣٨٨-١٩٦٨ ،

(٢) ظل النديم لوجدان العلي : ص ١٦ .



### المبحث الثالث : الثقافة والتجربة

لا يشك أحد أن وراء هذه المنزلة العلمية المرموقة لمحمود شاعر ثقافة كبيرة جداً ، وقد نشأت معه تلك الثقافة منذ البواكير الأولى لحياته ، فالمراجع العلمية <sup>(١)</sup> التي رصدت معالم مسيرة محمود شاعر الثقافة تدلنا دلالة واضحة على أن الثقافة مركوزة في شخصيته وتنشئته الأولى ، وقد اهتم محمود شاعر كثيراً بالجانب الثقافي بل وناجح عنه ، وألف فيه رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، وضع فيها أصول منهجه التدقيقي وتناول فيها المستشرقين والمبشرين والمستعمرين وكيف أن جهودهم اتحدت للقضاء على الثقافة العربية والإسلامية التي نشأ عليها ، ومحمود شاعر يرى أن " ثقافة كل شعب هي تراثه البعيد الجذور تاريخه المنحدر مع أجياله ، ينقله خلف عن سلف ، وهذا التراث مكون من أفكار ومبادئ يحملها أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم وطبائعهم في زمن من حياتهم ومن تطبيق هذه الأفكار والمبادئ حتى تصبح أسلوباً لحياة المجتمع المكون من هؤلاء الأفراد"<sup>(٢)</sup>. والملاحظ أن شاعر حينما تناول الجانب الثقافي كإطار نظري في رسالته ، ربطها ربطاً مباشراً بأمرين هما في حقيقة الأمر ما يمثل صفاته الشخصية وطبيعته النفسية ، والأمران هما : الدين ، والقومية العربية ، أما الدين فيكفي أن نثبت في ذلك قوله :

"ورأس كل ثقافة هو الدين بمعناه العام والذي هو فطرة الإنسان ، - أي دين كان - أو ما كان في معنى الدين، وبقدر شمول هذا الدين لكل لجميع ما يكبح جموح النفس الإنسانية ويحجزها عن أن تزيع عن الفطرة السوية العادلة " <sup>(٣)</sup> ، فالدين عنده هو رأس الثقافة وعمادها وهو الأصل الأخلاقي للمنهج العلمي الذي

---

(١) ينظر للفصل الأول من الدراسة العلمية : محمود مُجد شاعر دراسة في حياته وشعره ، لأمني حاتم بسيسو ، وينظر

للفصل الأول من الدراس العلمية : محمود مُجد شاعر ، الرجل والمنهج ، لعمر حسن القيام ، وينظر لمهاد الدراسة

العلمية : محمود مُجد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي ، وينظر للباب الأول من كتاب :

ظل النديم ، لوجدان العلي .

(٢) جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان : ج ٢ ، ١٠٨١-١٠٨٢ .

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا محمود شاعر : ص ٣١ .

يخلص نية الإنسان ويسلمه من الزيغ والهوى ، وإغفال هذا الأصل الأخلاقي عند شاكر هو داء سماه آفات الهوى والغرض ، وهو ما يهدم شطري المنهج في جمع المادة والتطبيق ، والالتزام بهذا الأصل الأخلاقي هو ما يجعل نتائج البحث أكثر نجاعة وأقرب للصحة والصواب ، يقول محمود شاكر في ذلك :

"وهذا الأصل الأخلاقي عندي هو الدين - أي دين بمعناه العام - ؛ وهو ما يعصم الإنسان من الهوى ويكبح جموح النفس الإنسانية ويججزها من الزيغ عن الفطرة السوية ، وعلى قدر تحقق الإنسان من هذا الأصل العظيم وتلبسه به ، وانتظامه في سلوكه ، على قدر ما يكون بحثه أقرب للصحة وأميل إلى الحق ، وأحرى بالدقة التي يسعى إليها كل متجرد منصف" <sup>(١)</sup> .

أما ربط الثقافة بقومية العرب فهو نداء ضج به قلم محمود شاكر ولسانه ، فألف فيه رسالته المشهورة في الطريق إلى ثقافتنا <sup>(٢)</sup> ، وأفاض فيه في أباطيله وأسماره <sup>(٣)</sup> ، ومن أجل الثقافة العربية أقام معاركه الثقافية مع العديد من الأدباء في عصره ، وقد يكون القاسم المشترك بين جميع الشخصيات التي دخل معها شاكر في خصومة أدبية وعلمية اعتمادهم على ثقافة غربية دخيلة من وجهة نظره ، وهو الأمر الذي وصل به في بعض الأحوال إلى تمنّعه المطلق من ذكر اسم خصمه على لسانه مجرد ذِكر ، كما فعل مع لويس عوض في لقاءات صحفية وإذاعية موثقة ، ومن ذلك أن طرح عليه سؤال في إحدى اللقاءات الإذاعية كان نصه : " تابع القراء في مجلة الرسالة وغيرها معركتك الضارية مع لويس عوض ، كيف بدأت ؟ وكيف انتهت ؟ ..... " فأجاب شاكر بقوله : "أولا أنا أنكر عليك توجيه هذا السؤال ؛ لأنني لم أخض معركة ، وهذا الشيء الذي كتبته في سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م ليس معركة في الحقيقة إلا إذا عددت حياتي ... كلها معركة ، فهذا الرجل الذي ذكرت اسمه في هذه المسألة لا وجود له عندي في الحقيقة .... " <sup>(٤)</sup> ، وقد سُئل بعد هذا السؤال ستة أسئلة كلها تدور حول

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر : ص ٣١ .

(٢) السابق : ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) ينظر لأباطيل وأسمار لمحمود شاكر : ص ١١٥ وما بعدها .

(٤) ينظر لظل النديم لوجدان العلي ص : ١٠٩ - ١١٠ .

لويس عوض يتعمد في إجابتها كلها عدم ذكر اسمه ويعبر عنه بهذا النحو الذي أثبت له في الفقرة السابقة ، ولعل الثقافة العربية الخالصة التي تشرها محمود شاعر ، وتدرجه عليها بعد أن حلت عليه محنة الشعر الجاهلي ، هي ما يدفعه لمطارحة غيرها من الثقافات والمتقنين ، ولاستجلاء الجانب الثقافي عند محمود شاعر يجدر تتبع هذا الجانب طبقاً لمراحل حياته والتي كان لكل مرحلة منها ما يميز به الجانب الثقافي عنده .

### الثقافة والتجربة عند محمود شاعر : أولاً : مرحلة النشأة والتكوين :

تشير الدراسات <sup>(١)</sup> التي رصدت معالم حياة محمود شاعر إلى أن والده محمد شاعر كان من أبرز العلماء في عصره ، وقد رصد ابنه الأكبر أحمد شاعر جوانب حياته في مقال نشر عنه في المقتطف <sup>(٢)</sup> ، فقد ولد والده في مدينة جرجا المصرية عام ١٨٦٦ م ، وفيها أتم حفظ القرآن الكريم وأساسات التعليم العام ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأزهر فتلقي العلم فيه على يد كبار رجال الأزهر حتى أصبح مؤهلاً للعمل في مجالات الفتيا ، فعين عام ١٨٩٠ م أميناً للفتوى ، ثم تولى بعد أربع سنوات من ذلك منصب نائب محكمة مديرية القليوبية ، واشتغل وهو على رأس هذا المنصب بإصلاح المحاكم الشرعية ورفع فيها تقريراً خطيراً ملفتي الديار المصرية آنذاك الشيخ محمد عبده ، وقناعة المفتي بما أورده محمد شاعر في هذا التقرير دفعته لتعيينه قاضي قضاة السودان عام ١٩٠٠ م ، وقد هيا له هذا المنصب وضع أسس الحكم الشرعي في محاكم السودان لمدة أربعة أعوام ، ثم نُقل شيخاً لمعهد الاسكندرية ، وأضاف له ما لم يكن فيه من علوم الثقافة الحديثة كالحاسب والجبر والمبادئ الهندسية والعلوم الاجتماعية ، وجعل الدراسة فيها إجبارية إلى جانب علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية بعد أن كانت اختيارية ، ثم انتقل عام ١٩٠٩ م وكيلاً للجامع الأزهر فأصلح فيه وجدد وابتدأ الإصلاح بزيارات مكثفة لصعيد مصر

---

(١) ينظر للفصل الأول من الدراسة العلمية : محمود محمد شاعر دراسة في حياته وشعره ، لأمني حاتم بسيسو ، وينظر

للفصل الأول من الدراس العلمية : محمود محمد شاعر ، الرجل والمنهج ، لعمر حسن القيام ، وينظر لمهاد الدراسة

العلمية : محمود محمد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي ، وينظر للباب الأول من كتاب : ظل

النديم ، لوجدان العلي .

(٢) ينظر لمقال (محمد شاعر) لأحمد بن محمد شاعر : المقتطف المجلد ٩٥ ، أغسطس ١٩٣٩ م ، ص ٣٠٠ .

بهدف إنشاء معاهد علمية تخدم الأرياف وهجر الصعيد وقراه ، وفي عام ١٩١٣م عُين عضواً في الجمعية التشريعية وأحيل إلى المعاش في نفس السنة بناء على طلبه ، ثم بدأ يخوض غمار السياسة فأيد الحزب الوطني وانتمى له ، ونشر عددا من المقالات السياسية التي تميزت بالدفاع عن الإسلام وعن وحدة الشعوب العربية والإسلامية ، حتى توفي بالفالج في عام ١٩٣٩م ، وهو لم يؤلف - مع فقهه في الدين واشتغاله في آخر حياته بالسياسة - إلا ثلاثة كتب صغيرة الحجم في العقائد الدينية وفي ترجمة القرآن الكريم وفي المنطق الصوري<sup>(١)</sup>، وبعد هذا العرض السريع لحياة مُجد شاکر ومسيرته العلمية ومناصبه القيادية واشتغاله في آخر حياته بالسياسة، فقد يتوهم أنه كان في شغل من ذلك عن تثقيف أبنائه وتنشئتهم العلمية ، ولكن ترجمة أحمد شاکر لأبيه والتي اعتمدت عليها في العرض الموجز السريع لحياة مُجد شاکر العلمية والعملية نفت ذلك عنه ، حيث ذكر أحمد شاکر بأن والده كان يقرأ عليهم تفسير القرآن الكريم عدة مرات من كتب مختلفة ، كما قرأ لهم بعضاً من كتب الصحاح والفقه وأصوله ، بل و أصر على إخراج ابنه أحمد وعلي من مدراس التعليم العام في عصره إلى مدراس متدنية تهتم بالعلم الشرعي ، وقد عاش محمود شاکر في كنف والده ثلاثين عاماً ، فقد ولد محمود عام ١٩٠٩م حينما كان عمر والده اثنين وأربعين عاماً ، وهي نفس السنة التي عين فيها وكيلاً للجامع الأزهر، فمن الطبيعي جداً أن يتأثر محمود شاکر بثقافة والده ومشيخته وتربيته ، فما لبثت عينا محمود شاکر أن ترى النور إلا ووالده وكيلاً أزهرياً وفقهياً حنكته التجارب والمناصب والسنين التي وصل معها إلى الرشد والنضج ، وقد تبدت آثار شخصيته على ابنه محمود خاصة ، فمحمود كان ذا نزعة دينية وقومية عربية قوية ، وكان قوي الإيمان بالثقافة الإسلامية وخصص لها مؤلفات تزدود عنها وتنافح ، ولا عجب إن فعل شيئاً من ذلك وتلك صفات والده. إذن هذا هو المهدي الذي نشأ فيه محمود شاکر في ظلال والد كريمة أولى العلم والتدين والثقافة الإسلامية جل ما يمكن أن يوليه من اهتمام ورعاية في مراحل حياته المختلفة ، ولكن تلك التنشئة والاهتمام لم تكن كافية لأن

---

(١) دلي على ذلك كتاب محمود مُجد شاکر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم الكوفحي : ص ٢٢ ، وقد دلي أيضاً

على المصدر الذي استقى منه آثار مُجد شاکر العلمية ووجدته دقيقاً في النقل والتوثيق ، حيث نسب المؤلفات

العلمية لمحمد شاکر عن طريق كتاب : مصادر الدراسة الأدبية ليوسف أسعد داغر ، ط بدون ، لمنشورات جمعية

أهل القلم في لبنان ، ج٢ ، ص : ٤٦٦-٤٦٧ .

تقنع محمود شاعر في أن يحب اللغة العربية أو أن تجدد إلى قلبه سبيلاً ، فمن العجيب أن يكون مثل محمود شاعر قد نشأ في هذه الحاضنة الثقافية الدينية واللغوية وهو ضعيف في دراسته الابتدائية في اللغة العربية حتى أخفق بسبب من ذلك في السنة الرابعة فأعادها مع ميله الشديد للغة الإنجليزية وحبه ، ومن الأعجب أن يكون إخفاقه في اللغة العربية في السنة الرابعة الابتدائية هو الطريق لأن يكون إماماً للعربية نفسها وحاملاً للوائها ، فقد تسبب إخفاقه في تركه للمدرسة وبدء رحلته العلمية الكبرى في رحاب الأزهر الشريف ، فسمع فيه أولاً خطب الثوار وسمع في رواق السنارية مطارحة شعرية ، وسمع فيه شعراً للمتنبي وأحبه ، واتفق أن أهده ابن خاله ديواناً للمتنبي وفي ذلك يقول محمود شاعر :

" فلم أكد أظفر به حتى جعلته وردي في ليلي وفي نهاري حتى حفظته يومئذ ، وكأن عيناً دفيناً في أعماق نفسي قد تفجرت من تحت أطباق الجمود الجاثم ، وطفقت أنغام الشعر تتردد في جوانحي وكأنني لم أجهلها قط ، وعادت الكلمة العربية في مكانها من نفسي وإن لم أجدها زحزحت شيئاً من الكلمة الإنجليزية التي غرسها دنلوب اللعين في غضارة أيامي ... " (١) .

وقراءته للمتنبي في هذه السن الصغيرة وحفظه لديوانه هو ما حقق له بعد ذلك قراءته النقدية للمتنبي في كتابه المتنبي ، بتلك الطريقة التي ملأت عالم الأدب في عصره وأشغلت معها الأدباء ، مما يدل دلالة وثيقة على عمق الأثر الثقافي الذي خلفته في نفسه وثقافته تنشئته بين يدي أبيه ، وزاد من الأمر أن تتلمذ وهو ابن الرابعة عشرة على يد الشيخ السيد بن علي المرصفي ، فأعاد محمود شاعر إلى لغته العربية وأصل في نفسه حبه لها ، وتأثر به تأثراً شديداً امتد في نفس محمود شاعر طويلاً ، وقد كانت طريقة شيخه المرصفي في قراءة الشعر الشراة الأولى التي أوقدت النار في التذوق عند محمود شاعر (٢) فكان شديد التأثر بها وبنغمها وبتريديد كلمات البيت الواحد والوقوف عندها وتذوقها كما يجب .

وقد تسببت طريقة المرصفي في قراءة الشعر لمحمود شاعر على هذا النحو في حفاوة شاعر بالشعر الجاهلي خاصة ، وفي الحرص على قراءته وتتبع قواصيه ونوادره ، فقرأ كل ما وقع بين

---

(١) أباطيل وأسمار لمحمود شاعر : ص ٤٤٧ .

يديه من دواوين الشعر الجاهلي، يقول شاعر في معرض حديثه عن قراءته الشعر الجاهلي على الشيخ المرصفي ومدى تأثيرها عليه : "وإن قراءتي على الشيخ أوقفتني على شيء مهم جدا ، شغلني واستولى على لي ... فعدت أدراجي أقرأ دواوين الشعراء الجاهليين ديواناً ديواناً ، شاعراً شاعراً ، ومن لم أجد له منهم ديواناً جمعت لنفسي ما بقي من شعره وقرأت شعره مجتمعاً ، وهذا المسلك في ترتيب القراءة جعلني أجد في الشعر الجاهلي شيئاً لم أكن أجد من قبل وأنا أقرأ الشعر الجاهلي متفرقا على غير نظام ، مبعثراً بين الشعراء المختلفين ، أو وأنا أحفظ هذه المعلقات العشر وأدارسها <sup>(١)</sup> معاني ألفاظها .... " <sup>(٢)</sup> ، ومعنى هذا أن محمود شاعر كان مهياً ثقافياً لرد رأي أستاذه طه حسين حينما قال ما قاله في الشعر الجاهلي ، وأن الفضل في ذلك يعود بعد الله إلى الأثر العلمي الذي خلفه في نفسه وتفكيره شيخه المرصفي ، إضافة إلى ما كان يحتزله مخزونه الثقافي قبل مدارس المرصفي واطلاعه على الشعر الجاهلي بجهوده الشخصية والتي تمخض عنها مثلاً حفظه للمعلقات العشر ، فالقول بأثر شيخه المرصفي الثقافي عليه حقيقة ظاهرة أقر هو بما خلفته في نفسه وفي فكره وفي طريقة تعاطيه مع هذا الشعر .

ولم تنحصر علاقة محمود شاعر الثقافية في مرحلة نشأته وتكوينه برمز أدبي كبير في عصره كالشيخ المرصفي ، بل تجاوزتها إلى قامة علمية أدبية أخرى كان لها عظيم الأثر في فكر محمود شاعر ، بل وامتزجت بحميمية أحسها محمود تضطرم في قلبه وهو في مرحلة دراسته الثانوية ، إنها علاقته مع الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي والذي أعاد بعض الدارسين علاقة محمود به وهو ابن أربع عشرة سنة <sup>(٣)</sup> ، حينما قرأ له كتابه المساكين، وحينما بعث إليه محمود شاعر برسالة يطالبه فيها بالذب عن القرآن الكريم من طعن القائل بأن قول العرب

(١) وردت هذه الكلمة في أصل المقال (إدارسها) وقد نبه صاحب جمهرة مقالات محمود شاعر في الحاشية رقم (١-٢)

على أنها وردت (إدارسها) في أصل مجلة الثقافة وأن الصواب فيها (أدارسها) وقد صدق في ذلك ولذلك قمت بإثبات الصواب في المتن بشكل مباشر لأن المعنى لا يستقيم مع ما أجزم بأنه خطأ مطبعي .

(٢) جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان : ج ٢، ص ١١٧٨ .

(٣) ينظر : محمود محمد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي ، وينظر لظل النديم لوجدان العلي ، ص

القتل أنفى للقتل أفصح<sup>(١)</sup> من قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، ولعل أثر تعصبه للغة العربية وحبها لها قد تسرب كثير منه إلى نفسه من خلال أستاذه الرافعي ، وقد هيا لذلك عاطفة حميمة متبادلة بينهما لبعضهما البعض ، على الرغم من فارق السن بين الأستاذ وتلميذه ، وقد عبر شاكر عن ذلك بقوله :

"عرفت الرافعي معرفة الرأي أول ماعرفته ، ثم عرفته معرفة الصحبة فيما بعد .... فلم أجد خيراً إلا خيراً مما كنت أرى ، وتبدت لي إنسانية هذا الرجل كأنها نعمة تجاوب أختها في ذلك الأديب الكاتب الشاعر ، وظفرت بحبيب يجني وأحبه ؛ لأن القلب هو الذي كان يعمل بيني وبينه ، وكان في أدبه مسٌ هذا القلب..."<sup>(٣)</sup> ويكفي لإثبات ما يكتن بين جوانح محمود شاكر لأستاذه ذلك الرثاء الذي أوقفه عن هم أهمه ، رثاء تكاد حروف كلماته تقطر باللوعة والأسى والحزن العميق للفاجعة الكبرى والنازلة الأطم وهي موت أستاذه وحببيه الرافعي ، ذلك الرثاء الذي تكررت فيه كلمة أيها الحبيب في مناجاة تثير كل العواطف ، وهو ذاته الرثاء الذي قطع به سلسلة مقالاته التي شن فيها هجوماً على طه حسين يتهمه فيها بأخذ كتابه المتنبي ، وأفرغ في رثاء الرافعي دواة حزنه وألمه في مقالة (نجوى الرافعي)<sup>(٤)</sup> ، وقد كان الرافعي يبادل له الحب والإعجاب ويعلم يقيناً منزلته في نفس تلميذه ومن ذلك قوله : "وابن الشيخ شاكر هذا من المخلصين لنا كل الإخلاص والمتعصبين كل التعصب ، أكثر الله من أمثاله..."<sup>(٥)</sup> ، " وكان الرافعي حريصاً...على تلميذه وكثيراً ما كان يكتب إليه إذا هو تأخر عن مراسلته ، يسأله عن حاله وعن سبب انقطاعه عنه ، ولعله كان يرى في محمود خليفته الذي يحمل

---

(١) الرسالة كاملة مثبتة في كتاب حياة الرافعي لمحمد العريان ، ط ٣، لعام ١٩٥٥ م ، للمكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ص ١٧٢-١٧٤ ، نقلا عن جريدة البلاغ عدد نوفمبر للعام ١٩٢٣ م .

(٢) سورة البقرة : الآية الكريمة رقم : ١٧٩ .

(٣) حياة الرافعي لمحمد العريان : ص ٨ ، وهذا النقل من تصدير محمود شاكر لهذا الكتاب .

(٤) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان : ج ١، ص ١٦٧ .

(٥) رسائل الرافعي لمحمود أبو رية، ط ١، لعام ١٩٥٠ م ، لدار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، ص ٢٣٦-٢٣٧ .

من بعده لواء التبشير بمذهبه في الفكر والأدب ...<sup>(١)</sup> ، ولعل أهم تأثير كان للرافعي على محمود شاكر قراءتهما الآنية لمؤلفات بعضهما وتبادلها النقد والإعجاب لأعمالهما الأدبية ، ومن ذلك نقد شاكر لكتاب (ابن الرومي حياته من شعره) ووصفه فيه بالتناقض<sup>(٢)</sup> ، ويقابل ذلك قراءة الرافعي الآنية لكتاب المتنبي لتلميذه وثناؤه عليه وإعجابه الشديد بما وجد فيه ، وتدل مقالة الرافعي التي كتبها عن كتاب المتنبي أنه قرأ ما فيه بعناية ومزيد من الاهتمام<sup>(٣)</sup> ، وقد تسبب إعجابه به في الكشف عن عاطفته وميله الشخصي لتلميذه شاكر، فهو يرى أن روح المتنبي المتسمة بالكبرياء قد أظهرت كبرياءها مرة أخرى على يد شاكر واعتزلت المشهورين من الأدباء العرب ، ووصف كتاب المتنبي بـ " البحث النفيس " الذي تبصّر فيه مؤلفه لأشياء "كانت خافية ، وكان الصدق فيها ، ليرد بها على أشياء كانت معروفة وكان فيها الكذب ، ثم تعينه بكل ذلك على أن يكتب الحياة التي جاءت من تلك النفس ذاتها ، لا الحياة التي جاءت من نفوس أعدائها وحسادها"<sup>(٤)</sup>، ومن أشد ما أعجب به الرافعي في هذا الكتاب أنه كشف سر حب المتنبي لخولة في باب كامل، " وهذا الباب من غرائب هذا البحث ، فليس أحد من هذه الدنيا المكتوبة... يعلم هذا السر .. والأدلة التي جاء بها المؤلف تقف الباحث المدقق بين الإثبات والنفي ، ومتى لم يستطع المرء نفيّاً ولا إثباتاً في خبر جديد يكشفه الباحث ولم يهتد إليه غيره ، فهذا حسبك إعجاباً يذكر ، وهذا حسبه فوزاً يُعَدّ..."<sup>(٥)</sup>، يضاف إلى ذلك تلك العلاقة التأثيرية المشتركة بين الأستاذ وتلميذه ببعض رموز الأدب في عصرهما ، وتلك المواقف المنسجمة التي اتخذها معاً لمواجهة أساطين كطه حسين وسيد قطب والعقاد ، فقد كانا على خطوط تماس متقاربة أو تكاد تجاه هذه الشخصيات العلمية البارزة ، وقد يمكن بعد ذلك الإشارة إلى تلك العلاقة الخفية التي تبدت لي من

(١) محمود مُجّد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي، ص : ٤١ .

(٢) على السفود ، مصطفى الرافعي، ط١، عام ١٩٣٠م ، دار العصور بمصر ، ص٥٠-٥٣، وما اشتمل على شيء من ذلك أيضا مقالات (بين الرافعي والعقاد) ، جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان ج١، ص٨-٣٦ ، وكذلك مقال في ذكرى الرافعي (السابق، ج١، ص١٧٠-١٧٣) ومقدمة كتاب حياة الرافعي لمحمد العريان .

(٣) جاء ذلك في مقالة نشرها الرافعي في مجلة الرسالة سماها (المقتطف والمتنبي) وهي مثبته في وحي القلم لمصطفى الرافعي، راجعه واعتنى بهدرويش الجويدي ط بدون ، تاريخ بدون ، المكتبة العصرية ببغروت ، ج٣ ، ص ٣٤٩ .

(٤) السابق ص : ٣٥٠ .

(٥) السابق : ص ٣٦ .



ثناء الرافعي على كتاب المتنبي ومن تأليف شاعر نفسه لكتاب المتنبي ، فثناء الرافعي له قد يكون منطلقه تقارب المنهجين العلميين بين كتابي ابن الرومي حياته من شعره وكتاب المتنبي ، وسر إعجابه به أن شاعر قد استلهم فيه نفس منهج كتاب ابن الرومي وجاء بما لم يأت به أحد بسبب من هذا المنهج ، لاسيما وأنه أول كتاب أخرجه محمود شاعر ولقت إليه الأنظار واسترعى به انتباه النقاد والأدباء ، أما شاعر فأكد أصل بالشك إلى اليقين أن صنيع الرافعي حينما قرأ ابن الرومي كان حاضراً بين عينيه ، بدليل اطلاعه التام على هذا الكتاب ونقده له كما سبق ذكره آنفاً ، وبدليل أنه قرأ المتنبي هو أيضاً من وجهة قريبة من قراءة شيخه لابن الرومي ، إلا أن الأكيد من ذا وذاك أن الرافعي قد أحدث أثراً ثقافياً لا تحطه العين في فكر محمود شاعر وحياته الأدبية في بداية نشأته وتكوينه.

### الثقافة والتجربة عند محمود شاعر : ثانياً : مرحلة الثورة:

كان للمرصفي والرافعي كما سبق ذكره أثر بالغ في تكوين محمود شاعر الثقافي في مرحلة نشأته الأولى ، إلا أن هذا الأثر لم يستطع أن يغير مسار محمود شاعر في وجهته الدراسية في مرحلة دراسته الثانوية ، فمع اطلاعه الكبير الذي تمت الإشارة إليه آنفاً بفضل شيخه على الشعر والأدب ، إلا أنه توجه في دراسته للقسم العلمي في مرحلة البكالوريا بسبب حبه للرياضيات واللغة الإنجليزية وتمكنه منهما ، ولكن محمود لم يسلم نفسه لهذا المسار في مرحلة دراسته الجامعية ، على الرغم من وجود نظام لا يتيح له الالتحاق بالأقسام الأدبية في الجامعة إذا كان مسار دراسته في مرحلته الثانوية علمياً ، إذ وجد في نفسه بعد مدارس شيخه حباً للغته العربية من جهة ، ورغبة منه في مخالفة زملائه الذين التحقوا بالأقسام العلمية في الجامعة من ناحية أخرى كما تشير لذلك المؤلفات التي رصدت معالم مسيرته العلمية<sup>(١)</sup>، بل وكما أقر بشيء من ذلك بنفسه في بعض مقالاته<sup>(٢)</sup> ، إلا أن

---

(١) ينظر للفصل الأول من الدراسة العلمية : محمود مُجَّد شاعر دراسة في حياته وشعره ، لأمانى حاتم بسيسو ، وينظر للفصل الأول من الدراس العلمية : محمود مُجَّد شاعر ، الرجل والمنهج ، لعمر حسن القيام ، وينظر لمهاد الدراسة العلمية : محمود مُجَّد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي وينظر للباب الأول من كتاب : ظل النديم ، لوجدان العلي .

(٢) ينظر في ذلك لمقالة (المتنبي ليتني ماعرفته ) ، جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان ، ج٢ ، ص : ١٠٩٣ -

طه حسين له يد لا ينكر محمود فضلها عليه ، فقد استطاع إقناع مدير الجامعة بإلحاق شاعر بكلية الآداب بجامعة القاهرة وقد أقر بذلك شاعر نفسه <sup>(١)</sup> ، والعجيب أن طه حسين الذي كان سبباً لدخول شاعر إلى الجامعة كان هو ذات السبب لخروجه من الجامعة ، بعد أن قال طه ما قال في الشعر الجاهلي وبعد أن يبس الثرى بينه وبين أستاذه بسبب من ذلك ، ومع توقير أهل العلم وإجلالهم والتأدب بين يديهم الذي نشأ عليه محمود شاعر ورشف لبانه منذ صغره ، إلا أنه لم يتردد في الاعتراض على رأي أستاذه طه في الشعر الجاهلي ، وقد كان مؤهلاً ثقافياً لأن يتهمه بأن ماجاء به ليس إلا حاشية لمقالة مرجليوث في الشعر الجاهلي ، ومن هنا نشأت بينه وبين طه خصومة أدبية يكره شاعر كثيراً وصفها بالخصومة الشخصية <sup>(٢)</sup> .

وتعد هذه المرحلة بالذات الأهم والأكبر في التكوين الثقافي لدى محمود شاعر بل والمنهجي أيضاً ، فقد اضطره رأي أستاذه طه حسين لأن يقلب موروث التراث العربي و لا يخرم منه شيئاً مما وقع بين يديه منه ، كما دفعه منهج أستاذه الذي استخدمه لأحجية الشعر الجاهلي لأن يستخلص لنفسه منهجاً يقابله وينافح به عن معتقده الأصيل بسلامة وصحة الشعر الجاهلي ، واستخلاص ذلك المعتقد عن طريق الشعر نفسه بمنهاج التدقيق الذي طبقه على كل كلام ، فلا غرو أن يكون طه حسين المحور الرئيس للتكوين الثقافي والتجربة العلمية عند محمود في مرحلة شبابه وفتوته ، فقد قذف به موقف أستاذه وسط دائرة ثقافية كبيرة جداً ألزم فيها شاعر تسليح نفسه وفكره بالفكر العربي القديم الأصيل في مختلف المجالات والتخصصات .

وبفضل تلاحق أثر ثقافة النشأة والتكوين وثقافة الشباب على يد المصرفي والرافعي وآراء طه حسين ، أنتج محمود شاعر أول نتاج أدبي له استوقف إليه الأنظار وعرفه به الوسط الثقافي في العالم العربي كله واستطاع به أن يحصل جائزة الملك فيصل العالمية خلال العام الهجري الرابع بعد الأربع مائة وألف <sup>(٣)</sup> ، ولم يكن الخلاف محصوراً بين الأستاذ محمود شاعر وطه حسين على محنة الشعر الجاهلي فقط دون سواها ، فقد امتد الخلاف

---

(١) جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان ، مقالة (المتنبى ليتني ماعرفته) : ج ٢، ص ١٠٩٧ .

(٢) السابق : ج ٢، ص ١١٠٠ .

(٣) نشر محمود شاعر شهادة براءة جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي في كتابه المتنبى ص : ١٩٥ .

بينهما لما هو أشد وأكبر ، وذلك حينما اتهم محمود شاكر طه حسين أنه قد سطى سطوا ملفعا على كتابه المتنبي ، بعد أن أخرج طه كتابه مع المتنبي في نفس السنة التي أصدر فيها محمود شاكر كتابه عن المتنبي عام ستة وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد ، فكتب في ذلك سلسلة مقالاته المشهورة (بيني وبين طه)<sup>(١)</sup> ، ولم يوقفه عن كتابة هذه المقالات إلا موت أستاذه وشيخه مصطفى صادق الرافعي.

ومن ينظر لهذه المقالات وغيرها وهجوم شاكر فيها العنيف على طه حسين في مرحلة شبابه وفتوته ، لا يتوهم بأن شاكرأ نفسه عند نضجه واكتهاله سيتوب من الهجوم على أستاذه ويبرئه من تهمة فساد الحياة الأدبية، والتي كانت أصابع شاكر تشير كلها إلى طه حسين فيها ، فقد وجدت في مجلة الكاتب المصرية في عدد شهر مارس للعام الميلادي خمسة وسبعين وتسعمائة وألف مقابلة صحفية أثني فيها شاكر على طه حسين وبرأه فيها من التهم التي كالحا له في مرحلة ثورته الثقافية ، يقول شاكر فيها بعد أن ذكر قصة إنشاء جامعة القاهرة " .... ولكن لم تكد تمضي سنة على إنشاء الجامعة ، حتى صرنا إلى أمرٍ غريبٍ جداً : لا يكاد يُذكر اسم الجامعة حتى ينصرف ذهن كل سامع إلى كلية الآداب وحدها، ثم إلى الدكتور طه حسين وحده، مع أن عدد طلبة كلية الآداب كان يومئذٍ يُعدُّ بالعشرات، وكان عدد طلبة قسم اللغة العربية من هذه الكلية يكاد يعد على الأصابع ، أي أنك تستطيع أن تقول بلا تجوُّزٍ كثير: إن طه حسين كان عند الناس هو الجامعة ، وكانت الجامعة عندهم هي طه حسين..." وبين أن الفضل في ذلك راجع إلى طه حسين، وإلى ما أثاره يومئذٍ من صراع عنيف في الحياة الأدبية لذلك العهد ، ثم يمضي فيبرئ طه من بعض التهم التي اتهمه بها ويسوق لذلك بعضا من الأدلة ، يقول في ذلك : "لقد لقيَ طه حسين يومئذٍ ما لقيَ، ونُسِبَ إليه ما أقطعُ بأنه بريء منه، والدليل على براءته عندي، هو أنه منذ عرفته في سنة ١٩٢٤ إلى أن تُوفيَ في ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣، كان كما وصفته في أول حديثي، مُحباً للسانه العربي أشدَّ الحب، حريصاً على سلامته أشدَّ الحرص، متذوقاً لروائعه أحسن التذوق؛ فهو لم يكن يريد قط باللسان العربي شراً، بل كان من أكبر المدافعين عنه ، المنافحين عن تراثه كله إلى آخر حياته. ومحال أن يُخشَّرَ من هذه خِصاله في زُمرة الخبثاء، ذوي الأحقاد من ضعاف العقول والنفوس، الذين ظهروا في الحياة العربية لذلك العهد، بظهور سطوة الاستعمار، وسطوة التبشير،

---

(١) نشر شاكر تلك المقالات في كتابه المتنبي ونشر قصته مع طه حسين في ذلك : ص ٨ وما بعدها.

وهما صنوان لا يفترقان " ثم يمضي ليسوق دليلاً آخر على تبرئة طه حسن من فساد الحياة الأدبية التي كانت عنوانه العريض حينما يكتب عن طه شيئاً ، وذلك الدليل يتلخص أنه حين انجلى غبار ما أثاره طه حسين بكتابه «في الشعر الجاهلي» «مستقبل الثقافة في مصر» ، ومع أنهما كتابان لا قيمة لهما من الوجهة العلمية عند محمود شaker ، فقد انجلت بعد ذلك نفس طه حسين وناقض به ما كتبه وما قاله في كل ما في هذين الكتابين من فساد! وأعاد سبب ذلك إلى هذه الخصال الحميدة التي كادت تكون في نفسه ، وفي حبه للعربية ، وحرصه على سلامتها ، وما هداه الله إليه من حسن التذوق لروائع البيان ، وقد أسهم ذلك كله من وجهة نظر شaker في شهرة طه حسين ، وفي ارتباط حياته بحياة هذه الأمة العظيمة من العرب والمسلمين ، ويرى محمود شaker في هذا اللقاء الصحفي أن طه حسين أدرك إدراكاً واضحاً جداً ، أن اللسان العربي قد صار في محنة ، لا في نفسه بل في هذه الأعداد الهائلة من المثقفين الذين رفضوا الأدب العربي كله ، ورفضوا القديم كله ، شعره ونثره ، ليس في مصر وحدها ، بل في كثير من البلاد العربية ، وأن أعدادهم إلى تكاثر كلما تقدمت الأيام ؛ فأخذ يُعبر عن ذلك بألفاظ محزنة باكية ، وحاول أن يتألف هؤلاء النافرين ، ويردهم أديهم القديم لكي يظل قواماً للثقافة ، وغذاءً للعقول ؛ لأنه أساس الثقافة العربية ، ويعتبر شaker أن مقام به طه حسين في ذلك كان مقوماً للشخصية العلمية العربية ومحققاً لقوميتها ، وعاصماً لها من الفناء في الأجنبي ، ومُعينا لنا على أن نعرف أنفسنا ، هذه الكلمات لو تمت مقابلتها بتلك التي كتبها محمود شaker في بداية خصومته الأدبية مع طه حسين لثوهم في نسبتها إليه ، ويكفي أن تتم مقابلتها بتهمة الفساد الحياة الأدبية التي دندن عليها شaker في غير ما موضع من كتاباته<sup>(١)</sup> ، بل واتهامه الصريح بالسطو والثرثرة وصفاً لما جاء به طه في الشعر الجاهلي<sup>(٢)</sup> ، وتجريده من الأصالة العربية كلها وملئه فمه بما يعتَم الحقائق ويبدل وجهتها<sup>(٣)</sup> ، والتي تتصل بطه حسين اتصالاً مباشراً بعد أن قوض معنى الجامعة في نفس تلميذه محمود شaker ، ولعل محمود شaker أراد من ذلك بعضاً من الرجوع

(١) ينظر رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شaker ص: ٦ وما بعدها ، وينظر لمقدمة كتاب المتنبي لمحمود شaker ص: ٨ وما بعدها .

(٢) ظل النديم لوجدان العلي ص : ١٣٢ .

(٣) أباطيل وأسمار لمحمود شaker : ص ٢٧١ .

وشيئاً من التوبة عما أساء به لأستاذه في مرحلة الشباب وعنفوانه وبعد أن نضج واكتهل وحنكته التجارب ، وأما كان الأمر فإن طه حسين هو المحور الرئيس الذي أثر على حياة شاكر الثقافية في مرحلة شبابه وفتوته .

### الثقافة والتجربة عند محمود شاكر: ثالثاً : مرحلة النضج والإنتاج العلمي :

يمكن عد أحمد مُحمَّد شاكر الأخ الأكبر لمحمود شاكر أهم رافد ثقافي له مرحلة ما بعد الثورة والشباب ، على الرغم من اتصاله به وتأثره به وهو في صغره ، إلا أن الذي يدفع لجعل تأثير أحمد في هذا الموضع أن أحمد شاكر رحمهم الله جميعاً كان صارفاً همته للحديث النبوي الشريف وعلومه واهتم بعلم بالتفسير حتى سماه محمود نفسه (إمام المحدثين)<sup>(١)</sup> ، فبعد أن صرف محمود شاكر همته إلى ثقافة واسعة في تذوق الكلام بعد أن أصيب بمحنة الشعر الجاهلي ، وكان من بين مواد تلك الثقافة علمي الحديث والتفسير ، وقد وجد في أحمد شاكر أستاذاً له وشيخاً في هذين المجالين ، فأسقط ما أخذه منه في علوم الحديث على رواية الشعر العربي ، وأخرج بفضل الله ثم بعلم أخيه تفسير الطبري ؛ حيث لم يتردد محمود شاكر في بيان فضل أخيه عليه في صغره وكبره وفي تحقيق تفسير الطبري خصيصاً<sup>(٢)</sup> . ومن العلماء الذين أثروا في تجربة محمود شاكر وثقافته في هذه المرحلة ، الشيخ مُحمَّد عبد الحي ابن عبد الكبير الإدريسي<sup>(٣)</sup> ، وقد كان محمود شاكر يلزمه حين يسمع بوفادته إلى مصر فتأثر به تأثراً شديداً،

---

(١) جاء ذلك في مقدمة كتاب حكم الجاهلية لأحمد مُحمَّد شاكر ، ط ١، عام ١٩٢٢م، مكتبة السنة بالقاهرة ، ص ١٩ و ما بعدها ، حيث صدر محمود شاكر لهذا الكتاب وأطلق عليه إمام المحدثين في هذا التصدير .

(٢) يقول محمود شاكر في فضل وجهه أخيه أحمد شاكر في تحقيق تفسير الطبري خاصة : " ...ففضل أخي أن ينظر في أسانيد أبي جعفر ...فيتكلم عن بعض رجالها ...ثم يخرج ما فيها من أحاديث ... فإن وجد بعد ذلك فراغاً نظر في عملي وراجع واستدرك عليه ، فشكرت له هذه اليد التي طوقني بها ، وكم له عندي من يد لا أملك جزاءها.... وحسبه من معروف أنه سدد خطاي صغيراً ، وأعانني كبيراً "تفسير الطبري ، ج ١، ص ١٢-١٣ .

(٣) مُحمَّد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الإدريسي الكتاني ولد في فاس بالمغرب سنة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤م - وتوفي في مدينة نيس ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م ، من أكبر علماء المغرب في الفقه الإسلامي ، وله ثلاثون ومائة كتاب مؤلف ، ينظر لكامل ترجمته في مقدمة فهرس الفهارس والأثبات ، ومعجم المعاجم والأشياخ والمسلسلات ، لمحمد عبد الحي الكتاني ، اعتنى به إحسان عباس ، ط ٢، عام ١٩٨٢م ، لدار الغرب الإسلامي ببيروت ، ج ١، ص ٥-٤٤ .

وقد ذكر محمود شاعر شيئاً من أثره وفضله في مقالة له أسماها باسمه <sup>(١)</sup>، ويرى الدكتور إبراهيم الكوفحي أن محمود شاعر قد تأثر بالكتاني تأثراً بالغاً بشكل خاص في اقتناء الكتب والمخطوطات واللقاء بأهل العلم وخاصته ، وهذا ما يفسر اعتناء محمود شاعر بإخراج المخطوطات وتحقيقها وقراءته وتعليقاته عليها والتي هي بين يدينا الآن ، فقد أعقب ملازمته لهذا العالم تحقيقه لكتاب (فضل العطاء على اليسر لأبي هلال العسكري) ، ثم تتوالى بعد ذلك التحقيقات وإخراج المخطوطات التي استطاع اقتناءها في تلك المرحلة وبأثر بالغ من منهج شيخه الكتاني . ومن العوامل المؤثرة في مسيرة محمود شاعر وتجربته في هذه المرحلة أيضاً المجالات والجرائد الثقافية ، التي كانت ميداناً عريضاً تتبارى فيه أقلام الكبار ، وقد سطر فيها محمود شاعر عصارة ثقافته وتجربته ، وتنبغي الإشارة إلى أن جُلَّ أعمال محمود شاعر الأدبية ومجهوداته في التأليف هي في حقيقتها مقالات نشرت على صفحات تلك المجالات والجرائد السائدة في عصره ، كمجلة الرسالة، والمقتطف ، والزهور ، وجريدة المقطم، والبلاغ ، والدستور وغيرها ، فقد ضمَّ محمود مجموع مقالاته في كتب كالمكتبي ، وأباطيل وأسمار ، ونمط صعب ونمط مخيف ، وقد قام الأستاذ عادل سليمان بجمع مقالاته الأخرى في كتاب نفيس أسماه (جمهرة مقالات محمود شاعر) ، ويكفي في ذلك أن نشير لأثر المجالات والجرائد الثقافية على تجربة محمود شاعر - غير ما ذكر آنفاً- إلى تلك المقالات التي نشرها في مجلة المقتطف لنقد كتب أدبية ، ككتاب ضحى الإسلام لأحمد أمين <sup>(٢)</sup> ، وأنتم الشعراء لأمين الريحاني <sup>(٣)</sup> ، والنثر الفني في القرن الرابع الهجري لزكي مبارك <sup>(٤)</sup> . ومن العوامل المؤثرة على ثقافة محمود شاعر وتجربته في مرحلة النضج وما بعدها تلك الصراعات الأدبية والنقدية مع أدباء ونقاد عصره ، بعد أن زاد رصيده

(١) نشرت هذه المقالة في مقدمة مجلة المقتطف في المجلد ٨٢، ص: ٤٨٣ عدد إبريل ١٩٣٣ م ، وأثبتها صاحب جمهرة مقالات محمود شاعر عادل سليمان : ج ٢، ص ٦٣٠.

(٢) المقتطف ، المجلد ٨٢، ص ٣٦٠-٣٦٥، مارس لعام ١٩٣٣ م ، (جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان ج ٢، ص ٦٢٣-٦٢٩).

(٣) المقتطف ، المجلد ٨٣، ص ٢٩٢-٢٩٥، ديسمبر لعام ١٩٣٣ م ، (جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان ج ٢، ص ٦٦٣-٦٦٥).

(٤) المقتطف ، المجلد ٨٤، ص ٥١١-٥١٤، إبريل لعام ١٩٣٤ م ، (جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان ج ٢، ص ٦٨٢-٦٨٦).

الثقافي في مرحلتي الصغر والشباب ، وقد استدعى محمود شاعر في هذه المرحلة ما استجمعه من ثقافته وتجربته السابقة ليحتشد إلى ما تطلبه هذه المرحلة من ثقافة هي أكبر من أختيها ، وقد أشرت آنفاً للأثر الذي خلفه عليه الشيخ محمد محي الدين الكتاني ، حيث نهض محمود بتأثر من شيخه الكتاني إلى كتب التراث العربي لا يقرأها فحسب ، ولكنه نهض إليها ليخرجها إلى أهل العلم من نسخها الأولية التي خطتها يد الوارقين والنساخ وأهل العلم وخاصته ، فأجأه تحقيق هذه الكتب إلى الاستفادة من ثقافات الآخرين ولا سيما أولئك الذين كانوا يحيون في محمود شاعر جانب تحقيق كتب التراث ، كمحب الدين الخطيب <sup>(١)</sup> ، حيث كان "يتردد على الخطيب في دار المطبعة السلفية فكثيراً ما كان يوجهه إلى بعض الأعمال النافعة في هذا المجال ، أو يطلب منه مساعدته في تحقيق بعض الكتب التراثية وتصحيحها" <sup>(٢)</sup> فسبب إخراجه لتلك الكتب صراعاً أدبياً مع العديد من الشخصيات البارزة ، كعلي جواد الطاهر ، والسيد صقر .

كما قامت في هذه المرحلة صراعات ثقافية مع شخصيات بارزة أخرى على خلفية بعض الآراء والأحكام والمناهج العلمية التي لم يرضها شاعر ، ووصل في تلك الصراعات إلى ذروة الانفعال بل والتناول على أصحاب تلك الآراء لا الآراء نفسها ، كما فعله مع لويس عوض في أباطيل وأسمار ، وقد كان محمود شاعر جريئاً جداً في بيان آرائه العلمية في تلك الصراعات ، غير مبالٍ حين يتعلق الأمر بالعلم بالأسماء الكبيرة واللامعة ، كطه حسين ، وسيد قطب ، وعلي الطنطاوي ، وزكي مبارك ، وسلامة موسى ، ومحمد رجب البيومي ، ولويس عوض ، وشوقي ضيف ، وقد تسرب أثر جرأته العلمية إليه من جرأته الشخصية التي أدخلته المعتقل ، فقد تجرأ على ذات رئيس الثورة جمال عبد الناصر وقام بسبه وشتمه مع صديقه يحيى حقي ، وكلفه ذلك السجن تسعة أشهر من عام تسعة وخمسين وتسع مائة وألف

---

(١) محب الدين بن أبي الفتح محمد عبد القادر صالح الخطيب ولد بدمشق عام ١٣٠٣هـ - ١٨٨٦م وتعلم بالآستانة حضر إلى القاهرة ١٩٠٩م وعمل في جريدة المؤيد ، ثم قصد العراق فاعتقله الإنجليز سبعة أشهر ، ثم ذهب إلى مكة المكرمة عام ١٩١٦م فحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً ثم استقر في مصر سنة ١٩٢٠م ، وأنشأ مجلتي الزهراء والفتح ، وأنشأ المطبعة السلفية ، وتوفي في القاهرة سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٦٩م .

(٢) محمود محمد شاعر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي : ص ٥٧ ، وينظر في ذلك أيضاً لكتاب لمحمود محمد شاعر الرجل والمنهج لعمر القيام : ص ٦٨ .

للميلاد<sup>(١)</sup> ، وربما كانت جرأته هذه أحد الأسباب التي دفعته للنيل من بعض خصومه في المجالات العلمية ، والتصريح والتلميح بما يسيء لهم ولفكرهم من ألفاظ عالية الحدة في نبرتها تهكماً وإساءة ، وغاية ما يقال أن الكتابة في الجرائد والمجلات الثقافية التي تتراص فيها أعمدة الكبار وتحيراتهم العلمية ، تستدعي من محمود شاعر أن يطلع ويبحث وينقب في الكتب القديمة والحديثة عما يود الكتابة فيه ، ولا سيما تلك الكتابات التي تحمل وجهاً من وجوه الصراع والخصومات الأدبية التي كان محمود طرفاً رئيساً فيها .

لقد شكلت ثقافة محمود شاعر وتجربته مصدراً مهماً من مصادره المعرفية ، وكانت رافداً ومعيناً لتكوين شخصيته العلمية التي وصلت لهذه المنزلة المرموقة في أدبنا الحديث ، وقد اطلعت على وصف لمكتبته الخاصة التي كانت ركاماً بعضه فوق بعضه من ثقافات محمود شاعر على مر السنين والأيام ، فقد ذكرت الأستاذة عائدة الشريف أن مكتبة محمود شاعر (مكتبة فيها بيت) ، تكاد تجد رفوف الكتب والكتب في أضيق ممرات البيت وزواياه، ومع ضخامة هذه المكتبة فإنك لا تكاد تجد فيها كتاباً إلا وفيه أثر من تلخيص أو إشارة أو إضافة مرجعية لفكرة معينة ، يزيد من إجلال تلك المكتبة وعظمتها هيئة صاحبها العلمية واطلاعه الواسع على مافيها، حتى وصفته الأستاذة بقولها :

" وإذا به يتجلى أمامي صرحاً إنسانياً وثقافياً شامخاً... " (٢) .

وكان بيت محمود شاعر " ندوة متصلة لا تنفض من أعضائها الثابتين ... فأراهم و أرى من العالم العربي كله ، ومن العالم الإسلامي على تراميه شخصيات لا حصر لها ، تتباين بعضها عن بعض في الزي ، والمظهر ، والثقافة ، واللهجة ، والشواغل والمطامح ، ولكنها تلتقي كلها عند محمود شاعر تسمع له وتأخذ عنه ، وتقرأ عليه ، وتتأثر به .... " (٣) ، وليس الإيمان بثقافة محمود حكراً على محبيه ومريديه من طلبة العلم وأهله ، ويكفي في ذلك أن نشير إلى رأي لعباس محمود العقاد الذي قام محمود شاعر بمساجلته أدبياً في بعض آرائه العلمية

---

(١) حياة شاعر وشعره لأماي بسيسو : ص ٣٣-٣٤ .

(٢) محمود مجد شاعر قصة قلم لعائدة الشريف : ص ١٦ .

(٣) السابق : تصدير محمود الطناحي : ص : ٦ .



ونصرة لشيخه مصطفى الرافعي<sup>(١)</sup>، حيث قام العقاد بتوجيه أحد طلاب الفلسفة بأن يحضر مجالس محمود شاعر<sup>(٢)</sup>، وفي هذا دلالة عميقة على تنوع مشارب الثقافة التي تكون منها فكر محمود شاعر رحمه الله ، إذ ليست حكراً على الأدب العربي واللغة العربية ، بل هي ثقافة عامة جعلت من محمود شاعر مرجعاً يرجع إليه العلماء في شتى مجالات العلم وتخصصاته<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر في ذلك للمقالات الخمسة (بين الرافعي والعقاد) ، التي نشرتها مجلة الرسالة ، العدد ٢٥٤ ، لعام ١٩٣٨ م ، ص ٢٧ ، ونشرها أيضاً صاحب مجهرة مقالات محمود شاعر عادل سليمان : ج ١ ، ص ٨-٣٦.

(٢) ذكر ذلك الدكتور محمد رشاد سالم في إحدى أيام ميلاد محمود شاعر في يوم عاشوراء ، حيث يجمع فيه الأصحاب والخلان على سنة أشرف الصعید في هذا اليوم ، ظل النديم لوجدان العلي : ص ٨٣.

(٣) ذكر ذلك عنه أيضاً الدكتور محمد رشاد سالم قوله : "وقد استفدت منه كثيراً في مجال الدراسات الإسلامية وفي مجال الفلسفة وفي مجال تقويم الفكر وفي مجال العمل والدعوة لهذا الدين ولعقيدته مما قد لا يتنبه إليه كثير من الناس .....". ينظر للسابق : ص ٨٣.

## الفصل الثاني : طرائق الاستنباط

تمت الإشارة في الشق الثاني من مهاد هذه الدراسة إلى أن بعض الدارسين قد عدوا المنهج الاستنباطي من أنجع المناهج العلمية ، فهو منهج يسعى في نهاية المطاف إلى إخراج ما كان خفياً ليظهر للعيان ، وإذا ما تم ربط الاستنباط بالأدب العربي فإن الربط لا يخلو من أحد أمرين :

أولهما : إما أن يكون الربط عن طريق استنباط مفاهيم أدبية ونقدية لا تواجه النص الشعري بشكل مباشر ، أو أنها تواجهه مواجهة غير مقصودة لذاتها ؛ بمعنى أنها لا تسعى لمواجهة النص وإنما تستخدمه وسيلة ؛ غايتها بيان بعض من المفاهيم والأحكام النقدية والأدبية .

ثانيهما : أن يكون الربط عن طريق استنباط ما في النص الشعري من قيم جمالية ومعاني مستتعة لا تراها عين القارئ العادي ، بل يستنبطها فقط ويستخرجها من أصدافها الناقد الحصيف الذي أوتي جانباً من النبوغ والفهم و الإدراك والشمولية العلمية والذوق الفطري المدرب .

والحق أن الاستنباط الأدبي عند محمود شاكر كان يسير في هذين الاتجاهين ، وكانت تتمخض منه نتائج تسترعي الانتباه وتستحق أن يشار إليها وإلى طرائقها ، و ينبغي أن يشار إلى أن المقصود بالاستنباط المرتبط بمواجهة النص لا يتمحور فقط في معنى الشرح وبيان الدلالة الظاهرة لمنطوق النص أو مفهومه المباشر المرتبط بمنطوقه ، فقد تكون مجرد القراءة العادية لبعض النصوص الشعرية كافية لبيان دلالاتها ومضامها ، وإنما المقصود به استخراج ودائع النص الخفية التي لا يراها كل أحد ، والاستنباط من النص بهذا المعنى يكون مرتبة تالية لفهمه وقراءته الظاهرة ، وسأحاول في هذا الفصل أن أكشف عن طرائق الاستنباط عند محمود مجد شاكر رحمه الله ، عن طريق وضع الاستنباط عنده تحت خطين عريضين ، هما :

- الاستنباط بمنطوق النص وأدلته الظاهرة المرتبطة بمنطوقه .

- الاستنباط بالمفهوم وتأويل ذلك المفهوم حتى يكون في إقناعه ودلالته كالمنطوق نفسه .

وفي كلا الأمرين سيتم النظر إلى الأمر المستنبط والفائدة العلمية المتعلقة به عند محمود شاكر تحت هذين الخطين العريضين ، فإن تبين خطأ الاستنباط تمت الإشارة إلى خطئه وكذلك لخطأ ما يترتب عليه من نتائج ، وإن تبين

صحة المستنبط ، تم ربطه بدليله ومحاولة استبصار المناسبة بين الدليل والاستدلال به ، إذ ليس بالضرورة أن يكون الاستنباط مرتبطاً بدليل أوردته مستنبطه حتى وإن كان الاستنباط صحيحاً فيما لو استدل عليه بدليل آخر لا يدل عليه ؛ وبذلك قد يكون الاستنباط بالمنطوق صحيحاً أو خاطئاً ، أما إذا كان الاستنباط مرتبطاً بالمفهوم فلا بد أن يعرض التأويل الذي تم الاعتماد عليه للمساءلة والاختبار ، وذلك بأن يكون مقبولاً ومقرراً بحسب ما تنص عليه الأصول النظرية للأدب والنقد ، وأن يكون واضحاً وقوياً ومبنياً على أساس متين ، فالاستنباط بالمفهوم عند البعض يكون ضعيفاً هشاً لا يصح الاعتماد عليه ولا النظر فيه ، وبهذا أيضاً يكون الاستنباط بالمفهوم والتأويل صحيحاً أو خاطئاً أو ضعيفاً هشاً .

هذا ومحاولة رصد ذلك كله وإيجاد شواهد له عند محمود شاعر ، يُحتاج فيه وفي غيره إلى توفيق الله وسداده قبل كل أمر ، و يحتاج إلى مزيد من جهد و إعادة نظر وطول صبر ، لا سيما تلك الاستنباطات التي تراءى للباحث أنها ليست كالأستنباطات ذات القيمة العلمية عند الأستاذ محمود شاعر ، وليس مأم هذا البحث وغايته تصيد تلك الاستنباطات والإشارة إليها ، ولولا أن حق العلم علينا أن نبينها ونصحح مسارها لما تجرأت على آراء عالم كبير كمحمود شاعر رحمه الله ، ولكن محمود شاعر نفسه رحمه الله كان يُسرّ كثيراً حينما يتم الاستدراك عليه وتبصيره بالصواب ، فهذا تلميذه النجيب محمود الطناحي ، يستدرك عليه بعض استنباطاته في قراءته لطبقات فحول الشعراء ، فيقول:

" هناك إن أذنت يا شيخنا بعض الأشياء التي استشكلتها في طبقات فحول الشعراء " ، فيسرد عليه تلك الملاحظات ويرد عليه محمود شاعر بقوله : " كل ما قلته صحيح ... " <sup>(١)</sup> ، ثم يقوم محمود شاعر نفسه بضم هذه الاستدراكات في آخر كتابه طبقات فحول الشعراء ، وينسب الخطأ إلى نفسه والصواب إلى تلميذه محمود الطناحي ، فيقول : " أفادني ولدي محمود الطناحي بكذا.... " <sup>(٢)</sup> ثم يذكر تصويب تلميذه وخطأه هو ، وهكذا تكون أخلاق العلماء ، والله وحده حسبنا ونعم الوكيل .

(١) ظل النديم لوجدان العلي : ص : ٣٩ - ٤٠ .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ج ٢ ، ص ٩٨٢ .

## المبحث الأول : المنطوق وأدلتها الظاهرة

نقصد بدلالة المنطوق عند محمود شاكر الأحكام النقدية والأدبية وحتى اللغوية المبنية على الدلالة المناسبة بين النص ومعانيه ودلالات ألفاظه ، ولا يُستطاع إلى تلك الدلالة حتى تستبان معاني النص و تتضح جلياً في ذهن كل مريد للاستنباط ، والمعاني التي وضعت للألفاظ وحفظتها معاجم اللغة العربية ذات مقاصد ومغازي يدركها من كان ملمّاً باللغة العربية كمحمود شاكر ، ومعاني الألفاظ الدالة عليها مستقرّة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفصيح كلام العرب شعره ونثره . وفهم النص فهماً شاملاً هو الأساس الصحيح للاستنباط السليم السوي ، ولا يمكن أن يكون الاستنباط صائباً إذا كان مبيناً على عدم الفهم والإدراك لمضامينه ، وقد تكون النصوص طبقاً لذلك ظاهرة المعنى لا تحتاج إلى بيان وبحث عن دلالتها ، وهي تلك النصوص التي يستطيع أن تفهم بدون عناء وكّد ، ومن هذا النوع جاءت بعض استنباطات محمود شاكر وخصوصاً في كتب تحقيق التراث مما سيأتي بيانه في هذا المبحث ، ونصوص أخرى تحتاج إلى إلمام باللغة وسبر لأغوارها كي يستنبط منها حكم بدلالة منطوقها ، وقد استخدم محمود شاكر هذه النصوص وأطال النظر فيها واستنبط منها أحكامه النقدية والأدبية والبلاغية ، وقد كثر استنباطه من هذه النصوص حينما قرأ المتنبي وقرأ قصيدة (إن في الشعب الذي دون سلع) .

والحق أن محمود شاكر حينما يلجأ إلى استنطاق النصوص فإنه يقوم بتحميلها أعباء تنوء باستنطاقها الأذواق والعقول الأخرى ، وقد يستحلب منها فهمه ما يجعله يستدرك على غيره كثيراً غير ملتفت إلى من يستدرك عليه ، فتكون له من ذلك استدراكات كثيرة على معاجم وكتب اللغة جعلها ثبناً في آخر بعض كتبه التي قام بتأليفها أو تحقيقها ، فيسميها (ألفاظ من اللغة أخلت بها المعاجم أو قصرت في بيانها ) ، وكان هذا ناتجاً طبيعياً لتمكنه اللغوي من ناحية ، وقراءته للنصوص من وجهته الخاصة وتذوقه الفريد من ناحية أخرى ، كما كثرت استدراكاته تبعاً لذلك على اللغويين والبلاغيين مع تنفيذ لآرائهم المستدركة ، بل وطالت استدراكاته علماء الحديث وأصحاب التراجم والمفسرين والطبقات ، وتنوع هذه الاستدراكات نتاج طبيعي لتنوع مشارب ثقافته وتعدد مصادرها ، وفي أثناء تلك الاستدراكات خاصة تظهر السمة الأسلوبية للاستنباط عنده ، وهي أيسر الطرق لمعرفة طرائق الاستنباط عنده وسماته وأنماطه .

## أولاً : الاستنباط من منطوق النص بدلالة التذوق :

من الاستنباطات التي يحسن الوقوف عليها في هذا الباب ، استنباط مباشر للأستاذ محمود شاكر من دلالة بيت مشهور لكعب بن زهير ، ورد في الطبقات وهو قوله :

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ      فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ<sup>(١)</sup>

يقول الأستاذ محمود شاكر -رحمه الله-: "...ويقول الشراح إنه لما رأى أخلاءه لا يغنون عنه شيئاً ، يئس من نصرتهم ، وأمرهم أن يخلوا طريقه ولا يجسوه عن المثل بين يدي رسول الله ﷺ ؛ ليمضي فيه حكمه ، فإن نفسه أيقنت أن كل ما قدر الله واقع ، ولا أرتضي هذا السياق في معنى الشعر ، فإنه ذكر قبل أن كل خليل قال له : إني عنك مشغول ، فليس أحد منهم يجسه ويمسكه ، حتى يصح سياق هذا الشرح ، وأرى أن معنى خلوا سبيلي هو الاستنكار والاستهزاء والأنفة من التجاء إليهم ، و التحقير لشأنهم ، فيقول : افسحوا طريقي وابتعدوا عنه أيها الجبناء ، وليس منهم إمساك ولا حبس عن المثل بين يدي رسول الله"<sup>(٢)</sup>

وبسبب وضوح هذا البيت وعدم وجود غموض في مناه ومعناه فقد قل شرحه عند أهل العلم ، فلم أجده مشروحاً عند السكري<sup>(٣)</sup> ، أما شرح الأستاذ علي فاعور فقد اكتفى بقوله : "ويروى في صدر البيت سبيلي ، وقوله لا أبا لكم : أي لا أبا حراً لكم، ويقال في المدح والذم"<sup>(٤)</sup> ، وكذلك قال الدكتور مفيد قميحة أحد شراح صناعة السكري<sup>(٥)</sup> .

---

(١) ديوان كعب بن زهير تحقيق وشرح علي فاعور ، ط ١ ، عام ١٩٩٧م لدار الكتب العلمية بيروت ، ص ٦٥ ، وقد

ورد البيت في كتاب طبقات فحول الشعراء في ج ١ ص ١٠١ .

(٢) حاشية طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٠١ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير صناعة لأبي سعيد بن الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري تحقيق : عباس عبد القادر

ط ٣ ، عام ٢٠٠٢ م لدار الكتب والوثائق القومية — مركز تحقيق التراث بالقاهرة، ص ١٢٤ .

(٤) ديوان كعب بن زهير شرح وتحقيق علي فاعور ص ٦٥ .

(٥) ديوان كعب بن زهير صناعة أبي سعيد السكري شرح د مفيد قميحة ط ١ ، عام ١٩٨٩م لدار الشواف بالرياض،

ص ١١٤ .

وقد وردت القصيدة كاملة بما فيها البيت في البداية والنهاية لابن كثير<sup>(١)</sup>، فلم أجد فيها شرحاً أو تعليقاً سوى ثبته للقصيدة وذكر لمناسبتها ، ولم يرد البيت في كتاب الشعر والشعراء عند ترجمة ابن قتيبة لكعب بن زهير<sup>(٢)</sup> ، وقد وجدت بعضاً من القصيدة عدا هذا البيت مثبتة في كتاب الأغاني ومعهما نتف من أخبار كعب بن زهير<sup>(٣)</sup>. واستنباط الأستاذ محمود لهذا المعنى دليل على قوة استظهاره للمعاني ، وشدة تعايشه مع النص كله حتى وإن كان الحديث عن بيت واحد فيه ، وهو الأمر السوي الذي يحتاج له كل من يحاول مواجهة أي نص شعري، ولعل انتزاع البيت واقتطاعه عن سياقه الكلي يوهم في أن المراد منه أن يخلي أصحاب كعب كعباً، ولا يجسوه عن المثل أمام الرسول ﷺ ، وعند استحضار البيت السابق فإنه يبتدر في الذهن على الفور كيف أنه يطلبهم ذلك وهم غير قادرين على تقديم شيء له ؟ كيف يقدرّون على حبسه وهم الذين اعتذروا بالانشغال والتشاغل عنه ؟ فلا بد حين أن يربط البيت بما قبله —وهذا ما يجب— ، أن يجعل قوله خلوا سبيلي على وجه التهكم والتحقير لردة فعلهم الأولى المذكورة في البيت الذي قبله ، وهو نفس الأمر الذي نستخدمه في حياتنا اليومية ، فحينما أطلب أمراً من شخص لا أستطيع القيام به بنفسه ويمنعني عنه مانع ، ويخيب حسن ظني فيمن طلبت وفيما طلبت ، لا أجد أبلغ من أن أقول له : ابتعد عني سأفعل كذا وكذا وكذا ، لا على سبيل أنه قادر على منعي أن أقوم بما أريد ، بل على سبيل استحقار ردة فعله ، واستهجان عدم قدرته الأولى على تقديم شيء كنت قد طلبته منه في ذات الأمر .

ومن الاستنباطات التي ترد إلى تذوق محمود شاكر من ناحية وتعتمد على منطوق النص بأكمله من ناحية أخرى ، استنباط تذوقي خالص رد به على الجاحظ وعلى الشيخ عبد السلام هارون المحقق المعروف ، وذلك في معرض ترجيحه للفظ (غريب إبط الشمال) بالغين المعجمة في قول شتيم بن خويلد<sup>(٤)</sup> :

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق عبد الله التركي ، طبعة بدون ، عام ١٤٢٤هـ لدار هجر، ج ٧ ص ١٢٣ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ١٥٤ .

(٣) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ج ٧ ص ٣٨٦ الطبعة الأولى عام ١٩٣٥م لدار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٤) شتيم بن خويلد الفزاري: شاعر جاهلي. له قطع متفرقة، منها قطعة آخرها البيت المشهور: فإن يكن القتل أفناهم

... فللموت ما تلد الوالدة رواها له المفضل بن سلمة. وذكرها ابن الأعرابي لتهيئة بن الحارث المازني. الأعلام للزركلي: ج ٣ ،

ص : ١٥٧ .

أَعْنَتْ عَدِيًّا عَلَى شَأْوَهَا

تُعَادِي فَرِيْقًا وَتَنْفِي فَرِيْقًا

أَطَعَتْ غُرَيْبَ إِبْطِ الشَّمَالِ

يُنَجِّي بِحَدِّ الْمَوَاسِي الْخُلُوقَا<sup>(١)</sup>

وخبر هذه الأبيات رواه الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش<sup>(٢)</sup>، حيث تجمعت بطون عدي على بني بدر، فحالفت بنو بدر بني مازن بن فزارة، وقال شتيم هذه الأبيات في هذا الحلف، والمقصود بغرّيب إبط الشمال لقب لرجل من بني فزارة يدعى معاوية بن حذيفة الفزاري<sup>(٣)</sup>، وقد ورد هذا اللقب في بعض الروايات بالعين المهملة والعين المعجمة للفظ (غريب-عريب) وهو ثاني كلمة في البيت الثاني.

ومحمود شاكر استنبط من رواية الزبير بن بكار صاحب جمهرة نسب قريش بالعين المعجمة أنها الصواب، مستدلاً برواية الزبير في الجمهرة، ومعتمداً على تذوقه الخاص ليكون معناها أنها تصغير للغراب، ومستفيداً من هذا المعنى أيضاً من تمام تعريف الزبير بن بكار لمعاوية هذا بأنه كان رجلاً مشوماً فيما تذكره عنه العرب<sup>(٤)</sup>، وقد علل محمود شاكر رحمه الله تعالى صواب أن يكون البيت باللقب (غُرَيْب) تصغيراً للغراب باتفاقه مع معنى البيت، إذ إن المراد أنه غراب شؤم والغراب عادة يرتبط بالشؤم وارتباطه بالشؤم متناسب بما عرف عن معاوية

(١) نسب هذه الأبيات لشتيم بن خويلد الجاحظ في كتابه الحيوان ورواها بالعين المهملة، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٥، ص ٥١٨، ط ١، عام ١٣٦٢ هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ببيروت، ورواها الجاحظ كذلك بالعين المهملة أيضاً في كتابه البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام هارون، ص ٥٥١، ط ١، عام ١٤١٠ هـ، لدار الجبل ببيروت، ونسبها أيضاً لشتيمة بن خويلد ورواها بالعين المهملة أيضاً المرزباني في معجم الشعراء، تصحيح وتعليق (كرنكو)، ص ٣٩٢، ط ٢، عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، لدار الكتب العلمية ببيروت، ورواه بالعين المعجمة جاز الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ج ١، ص ٥٢٣، ط ١، عام ١٤١٩ هـ، لدار الكتب العلمية ببيروت، وذكرها صاحب لسان العرب برواية مختلفة عن رواية الجاحظ والزبير بن بكار:

أَطَعَتْ الْيَمِينَ عِنَادَ الشِّمَالِ، ... تُنَجِّي بِحَدِّ الْمَوَاسِي الْخُلُوقَا (لسان العرب لابن منظور ج ١٠، ص ٨١)

(٢) جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار، حققه وشرحه محمود شاكر، ط ١، عام ١٣١٨ هـ، لدار المدني، ج ١٣، ص ٢١.

(٣) لم أجد لمعاوية هذا ترجمة في كتب التراجم والطبقات والأعلام في حدود ما توفر لدي منها، ومحمود شاكر اكتفى في تعريفه ببيان اسمه (معاوية بن حذيفة بن بدر الفزاري) ولم يشر في ذلك إلى مرجع اعتمد عليه، ينظر للحاشية رقم

١، ص ٢٣، من جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار.

(٤) جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار، ج ١٣، ص ٢٣.

صاحب هذا اللقب من أنه كان مشوماً ، يقول محمود شاعر في ذلك :

"غريب إبط الشمال بالعين المعجمة وهو كذلك في بعض نسخ الحيوان ، ولكن الأستاذ عبد السلام هارون ظنه تحريفاً واعتمد على ما في معجم الشعراء ، وإحدى نسخ الحيوان ، وأنا أرجح أن الصواب بالعين المعجمة كما في كتاب الزبير ، مصغر غراب ، وشؤم الغراب<sup>(١)</sup> مشهور ؛ ولذلك قال بعد في المعجم ، ( وفي النسب : وكان مشوماً).... " <sup>(٢)</sup> هكذا بنى محمود شاعر استنباطه بناء على دلالة النص ، وبناء على تذوقه الخاص ، وبناء أيضاً على ربط باستكمال قراءة كلام الزبير بن بكار عن معاوية الفزاري بعد البيت من أنه كان مشوماً ، وربط شؤم معاوية هذا بالغراب كما هي عادة العرب في نسبة الشؤم للغراب ، الذي لطالما كان من أكبر علامات ودواعي الطيرة والشؤم في الحياة الجاهلية .

وقد خالف محمود في هذا الاستنباط ما جاء به الشيخ المحقق عبد السلام هارون ، حيث أثبت عبد السلام هارون رواية البيت بالعين المهملة ، مستنداً على رواية معجم الشعراء ، وقال ما نصه :

" عرّيب، بهيئة التصغير مع تشديد الياء: لقب معاوية بن حذيفة السابق الذكر، كما في معجم المرزباني، الشمال: لقب له كما في المعجم ، لأنه كان مشئوماً ، والمواسي: جمع موسى، الحلاق ، والحلوق: جمع حلق، ويروى: «تنحى لحد المواسي» ، أي تميل الحلق إلى حد المواسي ، وفي المرزباني: «ينحى بحد المواسي» ، أي يزيلها ، وفي اللسان: أطعت اليمين عناد الشمال تنحى بحد ، وقال: مثل ضربته ، يريد فعلت فعلاً أمكنت به أعداءنا منا . " <sup>(٣)</sup> ، ويبدو واضحاً من كلام الشيخ هارون اعتماده على الدليل النقلي والنص القاطع الذي استند عليه ، وهو ما وجدته في معجم المرزباني ، والواضح أن الشيخ عبد السلام هارون اعتمد فقط على المرزباني في اختيار (عريب) بالعين المهملة ، إضافة إلى النسخة التي بين يديه من كتاب الجاحظ البرصان والعرجان والعميان والحولان ، على الرغم من أنه نقل عن المرزباني أن معاوية هذا كان (مشئوماً) ، على أن هناك فرقا سيأتي بيانه بعد قليل بين النقل الذي نقله عبد السلام هارون ومن بعده محمود شاعر ، وبين ماهو موجود في المعجم، حيث ورد في معجم المرزباني مانصه : " معاوية بن حذيفة بن بدر الفزاري يلقب عريب إبط الشمال وكان مشوهاً سمي بقول شتيم بن خويلد الفزاري لعط سار في حلف كان بينهم :

(١) أثبت كلمة الغراب هنا بهذا الشكل ، لأنها وردت في الكتاب (الغرام) وهو خطأ طباعي بين .

(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون ، ص ٥٥١ .



أعنت عدياً على شأوها

توالي فريقاً وتبقي فريقاً

أطعت غُرَيْبَ إبط الشمال

ينحى بحد المواسي الحلوقاً<sup>(١)</sup>

..... "

.....

والحق أن كلا الرجلين (محمود شاعر وعبد السلام هارون) يعتمدان في استنباطيهما على منطوق صريح ، فغريب المهمة وردت في معجم الشعراء وعليه اعتمد الشيخ هارون ، وغريب المعجمة جاء بها الزبير بن بكار وعليها اعتمد محمود شاعر ، وقبل أن ينظر إلى قوليهما لابد من الإشارة إلى أمرين يحسن التنبيه عليهما : أولها : أن عبد السلام هارون اعتمد في استنباطه على رأي المرزباني في معجم الشعراء ، وقام بالإحالة إليه لتدعيم ما استنبطه واطمأنت إليه نفسه ، ولكن نقله له لم يكن دقيقاً بحسب حدود بحثي واطلاعي ، ففيما وقع بين يدي من نسخ وطبعات لمعجم الشعراء للمرزباني لم أجد فيها كلمة (مشووما) على النحو الذي نقله عبد السلام هارون ، والذي ورد في معجم المرزباني (مشوها) كما بينته آنفاً ، والرجل الأشوؤه في المعاجم : قبيح الوجه<sup>(٢)</sup> ، وبناء على ذلك فإن الشيخ عبد السلام لم يكن دقيقاً في نقله لنص استنبط منه حكماً ، واختلط عليه الرسم الإملائي لكلمة مشوها ومشوما على ما بينهما من تقارب شكلي ، أما محمود شاعر فقد كان دقيقاً جداً في نقله عن كتاب الحيوان وعن كلام للجاحظ أورده أيضاً للاستشهاد على معنى إبط الشمال ، ولم يخرم من كلام الجاحظ حرفاً واحداً ، ونقله بالنص دون تبديل ، ولكنه هو الآخر مؤاخذ على اطمئنانه على نقل الشيخ عبد السلام هارون لكلمة (مشووما) ، فربما لو اطلع محمود على أن معاوية في المعجم مشوها وليس مشوماً لأضافت له هذه الصفة ما يدعم استنباطه أو يغير وجهته أو شيئاً من وجهته .

ثانيها : أن عبد السلام هارون اعتمد على رواية العلماء للبيت وحدها في جعل اللقب (غريب) بالعين المهمة ، ولم يبين عما وراء هذا اللقب من معنى ، ولم يتكلف بربط معناه ربطاً صحيحاً بما اشتملت عليه الأبيات ، أما محمود شاعر فقد بين أن غريب تصغير للغراب وأن المقصود به ما اشتهر به الغراب من شؤم عند الجاهليين رابطاً إياه بما أثبتته الزبير بن بكار من أن معاوية كان مشوماً .

وقد حاولت جاهدا الوصول إلى معنى مناسب للقب (غريب إبط الشمال) على رأي الشيخ عبد السلام

(١) معجم الشعراء للمرزباني تحقيق كرنكو ، ص ٣٩٢ .

(٢) لسان العرب لابن منظور : ج ١٣ ، ص ٥٠٨ .

هارون يسوغ أن تكون الكلمة بالعين ؛ فوجدت أن بعضاً من معاجم اللغة قد نصت على أن العرب تقول للشؤم (إبط الشمال) <sup>(١)</sup>، أما غريب مصغرة مهملة فإنها مأخوذة من الإعراب وهو الإبانة عن المعاني والألفاظ <sup>(٢)</sup>، فيكون معنى اللقب بالعين المهملة متكلم الشؤم والمبين عنه بعد تركيب مانصت عليه المعاجم في شقي اللقب ، أما استنباط محمود شاكر بالعين المعجمة ، فغريب تصغير لغراب والغراب من أهم علامات الشؤم والطيرة عند العرب ، ويكون معنى اللقب عندئذ طائر الشؤم ، وهو استنباط أشد تعزيزاً وتمكيناً لتحقيق الشؤم في هذا اللقب ، وهو استنباط يتفق مع استخدامات العرب في إضافة الغراب للشؤم وللشمال ، فقد دلل محمود شاكر على إضافة الطير للشمال في سياق الشؤم من فصيح قول العرب بقول أبي ذؤيب:

رَجَرْتُ لَهَا طَيْرَ الشَّمَالِ فَإِنْ تَكُنْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يُصْبِكَ اجْتِنَابُهَا <sup>(٣)</sup>

بل واستدل أيضاً بإضافة الغراب نفسه إلى الشمال ببيت للحارث بن عمرو الفزاري <sup>(٤)</sup>:

بِحَمْدِ إلهي أَنِّي لَمْ أَكُنْ هُمْ غُرَابَ شِمَالٍ يَنْتِفُ الرِّيشَ حَامِئاً <sup>(٥)</sup>

وبذلك يكون استنباط محمود شاكر من دلالة النص المدعوم بتذوقه الخاص أنسب لمعنى البيت ولمعنى هذا اللقب ، لاسيما وأن صاحب المعجم كما سبق ثبته جعل البيت سبباً لإطلاق هذا اللقب على معاوية الفزاري.

(١) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس ، لمرتضى الزبيدي ج ١٩ ، ص ١٢٣ ، وينظر : التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، لحسن الصغاني ، وللمجموعة من المحققين ، ط ٢ ، عام ١٩٧١ م ، لمطبعة دار الكتب بالقاهرة، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٢) ينظر لسان العرب لابن منظور : ج ١ ، ص ٥٩٢ ، وينظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ط ٨ ، عام ١٤٢٦ هـ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج ١ ، ص ١١٣ ، وينظر لتاج العروس لمرتضى الزبيدي ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ .

(٣) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، شرحه وقد له ووضع فهرسه سوهام المصري ، ط ١ ، عام ١٤١٩ هـ ، للمكتب الإسلامي ببيروت ودمشق وعمّان ، ص ٢٩ .

(٤) الحارث بن عمرو بن حرجة بن حرام بن سعد بن عدي. شاعر جاهلي من بني ذبيان، عاصر حصن بن حذيفة وعاتبه في بعض أبيات من الشعر له شعر في كتاب شعراء قبيلة ذبيان في الجاهلية ، الأعلام للزركلي : ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

(٥) كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ، تحقيق عبد العزيز الراجحي وزاد في حواشيه محمود شاكر ط ٣ ، عام ١٣٨٨ هـ ، لدار المعارف المصرية ، ص ٦٢ .

ومن استنباطات شاعر من دلالة النصوص مدعومة بتذوقه الخاص استنباط رفض فيه وجود موازنة بين بيتين رأى فيهما ابن سلام الجمحي موازنة في طبقات فحول الشعراء ، حيث قال ابن سلام الجمحي في معرض حديثه عن امرئ القيس : "واستحسن الناس من تشبيه امرئ القيس..... وقوله :

فَيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ      بِأَمْرَاسٍ كِتَانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلٍ<sup>(١)</sup>

خَيَّرُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَيَاكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي      وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَنَائِي عَنكَ وَاسِعٌ<sup>(٢)</sup>

فزعم بعض الأشياخ أن بيت النابغة أحكمهما . " (٣)

وقد رد محمود شاعر موازنة ابن سلام الجمحي هذه واستنباط ألا موازنة بين البيتين بناء على تذوق محمود لهما بتذوقه الخاص ، يقول في ذلك : "... لا أرى وجهاً للتخيير والموازنة ، ويا بُعد ما بين موقع كل منهما ، من سياقه ومعناه ، فامرؤ القيس أراد ما رأيت من بطء الليل وثقله عليه ، والنابغة أراد شيئاً يخالفه كل المخالفة حين ذكر الليل ، وللشراح كلام كثير .... ، قال بعضهم : لا معنى لتخصيص الليل ، لأن النهار يدركه كما يدرك الليل... يقول -يقصد الشاعر- : فإنما مثلي ومثلك كالسائر نهاراً في أرض... وكلما نجا من مخوف أوهمته نجاته أن الليل بعيد ، وإنه خليف أن يخلص منها قبل أن يدركه ، ولكن الليل مدركه لا محالة بغوائل لا ينجو عليهن ناج أبداً . بهذا نعلم أنه لا وجه للتخيير بين البيتين ، إلا أن يراد بالتخيير و الموازنة بين قدرة الشعارين في البيان وحده"<sup>(٤)</sup> ، إذن فشاعر يطل هذه الموازنة بعدم توفر واحد من أهم معاييرها الأدبية وهو

(١) ورد البيت في ديوان امرئ القيس بنفس الشطر الأول ، وباختلاف في الشطر الثاني : (بكل مغار الفتل شدت

بيذبل)، والشطر الثاني المثبت أعلاه إنما هو تنمة لشطر أول بعده في الديوان : (كأن الثريا علقت في مصامها) ، ينظر ديوان

امرئ القيس ضبط مصطفى عبد الشافي ط ٥ ، عام ١٤٢٥هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص ١١٧ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبد الساتر ط ٣ ، عام ١٩٩٦م لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص ٥٦ .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ج ١ ص ٨١-٨٧ باختصار .

(٤) السابق : ج ١ ، ص ٨١-٨٢ ، الحاشية رقم (١) ، باختصار .

معيّار المعنى الذي يقوم عليه كل من النصين المراد الموازنة بينهما ، وقبل فحص الآراء لابد وأن نشير إلى أن ابن سلام نقل خبر هذه الموازنة ونقلها كما هي في كتابه ، ولنا أن نتساءل ، هل يعد نقله لها قبولاً بإجرائها ؟ هناك دليّان يستطيعان وحدهما الإجابة عن هذا التساؤل :

أولهما : أن ابن سلام لم يبد اعتراضاً على إجراء هذه الموازنة ، وعدم اعتراضه على إجرائها يشي بقبوله لها بين هذين البيتين ، ولو لم يكن راضياً لم يشبها في طبقاته ، أو أثبتها مع بيان رأيه الخاص فيها.

وثانيهما: مستنبط من قوله (الأشياخ) ، فوسمه للفريق الذي اختار بيت النابغة ب(الأشياخ) يوحي بدلالة الرضا على هذا الحكم النقدي ، فإنهم لم يستحقوا مسمى الأشياخ إلا لإطلاقهم مثل هذه الأحكام التي ارتضاها مُجد ابن سلام ؛ ومن ذلك استطاع القول بأن ابن سلام يكاد يكون راضياً عن إجراء هذه الموازنة ، وراضياً أيضاً عن نتيجة حكم الأشياخ لصالح ليل النابغة ، أما محمود شاعر فقد رفض إجراء هذه الموازنة ، وأعاد السبب إلى بُعد ما بينهما من معنى ، فهما وإن كانا في وصف الليل ، فإن السياق الذي تمّ توظيف ليل كل شاعر منهما يختلف عن الآخر ، فامرؤ القيس وظف ليله في سياق البطء والثقل ، والنابغة وظف ليله في سياق الخوف وعدم النجاة من الغوائل ، وبذلك ينتفي شرط اتحاد المعنى بين البيتين وتفسد حينئذ الموازنة ، واستثنى شاعر ما إذا كانت الموازنة -وبناء على اختلاف المعنى- تقوم على أساس البيان وحده ، والحق أن الحكم ببيان شاعر أو أديب امتاز عن أديب آخر لا يتأتّى غالباً عن طريق الموازنة إلا باتحاد المعنى ، واتحاد الجنس الأدبي ، والحق الذي يتكشف من خلال استظهار ما دارت عليه رحي البيتين ، أن المعنى بينهما مختلف غير مؤتلف ، فهما وإن كانا في الليل إلا أن مأمّ أحدهما بعيدٌ عن الآخر كما احتج به الأستاذ شاعر ؛ ولهذا حينما أراد الشعبي أن يحكم بين الوليد بن عبد الملك وأخيه مسلمة بن عبد الملك ، بعد أن اختلفا على القضية ذاتها (ليل النابغة وأمرؤ القيس) ، لم يطلق حكمه جزافاً من القول ، بل استنشدتهما أي ليل قد اختلفا عليه واحتكما إليه، فأنشد الشعبي قول النابغة :

وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيّ الْكَوَكِبِ

كَلَيْلِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ

وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبِ

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ

وَصَدِرَ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبُهُ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ<sup>(١)</sup>

و أنشد قول امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْحَى سُدُورَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ

فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُعَارٍ الْقَتْلِ شُدَّتْ بِدَبْلٍ<sup>(٢)</sup>

فركض الوليد برجله (طرباً) ، فقال الشعبي : "بانت القضية"<sup>(٣)</sup>.

فلم يحكم الشعبي لأحد الليلين إلا بعد أن استنشد الأبيات المقصودة ، وذلك لعلمه باختلاف سياقات الليل عند كل من الشعارين ، ولو أنعم النظر بين الأبيات السابقة لوجد أنها تركز حول طول الليل ، فكل شاعر صور طول الليل بحسب أدواته البيانية وقدرته الشاعرية ومعجمه اللغوي ، وحينما أورد الخطابي هذه القصة في رسالته (بيان إعجاز القرآن) ، سمح لنفسه أن يعالجها نقدياً عن طريق الموازنة المعللة ، فحكم في نهاية الأمر ليل امرئ القيس وانتصر به على ليل النابغة،<sup>(٤)</sup> وفيما يبدو فإن اتحاد معنى طول الليل في السياقين هو ما سمح للخطابي بعقد هذه الموازنة المعللة ، وبهذا نستطيع القول بأن اعتراض محمود شاكر على إجراء هذه الموازنة مسوغاً، ولم يأت إلا عن بصر بالشعر ودراية .

(١) ديوان النابغة الذبياني شرح عباس عبد الساتر ص ٢٩ .

(٢) ديوان امرئ القيس ضبط مصطفى عبد الشافي ص ١١٧ .

(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ط٣ ، عام ١٩٧٦م لدار المعارف بمصر، ص ٦٣ ، كما أن القصة وردت أيضاً في ديوان امرئ القيس ضبط مصطفى عبد الشافي ص ١١٧ .

(٤) السابق ، ص : ٦٣ وما بعدها .

بقي أن يشار في هذه الموازنة إلى أمر واحد يُحسب للأستاذ محمود شاكر ، و مثل هذا الأمر هو في الحقيقة من الذرى الرفيعة في الفهم التي لا يصل لها كل أحد ، وذلك أنه حينما شرع في تحليل بيت النابغة ليرينا فرق المأخذ بينه وبين بيت امرئ القيس ، تناول حال الشاعر الخائفة الهائمة في النهار ، مع أن البيت ليس فيه ذكر للنهار ، ومع أن الشاعر عمد عمدا إلى جعل المشبه به ليلاً ولم يجعله نهاراً ، لتناسب حال الرهبة والخوف والهلع مع الليل منها إلى النهار ، فمن أين استحضر الأستاذ النهار ؟ وهل استحضاره للنهار مع ذكر الليل صراحة منطقي ؟

يبدو أن كلمة (مدركي)المثبتة في بيت النابغة هي ما دفعه لذلك لما فيها من معنى التبع والملاحقة ومن ثم الإدراك حتى لو وصل إلى قعر الشيء<sup>(١)</sup>، وإذا كان السياق سياق تشبيه الشاعر لممدوحه بالليل وكان من دلالة كلمة مدركي التبعية ؛ فإن المتبوع الذي يستظهر بعد الليل هو حال الشاعر الهائمة والخائفة وهي تضرب الأرض في النهار ، وتعلم بأنه لا مهرب لأحد من غوائل ليل ذلك النهار ، وهذا تنبه من محمود شاكر يستحق الذكر والثناء .

#### ثانياً : الاستنباط من منطوق النص بدلالة اللغة :

إن التمكن من اللغة عند محمود شاكر من أهم مصادره المعرفية، وهو من أهم أدواته الاستنباطية التي اعتمد عليها كثيرا في مؤلفاته وقراءاته وتعليقاته على كتب التراث العربي ، ويكاد يكون الاستنباط من منطوق النص بدلالة اللغة سمة ظاهرة عند محمود شاكر توهمه بغير الصواب في بعض استنباطاته، فتجعله يضيف لمعاجم اللغة ما ليس منها ومالم تنص عليه ، وهذا كثير عند محمود شاكر وغالب على أسلوبه، وقد أشرنا لإضافته ملحقاتاً في آخر بعض الكتب التراثية التي قرأها وعلق عليها ويسميه (ألفاظ من اللغة أخلت بها المعاجم أو قصرت في بيانها) .

ومن نماذج هذه الاستنباطات : رأيه في معنى ( جَفَلَ ) ، فقد استخدم ابن سلام هذه الكلمة في خبر عن جويرية بن أسماء<sup>(٢)</sup> نصه :

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٠ ، ص ٤١٩ .

(٢) أبو مخارق وقيل: أبو مخراق ، جويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي ، محدث ثقة ، توفي في سنة ثلاث وسبعين ومائة،

وحديثه محتج به في الصحاح ، سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، ج ٧، ص ٣١٨ .

" مات كُثِيرٌ <sup>(١)</sup> وعكرمة <sup>(٢)</sup> مولى ابن عباسٍ في يومٍ واحدٍ ، فَأَجْفَلْتُ قُرَيْشٌ في جِنَازَةِ كُثَيْرٍ ، ولم يُوجَدْ لعكرمة مَنْ يَحْمِلُهُ <sup>(٣)</sup> " ، وقد رأى محمود شاکر أن لفظة ( أجفل ) الواردة في الخبر جاءت بمعنى (أسرعوا مجتمعين إلى الشيء أو نحوه ) ، " وليس هذا المعنى واضحاً في كتب اللغة ، ولكن جاء في الحديث : ( لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس قبله ) ، أي ذهبوا مسرعين نحوه ، فهذا حق المعنى .... <sup>(٤)</sup> " ، والحق أن المعنى الذي ينشده محمود شاکر في أجفل ويدعي عدم وضوحه في كتب اللغة ؛ جاء بالنص الذي اقترحه وأراد به صراحة وضمناً ، يقول ابن منظور في لسانه:

"وَأَجْفَلَ الْقَوْمُ انْجِفَالًا إِذَا هَرَبُوا بِسُرْعَةٍ وَأَنْقَلَعُوا كُلُّهُمْ وَمَضَوْا ، وَفِي الْحَدِيثِ: (لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ) أَيِ ذَهَبُوا مُسْرِعِينَ نَحْوَهُ. .... وَالْجَفَالَةُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ ذَهَبُوا أَوْ جَاءُوا <sup>(٥)</sup> ."

وليس أشد وضوحاً فيما يبدو من هذا التفسير لمعنى كلمة أجفل بما يتوافق مع ما ينشده محمود شاکر ويقول بعدم وضوحه في كتب اللغة ، لاسيما وأن لسان العرب عمدة في معاجم اللغة العربية وكثيراً ما يعتمد عليه الباحثون في استجلاء معاني مفرداتها ، ومن الصعب جداً أن يقال بأن محمود شاکر لم يطلع على نص ابن منظور هذا ؛ فقد أتم محمود شاکر قراءة الأغاني ولسان العرب قراءة تامة وهو في الرابعة عشر من عمره ،

(١) شاعر عربي متيم من أهل المدينة المنورة وشعراء الدولة الأموية واسمه كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي ، واشتهر بكثير عزة ، لم تعين المصادر تاريخ ولادته بل عينت تاريخ وفاته في العام خمسة ومائة بعد الهجرة المشرفة ، عاش في (تربان وفرش ملل والفريش) مواضع في غرب المدينة المنورة، وذكر تلك المواقع في كثير من قصائده، ينظر مقدمة ديوانه جمعه وشرحه إحسان عباس ، ط بدون ، عام ١٣٩١ م ، لدار الثقافة للنشر والتوزيع ببلبنان .

(٢) العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري الأصل ، ولد لخمس وعشرين خلون من الهجرة ، وعاش ثمانين عاماً ، حَدَّثَ عَنْ : ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَائِشَةَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، حَدَّثَ عَنْهُ: إِبْرَاهِيمُ النَّحَعِيُّ ، وَالشَّعْبِيُّ ... وَعَمَرُو بْنُ دِينَارٍ ، وَأَبُو الشَّعَثَاءِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ ، وَحَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ ... ، ينظر لسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ، ج ٥، ص ١٣ .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .

(٤) السابق الحاشية رقم (١) ج ٢، ص ٥٤٥ .

(٥) لسان العرب لابن منظور ، فصل الجيم ، ج ١١، ص ١١٤ ،

واستظهر ديوان المتنبي كله وهو في تلك السن الصغيرة، وقد اشتهر بذاكرته التي لا تكاد تحرم شيئاً<sup>(١)</sup>، وأشد صعوبة من ذلك أن يقال بأنه قد اطلع على نص ابن منظور هذا ولم يشبهه ؛ فهو أستاذ جليل وعالم ثقة لا يُشك في ثقته وفضله وحرصه على نسبة كل فكرة لقائلها ، والذي أراه أن محمود شاكر قد اعتمد على ذاكرته تحديداً في معنى هذه الكلمة دون الرجوع إلى معجم لسان العرب حين تناولها في هذا الموضع ، وإطلاعه المسبق ودرايته الثامة بلسان العرب في صغره هو الذي سَوَّل له ألا يعاود الرجوع إليه ، واكتفى بإثبات ما لصق من لسان العرب في ذاكرته مما لا يظنه منه واعتقد أنه من استنباطه الخاص بما يقتضيه المعنى من دلالة لغوية ، ووراء هذا كله أن الأستاذ محمود شاكر رحمه الله عانى كثيراً من عدم ثقته المطلقة في كتب معاجم اللغة ، وقد دفعه ذلك دفعاً إلى الجرأة على اتهامها بالإخلال ببعض معاني مفرداتها أو أنها قصرت في بيانها ، وقد أثبت هذه الكلمة (جفل) في آخر كتاب طبقات فحول الشعراء وأدرجها تحت قسم (ألفاظ من اللغة أخلت بها المعاجم أو قصرت في بيانها)<sup>(٢)</sup> ، على أن ابن دريد جعل من مشتقات (جفل) الجفالة ، وشرحها بقوله : "وأقبلت جفالة من الناس : جمع كثير في إسراع مشي"<sup>(٣)</sup> ، وربما يدل هذا المعنى على إجفال قريش في جنازة كثير في خبر جويرية بن أسماء السابق ، وقد نص على نحو من ذلك ابن سيده فقال : "والجفالة: الجماعة من الناس دَهَبُوا أو جَاءُوا."<sup>(٤)</sup> ومن الممكن أيضاً القول بأن ما قصده محمود شاكر في عدم وضوح معاجم اللغة على المعنى الذي أراده هو ، ذلك المعنى الذي تردد كثيراً في كتب معاجم اللغة لمعنى كلمة جفل ، فقد نصت بعض معاجم اللغة على أن معنى تجفل القوم "أَسْرَعُوا فِي الْهَزِيمَةِ وَالْهَرَبِ وَانْقَلَعُوا كُلُّهُمْ فَمَضَوْا"<sup>(٥)</sup>.

- (١) ينظر لظل النديم لوجدان العلي : ص ١٥٠.
- (٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، ج ٢، ص ٩٧٧.
- (٣) جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ط ١، عام ١٩٨٧ م ، لدار العلم للملايين بيروت ، ج ١، ص ٤٨٧.
- (٤) المحكم والمحيط الأعظم ، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسى ، تحقيق عبد الحميد هندراوي، ط ١، عام ٢٠٠٠ م ، لدار الكتب العلمية بيروت ، ج ٧ ، ص ٤٢٩.
- (٥) نص على ذلك ابن سيده في كتابه المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال ، ط ١، عام ١٤١٧ هـ ، لدار إحياء التراث العربي بيروت ، ج ٣، ص ٣٥٩، وكذلك المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد الحُموي ، تحقيق، يوسف الشيخ مُحمَّد ، ط ١، عام ١٩٨٧، مكتبة العصرية بيروت ، ص ٥٨ ، وكذلك تاج العروس ، لمرتضى الزبيدي، ج ٢٨، ص ٢١٦ .



وإذا كان هذا النموذج مما قد يدل على عدم رجوع شاكر لمعجم لسان العرب خاصة ، فإن الأمر يشتد إذا كشف أنموذج آخر عدم رجوعه لمعاجم أخرى مجتمعة في بيان معنى مفردة من مفردات اللغة العربية ، ففي سياق تفسير ابن جرير الطبري لقوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(١)</sup>

أورد ابن جرير خبراً في سبب نزول هذه الآية مفاده أن بني قريظة والنضير في الجاهلية، إذا قتل أحد بني قريظة الرجل من بني النضير قُتل به ، فإذا قتل بنو النضير الرجل من بني قريظة أعطوا ديتة ستين وسقاً من تمر ، فلما أسلم ناس من بني قريظة والنضير، قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة ، فتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقتله النبي ﷺ به فتفاخرت بنو النضير وبنو قريظة على بعضهم كل منهم يقول نحن أكرم منكم ، ودخلوا إلى المدينة فطلب المنافقون الاحتكام في ذلك إلى أبي بردة الأسلمي<sup>(٢)</sup> ، والمسلمون منهم أرادوا الاحتكام إلى الرسول الله ﷺ فأبى المنافقون إلا أن يحتكموا إلى أبي بردة الأسلمي: فقال لهم : أعظموا اللقمة = يقول: أعظموا الخطر = فقالوا: لك عشرة أسواق. قال: لا بل مئة وسق ديتي ، فإني أخاف أن أنفر النضير فتقتلني قريظة، أو أنفر قريظة فتقتلني النضير! فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أسواق، وأبى أن يحكم بينهم، فأنزل الله عز وجل: "يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت"<sup>(٣)</sup> ، وقد استنبط محمود شاكر معنى للخطر الوارد في هذا الخبر وقد رأى أن معاجم اللغة قد قصرت في بيانه ، يقول محمود شاكر في ذلك :

"الخطر" هو المال الذي يجعل رهنا بين المتراهنين، وأراد به الجعل الذي يدفعه كل واحد من المتنافرين إلى الحكم، وسماه اللقمة مجازاً ، وهذا كله لم تقيده كتب اللغة .... " (٤) .

وهذا المعنى الذي رأى أن معاجم اللغة قصرت في بيانه هو الآخر مذكور في معاجم اللغة ، يقول في ذلك

(١) سورة النساء الآية الكريمة رقم ٦٠ .

(٢) أبو بردة الأسلمي صحابي دعاه النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم إلى الإسلام فلم يسلم ، ثم كلمه فيه أبناؤه فأجابهم إليه وأسلم ، وعند الإمام الطبراني بسند جيد عن ابن عباس ؓ : كان أبو بردة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود وذكر الآية الكريمة السابقة من سورة النساء ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : ج ١، ص ٢٣٥ .

(٣) تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري ، ج ٨، ص ٥١٠-٥١١ .

(٤) السابق : ج ٨، ص ٥١١، الهامش رقم ٢ .

صاحب الصحاح :

"والخطر: السبق الذي يُتْرَاهَن عليه. وقد أخطَرَ المالَ، أي جعله خطراً بين المتْرَاهِنين" <sup>(١)</sup> وقال صاحب لسان العرب ابن منظور: " والخطَرُ: السَّبْقُ الَّذِي يُتْرَامَى عَلَيْهِ فِي التَّرَاهُنِ، وَالْجُمْعُ أَخطَارٌ. وَأخطَرَهُمُ خطراً وأخطَرَه هُتَم: بَدَّلَ هُتَمَ مِنَ الخطَرِ مَا أَرْضَاهُم. وَأخطَرَ المالَ أَي جَعَلَهُ خطراً بَيْنَ الْمُتْرَاهِنِينَ. وَتخطَرُوا عَلَى الأمر: تَرَاهَنُوا؛ وَخاطرَهُم عَلَيْهِ: رَاهَنَهُمْ. وَالخطَرُ؛ الرَّهْنُ بِعَيْنِهِ" <sup>(٢)</sup>، وقال الحموي: " والخطَرُ السَّبْقُ الَّذِي يُتْرَاهَنُ عَلَيْهِ وَالْجُمْعُ أَخطَارٌ مِثْلُ: سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ وَأخطَرْتُ المَالَ إِخطَارًا جَعَلْتُهُ خطراً بَيْنَ الْمُتْرَاهِنِينَ" <sup>(٣)</sup>، وقال الفيروز آبادي: " وتخطَرُوا: تَرَاهَنُوا ، و أخطَرَ: جَعَلَ نَفْسَهُ خطراً لِقَرْنِهِ فَبَارَزَهُ، و. المَالَ: جَعَلَهُ خطراً بَيْنَ الْمُتْرَاهِنِينَ" <sup>(٤)</sup> أما مرتضى الزبيدي فقد جعل الخطَر في مثل هذا من باب المجاز فقال: " من المجاز: أخطَرَ (المَالَ: جَعَلَهُ خطراً بَيْنَ الْمُتْرَاهِنِينَ) . وَخاطرَهُم عَلَيْهِ: رَاهَنَهُمْ. " <sup>(٥)</sup>، وبذلك يعلم أن لفظة الخطر بمعنى المال الذي يجعل رهنا بين المتراهنين قد ذكرته كتب اللغة وقيدته بوضوح بل وبنص ما ذكره هو رحمه الله ، وليس كما ذكر الأستاذ أنها لم تقيده وتنص عليه ، أما بالنسبة لاستخدام اللقمة مجازاً على أنها تعني الجعل الذي طلبه أبو بردة في الخبر، فإن كتب اللغة غير مسؤولة بتقييد تصرف أهل البيان بمفردات اللغة ، واستخدامهم لها في غير ما وضعت له في أصلها بقرائن ودلالات جمالية وبلاغية ، ولو كان الأمر كذلك لقيدت معاجم اللغة خيال الشعراء واحتبكتها بقوانين لغوية لا بد ألا يحيد عنها الشاعر ولا يخرج عنها خياله ، ونستطيع أن نستبين من ذلك ومما سبقه أن الاقتراحات اللغوية لمحمود على معاجم اللغة وكتب اللغة تحتاج إلى مزيد مراجعة وعناية واهتمام ، فتوضع في موضعها الصحيح من حيث إضافتها للغة أو من حيث تجنيها عليها ، ولعل دراسة آراء محمود شاكر فيما يخص معاجم اللغة دراسة من زملائنا المختصين باللغة دراسة يتطلبها البحث العلمي بشكل عاجل ومنظم ، حتى توضع تلك الآراء في موضعها الصحيح بين آراء محمود شاكر وجهوده العلمية .

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل الجوهري ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، ج ٤ ، ص ٢٥١ ، فصل الخاء المعجمة .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد الحموي ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

(٥) تاج العروس لمرتضى الزبيدي ، ج ١١ ، ص ٢٠٠ .

### ثالثاً : الاستنباط من منطوق النص بدلالة المصطلح العلمي :

كان لمحمود شاکر استنباطات خاصة ببعض المصطلحات العلمية مستلهمة من مواجهة بعض النصوص ، وكانت جُلُّ هذه الاستنباطات استدراکات على شراح الدواوين عموماً وعلماء البلاغة العربية بشكل أخص ، فقد رأى محمود شاکر في إطلاق بعض المصطلحات العلمية وإجرائها على بعض النصوص إفساداً لما تقتضيه من جمالية في المعنى والدلالة الشعرية ، وقد نبه محمود شاکر كثيراً على أن الخطأ في إطلاق هذه المصطلحات وإجرائها على بعض الصور البيانية خاصة يقود إلى أخطاء أخرى ؛ تتعاون جميعاً في الفتك بجمال اللغة الشعرية ووأد دلالاتها الماورائية ، ومن ذلك رأي الأستاذ في بيت مشهور للفرزدق أورده ابن سلام في الطبقات :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ هَـارٌ<sup>(١)</sup>

أما رواية ديوان الفرزدق فقد أتت على هذا النحو :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ هَـارٌ<sup>(٢)</sup>

باختلاف ملحوظ بين كلمتي السواد والشباب ، وحين علق الأستاذ محمود شاکر وذكر ما قبله وما بعده أثبتته برواية الديوان ، وسوف أقف على سبب ذلك - إن شاء الله - عند الحاجة إليه.

وقبل استعراض تعليق شاکر على هذا البيت ، يجدر الوقوف عند معرض هذا البيت في كتاب الطبقات ، حيث أورده ابن سلام بعد اثني عشر موضعاً شعرياً للفرزدق ، الفرزدق الذي شغل حيزاً كبيراً من كتاب الطبقات لا يكاد يكون لغيره من الشعراء مثله ، وقد أورده ابن سلام بعد أن قال :

" وكان يداخل في الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب النحو ، من ذلك قوله ..... وقوله ... وقوله .... " (٣)

حتى وصل إلى هذا البيت ، ولا أعلم ماهي المداخلة التي في هذا البيت والتي مثل لها أولاً بالبيت المشهور "ومامثله في الناس إلا مملكا...." ، فالبيت كما يبدو جلياً في غاية الروعة وحسن التصوير وجمال المعرض ولم يظهر فيه أي تداخل ، وقد أشار الأستاذ محمود شاکر لذلك وتنبه له ، وزاد بأن موضع التداخل ليس هنا ، والذي يهمننا من كل ذلك تعليق الأستاذ محمود شاکر على هذا البيت ولا بد لي هنا من إيراده كاملاً غير

(١) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٢) ديوان الفرزدق شرح وضبط وتقديم علي فاعور ، ط ١ ، عام ١٩٨٧ ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص: ٣٢٣ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ج ٢ ، ص ٣٦٤ و ما بعدها .

مجزوء كثيرا ، حتى يتسنى لنا استظهار الصواب من كل جانب ، يقول بعد أن أورد الأبيات الثلاثة قبل وبعد هذا البيت :

إِنَّ الْمَلَامَةَ مِثْلُ مَا بَكَرْتُ بِهِ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهَا عَلَيْكَ نَوَارُ

وَتَقُولُ كَيْفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ لِلصَّبَا؟ وَعَلَيْكَ مِنْ سِمةِ الْحَلِيمِ عَذَارُ

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُ

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَابِيعٌ مَنْ بَاعَهُ وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِيهِ تَجَارُ

يقول : "وأصحاب البلاغة يعدونه من التشبيه ، تشبيه بياض الشعر وسواده ، بياض النهار وسواد الليل ، وهذا معنى مغسول لا خير فيه ، وإنما فعلوا ذلك بعد أن أفردوا هذا البيت بالاستشهاد.... فهذا البيت الثالث من تمام الذي قبله ، وهو من قول النوار في ملامتها له.... والواو في قوله (والشيب ينهض) واو الحال . "سمة الحليم" هي الشيب الدال على أنه بلغ مبلغ المجربين ذوي الأناة ، لا يستخفهم هو ، ولا يطيش بألباهم جهل ، و "العذار" من اللجام ، ما وقع منه في خدي الفرس ، يكبح من غلوائه . تقول النوار للفرزدق .... : كيف تصبو سادرا في غفلتك ، وقد كبرت وتحككت وحكمتك التجارب ، والمرء إذا بلغ من العمر ما بلغت وشاب عارضاه ، كف الشيب من عنفوانه وانبعثت تجاربه تذكره وتذره وتوقظه وتبصره ، وتهديه إلى حياة أخرى غير حياة اللهو والصبا وجنون الشباب ، فتتقشع الغشاوة عندئذ عن عينيه وينتهك ظلام الغفلة التي كانت مطبقة عليه.... ثم شبهت هذا كله بالفجر إذا اقبل فأسفر على القوم النيام.... فلم يرد بالشيب والشباب ولا بالليل والنهار لوخما من بياض وسواد ، وإنما أراد الحلم والجهل والهدى والضلال ، واليقظة والغفلة... وقوله (كأنه) أراد تشبيه حالة مجتمعة ، بحال أخرى مجتمعة لا تشبيه لون بلون ، فإنه إسقاط للشعر ، ورحم الله من قال بذلك من علماء البلاغة" (١) .

وقد أورد ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء هذا البيت مرتين ، أولها في فصله المشهور عن تصنيف الشعر (ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه) (٢)، والأخرى ذكره حينما اختار للفرزدق بعضا من مختاراته الشعرية

(١) طبقات فحول الشعراء ج ٢ ص ٣٦٩/٣٧٠ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ج ١ ، ص ٦٨ .

حيث جعل من بينها هذا البيت <sup>(١)</sup>، ولم يعلق ابن قتيبة على التشبيه في هذا البيت بل اكتفى بذكر البيت في كل مرة ، وقد أورد هذا البيت برواية ابن سلام أيضا الخوارزمي في مقدمة كتابه (الأمثال المولدة) واستشهد به على التشبيه والتمثيل دون الحديث عما دون ذلك من تفاصيل <sup>(٢)</sup> ، وقال المرزباني عن هذا البيت " أوضح معنى، وأعذب لفظ، وأقرب مأخذ " <sup>(٣)</sup> وذلك بعد أن أوردته برواية ابن سلام بعد بعض من شواهد تعقيد الفرزدق في الشعر ، أما أبو هلال العسكري فقد أوردته في أربعة مواضع من كتابيه الصناعتين وديوان المعاني ؛ أولها : شاهد على بديع التشبيه <sup>(٤)</sup> وثانيها: شاهد على الطباق الواقع في البيت بين الشيب والشباب والليل والنهار <sup>(٥)</sup> ، وثالثها : شاهد على البلاغة والفصاحة <sup>(٦)</sup> ، وأخرها : شاهد على المبالغة في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمراثي <sup>(٧)</sup> ، وقد التزم في كتاب الصناعتين برواية ابن سلام حرفياً ، أما في ديوان المعاني فرواه بتعديل طفيف استبدل فيه حرف الجر (في) بحرف الجر (ب) قبل كلمة الشباب لتكون (بالشباب) بدلا من (في الشباب) ، ولم يتطرق لتفاصيل التشبيه في البيت بأكثر مما سبق ذكره ، أما ابن رشيق القيرواني فقد ذكره برواية ابن سلام الجمحي في باب المجاز <sup>(٨)</sup>، دون حديث عن تفاصيل التشبيه أو حتى إشارة إلى ما فيه من تشبيه ، أما عبد القاهر الجرجاني فقد ذكر هذا البيت برواية ابن سلام الجمحي في كتابيه: أسرار

- 
- (١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ، ص ٤٩٣ .
  - (٢) الأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي ، تحقيق وتقديم مُجَّد الأعرجي ، ط ٢ ، عام ٢٠٠١ م ، للمجمع الثقافي بأبوظبي بالإمارات العربية المتحدة، ص ٧٥ .
  - (٣) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء تحقيق مُجَّد شمس الدين ، ط ١ ، عام ١٩٩٥ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص ١٣٢ .
  - (٤) الصناعتين لأبي هلال العسكري : ص ٢٢٦ .
  - (٥) السابق ص : ٢٨٢ .
  - (٦) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، نشرته مكتبة القدسي عن نسخة الشيخين : مُجَّد عبده ، و مُجَّد محمود الشنقيطي، ط ١ ، عام ١٣٥٢ هـ ، لمكتبة القدسي بالقاهرة، ج ٢ ، ص ٨٧ .
  - (٧) السابق : ج ٢، ص ١٦٣ .
  - (٨) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق : مُجَّد محي الدين عبد الحميد ، ، ط ٥ ، عام ١٩٨١ م ، لدار الجيل المصرية للطباعة والنشر، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

البلاغة ودلائل الإعجاز ، أما ذكره له في أسرار البلاغة فقد ذكره في صياغات التشبيه المركب حيث يقول :

" فانظر الآن، إنْ فَرَّقْتَ، كيف يتفرَّق عنك الحسن والإحسان، ويحضر العيُّ ويذهب البيان لأن تشبيه البياض على الانفراد لا معنى له، وأما تشبيه الحمرة، وإن كانت تصحَّ على الطريقة الساذجة أعني تشبيه الورد الأحمر بالحد فإنه يُفْسِدُ من حيث إن القصد إلى جنس من الورد مخصوصٌ، هو ما فيه بياضٌ تُحْدِقُ به حمرةٌ، فيجب أن يكون وصف المشبَّه به على هذا الشرط أيضاً، وبهذا الاختصاص ولما ذكرت لك، تجد أحد المشبَّهين في الأمر الأعمَّ الأكثر وقد ذُكِرَ في صلة الآخر، ولم يُعْطَفَ عليه كقوله: " والشَّيْبُ ينهضُ في الشَّبابِ " <sup>(١)</sup> ، إذن فعبد القاهر الجرجاني قد استشهد بهذا البيت "للدلالة على أن أحد جزأي المشبه صلة للآخر وتبعاً له متصلاً به لا ينفك عنه كاتصال المجرور (الشباب) بالفعل ينهض الواقع خبراً للشيب ، وهذه صياغة من صياغات المشبه في التشبيه المركب والدالة على شدة اتصال أجزائه " <sup>(٢)</sup> .

أما ذكره له في دلائل الإعجاز فقد استشهد به على النمط العالي من البيان والباب الأعظم منه وهو ما تتحد أجزاؤه ، حتى يوضع وضعاً واحداً ، فقال :

" ... ومما ندر منه ولطف مأخذه ودق نظر واضعه وجلى لك عن شأو قد تحسر دونه العتاق وغاية يعيا من قبلها المذاكي القرح الأبيات المشهورة في تشبيه شيئين بشيئين بيت امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا  
لَدَى وَكْرِهَا الْعَنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي <sup>(٣)</sup>

وبيت الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ  
لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ تَهَارٌ <sup>(٤)</sup>

فكما أن الرطب واليابس من قلوب طيور امرئ القيس تشبهان العناب والحشف البالي ؛ فإن شيب وشباب الفرزدق يشبهان الليل والنهار وهذا هو المفهوم من منطوق كلام عبد القاهر في هذا الموضع .

وقد أورد هذا البيت أيضاً أبو عبيد البكري في سمط اللآلئ ، وجاء به كشاهد على التشبيه الذي تكون فيه

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، ص ١٩٨ .

(٢) شرح أسرار البلاغة للدكتور محمد إبراهيم شادي ، ط ١، عام ٢٠١٢ م ، لدار اليقين بمصر، الحاشية رقم (٣) ص ٤٦٩-٤٧٠ .

(٣) البيت في ديوان امرئ القيس ، ص ١٢٩ .

(٤) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ص : ٩٥ .

إضاءة الصبح مذهبة لليل ومنفرة له <sup>(١)</sup> واستشهد به أبو الراغب الأصفهاني على ظهور الشيب واختلاط  
البياض بالسواد <sup>(٢)</sup> دون تفصيل للتشبيه ، وجاء على نحو من ذلك في ربيع الأبرار <sup>(٣)</sup> ، واستشهد به أيضا على  
الطباق فقط ابن منقذ في كتابه البديع في نقد الشعر <sup>(٤)</sup> ، ونقل صاحب حلية المحاضرة نقدا لبيت الفرزدق هذا  
فقال:

" قال أبو علي: والناس يرون أن أحسن ما قيل في وصف الشيب قول الفرزدق

" والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانيه نُـسَار

وهذا خطأ، لأن هذا البيت مركب تركيباً معكوساً، ولا تصح المقابلة في التشبيه، إلا بأن يقول "والشيب  
ينهض في الشباب كأنه نهار يصيح بجاني ليل" <sup>(٥)</sup> ، وتابعه في ذلك أيضا صاحب أنوار البديع واستشهد بالبيت  
على عدم وجود مقابلة صحيحة <sup>(٦)</sup> .

ومن طريف الأمر أن الدكتور محمد أبو موسى قد توافقت قراءته النقدية لهذا البيت مع قراءة الأستاذ شاعر  
بمحض الصدفة ، دون أن يكون له اطلاع سابق على تعليق الأستاذ محمود شاعر ، ولم يطلع على تعليقه إلا  
بعد أن علق الأستاذ على النسخة التي أهداها له طالبه أبو موسى من كتاب التصوير البياني ، فكتب تحت

---

(١) سمط اللآلئ ، اللآلئ في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري ، بمشطرة عبد العزيز الميمني له في أبحاثه ، ط ١ ، عام

١٩٣٥ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ج ١ ، ص ٧١١ .

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي الراغب الأصفهاني ، تقديم عمر الطباع ، ، ط ١ ، عام ١٤٢٠ هـ ،

لشركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ج ٢ ، ص ٣٤٤ .

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، لمحمود الزمخشري ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، ط ١ ، عام ١٩٩٢ م ، مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات ببيروت ، ج ٣ ، ص ٤٠ .

(٤) البديع في نقد الشعر ، تحقيق أحمد أحمد بدوي ، و حامد عبد المجيد ، مراجعة إبراهيم مصطفى ، ط ١ ، تاريخ بدون ،

الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة ، ص ٣٧ .

(٥) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، لمحمد الحاتمي ، تحقيق جعفر الكتاني ، ، ط بدون ، عام ١٩٧٩ م ، دار الرشيد بالعراق ،

ج ١ ، ص ٨١-٨٢ .

(٦) أنوار الربيع في أنواع البديع ، تأليف ابن معصوم المدني ، تحقيق ، شاعر هادي شكر ، ، ط ١ ، عام ١٩٦٩ م ، لمطبعة

النعمان بالعراق ، ج ٥ ، ص : ٢٣٥ .

هذا البيت (الطبقات) ، فراجع أبو موسى تعليق الأستاذ محمود شاكر رحمه الله في الطبقات وجعله ثبثاً كله في كتابه <sup>(١)</sup> .

وحين نتمعن في هذا البيت مسبقاً ومتبوعاً بإخوته ، فإن الذي يتدبره الذهن وتطمئن إليه النفس ، القول بتشبيه هيئة بهيئة ليس بجامع السواد والبياض ولا بجامع الهدى والضلال ، فقد أراد الشاعر تشبيه هيئة ظهور الشيب بعد الشباب ، بهيئة ظهور النهار بعد الليل بجامع السرعة والإحاطة في كل منهما . وقد ترك لنا الشاعر عدة مفاتيح لنطمئن إلى ذلك ، أما السرعة فيدل عليها قوله (ينهض ) والنهوض في اللغة من " نَهَضَ ، كَمَنَعَ ، نَهَضًا وَنُهُوضًا : قَامَ ... والطائرُ : بَسَطَ جَنَاحَيْهِ لِيَطِيرَ " <sup>(٢)</sup> ، فالدلالة على السرعة مستمدة من أصل الوضع اللغوي لينهض ، واستخدامها إثباتاً لجانب السرعة التي قصد إليها الشاعر قصداً كما هو واضح وجلي .

أما جانب الإحاطة فهو واضح أيضاً من قوله (جانبه) والمقصود المبالغة في إحاطة النهار الليل (المشيب الشباب) وكأنه يحاصره من جهتي ظهوره (غروب الشمس) ومن جهة غيابه (انبلاج الفجر) ، والدلالة الوظيفية لهذه المبالغة تكمن في إثبات السلطة الأعلى والنفوذ الأقوى للنهار على الليل (المشيب على الشباب) بحيث لا بد وأن يسيطر عليه ويستلب منه سواده وسطوته.

أما جحدان السواد والبياض من التشبيه بالصورة التي ذكرها محمود شاكر ، فهو جحدان يتدافع مع منطوق البيت ، و(السواد) الوارد في ديوان الفرزدق بديلاً عن (الشباب) هو مما يقوي القول بذلك ويدعمه ، وهو فيما يبدو السبب الذي جعل الأستاذ محمود شاكر وتلميذه أبو موسى يغضان الطرف عن رواية البيت بالسواد.

أما ما استنبطه محمود شاكر من أن الشاعر لم يرد بالشيب والشباب ولا بالليل والنهار لونهما من بياض وسواد وإنما أراد الحلم والجهل والهدى والضلال ، واليقظة والغفلة ، فلاشك أن الشاعر أراد ذلك بدليل منطوق الأبيات قبل وبعد هذا البيت ، ولكنه مراد مفهوم مما وراء التشبيه ، ويستحق أن يكون فهم رفيع الذرى من

---

(١) ذكر ذلك الدكتور محمد أبو موسى في كتابه (التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، ط٧ ، عام ٢٠٠٩ م ،

لمكتبة وهبة بالقاهرة ، ص ١١٣-١١٥ .

(٢) القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ج ١ ص ٦٥٦ .



مستتبعات هذه الصورة البيانية ؛ إذ إن الضلال والهدى والحلم والجهل واليقظة والغفلة التي قصد إليها هي في حقيقتها صفات لازمة للشيب والشباب، والهدى والحلم واليقظة التي تكون في شيبة الإنسان هي (العذار) التي تكبح جماح الشباب وتحد من طيشه ، ويمكن إدراج ذلك كله تحت الدلالة الوظيفية للتشبيه .

ومن ذلك أيضا تعليق محمود شاعر على بيت أمري القيس المشهور :

وليل كموج البحر أرخى سدوله  
علي بأنواع الهموم ليبتلي<sup>(١)</sup>

يقول محمود شاعر :

"وهذا البيت أيضا مما يزعم الشراح أنه شبه الليل فيه بموج البحر في ظلمته ووحشته وهوله، وأن قوله (بأنواع الهموم) متعلق ب (أرخى علي) ، والتشبيه الذي زعموه هو هنا فاسد فيما أرى ، والموج في البيت مصدر لا اسم، وأصل سياقة البيت (وليل يموج بأنواع الهموم ليبتلي، موجا كموج البحر أرخى سدوله) ، أما التوحش والهول فهو توحش الهموم الطاغية المتضربة عليه في ظلام الليل ، وهذا أحق بامرئ القيس ونبل معاليه....." <sup>(٢)</sup>

وهذا البيت كسابقه كثير الدوران بين أرباب اللغة والبلاغة والأدب ، وقد خالف محمود شاعر في رأيه بفساد التشبيه معظم من تناوله من العلماء ، فأبو عمر الشيباني صاحب شرح المعلقات التسع إن صحت نسبة الكتاب إليه يذكر الجامع بين المشبه والمشبه بدون إشارة إلى وجود التشبيه لأنه أوضح من أن يبينه ، ويكتفي بقوله : "قوله كموج البحر أي في كثافة ظلمته، وسدولة أطرافه" <sup>(٣)</sup>، واستشهد به ابن طباطبا العلوي في "تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ لَوْنًا" <sup>(٤)</sup> ، واستشهد به على نحو من ذلك أبو هلال العسكري وجعله كواحد من الأبيات المبنية

(١) ديوان امرئ القيس ص ١١٧ .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ج ١ ص ٨٥ الحاشية رقم (٢) .

(٣) شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني ويليه معلقة الحارث الشكري ، منسوب لأبي عمرو الشيباني ، تحقيق : عبد المجيد همو ، ط ١ ، عام ٢٠٠١ م ، المؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، ص ١٥٥ ، ويرى محقق الكتاب أن نسبة هذا الكتاب لناسخ المخطوطة الغير معروف ، وقد فند في مقدمة الكتاب نسبة الكتاب لأبي عمرو الشيباني ، وقال بعدم إمكانية نسبته إليه لإحالة في الكتاب على علماء بعده كابن كيسان أبي الحسن وابن السكيت ، بالإضافة إلى أنها لا تقترب من أسلوب الشيباني على رأي المحقق ، ينظر في ذلك لمقدمة الكتاب : ص ٥-١٦ .

(٤) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م ، لدار

الكتب العلمية بيروت ، ص ٣١ .

على التشبيه الذي " يتضمّن معنى اللون وحده" <sup>(١)</sup> ، كما أنه نقد هذا البيت في ديوان المعاني وجعل فيه عيباً من ناحية التضمين ، وعلل ذلك بقوله : "وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضميناً يلحق به بعض العيب وهو من أدل شيء على شدة الحب والهَم ؛ لأنه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة إلا أنه دخل في باب الغلو" <sup>(٢)</sup> ، أما الزوزني صاحب شرح المعلقات السبع فلم يتردد في إجراء التشبيه من نفس الجهة التي قال بفسادها فيه محمود شاكر ، وذكر أن أمراً القيس "شبه ظلام الليل في هوله وصعوبته ونكارة أمره بأمواج البحر" <sup>(٣)</sup> ، ونص التيفاشي صاحب سرور النفس على تشبيه الليل بالبحر في هذا البيت <sup>(٤)</sup> ، وقال البغدادي بالتشبيه في هذا البيت على الوجه المألوف ما بين العلماء فقال في ذلك : "ربّ ليل يحاكي أمواج البحر في توحشه وهوله وقد أرخى عليّ ستور ظلامه مع أنواع الحزن ليختبرني: أصبر أم أجزع ؟" <sup>(٥)</sup> ، وقد جرى معظم علماء العصر الحديث على منوال من ذكروهم آنفاً من علماء التراث في إجراء التشبيه بين الليل وموج البحر ، فشوقي ضيف يرى بأن أمراً القيس في هذا البيت "يتصور الليل بسواده وهمومه كأنه أمواج لا تنتهي، ويحس كأنه طال وأسرف في الطول حتى ليظن كأن نجومه شدت بأسباب وأمراس من الجنادل والجبال فهي لا تتحرك ولا تزول" <sup>(٦)</sup> ، ويصرح عبد الملك مرتاض بتشبيه الليل بالموج كشوقي ضيف <sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ص : ٢٧٤ .
  - (٢) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .
  - (٣) شرح المعلقات السبع لحسين بن أحمد الزوزني ، تحقيق لجنة التحقيق في الدار العلمية ، ط بدون ، عام ١٩٩٣ م ، للدار العلمية ببيروت ، ص ٢٩ .
  - (٤) سرور النفس بمدارك الخواص الخمس ، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي ، هذبة: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) ، تحقيق إحسان عباس ، ط ١ ، ١٩٨٠ م ، للمؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، ص : ٢١ .
  - (٥) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ط ٤ ، عام ١٩٩٧ م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٧١ .
  - (٦) تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف ، ط ١١ ، عام بدون ، لدار المعارف المصرية ، ص ٢٥٣ .
  - (٧) السبع المعلقات مقارنة سيمائية/ أنثروبولوجية ، لعبد الملك مرتاض ، ط بدون ، تاريخ بدون ، لدار رسلان للطباعة والنشر بسوريا ، ص ٤٢٤ .

أما مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ أَبُو موسى تلميذ محمود شاكر فقام بنقل تعليق أستاذه على التشبيه في حاشية كتابه التصوير البياني، ثم اتخذ منه سبيلا لتناوله وقراءته من نفس الزاوية ، فعند تناوله هو للبيت قال بأنه " لم تقف دلالة التشبيه بالموج عند الإشارة إلى أن همومه التي تموج في ليله هموم ممتدة متتابعة تموج كموج البحر .....والذي يبدو لي أن فيه معنى الإحساس بالقلق الطاحن الذي يتمثل في فوران الموج وصخبه وتناقله...." (١).

ومن الممكن عدم وجود فساد كلي في تشبيه يجعل الظلام جامعا بين الليل والموج، بما يتوفر في كل منهما من سواد وظلمات ، لاسيما وأن الظلام والأمواج متلازمان سواداً حتى في التعبير القرآني الكريم يقول تعالى:

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (٢).

يقول أبو القاسم الزمخشري في تفسير الآية:

".....وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق لظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ، ثم قال : ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له ، وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات ..... " (٣) .

ولعل كلمة (سدوله ) والتي هي من "سدل: سَدَلَ الشَّعْرَ والثوبَ والسِّتْرَ يَسْدِلُهُ وَيَسْدُلُهُ سَدْلًا وَأَسْدَلَهُ: أَرْخَاهُ وَأَرْسَلَهُ" (٤)، قريبة جداً من الظلمة منها إلى استنباط الأستاذ محمود شاكر .

(١) التصوير البياني لمحمد أبو موسى ص : ٨٦ .

(٢) سورة النور الآية الكريمة (٤٠) .

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ، ، ط٣، عام ١٤٠٧ هـ ، لدار الكتاب العربي ببيروت ، ج٣، ص ٢٤٤ .

(٤) لسان العرب لجمال الدين بن منظور ج ١١ ص ٣٣ .

## المبحث الثاني : المفهوم وتأويله

جنح محمود شاكر في كثير من استنباطاته إلى المفهوم والتأويل من غير ألفاظ النص المنطوقة ، وكثيرا ما كان يظهر هذا النوع من الاستنباط عنده في مواجهته المباشرة للنصوص الأدبية ؛ ولذلك يتضح الكثير من جوانب استنباطاته بالمفهوم في مؤلفاته التي واجه فيها النصوص مواجهة مباشرة ؛ وذلك أنه حشد لقراءة النصوص في هذا المؤلفات جل ما توفر له من أدوات القراءة النقدية الفاحصة المدعومة بثقافته الكبيرة وفكره الخاص ، حيث كان فكره عنصرا رئيسا للإنتاج النقدي ، وقد دعمه بطاقاته وقواه ومقدراته العقلية والدوقية ، وحينما يكون الفكر العنصر الرئيس في قراءة النص الأدبي تتجلى قيمة قراءة المفهوم المسكوت عنه ، الذي لا يظهر في ألفاظ النص الصريحة ودلالاتها الوضعية في أصل استخدامها اللغوي ، وقد تميز محمود شاكر - كما سيبينه هذا المبحث - بعمق فكري اتسعت معه دائرة المفهوم ؛ فلم يحصر نفسه وهو يواجه النصوص الأدبية بشكل خاص إلى مجرد النظر العقلي في ظاهر النص وشكله ، وهو ذات الأمر الذي جعل من المفهوم وتأويله طريقة بارزة من طرائقه الاستنباطية .

وقد اشترط محمود شاكر نفسه على الناقد أن يكون قادرا على استنباط أوابد المعاني التي يستخرج خبيئها بالمفهوم وتأويله ، بعد أن يكون قادرا أيضاً على تتبع وفهم شوارد الألفاظ ، فيكون نتاج الأمرين معاً الوصول إلى حقائق خبيء الأقوال ، والحكم لها أو عليها بتمييز وإنصاف ، فلا يحيف في أحكامه ولا يتجاوز فيها ، ولا يقصر عنها تقصيراً يخل بكونها أحكاماً نقدية منصفة ، يقول في ذلك :

"الناقد رجل عدلٌ منصف لا يزال يتتبع شوارد اللفظ ، وأوابد المعاني ، يستنبط أخبار أصحابها ، ويستنبط من قلوبها أسرار كُتباها، ويكشف عنها خبيئة قائلها.. ثم يحكم مميّزا مقدرا لا يجور فيتجاوز الغاية، ولا يحيف فيقع دون المدى ...." (١) .

وستكون المحاولة جادة في هذا المبحث للوصول إلى أجناس الاستنباط بالمفهوم وتأويله عند محمود شاكر ، واستعراض استنباطاته التي تمخضت عن مفهومه الخاص وتأويله الخاص ، ومن ثم مساءلتها ومناقشتها للتوصل بها إلى الطريقة الفكرية التي كان يفكر بها الأستاذ محمود شاكر رحمه الله وهو يستنبط بمفهوم النص بعد أن تم شيء من ذلك في المبحث السابق المتعلق بالاستنباط بمنطوق النص .

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان : ج ١ ، ص : ٣٤ .

## طرائق التأويل لمفاهيم المصطلح العلمي :

تتجلى ملامح الاستنباط بالمفهوم وتأويله عند محمود شاكر بشكل أخص في توظيفه لبعض المصطلحات البلاغية والنقدية وحتى اللغوية في فهم النص الشعري ؛ فعندما تستدعي القراءة النقدية بعضاً من هذه المصطلحات يقوم بتوظيفها كما نص عليه ضبط العلماء لها تارة ، وربما يستخدمها بألفاظها فقط ويسقطها على ضوابط أخرى غير ما نص عليه أهل العلم والاختصاص ، وربما يتوسع في ذلك فيستدعي مصطلحات علمية من علوم أخرى يلامس اصطلاحه لها شيئاً من توظيفه القرائي لها ، ولا يجد في نفسه حرجاً من تسميتها مصطلحات أدبية ونقدية ، بل ويخصص فهرساً لها من بين العديد من الفهارس التي يختتم بها كتبه<sup>(١)</sup>، ومنها :

- زمن الحدث .
- زمن النفس .
- تزيف الإسناد .
- حديث النفس .
- طائف الذكرى .
- الوقف في قراءة الشعر .
- النمط الجامع .
- حادي النغم .
- مجيب النغم .

هذه أمثلة فقط لتلك المصطلحات التي كانت فيما يبدو البوابة الرئيسية التي ولج منها محمود شاكر إلى مفهوم النص وتأويله ، وسيكون من الصعب على مبحث واحد كهذا استعراض كل المصطلحات ؛ لكثرتها وكثرة نماذجها التي درأت عليها قراءة النص عند الأستاذ محمود شاكر ، ولكن سيتم انتخاب ما يمكن انتخابه منها لاستجلاء جوانب الاستنباط بالمفهوم عبر المصطلح عند الأستاذ ، وقد يكون استجلاء بعضها على هذا النحو مقارنة تطبيقية افتتاحية لغيرها من المصطلحات .

---

(١) ينظر في هذه المصطلحات والإحالة لمعانيها إلى فهارس نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ٤١٧-٤٢٢ .

## أولاً : المصطلح البلاغي :

اعتزضت محمود شاطر بعض من المصطلحات البلاغية في قراءته للنص الأدبي واستنباطاته منها بالمفهوم ، وقد نبه محمود شاطر على أن أمر ألفاظ الشعر له خصوصية مطلقة ، فثنائية الحشو والحذف البلاغيتين لها قدرة على توليد المفهوم وفق القراءة الفاحصة ، فالزيادة في الألفاظ عما تحتاجه من معان - وهو ما سماه بالإسباغ ، والحذف منها - وهو ما سماه بالتعرية - ، يكاد ينقلان الألفاظ من أصل وضعهما اللغوي إلى ما يشبه انتقالها في التصوير البياني ، يقول الأستاذ في ذلك :

"أما ألفاظ الشعر فأمرها مختلف ؛ لأنهم يلبسونها بالإسباغ ، ويخلعون عنها بالتعرية ، ما يكاد ينقل اللفظ من مستقره في اللغة وفي كتبها ، إلى مدارج تسيل باللفظ وقرائنه من الألفاظ إلى غاية غير غاية المتكلم المبين عن نفسه لسامعه ، وهذا شبيه بما نسميه المجاز والاستعارة والكناية وما جرى مجراها" (١) .

وهذا النص يكشف وبوضوح السبب الذي يقف وراء اعتراضات محمود شاطر على معاجم اللغة ، واتهامها بالقصور في بيان معاني بعض ألفاظ اللغة ، ويكشف أيضاً عن السبب الذي دعاه لإضافة معجم خاص به في أواخر الكتب التي قام بتحقيقها على وجه خاص ، فالاعتماد على شروح أصحاب المعاجم غير كاف من وجهة نظره في قراءة الشعر قراءة جمالية تذوقية ، يستطيع من خلالها اكتساب مهارة الإصابة في الاستنباط بالمفهوم المسكوت عنه وتأويله وتأويلاً يتفق مع قصدية النص ومقصدية مبدعه ، يقول محمود شاطر عن ذلك وهو يقرأ قصيدة (إن في الشعب الذي دون سلع):

" وهكذا وجدني أسير في طريق طويل أعالج الحديث عن نسبة القصيدة ، وعروضها ... وترتيب أبيات القصيدة كما جاء في روايات الأقدمين ... ثم ما اقترحتة أنا من ترتيب وفق منهجي في تذوق الشعر ... ومخالفتي في ذلك عما قاله بعض شراح القصيدة من النقاد الأوائل ، ثم عدولي عن شروحهم اللغوية المجردة لبعض ألفاظها ، ورأيت أننا إذا وقفنا عندها دفنًا الشعر في تابوت من اللغة (٢) " ومن المصطلحات البلاغية التي اعتزضت محمود شاطر في استنباطاته التأويلية مصطلح الحشو البلاغي ، وهو مصطلح بلاغي حده السكاكي بقوله : " وهو أن تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه كقول طرفة :

(١) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاطر ، ص : ١٣٣ .

(٢) السابق : ص ١-٢ .

فَسَقَى دِيَارَكَ - غَيْرَ مُقْسِدِهَا -

صَوَّبَ الرَّيِّعَ وَدِيمَةً تَهْمِي<sup>(١)</sup>

فأدرج غير مفسدها ....<sup>(٢)</sup>

وكثيراً ما يرتبط مصطلح الحشو البلاغي بالزيادة وعدم الفائدة ، وهذا الارتباط مدلول عليه باسمه الذي اصطلح عليه العلماء ، ولكن محمود شاكر لم ينظر إليه غالباً على نحو من عدم الفائدة ، بل نظر إليه كموطن صالح لفهم النص وقراءة مستتبعاته ، وإنعاماً في نظريته هذه فقد أطلق عليه في بعض أحيائه اسم الإسباغ لا الحشو كما سبق ذكره آنفاً ، مستدعياً هذه التسمية من علم العروض كعلة معروفة من علل الزيادة التي تزيد حسن النغم ، وربما كان استدعاؤه لها مرتبطاً بأصله اللغوي الذي ينص على الاتساع والزيادة والمبالغة في التمام<sup>(٣)</sup> ، فيكون استدعاؤه له بالنظر إلى الأصل اللغوي من قبيل التوسع في المعنى والزيادة فيه بزيادة مبناه والمبالغة في إتمامه ، ومحمود شاكر في ذلك متبع للعلماء لا مبتدع ، فقد نظروا إليه نظرة متوسطة بين الفائدة وعدمها ، وأثبتوا له مزية وفائدة للمعنى على الرغم من تسميته حشواً ، فأصل الحشو البلاغي مرتبط بإصلاح الوزن والقافية في منظوم الكلام ، ومرتبطة بالسجع وتأليف الفصول في المنثور منه ، وزيادته " إما أن تكون أثرت في الكلام تأثيراً لولاها لم يكن يؤثر أو لم تؤثر بل دخولها فيه كخروجها منه ، وإذا كانت مؤثرة فهي على ضربين أحدهما : أن تفيد فائدة مختارة يزداد بها الكلام حسناً وطلاوة ، والآخر أن تؤثر في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً...<sup>(٤)</sup> " وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني : " وأما الحشو فإنما كُرهَ ودُهمَ .. لأنه خلا من الفائدة ، ولم يَحُلْ منه بعائدة ، ولو أفاد لم يكن حشواً ، ولم يُدعَ لغواً ، وقد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعاً من القبول أحسن موقع ، ومُدركاً من الرضى أجزل حظ ، وذاك لإفادته إيّاك ، على مجيئه مجيء ما لا يعول في الإفادة عليه ، .. فيكون مثله مثل الحسننة تأتيك من حيث لم ترقبها ، والنافعة أتتك ولم تحتسبها...<sup>(٥)</sup> " .

(١) هذا البيت مذكور في ديوان طرفة بن العبد برواية (بلادك) بدلا من (ديارك)، ينظر لديوان طرفة بن العبد شرح الأعلام

الشتنمري ، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، ط ٢ ، للمؤسسة

العربية للنشر والتوزيع ببيروت ، ودائرة الثقافة والفنون بالبحرين ، ص ١٠٤ .

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ٤٢٨ .

(٣) ينظر لسان العرب لابن منظور ، ج ٨ ، ص ٤٣٣ .

(٤) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ط ١ ، عام ١٩٨٢ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص ١٤٦ .

(٥) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني : ص ١٩ .

وقد استدعى الأستاذ محمود شاعر الحشو استدعاءً جمالياً رائعاً في كتابه نمط صعب ونمط مخيف ، ومواطن ذكره للحشو في هذا الكتاب جديرة بالعناية والاهتمام ، ومن ذلك تعليقه على قول الشاعر :

حَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَعٌ —————  
جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ<sup>(١)</sup>

يقول محمود شاعر في زيادة ما بعد خبر في البيت :

" (خبرٌ ما) : قدم الفاعل على فعله وأدخل على الخبر (ما) التي تحيى حشواً ؛ لتدل على الإعراض عن وصف الشيء بما ينبغي له من الصفات ، لأنك مهما وصفته فبالغت فيه الصفة فلن تبلغ كنهه .... " <sup>(٢)</sup> ، فاستنبط من محيى ما حشوا في هذا البيت استنباطاً بالمفهوم وبدلالة المصطلح البلاغي ، فقد أول حشو (ما) في مبنى البيت للدلالة على أن خبر قتل خال قائل القصيدة خبراً لن تبلغ منتهى وصفه مهما كنت له واصفاً ، فأعرض عن ذلك كله واختصره بزيادة (ما) ، وبذلك تكون (ما) أدت في مبنائها ما يؤديه الحشو من زيادة المعنى وتمامه ، وتكون في دلالتها الوظيفية — حتى مع كونها حشواً — دلالة اختصار وإيجاز بليغ ينحدر منها هول ذلك الخبر وعظمته وشدة وقعته وهول مصابه ، فـ (ما) هذه يستتر وراءها الكثير من مفهوم النص المسكوت عنه الذي تركه الشاعر وخبأه خلف حرفيها ، وهذا من عجيب أمر قراءة الأستاذ محمود شاعر وبديع استنباطاته ، فالحشو الذي أصله الزيادة في المبنى هو ذاته يقوم بدلالة الحذف ويؤدي وبكل اقتدار بلاغة الإيجاز ، وفي هذا ما فيه من عمق النظر في معاني الشعر وإنعام التفكير والتدبر فيما يستكن وراء ألفاظه ، ولما كان موقع (ما) من الفائدة على هذا النحو الراسخ في تذوق الأستاذ محمود شاعر وتأمله ؛ لم يتردد في وصف من قال بزيادة (ما) في مثل هذا الموضع ثم يسكت بأنه قولٌ مسيءٌ للشعر ، وأنه يتعامل مع الشعر على أساس من الإعراب النحوي لا غير<sup>(٣)</sup> ، ولكن القول بفائدة ما في هذا البيت على النحو الذي قرره محمود شاعر ، لا يعطي الحق في ادعاء أنها اختصرت كل صفة ، أو أن الشاعر أراد بها أن تكون جامعة لكل صفة أرادها في نفسه ، وذلك

---

(١) هذا البيت من قصيدة ألف فيها محمود شاعر كتابه نمط صعب ونمط مخيف ، وقد تحدث في أول كتابه عن نسبة هذه القصيدة ورجح فيها أن تكون لخفاف بن نضلة ابن أخت تأبط شرا ، وقد أثبت في كتابه آراء العلماء في نسبة هذه القصيدة إلى الشعراء ، ينظر في ذلك نمط صعب ونمط مخيف : ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) السابق ، ص ١٤٤ .



أن الشاعر أورد لهذا الخبر صفات وقعت بعد(ما) ، فهو خبر مصمئل " وَقَدْ اصْمَأَلَّ الرَّجُلُ اصْمِئلاً، إِذَا اشْتَدَّ وَغُلُظَ، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْمَصْمِئَلَةِ ، وَهِيَ الدَاهِيَةُ ... " <sup>(١)</sup> ، ثم أوغل الشاعر في صفة الخبر ووصفه في آخر البيت بأنه خبر عظيم وإذا قيس به دواهي الناس صارت دواهيهم بالنسبة إليه حقيرة صغيرة ، فما الزائدة في هذا البيت استطاعت وباقتدار أن تختصر كثيراً من الصفات التي أراد الشاعر لنا أن نستنبطها منها ، ولكنها لم تكن كافية من وجهة نظر الشاعر لاختزالها كل صفة أرادها في ذلك الخبر ، ولم تكن كافية للاستغناء بها عما سواها من الصفات ، أو بما سماه الأستاذ محمود شاكر (ترادف الصفات) <sup>(٢)</sup> .

ويلاحظ غالباً على محمود شاكر وهو يستنبط بالمفهوم وتأويله جنوحه كثيراً إلى دعم قراءته بشواهد من فصيح كلام العرب ، والاستنباط بالمفهوم يحتاج في غالب الأمر إلى شواهد تدعم الأمر المستنبط وتقنع القارئ بقبوله والتسليم به ، وقد لجأ محمود شاكر في البيت السابق إلى شاهد يدعم استنباطه في فائدة ( ما ) الزائدة التي أتت حشواً ، وهو بيت امرئ القيس :

وَحَدِيثُ الرُّكْبِ يَوْمَ هُنَا      وَحَدِيثُ مَا عَلَى قِصْرِه <sup>(٣)</sup>

فهو يرى أن المقصود ب (حديث ما) في هذا البيت الحديث الذي جرى بين الشاعر وبين صاحبه ، والشعر يتحسر على ما فاتته من تطاول استمتاعه بهذا الحديث ، " فبلغ بترك صفة الحديث ما لا يبلغه إثبات الصفة " <sup>(٤)</sup> ، وهذا الشاهد أدل على فائدة ما وإثبات مقدرتها على الإعراض عن استيعاب الصفات من البيت المستشهد له ، حيث لم يُذكر بعد (ما) من الصفات إلا أنه حديث قصير ، و على أن الشاعر لم يرد من ذكر القصر في آخر البيت وصف الحديث بشكل مباشر ، بل أراد أن تكون ما للإعراض عن وصف الحديث بما ينبغي له من الصفات ، فجاء بوصف (القصر) مضمناً في أسلوب الاحتراس ، ليكون المعنى أن هذا الحديث

(١) جمهرة اللغة لا بن دريد الأزدي : ج٢ ، ص ١٠٨٩ .

(٢) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١٤٤ .

(٣) ديوان امرئ القيس : ص ٧٦ .

(٤) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ١٤٤ .

حديث لا تستطيع أن تصف كنهه تضامُ الصفات على الرغم من كونه حديثاً قصيراً ، ولو حذف قوله على قصر لتوهم المعنى أنه حديث لا تستطيع أن تصف كنهه تضامُ الصفات لطوله ، فاحترس عن ذلك بقوله (على قصر) مضمناً صفة قصر الحديث في هذا الاحتراس . وبذلك تكون ( ما ) في هذا البيت أدل على فائدتها في الإعراض عن استيعاب كل ما يمكن أن يوصف به هذا الحديث ، لعدم وجود صفة مباشر بعد (ما) للحديث ، وليس مثل ذلك في البيت المستشهد له ، حيث جاءت صفة مصمئل وجملة (جلّ) صفات مباشرة بعد (ما) الزائدة لذلك الخبر ، ويعيننا من ذلك كله أن الأستاذ محمود شاعر استدلل على استنباطه بالمفهوم بشاهد من فصيح كلام العرب ، وقد كان وجه الاستدلال صارخاً بحسن فائدة (ما) وجلال قدرتها على استيعاب صفات لا يمكن استيعابها من خلال ذكرها المباشر وتعدادها كما يراه الشاعر .

وقد يدعم محمود شاعر استنباطاته بالتأويل باستدلال ليس من قبيل جلب شاهد ومقايسته على الاستنباط ، بل يلجأ في بعض المواضع إلى الاستدلال بالعكس ، والاستدلال بالعكس من أقسام الاستدلال المباشر عند علماء المنطق ، ويقصد به أن يشتق صاحب الاستدلال " من القضايا الحاضرة في الذهن عكوساً لها ، ويستفيد منها أحكاماً جديدة ، وعملية في ذلك عملية عقلية بحتة " (١) ، ومن ذلك تعليقه على الحشو الذي جاء في البيت التالي للبيت السابق من قصيدة ابن أخت تأبط شراً (٢) :

قَدَفَ الْعِبءَ عَلَيَّ وَوَلَّى      أَنَا بِالْعِبءِ لَهُ مُسْتَقِيلٌ

فمحمود شاعر يرى أن قول الشاعر (له) بمعنى (من أجله) وهو حشو ازداد معه الكلام قوة وحسناً واستطاع ببراعة أن يضيف للنظم معنى جديداً ، إذ أفاد هذا الحشو تعظيم شأن هذا القتل ، الذي لم يذهب دمه هدراً على الرغم من إحجامهم عن الأخذ بثأره (٣) ، ولتمكين استنباط مفهوم فائدة (ما) على هذا النحو في نفس القارئ وفكره تقرر للأستاذ محمود شاعر أن يستدل بالعكس فقال :

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ص : ١٧٧ .

(٢) نط صعب ونط مخيف لمحمود شاعر ، ص : ١٤٨ .

" ولو قال : (وأنا بالعبء مستقل) وحذف ( له ) لسقط الكلام سقوطاً ظاهراً ، فهذا مهارة الشاعر وسليطان بحر المديد ، الذي يحمل الشاعر أن ينبذ إليه بالكلمات حية موجزة مقتصدة خاطفة الدلالة في أناة وتؤدة ، ويوقعها في حاقّ موضعها لا يتجاوزه ... " (١)

فالقضية الحاضرة في ذهنه حسن المعنى وقامه الذي أضافته (له) حينما وقعت حشوا في هذا البيت ، فسكبت على الكلام رفعة بيانية وجمالية ألفة ، وعكس ذلك لو جاء الكلام بغيرها فسيسقط سقوطاً ظاهراً ، ويفقد الحسن والتمام الذي هو مرتبط بإضافة (له) حشواً في البيت .

ومن المصطلحات البلاغية التي اعترضت محمود شاكر وجعلته يستنبط بالمفهوم وتأويله عن طريق دلالتها مصطلح الحذف ، والحذف باب عظيم من أبواب البلاغة العربية ، وقد جاء في محكم التنزيل وفي كلام النبي ﷺ والفصيح من كلام العرب ، و هو مدار الإيجاز وكنه البلاغة ؛ " لأن موضوعه يقوم على الاختصار " (٢) ، ومن النماذج التي قرأ فيها محمود الحذف قراءة آنية الحذف في (حلوا) في قول ابن أخت تأبط شراً :

وَقُتُّوْهُ هَجَرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا  
لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حُلُّوا

ويرى محمود شاكر أن الحذف ورد في هذا البيت في قوله (حلوا) ، والمعنى أن هؤلاء الفتية آخذى الثأر " حلوا بهذيل فاطبقوا عليهم ، فأتخنوا فيهم القتل ، فاختصر القول اختصاراً ، لدلالة قوله فيما بعد (فأدركنا الثأر منهم) على هذا المحذوف " (٣) ، وقد وصل إلى تأويل هذا الحذف من طريقين :

أولها : الدلالة المجازية التي اكتسبتها كلمة (حل) ، حيث أصبحت هذه الكلمة مقرونة بالعذاب والعقاب ، وقد استدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرَآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ بل لله الأمر جميعاً أفلم يئأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تُصِيبُهُمْ بِمَا

(١) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ١٤٨ .

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ليحيى بن حمزة بن علي العلوي البمني ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٢ م ، للمكتبة العصرية ببيروت ، ج ٢ ، ٥١ .

(٣) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر : ص ٢١٦ .

صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١﴾

واستدل أيضاً على أن الحلول مقرونا بالعذاب بقول بشر بن أبي خازم <sup>(٢)</sup>:

وَمَاحِي نَحْلُ بَعْفُوتَيْهِمْ  
من الحرب العوان بمستراح <sup>(٣)</sup>

والحق أن الحلول غالب مجيئه في القرآن الكريم مقرونا بالعذاب كما قاله الأستاذ محمود ، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ <sup>(٦)</sup> وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ <sup>(٧)</sup>

(١) سورة الرعد ، الآية الكرمة رقم : ٣١ .

(٢) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل ، شاعر جاهلي فحل من الشجعان من أهل نجد ، من بني أسد بن خزيمة ، كان من خبره أنه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد ، ثم غزا طيئاً فجرح وأسر بنو نبهان الطائيون فبذل لهم أوس مائتي بعير وأخذه منهم ، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمائة ناقة وأطلقه ، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محا بها الخمس السالفة ، توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، رماه فتى من بني وائلة بسهم أصاب ثنودته ، ينظر لترجمته في ديوانه ، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، قدم له وشرحه مجيد طراد ، ط ١ ، عام ١٩٩٤م ، لدار الكتاب العربي ببيروت ، ص ٧-١٥ .

(٣) البيت في ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي (السابق) ص ٤٥ .

(٤) سورة هود الآية الكرمة رقم (٣٩) .

(٥) سورة طه ، الآية الكرمة رقم (٨١) .

(٦) سورة طه الآية الكرمة رقم (٨٦) .

(٧) سورة الزمر الآيتين الكرمتين رقم (٣٩-٤٠) .

أما في فصيح الكلام من شعر العرب فإن الحلول لم يكن ارتباطه بالعذاب والعقاب مما يمكن القياس عليه واستخلاص حكم لغوي أو حتى تغليب ، فكما أن الحلول ارتبط في الشعر الفصيح بالعذاب والعقاب ، فقد ورد الحلول أيضا مرتباً كثيراً بالكرم ومن ذلك قول الخنساء <sup>(١)</sup> في رثاء أخيها صخر:

مَنْ لَصِيفٍ يَحِلُّ بِالْحَيِّ عَانٍ      بَعْدَ صَخْرٍ إِذَا دَعَاهُ صَيَّاحَا <sup>(٢)</sup>

وقولها أيضاً في رثاء صخر :

فَمَنْ لِقَرَى الْأَضْيَافِ بَعْدَكَ إِنَّهُمْ      قُبَالِكَ حَلَّوْا ثُمَّ نَادَوْا فَاسْتَمَعُوا <sup>(٣)</sup>

وقول أوس بن حجر <sup>(٤)</sup>:

يَجُودُ وَيُعْطِي الْمَالَ مَنْ غَيْرِ ضَنْةٍ      وَيَضْرِبُ أَنْفَ الْأَبْلَخِ الْمَتَغَشِّمِ

يُحِلُّ بِأَوْعَارٍ وَسَهْلٍ يُبَيِّتُهُ      لِمَنْ نَابَهُ مِنْ مُسْتَجِيرٍ وَمَنْعَمٍ <sup>(٥)</sup>

(١) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق ، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله (ﷺ) مع قومها بني سليم. فكان رسول الله يستنشد شعرها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء ، أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية وكانا قد قتلا في الجاهلية ، وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية فجعلت تحرضهم على الثبات حتى استشهدوا جميعاً فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، توفيت عام ٢٤ هـ ، ينظر لترجمتها في مقدمة ديوانها ، ديوان الخنساء ، شرح معانيه ومفرداته حمدو طماس ، ط٢ ، عام ٢٠٠٤ م ، لدار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ، ص ٥-١٢ .

(٢) البيت في ديوان الخنساء ، ص ٢٨.

(٣) البيت في ديوان الخنساء : ص ٧٧ .

(٤) أوس بن حجر بن مالك التميمي أبو شريح ، شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، أبوه حجر هو زوج أم زهير بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة. عمّر طويلاً ولم يدرك الإسلام ، في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر الشعراء العرب. وكان غزلاً مغرمًا بالنساء ، ينظر لموسوعة شعراء العصر الجاهلي ، إعداد عبد عون الروضان ، ط١ ، عام ٢٠٠١ م ، لدار أسامة للنشر والتوزيع بالأردن، ص ٤٦- ٤٧ .

(٥) البيتان في ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، ، ط١ ، عام ١٩٨٠ م ، لدار بيروت للطباعة والنشر ، ص ١١٨ .

وفي غير الشعر الجاهلي قول أبي فراس الحمداني<sup>(١)</sup>:

حَلُّوا بِأَكْرَمَ مَنْ حَلَّ الْعِبَادُ بِهِ      بَحِثْ حَلَّ النَّدَى وَاسْتَوْثِقَ الْكَرَمُ<sup>(٢)</sup>

كما أن الحلول مرتبط في الشعر كثيرا بالحب والعشق وترحال الأحبة ، ومن ذلك قول عنتره بن شداد العبسي<sup>(٣)</sup>:

إِذَا جَازُوا عَدْلَنَا فِي هَوَاهُمْ      وَإِنْ عَزُّوا لِعِزِّهِمْ نُنْزِلُ

وَكَيْفَ يَكُونُ لِي عَزَمٌ وَجِسْمِي      تَرَاهُ قَدْ بَقِيَ مِنْهُ الْأَقْلُ

فَيَا طَيْرَ الْأَرَاكِ بِحَقِّ رَبِّ      بَرَكَ عَسَاكَ تَعْلَمُ أَيْنَ حَلُّوا<sup>(٤)</sup>

(١) أبو فراس الحمداني الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربيعي، أبو فراس. (٣٢١ - ٣٥٧ هـ / ٩٣٢ - ٩٦٧ م)، شاعر أمير، فارس، ابن عم سيف الدولة. له وقائع كثيرة ، قاتل بها بين يدي سيف الدولة، وكان سيف الدولة يحبه ويحمله ويستصعبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقلده منبج وحران وأعمالها، فكان يسكن بمنبج ويتنقل في بلاد الشام ، جرح في معركة مع الروم، فأسروه وبقي في القسطنطينية أعواماً، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة ، قال الذهبي: كانت له منبج، وتملك حمص وسار لبتملك حلب فقتل في تدمر، وقال ابن خلكان: مات قتيلاً في صدد (على مقربة من حمص) ، قتله رجال خاله سعد الدولة ، ينظر لترجمته في مقدمة ديوانه ، ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح خليل الدويهي ، ط ٢، عام ١٩٩٤ م ، لدار الكتاب العربي ببيروت ، ص : ٧-١٣ .

(٢) البيت في ديوان أبي فراس الحمداني ، ص : ٢٩١ .

(٣) عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى، من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة ، كان مغرمًا بابنة عمه عبلة فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً ، ينظر لموسوعة شعراء العصر الجاهلي ، إعداد عبد عون الروضان ، ص : ٢٤٧-٢٤٨ .

(٤) الأبيات موجودة في شرح ديوان عنتره ، للخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه ، مجيد طراد ، ، ط ١، عام ١٩٩٢ م ، لدار الكتاب العربي ببيروت ، ص ١١٥ .

ومنه قول علقمة الفحل<sup>(١)</sup>:

دَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ      وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

لِيَالِي لَا تَبْلَى نَصِيحَهُ بَيْنَنَا      لِيَالِي حَلُّوا بِالسِّتَارِ فَعُرِّبِ<sup>(٢)</sup>

ومنه قول وضاح اليمن<sup>(٣)</sup>:

تَذَكَّرْتُ الْمَنَازِلَ مِنْ شَعُوبٍ      وَحَيًّا أَصْبَحُوا فُطِعُوا شُعُوبًا

سَبَّوْا قَلْبِي فَحَلَّ بِحَيْثُ حَلُّوا      وَيَعْظُمُ إِنْ دَعُوا أَلَّا يُجَيِّبَا<sup>(٤)</sup>

ومن ذلك أيضا ارتباط الحلول بالوداع كقول اللمتني<sup>(٥)</sup>:

أُرْوُحُ وَقَدْ حَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي      بِحُبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَ<sup>(٦)</sup>

(١) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصراً لأمريء القيس وله معه مساجلات، وأسر الحارث ابن أبي شمر الغساني أخاً له اسمه شأس، فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات فأطلقه، شرح ديوانه الأعلام الشنتمري، قال في خزانة الأدب: كان له ولد اسمه علي يعد من المخضرمين أدرك النبي ﷺ، ولم يره، ينظر لموسوعة شعراء العصر الجاهلي، إعداد عبد عون الروضان، ص: ٢٠٧-٢٠٩.

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال من آل خوذان الحميري، شاعر رقيق الغزل عجيب النسيب كان جميل الطلعة يتقنع في المواسم من شدة حسنه، له أخبار مع عشيقته له اسمها روضة من أهل اليمن، قدم مكة حاجاً في خلافة الوليد بن عبد الملك فرأى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد فتغزل بما فقتله الوليد في العام الخامس والتسعين من الهجرة النبوية المشرفة على أصح الأقوال، ينظر في ترجمته لمقدمة ديوانه، البيت في شرح ديوان علقمة الفحل، بقلم السيد أحمد صقر، تقديم زكي مبارك، ط١، عام ١٩٣٥م، للمطبعة المحمودية بالقاهرة، ص: ١٩.

(٣) ديوان وضاح اليمن، وبذيله كتاب مأساة الشاعر وضاح، تأليف محمد الأنثري، وأحمد الزيات، جمعه وقدم له وشرحه: محمد خير البقاعي، ط١، عام ١٩٩٦م، لدار صادر للطباعة والنشر ببيروت، ص: ٥-٢٦.

(٤) البيتان في ديوان وضاح اليمن السابق، ص: ٣١.

(٥) المتنبّي الشاعر المعروف: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب، (٣٠٣ هـ - ٣٥٤ هـ على اختلاف في نسبه، لا يعرف في الأدب العربي مثله وهو في غنى عن التعريف والترجمة له.

(٦) ديوان المتنبّي، ط بدون، عام ١٩٨٣م، لدار بيروت للطباعة والنشر، ص: ٥٦٦.

و بذلك لا يمكن عد ارتباط الحلول بالعقاب والهلاك في الشعر مطرداً كاطراده في القرآن الكريم ، وفي استدلال الأستاذ شاعر على ذلك من القرآن الكريم دليل على حسن استقرائه للظواهر القرآنية ، فالحلول في القرآن الكريم مرتبط غالباً بالعقاب والعذاب ، كما سبق ذكره .

ثانيها : كما وصل شاعر إلى الحذف الوارد في البيت عن طريق قراءته الخاصة واستنباطه بالمفهوم ، وتأويل المسكوت عنه المحذوف الخيء وراء ( حُلُوا ) ، فقد توصل إلى أن الحذف في قوله ( حُلُوا ) هو الذي أتاح للشاعر أن يستأنف ما يشبه الكلام الجديد في البيت الذي يليه وهو قوله :

كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ  
كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ

واعتبر الكلام الجديد في هذه البيت بمنزلة الفاعل من ( حَلَّ ) ، ليكون المعنى :

"حتى إذا انجاب حُلُوا فحلَّ بهذيل كل ماضٍ قد تردى بـ" (١) ، وافترض الحالة الإعرابية مسوغ نظري جيد لربط البيتين ببعضهما البعض ، ولكن إجراءه على هذا النحو فيه وجه من التمثل ليس بعصي على عين المتأمل ، إذ إن معنى البيت فيه من الوصف المغرق ما لا تخطئه العين ، فالسيوف الماضية تردى في بعضها البعض في هذه المعركة وكأنها سنا البرق حين يُسَلُّ ، فما هو الا توصيف لحال المعركة بعد الحلول ، ولو كان الربط بين البيتين بافتراض الوصفية لكان أشد قبولا من افتراض الفاعلية ، ولعل ما يدفع الأستاذ لخلق مثل هذه العلاقات هو رأيه المتعصب والمتشدد جداً في وحدة القصيدة الجاهلية ، بعد أن رأى أن القول بعدم وحدة القصيدة الجاهلية واختلال بنائها مقالة خبيثة ، تهدف إلى " اتهام الشعر الجاهلي كله بالتفكك والاختلال .... فينون عليها تعميماً في الحكم يتيح لأحدهم أن يشفي ما في النفس من حب القدح والتردي في طلب المذمة ، أو أن يتقلد شعار التجديد أو الإغراب طلباً للذكر وحبا للصيت...." (٢) ، واعتبر محمود أن الاختلال في وحدة القصيدة ينتهي ويتلاشى تماماً في ذهن القارئ النصف ؛ إذا جمع لنفس القصيدة روايات أخرى في المخطوط والمطبوع من الكتب والدواوين تصحح بعضها بعضاً ، وتَسِم القصيدة بصحة البناء (٣) ، وهذا الحكم الصارم هو ما يتسبب في إفراز بعض محاولات الربط بين الأبيات وافترض علاقات ربما تكون بعيدة جداً بينها ،

(١) نط صعب ونط مخيف لمحمود شاعر : ص ٢١٦ .

(٢) السابق : ص ٤٤ .

(٣) السابق ص ٤٤ .



أما استخلاص الم حذف بالتأويل فقد تناوله شاعر بشكل لافت ، استطاع من خلاله أن يقرأ أدق التفاصيل للانسيابية الأسلوبية التي فرضها هذه الحذف على النظم ، حيث ذكر أن هذا الحذف استطاع أن يحدث سرعة حثيثة متحدة فيها مجموعة من التفاصيل ، فقد استطاع أن يرسم الحذف " صورة لغارة مفاجئة في غبش الظلام إذ انقضوا على هذيل وهم صرعى رقاد فأعجلوهم فأثخنوا فيهم واستباحوهم قبل أن يفيقوا ، فأدركوا من الثأر ما شاءوا " (١) ، وحينما يتم استحضار ذلك كله وربطه بما يقتضيه مقام الثأر والعقاب من التصريح والتلميح يعلم حينها بقراءة الأستاذ الفاحصة وقدرته على لم شعث المعاني ، وإحضار كل ما استطاعت ألفاظ النص أن تجعله مستتراً خبيئاً .

### ثانيا : المصطلح النقدي :

اعترضت محمود شاعر بعض المصطلحات النقدية في استنباطاته وتأويلها بالمفهوم ، ومن تلك المصطلحات مصطلح التشعيت الذي وقف عنده كثيراً في كتابه نمط صعب ونمط مخيف ، وقد استرشد محمود هذا المصطلح من علم العروض ، فالتشعيت عند العروضيين زحاف يقطع الوتد المجموع ولا يكون إلا في بحر المجتث وبحر الخفيف (٢) ، وقد استرشفه بمعناه العروضي وضمنه إلى نقده على نحو من ذلك المعنى ، فقد ارتبط التشعيت عنده ارتباطاً وثيقاً بوحدة القصيدة الجاهلية ، حيث اعتبر محمود التشعيت بمعنى التفريق طريقاً ركبه شعراء العصر الجاهلي في بياهم ، فما وجد من اختلال في وحدة القصيدة الجاهلية وصحة بنائها فهو مبني على أساس من قصد الشاعر إليه وتعمده ؛ " لأن الشعراء لم يقصدوا قط مقصد الإبانة المغسولة عن المعاني ، بل ركبوها إلى أغراضهم أغمض ما في البيان الإنساني من المذاهب ، فرموا شعثوا ما كان حقه أن يكون مجتمعاً ؛ لأنهم لا يبلغون حق الشعر إلا بهذا التشعيت .... " (٣) ، وإذا كان الشاعر يعمد عمداً إلى التشعيت و يجعله من مرامي النظم وغاياته البيانية ، فمن الطبيعي عند شاعر بناء على ذلك أن يكون الناقد الذي يحاول إيجاد علة أخرى لعدم وحدة القصيدة الجاهلية وعدم انتظام بنائها غير علة عمد الشاعر إلى التشعيت ، من الطبيعي

---

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر : ٢١٧ .

(٢) البارع في علم العروض ، لأبي القاسم القطاع ، تحقيق محمد عبد الدايم ، ط ٢ ، عام ١٤٠٥ هـ ، مكتبة الفيصلية بمكة المكرمة ، ص ٢١٦ .

(٣) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر : ص : ١٢٩ .

أن يكون مفسداً بعقله ما تعب الشاعر في تفريقه ، وما كد نفسه فيه من تشعيت ماحقه أن يكون مجتمعا ، فالتشعيت بهذا يكون قريبا من المحسن البديعي المعنوي ، ولكنه يحتاج في استخراجهِ إلى كد ذهني وإعادة نظر ومحاولة لخلق تأويل مناسب ، ويحتاج قبل ذا وذاك إلى الإيمان به والتسليم بأنه تشعيت لا اختلال في وحدة القصيدة ، وأنه جاء عن قصد وتعمد من الشاعر ولم يكن مجيئه عيباً بيانياً ولا جناية من جنائات الرواية على الأدب العربي .

ولم يكن التشعيت عند محمود شاعر مرتبطاً فقط بجانب تفريق المعاني المفسرة لاختلال بناء القصيدة الجاهلية ، بل امتد مصطلح التشعيت ليطال تشعيت الكلام وتقطعه ، وتشعيت مخارج الألفاظ عند الإنشاد ، وتشعيت الجمل بتركيب تفصل بين المتلازمين كما يفعله التشعيت من تفريق الوجد المجموع عند العروضيين ، وتشعيت أزمنة الغناء الذي عالج فيه وبشكل مباشر اختلال وحدة القصيدة الجاهلية .

وقد قام محمود شاعر بتطبيق مفاصل ما أراده من التشعيت على قصيدة ابن أخت تأبط شراً ، ليزيد من يقينه بأنه مجيئه في قصائد الشعراء الجاهليين زادها حسناً ومزيد عناية من شعرائها ، ومن ذلك استنباطه التشعيت بالمفهوم من قول ابن أخت تأبط شراً :

خَبَرُ مَا ، نَابَنَا ، مُصْمِلٌ ، جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ

وكتابة البيت أعلاه بعلامات الترقيم (الفواصل) هذه مأخوذ من صنيع محمود شاعر به ومرتبطة كل الارتباط بتشعيت الكلام وتقطيعه لديه ، فهو حينما رسم البيت بهذه الفواصل على هذا النحو إنما قصد إلى ما بين كلماته من سكتات يجب بينها الفصل ، فقد بين أن في البيت ثلاث سكتات لا بد وأن تسكت عليها كلها في حال إنشادك البيت حتى تترنم به وتتفهم خباياه ، فالسكتة الأولى تكون بعد (خبرُ ما) وتأويله أن السكت هنا يزيدك " لهذا الخبر المهول استهوا ، حتى تكف من ذات نفسك ويجعل هذا الذي جرى على لسانك كأنه قائم بنفسه منقطع عما بعده " (١) ، وتأويل الأستاذ هنا في حقيقة الأمر تأويل لا يملك من يسكت هذا السكتة من باب الترنم بالإنشاد إلا أن يسلم بصحته ، وأن يعتبر الوصول إليه ووصفه والإبانة عنه من باب الطرافة والتفرد التذوقي اللطيف الذي يلج في أعماق النص ويزرقى مع الإحساس به والشعور بنشوته وسطوة نغمه ، أما السكتة الثانية فهي بعد قوله (نابنا) وتأويله : أن إتيانه ب (نابنا) " في هذا الموضع غريب ؛ لأنه لا

---

(١) نط صعب ونط مخيف لمحمود شاعر : ص ١٤٤ .

يقال نابنا خبر ، وإنما يقال نابنا رُزء من أرزاء الدهر أو نائبة من نوائبه ، ويقال جاءنا خبر أو أتانا ، والذي حسن استعمال هذا الفعل في غير حقه من الكلام هو انقطاعه اللازم عما سبقه ، وانقطاعه اللازم عما لحقه ، حتى صار بين هاتين السكتتين كأنه فعل حُذف فاعله وأُضمر ، وكأنه خرج مخرج الصفة للخبر قبله " (١) .

والحق أن الشاعر حينما أراد وصف هذا الخبر الفاجع وهو خبر مقتل خاله لم يرد وصفه على أنه نأباً كان وخبر قد علم ، ولكنه أراد التهويل والتعظيم وإظهار الفجعة على المقتول ، وقد يكون من المناسب لإظهار ذلك كله أن يَحْمَل الألفاظ المستخدمة لهذا الشأن لفظة تتيح له التعبير عن هول الخبر وفاجعته ، فاختار لذلك (نابنا) والتي تستعمل في أصل وضعها اللغوي على نحو من ذلك ، يقول الجوهري صاحب الصحاح :

"والتَّوْبَةُ بالضم: الاسم من قولك نَابَهُ أمرٌ وانتابه، أي أصابه. والنَّائِبَةُ، المصيبة، واحدة نَوَائِبِ الدهر (٢) " ويقول ابن منظور : " النَوَائِبُ، جمع نَائِبَةٍ، وَهِيَ مَا يَتَوَبُّ الْإِنْسَانُ، أَي: يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْمِهْمَاتِ وَالْحَوَادِثِ: {وَنَائِبَتُهُمْ} نَوَائِبُ الدَّهْرِ. وَفِي حَدِيثِ خُبَيْرٍ: (قَسَمَهَا نِصْفَيْنِ: نِصْفًا لِنَوَائِبِهِ وَحَاجَاتِهِ، وَنِصْفًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ) . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: (وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) ، وَالتَّائِبَةُ: النَّازِلَةُ... " (٣) .

فكلمة نابنا هي الخيار الأمثل للشاعر لأن يحشد إلى هذا الخبر معنى النازلة العظيمة والنائبة الجلل والفاجعة الكبيرة ، وربطُ شاعر للفعل ناب بأرزاء الدهر ربطٌ مناسبٌ لاستخدامه اللغوي واستقراء يحسب له لمادة هذه اللفظة في معاجم اللغة ، أما السكتة الثالثة الأخيرة فهي بعد قوله مصمئل "فجاء بصفة طال الفصل بينها وبين موصوفها ، حتى توشك أن تكون صفة أُفردت لمُحذوف مضمَر ، وكأنه كاد يقول مرة أخرى : خبرٌ مصمئل ، فقد نسي أنه قال خبرٌ ما ، ثم عاد فتذكر فحذف لفظ (خبر) واستمر وبقيت مصمئل كأنها قائمة وحدها بعد السكتة الثانية وبعد انقطاع الكلام... (٤) " ، ويلاحظ من هذا جهد في التأويل بالمفهوم ومحاولات حثيثة لإثبات تشعith الكلام وتقطيعه واستخراج بوح دفين بين السكتات المفترضة بين كلماته ، ومنشأ ذلك كله طريقة الإنشاد والترنم بالنغم وترجييعه ، وهي ذات الطريقة التي تأثر بها محمود شاعر من شيوخه المرصفي ،

(١) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر : ص ١٤٤-١٤٥ .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري الفارابي : ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٣) لسان العرب لابن منظور : ج ٤ ، ٣١٧ .

(٤) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر : ص ١٤٥ .

حينما كان شيخه يردد ويعيد الأبيات ويشير حينها بكلمات يديه وتبرق عيناه ويهتز بمحنة ويسرة ، " وترى شفثيه والكلمات تخرج من بينهما تراه كأنه يجد للكلمات في فمه من اللذة والنشوة يفوق كل تصور ..<sup>(١)</sup> " ، وتسرب هذا الأثر في قراءة محمود شاعر وافتراضه لهذه السكتات ، دليل لا تخطئه العين على أن حديثه عن هذه السكتات ووقوفه عندها على هذا النحو إنما هو بأثر من طريقة قراءة شيخه المرصفي وترنمه وتفاعله مع نغم الشعر .

ولم يرد محمود شاعر أن يتجاوز هذا الموضوع الذي جهد في بيانه تأويلا إلا بعد أن يعاود استخدام نمط الاستدلال بالعكس ؛ ليقرر تأويله في ذهن المتلقي وكأن السكتات والتشعيت المشار إليهما في قراءته للبيت ذات إيماءات ودلالات تستظهر بعكسها ، فالشاعر " لو ساق عبارته هكذا : (ناينا خبر مصمئل) لكانت كلاما مغسولا لا خير فيه <sup>(٢)</sup> " ؛ وبذلك يتضح جليا أن التشعيت الذي يقصد إليه محمود شاعر مرتبط ارتباطاً يكاد يكون وثيقاً بمبحث التقديم والتأخير عند البلاغيين ، ولا غرابة أن يكون التشعيت عند محمود شاعر من الآثار التي سربها إلى نفسه وذوقه الإمام عبد القاهر الجرجاني ، وذلك بعد أن قام شاعر بقراءة أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وعلق عليهما وأظهرهما في تحقيق يعتمد عليه طلاب العلم كثيرا حتى زماننا هذا .

### ثالثاً : المصطلح البحثي :

استدعى محمود شاعر بعضاً من المصطلحات العلمية والبحثية للاستنباط بالمفهوم وتأويله ، ومن تلك المصطلحات مصطلح المنهج ، و قد شكل المنهج لدى محمود شاعر حجر زاوية في حياته الثقافية والأدبية ، ومن خلاله قامت معاركه النقدية مع بعض رموز الأدب وقاماته في عصره .

وسوف يتم تناول الدربة هنا كمصطلح علمي استخدمه شاعر كان له أثر كبير في الاستنباط بالمفهوم عنده ، كما كان له أثر كبير وبالغ في نقد خصومه الذين أدار معهم كبريات معاركه النقدية وخصوماته الأدبية .

فقد نظر محمود شاعر نظرة آنية للمنهج الذي وصفه لويس عوض بأنه منهج سليم لقراءة أبي العلاء المعري قراءة نقدية فاحصة ، وقد لاحظ محمود أن لويس عوض لم يطبق مفاصل المنهجية على هذه القراءة ، فمن ضوابط مصطلح (المنهج) كمصطلح نقدي عند محمود شاعر أن يباشر الباحث دراسة غايته البحثية ليصل إلى

---

(١) جمهرة مقالات محمود شاعر لعادل سليمان : ص ١١٧٩ .

(٢) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر : ص ١٤٥ .

نتائجه المبتغاة ، أما إذا ابتعد الباحث عن صلب بحثه وغايته واستدعى ما ليس من غائيته البحثية فقد ابتعد كثيرا عن المنهج كمصطلح علمي نقدي له ضوابطه وإجراءاته ، وقد رأى أن لويس عوض قد وقع في ذلك حينما لم يذكر أبا العلاء المعري ورسالة الغفران إلا في مقالته السادسة من سلسلة مقالات نشرتها صحيفة الأهرام المصرية ، التي جمعها لويس عوض فيما بعد في كتابه المشهور على هامش الغفران ، حيث توصل لويس بهذا المنهج إلى نفي الأصالة العربية الخالصة عن أبي العلاء المعري ، وادعى أنه قد تأثر بالأدب اليوناني وحشد لهذا الادعاء العديد من الأدلة التي لم تقنع محمود شاكر وأثارت حفيظته ، يقول شاكر في ذلك :

" ومادام الدكتور لويس عوض قد تخير لنا أسلم منهج في دراسة رسالة الغفران فقد رأيت حسناً أن أبدأ بالنظر في منهجه .... ؛ لأني وجدت الدكتور لويس عوض قد أخفى عنا مادة الدراسة وهو شيخ المعرفة نفسه على امتداد خمس مقالات طوال ، فلم يذكرها إلا في ختام الخامسة منهن ، وشيخ المعرفة هو مادة الدراسة ؛ لأنه صاحب رسالة الغفران ولأنها أثر من آثاره <sup>(١)</sup> " .

ومحمود شاكر حينما عاب منهج لويس عوض في ذلك فهو يقصد الخمس المقالات الأولى من سلسلة مقالاته التي لا يرى لها اتصالاً بمادة البحث الرئيسة (رسالة الغفران) ، واستثنى من ذلك الجزء الأخير من المقالة الخامسة ، والمقالات المقصودة على الترتيب هي :

١- نعيم هوميروس .<sup>(٢)</sup>

٢- جحيم هوميروس .<sup>(٣)</sup>

٣- الشعراء في الآخرة .<sup>(٤)</sup>

٤- شيء من التاريخ .<sup>(٥)</sup>

٥- كلمة عن ابن القارح .<sup>(٦)</sup>

---

(١) أباطيل وأسمار ، لمحمود شاكر ، ص ٢١- ٢٢ .

(٢) ينظر لكتاب الهلال : على هامش الغفران ، للويس عوض العدد ١٨١ ، إبريل ، ١٩٦٦ م ، ص ١٣ .

(٣) السابق ص : ٣١ .

(٤) السابق ص : ٤٧ .

(٥) السابق ص : ٦٣ .

(٦) السابق ص : ٨٣ .

وعند قراءة هذه المقالات يتضح أن الأولى والثانية نعيم وجحيم هوميروس<sup>(١)</sup> مقالتان بنيتا لإثبات أن رحلات الشعراء للعالم الآخر كانت قبل هوميروس ولم تنقطع بعده ، فلا "سيل إلى تتبع تسلسل أفكار الشعراء عن العالم الآخر سواء بالتأثر الأدبي الخاص أو من خلال التراث الروحي الشائع المتوارث إلا بالرجوع إلا أوديسا هوميروس ...." <sup>(٢)</sup> وما شابهها من الملاحم الشعرية المشهورة ، وقد علل لويس عوض ابتداءه بنعيم وجحيم هوميروس لسلسلة مقالاته بأن ملحمة الأوديسا هي أقدم نص أدبي نعرفه جاء فيه وصف للنعيم والجحيم ، وهي أسبق ما نعرف من نصوص أدبية تتناول العالم الآخر شأنها في ذلك شأن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، ومن أجل ذلك لا غير تناولها لويس عوض في مقدمة مقالاته وعرض محتواها المشابه لرسالة الغفران والمشارك معها في وصف العالم الآخر ، ولا أراه فعل إلا ما يتطلبه المنهج العلمي .

ووجود هاتين المقالتين يجعلها كالمهاد التاريخي في مقدمة مقالاته ، ويعطيها الحق أن تكون وثيقة استقرار تاريخية للنصوص الأدبية التي تحدثت عن العالم الآخر مثل مادة البحث (رسالة الغفران) ، ووجودها قبل رسالة الغفران منطقي جداً من ناحية احترام التسلسل الزمني بين الأعمال الأدبية ، أما المقالة الثالثة والتي عنوانها لويس عوض ب (الشعراء في الآخرة ) ، فهي لا تختلف كثيراً عن سابقتيها الأولى والثانية ، فقد تناول فيها لويس عوض

---

(١) هوميروس تعني باللغة الإغريقية الرهينة أو الأعمى ، وهو أكبر شاعر عرفته الحضارة الإغريقية، وصاحب «الإلياذة» و«الأوديسة». كانت حياته متأثر جدل كبير بين مؤرخي الحقبة الكلاسيكية، حيث قال هيرودوت: إن هوميروس سبقه بأربعمئة عام أي حوالي العام ٨٥٠ ق.م، وترجح مصادر قديمة أخرى أنه عاش في فترة قريبة من حرب طروادة التي وقعت بين عامي (١١٩٤-١١٨٤ ق.م) وبينما يُعَدُّه القدماء شخصية تاريخية، يُشكِّك الباحثون والعلماء المعاصرون في وجوده التاريخي أصلاً، حيث لا توجد ترجمات موثوقة من الحقبة الكلاسيكية تتحدث عن سيرته، وقد اصطلح المؤرخون فيما بينهم على تسمية هذا الجدل الكبير حول هوميروس (وجوده، وحياته، وأشعاره ... إلخ) بالمسألة الهومييرية ، عد النقاد هوميروس ينبوع الشعر الإغريقي وقيمته، حيث كان شاعرًا فذاً، برع في نظم «الإلياذة» و«الأوديسة»، وكانت أشعاره وملاحمه تُشكِّل النموذج المثالي الذي يحتذيه الشعراء في أعمالهم، ولا يقتصر تأثير هوميروس على شعراء الحقبة الكلاسيكية فقط، ولكن يمتد أيضاً إلى شعراء أوروبيين وعالميين ينتمون لأحقاب زمنية لاحقة، كما يُلاحظ أن شعر هوميروس فطري، ويُمكن تمييز أسلوبه بسهولة بسبب سهولة حركته ووضوحه التام، والدافع العاطفي المميِّز الكامن في نصوصه الشعرية، كما تهتم أعماله بالتركيز على التأثير الدرامي والعواطف البشرية ، باختصار من كتاب هوميروس الإلياذة ، ترجمة وتقديم سليمان البستاني ، ط ١ ، لعام ٢٠١٢ م ، لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر ، ص ١١ وما بعدها .

(٢) ينظر على هامش الغفران للويس عوض : ص ١٥ .

مسرحية الضفادع (لأرسطوفانيس)<sup>(١)</sup> على أنها من أقدم النصوص الأدبية التي تناولت العالم الآخر جحيماً ونعيماً من ألفها إلى يائها ، والفرق بينها وبين سابقتها أن النعيم والجحيم عند هوميروس إنما جاء في الإلياذة كسياق من بين العديد من السياقات التي تضمنتها الإلياذة الأوديسية ، أما مسرحية الضفادع فهي عمل أدبي خصص كله للحديث عن الجحيم والنعيم مشبهة في ذلك رسالة الغفران ، وقد تحدث عنها لويس عوض واختصر محتواها على اعتبار أنها عرض تاريخي للنعيم والجحيم في الأعمال الأدبية قبل رسالة الغفران ، وهو كما يلاحظ عمل مشروع ومنهج صالح بذل فيه لويس عوض غاية جهده لعرض مادته وبسطها وجعلها سهلة جداً للموازنة بينها وبين رسالة الغفران ، أما المقالة الرابعة والتي عنوانها لويس عوض ب (شيء من التاريخ) فقد قال في مقدمتها ما نصه : "ولعل أسلم منهج في الانتقال إلى المعري والحديث عن رسالة الغفران هو أن نبدأ بعرض الخلفية التاريخية لهذا العمل العظيم ؛ فنوضح طبيعة العصر الذي كان يعيش فيه المعري ، فتتضح بذلك أهم مشاكله وأهم معتقداته ومحاور الصراع المادي والفكري فيه ، عسى أن يلقي كل ذلك ضوءاً على مرامي المعري وغاياته من رسالة الغفران"<sup>(٢)</sup> ، ثم عرض بعد ذلك للمحيط التاريخي الذي عاش فيه أبو العلاء المعري ونشأت في داخله رسالة الغفران ، ودراسة الجوانب الخارجية المؤثرة على النصوص الأدبية حق مشروع ومكتسب لكل ناقد ، مادامت تخدم النص وتكشف دلالاته ، وقد فعله محمود شاكر نفسه حينما قرأ المتنبي وربط حياته وشعره بالجو السياسي الذي أحاط به ، أما المقالة الخامسة التي قال عنها محمود أنها لا تتعلق بصلب المادة

(١) أريستوفان بالإنجليزية أو أرسطوفانيس باليونانية ، شاعر كوميدي أغريقي ومؤلف مسرحي و يعتبر من رواد المسرح الساخر في اليونان القديمة ، كان ينتمي إلى أسرة مثقفة غنية من طبقة ملاك الأراضي في أثينا، وكان في عنفوان الشباب حين دارت بين أثينا إسبيرة حرباً أضحت فيما بعد موضوعاً مشؤوماً لمسرحياته وأخذ يندد بهذا التطاحن الذي يقتل فيه اليوناني أخاه اليوناني ، ويدعو في كل مسرحية يكتبها إلى السلم ، ولم يبق من أعماله سوى إحدى عشرة مسرحية ، يسخر فيها من كل أنواع البشر بما فيهم الشخصيات المعروفة أمثال سقراط الذي كان يعدّه صديقاً ، كانت مسرحياته تغص بالنكات والمبالغات والنقد السياسي اللاذع على الرغم من إلباسها بمهارة فائقة ثوب العبارات الهزلية ، وله عدة أعمال مسرحية كوميدية منها (مرتادو الولائم) (النساء في الجمعية الوطنية) (بلوتس) ، ينظر لترجمته في مقدمة مسرحية الضفادع من الإصدار الثاني من المجلة الشهرية (من المسرح العالمي) الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ، العدد ٣٥٨ ، مارس ، عام ٢٠١٢ م .

(٢) على هامش الغفران للويس عوض ، ص : ٦٤-٦٥ .

البحثية لقراءة لويس عوض لرسالة الغفران إلا آخرها ، فهي ذاتها المقالة التي عنوانها لويس ب (كلمة عن ابن القارح ) ، وهي مقالة دارت حول ابن القارح على اعتبار ربطها الوثيق برسالة الغفران ، فقد جاءت رسالة الغفران على أساس إجابات لتساؤلات رسالة ابن القارح ، ثم إن ارتباط رسالة الغفران برسالة ابن القارح ليس فقط لكونها " السبب القريب المباشر الذي دعا أبا العلاء إلى إملاء رسالة الغفران فحسب ، بل لأن رسالة أبي العلاء كذلك لا يمكن أن تفهم مالم تُقرأ قبلها ومعها رسالة ابن القارح ، التي تعد بحق مفتاح رسالة الغفران " <sup>(١)</sup> ، إذن فارتباط رسالة ابن القارح برسالة الغفران ارتباط وثيق ، واستدعاء رسالة ابن القارح حين تُقرأ رسالة الغفران استدعاء تتطلبه القراءة النقدية الفاحصة ، على أن لويس عوض لا ينكر هذه العلاقة ويقر بها إقراراً جازماً <sup>(٢)</sup> ، ولكنه يرى أن من السخف القول بأن رسالة الغفران جاءت رداً على رسالة ابن القارح لذات رسالة ابن القارح أو لذات ابن القارح نفسه ، وإنما كان أبو العلاء المعري مطالباً بالرد على رسالة ابن القارح من " مثقفي عصره ومن ساسته في آن واحد .. " <sup>(٣)</sup> .

وغاية ما يقال أن شاكر في استنباطه ونقده بمصطلح المنهج لم يكن موفقاً تماماً حينما تناول منهج لويس عوض ، وحينما ادعى تحديداً على لويس بأنه مقالاته الخمس الأولى ليس لها علاقة بصلب مادة البحث (رسالة الغفران) ، ولعل عين السخط التي رأى بها محمود نتائج قراءة لويس عوض للمعري وتجرده بعضاً من عريته الخالصة ، هي ما يقف وراء ادعاء شاكر لذلك وزعمه ، والحق أن بين مقالات لويس عوض التسع التي جمعها في كتابه على هامش الغفران من الترابط والتسلسل والحاجة المنهجية ما لا يستطيع إلى نكرانه وجحده . وقد اجتمع مصطلحات المنهج ومصطلح الموازنة وكذلك مصطلح الخصائص الفنية كمصطلحات بحثية وعلمية في نقد محمود شاكر واستنباطاته على كتاب الأستاذ أنيس الخوري المقدسي <sup>(٤)</sup> (تطور الأساليب النثرية في

(١) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح ، تحقيق وشرح . عائشة عبد الرحمن ، ط ٩ ،

لعام ١٩٧٧ م ، لدار المعارف المصرية ، ص ١١ .

(٢) على هامش رسالة الغفران للويس عوض ، ص : ٨٥ .

(٣) السابق ص : ٨٦ .

(٤) أنيس الخوري المقدسي : ( ١٣٠٣ - ١٣٩٧ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٧٧ م ) كاتب وشاعر وباحث لبناني ، مارس

التدريس في جامعة بيروت الأميركية ، حقق ديوان ابن الساعاتي . من مؤلفاته (تطور الأساليب النثرية في الأدب

العربي) و (أمراء الشعر في العصر العباسي) (والاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث) ينظر الأعلام للزركلي :

ج ٢ ، ص : ٢٩ .



الأدب العربي ) ، وهذا الكتاب مكون من جزأين كلاهما يتناول الخصائص الفنية للنثر العربي من العصر الإسلامي إلى العصر الحديث ، وذلك عن طريق تحليل بعض النصوص النثرية لأدباء العصور الأدبية واستخراج خصائصها الفنية من باطنها ، وقد تناول محمود هذا الكتاب ونظر إليه النظرة الأولى عن طريق تطبيق مؤلفه لمنهجه الذي رسمه وارتباط هذا المنهج بما درج عليه الناس ، حيث جعل هذه النظرة أول ما يقوم به عند قراءته للمؤلفات والكتب التي يريد قراءتها والاطلاع عليها <sup>(١)</sup> ، فلم يقع له عند قراءته لهذا الكتاب إلا أن " آخذ ... المقدسي بآرائه في مفردات علمه غير متعرض لمنهج أو أغراضه في كتابه هذا " <sup>(٢)</sup> ، ومن ذلك السجع الذي تناوله المقدسي ، فقد رأى محمود أنه اكتفى بذكر الشبه التي تورط الناس فيها كتحریم السجع ، وعلة تحریم السجع ، وقد استنبط شاكر استنباطاً افتراضياً في المنهج الصحيح الذي كان ينبغي أن يكون عليه عمل المقدسي ، فالموازنة النقدية هي السبيل الأمثل والطريقة الأنجع لمثل هذه الدراسة ، حيث كان من المفترض على المقدسي أن ينظر في خصائص سجع الكهان نفسه ليستخرج منه الفرق بينه وبين السجع عند البلغاء والأدباء ، ثم بينه وبين القرآن الكريم " فإن هذا هو موضع الفصل في الكلام الذي دار حول السجع ، وهو موضع التحقيق في العلم المروي الذي وقع إلينا ولم نحقق فيه إلا القليل " <sup>(٣)</sup> ، وهذا تأطير نظري لما يجب أن يكون عليه المنهج النقدي في تناول السجع ، ومن المتوقع بعد هذا التأطير أن يطالعنا شاكر بأ نموذج من المنهج الذي اقترحه وافترض صحته ، ولكنه لم يقدم شيئاً من ذلك ، بل اكتفى بقوله :

"وأكتفي هنا بأن أقول أن سجع الكهان اسم لما وقع في ألفاظ الكهان على صورة صامتة وهو غير السجع الذي عرفه علماء البلاغة ووضعوا له الحدود والرسوم ، وسنفرد لهذا البحث كلمة خاصة في المقتطف إن شاء الله . " <sup>(٤)</sup> ، وقد بحثت عن هذه المقالة ولكني لم أجدها مطلقاً فيما وقع بين يدي من أعداد مجلة المقتطف ، ولا أرجو أن يكون الأستاذ محمود لم يفرد السجع بمبحث خاص كما وعد ، وغاية الأمر أن شاكر استنبط أن سجع الكهان اسم لما وقع في ألفاظ الكهان على صورة صامتة ، ومن المتوقع أن شاكر لم يطلق هذا الاستنباط

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر ، ج ٢ ، ص ٧٧٩ .

(٢) السابق ، ج ٢ ، ص ٧٧٩ .

(٣) السابق ص : ٨٨٠ .

(٤) السابق ص : ٨٨٠ .

على عموميه إلا بعد استعراضه لعدد من النماذج وإجرائه بعضاً من الموازنات بين سجع الكهان والسجع عند البلغاء والأدباء ، ولكنه لم يعرض هنا إلا خلاصة رأيه في أن سجع الكهان صورة صامتة مكونة من الألفاظ الثابتة المسجوعة دون أن يضيفي ذلك السجع صنعة جمالية كما هو الجمال الفني لسجع الأدباء والبلغاء الغير متكلف ، وبالفعل لم يذكر المقدسي شيئاً من خصائص السجع الفنية التي تميزه عن السجع عند غير الكهان أو السجع كصناعة بديعة تضيفي للكلام حسناً وزينة ، على الرغم من أنه التزم بتبيان الخصائص الفنية لأجناس النثر العربي التزاماً عريضاً جداً وملزماً عليه جداً ، حيث جعل تحت عنوان الكتاب هذه العبارة "وهو يتناول النثر العربي وخصائصه الفنية منذ بزوغ الإسلام إلى النهضة الأخيرة ويتخلله دراسات تحليلية لنخبة من أمراء الأقلام"<sup>(١)</sup> وما يزيد من وطأة ذلك أنه افتتح كتابه بباب سماه (الأسلوب النثري وكيف نراه عند ظهور الدعوة الإسلامية) ، وافتتح هذا الباب بمبحث (نظرة في السجع القديم)<sup>(٢)</sup> وهو موطن نقد محمود شاكر ، وكان من المنتظر أن يلتزم المقدسي بما قطعه على نفسه في غلاف كتابه بأول مبحث في كتابه ولكنه لم يفعل فنال نقد محمود شاكر والذي يبدو أنه نقد في موضعه ، أما استنباط محمود شاكر المبني على نقده للمقدسي والمتضمن أن السجع صورة صامتة عند الكهان ، فهو كما تمت الإشارة إليه استنباط لم يقدم محمود بين يديه أدلة تنهض به وتقويه ، ولكنه في حقيقة الأمر استنباط مختصر جداً ذكر فيه أهم ما يتميز به سجع الكهان عن سجع البلغاء والأدباء ، فسجع الكهان يخلو من الصبغة الجمالية للسجع وموغل في التعمية والغموض ، وهي ميزة تكاد تكون في سجع الكهان ، فإنهم كانوا إذا سئلوا عن أمر جاءوا بالكلام مسجوعاً كما فعل الكاهن في قصة هند بنت عتبة، فإنه قال لما امْتُحِنَ قبل السؤال عن قصتها "ثمرة في كمره" فقبل له: نريد أبين من هذا! فقال: "حبة بر في إحليل مهر"<sup>(٣)</sup> ، ولعل أهم ما يميز سجع الكهان عن سجع البلغاء غير الصنعة والطبع ، تميز سجع البلغاء والأدباء مما وصل إلينا من سجع "النثر الجاهلي بـ" الوضوح والصراحة بحيث لا يحتاج إلى

(١) ينظر لورقة الغلاف الداخلي من كتاب تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، لأنيس المقدسي ، ط ٢، عام

١٩٦٠م ، لدار العلم للملايين ببيروت ، (ص ٣).

(٢) السابق : ص ١٣ وما بعدها .

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضيء الدين ابن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ط بدون ، عام

بدون ، لدار نضضة مصر ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

كد الذهن أو التعمق في الخيال، وليس هناك غموض إلا في سجع الكهان، ..... (حيث كان) الكهان يتعمدون الإلهام في سجعهم، فكانوا يقصدون إليه قصداً<sup>(١)</sup> .

وقد واصل محمود شاكر نقده لكتاب المقدسي على نحو من ذلك ، فلم يتعد كثيراً عن المنهج النقدي وعن المطالبة بإجراء الموازنة لاستخراج الخصائص الفنية للنثر كما وعد بها أنيس المقدسي ، ولم يخرج فيه أيضاً عن السجع ، بمعنى أن نقده لأنيس المقدسي نقد لأول كتابه فقط ، وكان يقصد من ذلك إثبات الفساد في أول الكتاب ليتم الاستغناء بذلك الفساد عن قراءة باقي الكتاب والاعتماد عليه ، ولم تخل نقادات محمود شاكر للمقدسي من بعض الألفاظ التي لا بد وأنها تسبب شرخاً في نفس سامعها ، وتبقي في القلب أثراً من التجريح قد لا يقبل معه نقد ولا يسمع بعده نصح ولا إرشاد ، ومن ذلك قوله في خاتمة هذه المقالة :

"هذا وسنعود إلى مواضع من الكتاب بعد قليل ، لنثبت أن هذا الكتاب لا بد من تغييره البتة ؛ لأنه لا يصلح أن يكون دراسة في النثر العربي ، وهنا أسوق للمؤلفين قول كونفوشيوس<sup>(٢)</sup> من تعلم من غير تفكير فهو في حيرة ، ومن فكر من غير تعلم فهو في خطر"<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الكلام بتصرف وفيه حذف وزيادة قولي (حيث كان) وهو منقول من كتاب في تاريخ الأدب الجاهلي لعلي الجندي ،

ط ١ ، عام ١٩٩١ م ، مكتبة دار التراث بمصر ، ص : ٢٧٣ .

(٢) كونفوشيوس أو كونك المعلم ، ليس هناك قول راجح في تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ، وهو فيلسوف صيني نشأ في بلدة شانتونك الصينية ، وهي ولاية لو في شمال الصين ، مات أبوه وهو طفل ، فعاش مع أمه في فقر شديد ، وبعدها أمضى ستة عشر عاماً من عمره يعظ الناس منتقلاً من مدينة إلى أخرى ، وقد التف حوله عدد كبير من الناس ، و لكن استطاع بعض الحاقدين عليه أن يطردوه من بلاده ، فترك لهم البلاد كلها ، وأمضى بعد ذلك ثلاثة عشر عاماً مبشراً متجولاً . ثم عاد ليقم في بلدته الخمس سنوات الأخيرة من عمره ، نجح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي ، وفلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلى . ولقد كانت تعاليمه وفلسفته ذات تأثير عميق في الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتايبانية والفيتنامية . ويلقب بنبي الصين ، ينظر لترجمته في كتاب حكمة الصين: دراسة تحليلية لعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور ، لفؤاد مُجَّد شبل ، ط ١ ، عام ١٩٦٨ م ، لدار المعارف المصرية ، ص ٤٧ .

(٣) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان : ج ٢ ، ص ٧٨٣ .

## الاستنباط بالمفهوم بتأويل التدوق والسياق الخارجي للنص :

وهذا النوع من الاستنباطات من أكثر ما استنبط به محمود شاكر بالمفهوم ، وهو يكاد يقع في جميع مؤلفاته وتحقيقاته والكثير من مقالاته ، ويعود السبب في ذلك إلى منهج محمود شاكر التدوقي الذي جعله طريقة علمية لتعامله مع كل كلام يعترضه ، فليس بالضرورة أن يكون التدوق عنده مختصاً بالإبداع الأدبي .

وهذا النوع من الاستنباط في حقيقة الأمر هو من أكثر الدوافع التي قادت محمود شاكر للجرأة على متون أهل العلم، فتطبيقه لهذا المنهج يدفعه دفعاً لتغيير بعض كلماتها أو تعديلها أو إضافة أبيات شعرية على الأبيات المثبتة في المتن لا يستقيم الاستشهاد من وجهة نظره إلا بتمامها ، مما تسبب في نقده من بعض رجالات الأدب وأساتذة التحقيق العلمي في عصره .

ومن ذلك استنباط أفضى به إلى جرأة على متن ابن سلام ، ليقتلع من بيت شعري كلمة ويثبت بدلا عنها كلمة أخرى ، لأن الثانية مرتبطة بنسق تاريخي يتم به معنى البيت وتحقق دلالاته ، وبيان ذلك أن ابن سلام وهو في معرض حديثه عن ابن الزبير<sup>(١)</sup> قال :

---

(١) عبد الله بن الزبير بن قيس أحد شعراء قريش المحدثين ، كان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش، وكان من أشد الناس على الرسول ﷺ بلسانه ونفسه ، فقبل هجرته ﷺ إلى يثرب كان يدخل الكعبة ليصلي، فلما دخل ذات يوم ليصلي كعادته قال أبو جهل: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ، فقام ابن الزبير فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي ﷺ، وانفتل النبي عليه السلام من صلاته وقصد إلى عمه أبي طالب، فسأله عمه: من فعل هذا بك؟ قال: عبد الله ابن الزبير. فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل وجلوا منه ، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفي، ففعدوا حتى دنا منهم وأخذ فرثا ودما فلطخ به وجوههم ولحاهم وانصرف وهو يغلظ لهم ، وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة كان ابن الزبير يهاجي حسان بن ثابت وكعب بن مالك شاعري النبي ﷺ. ولما فتح المسلمون مكة، فرّ إلى نجران فهجاه حسان ببيت واحد، فلما بلغه ذلك قدم على النبي ﷺ، فأسلم واعتذر إلى الرسول عليه السلام فقبل عذره. وقد حسن إسلامه فقام بنصرة الدين والذب عنه كما شهد كل الغزوات والفتوحات حتى وفاته في خلافة عمر بن الخطاب عام ١٥ هـ ، ينظر في ترجمته لكتاب معجم أعلام شعراء المدح النبوي لمحمد أحمد درنيقة تقديم: ياسين الأيوبي، ط ١ ، عام ٢٠٠٣ م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ببيروت ، ص : ٢٠٤ .

"وقال في يوم أحد قصيدة يقول فيها:

كُلُّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ	وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ
وَالْعَطِيطَاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا	وَسَوَاءٌ رَمَسَ مُثْرٌ أَوْ مُقْلٌ
لَيْتَ أَشْيَاحِي بِبَدْرِ شَهِدُوا	ضَجَرَ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ
حِينَ أَلْقَتْ بِقَنَاةٍ بَرْكَهََا	وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلِ
فَقَبِلْنَا النَّصْفَ مِنْ سَادَاتِهِمْ	وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَأَعْتَدَلُ <sup>(١)</sup>

وقد استنبط الأستاذ محمود شاکر هنا استنباطين بالمفهوم التدوقي للنص وبالربط بالسياق الخارجي له بعلائق مكانية وتاريخية:

أولهما : تعليقه على البيت الرابع بقوله: " في جميع ما وقع بين يدي من الكتب (بقباء) ، وقباء قرية على ميلين أو ثلاثة من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، فهي على جنوب المدينة ، وهذا أمر مشكل كل الإشكال ، فلم أر أحدا ذكر أن القتال يوم أحد نشب في قباء ، وجبل أحد في شمال المدينة بينها وبينه ميل أو نحوه ، ..... فأكاد أرجح أن في رواية هذا الشعر خطأ قديماً جداً ، وأن صواب الرواية ما أثبتته في الشعر ..... ولو كان القتال نشب في جنوب المدينة عند قباء ، ثم ارتفع إلى أحد في شمال المدينة ، لكان أهل السير قد بينوه كل البيان ، بل الذي رووه يخالف هذا الفرض كل المخالفة ، فهذا ما أدى إليه اجتهادي ، ولا أزال أرجحه حتى أجد عند أحد حجة أفارق إليها ما أذهب إليه في تصحيح الشعر." <sup>(١)</sup>

وثانيهما : قوله في تعليقه على البيت الخامس :

- 
- (١) ينظر لطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي : ج ١ ص ٢٣٨ ، وهذه الأبيات مثبتة في ديوان شعر عبد الله ابن الزبيري تحقيق الدكتور يحيى الحبورى، الطبعة الثانية عام ١٩٨١م لمؤسسة الرسالة ببيروت ، ص ٤٢ .
- (٢) حاشية طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٢٣٨/٢٣٩ باختصار كبير .

"(فقتلنا) وأثبت ما في (م) مضبوطة ، وهذا أيضاً بيت تكثر روايته في سائر الكتب (فقتلنا النصف) أو (فقتلنا الضعف) وهو خطأ كله ، فإن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة ، فإن من شهد القتال من المسلمين في يوم أحد سبعة قتلى منهم أربعة وسبعون من الشهداء ، ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين فإن عدة قتلى بدر من المشركين سبعون .... وإنما أراد ابن الزبير أنهم قتلوا من المؤمنين في أحد مثل الذي قتله المسلمون منهم يوم بدر ، فانتصفوا منهم أي أخذوا حقهم كاملاً حتى صاروا على النصف سواء ...فرواية ابن سلام في الطبقات هي أحق الروايات بالصواب، وأما الروايات الأخرى فهي خطأ قديم كالخطأ في رواية البيت السابق .."(١).

أما الاستنباط الأول والخاص بـ (قباء) واستبدالها بـ (قناة) ففيما يتعلق برواية البيت فقد ورد عند الجاحظ بلفظة قباء (٢)، وعلق الشيخ عبد السلام هارون بقوله : " قباء بضم القاف قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، والبرك بالفتح : الإبل الكثيرة ، استحر : اشتد ، فيما عدل : (بفناء) تحريف ، وفي السيرة حين حكى (٣) وتبعه في ذلك صاحب سمط اللآلئ (٤)، وأورده بقباء أيضاً ابن عصفور في ضرائر الشعر (٥)، وأورده ابن منظور بقباء في موضعين من اللسان (٦)، وتبعه الزبيدي وأورده هو الآخر في موضعين بلفظة قباء (٧) وهي رواية ديوان ابن الزبير (٨) ، ولم أجد من روى البيت بغير قباء في حدود بحثي واطلاعي وحسبما وقع بين يدي من مراجع ، وهذا يؤيد استقصاء الأستاذ محمود شاعر لرواية هذا البيت ، حيث ذكر أن رواية البيت بلفظة قباء في الكتب التي رجع إليها .

أما استبدالها لكلمة قباء بقناة وتغييرها من متن ابن سلام ومن شعر ابن الزبير فكان مرده رواية استند عليها

(١) حاشية طبقات فحول الشعراء ج ١ ص : ٢٣٩ .

(٢) الحيوان للجاحظ : ج ٥ ، ص ٥٦٤ .

(٣) السابق ج ٥ ، ص ٥٦٤ ، الحاشية رقم : ٧ .

(٤) سمط اللآلئ ، اللآلئ في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري ج ١ ، ص ٣٨٧ .

(٥) ضرائر الشعر لابن عصفور ، تحقيق السيد إبراهيم محمد ط ١ ، عام ١٩٨٠ م ، لدار الأندلس للطباعة والنشر ، ص ١٤٤ .

(٦) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٠ ، ص ٣٩٨ ، وكذلك : ج ١١ ، ص ٣٧٣ .

(٧) تاج العروس لمرتضى الزبيدي ، ج ٢٧ ، ص ٦١ ، وكذلك : ج ٢٩ ، ص ٣٠٩ .

(٨) ديوان شعر عبد الله ابن الزبير ص ٤٢ .

من كتاب معجم ما استعجم للبكري حيث يقول شاكر : " ويقول البكري في معجم ما استعجم: ( أحد جبل تلقاه المدينة دون قناة إليها )<sup>(١)</sup> ، وقناة هذه التي ذكرها البكري أحد أودية المدينة ، واد يأتي من الطائف حتى يمر في أصل قبور الشهداء بأحد .. "<sup>(٢)</sup> ، وقد استنبط محمود من كلام البكري أن وادي قناة الذي يمتد من جبال الطائف إلى وادي أحد هو الصواب في رواية الشعر ، حيث إن قباء تقع إلى جنوبي المدينة المنورة أما وادي قناة هذا فهو أقرب ما يكون إلى جبل أحد موضع غزوة أحد وهو مع قربه من جبل أحد فإنه على الطريق من الطائف إلى أحد ومن المنطقي أن يكون هو الموضع المقصود في الشعر ، ولكن دخله خطأ فأصبح قباء بدلا من قناة على بعد ما بينهما ، فاستحل محمود أن يقتلع من البيت كلمة قباء ويستبدلها بقناة كاستنباط بالمفهوم مبني على التذوق الخاص ، وباستناده على سياق مكاني وتاريخي واستدلال عقلي ، وتجدد الإشارة إلى أن البكري الذي استنبط محمود من كلامه الخطأ الواقع في الشعر ، أورد البيت بلفظة قباء وهو في صدد حديثه عن موضع قباء ، وأورد البيت للاستشهاد به على جواز صرف قباء<sup>(٣)</sup> صرفاً نحوياً.

أما عند إعادة النظر إلى كتب المغازي والسير كسياق تاريخي خارجي للنص الذي بنى الأستاذ عليه حكمه النقدي بخطأ هذا الشعر ، فإن الأستاذ يذكر أنه لم يجد من أشار إلى أن قباء كانت موضعاً لغزوة أحد دون إشارة إلى أن أحداً لم يذكر أن وادي قناة هذا الذي استبدله بكلمة قباء منصوص عليه في كتب المغازي والسير التي رصدت ووصفت غالب ما يتعلق بغزوة أحد .

والحق أن بعضاً من مراجع السيرة النبوية ورد فيها وادي قناة بضم القاف كموضع لغزوة أحد ، الأمر الذي يقوي استنباط الأستاذ محمود شاكر ، وأكد أصل بالشك إلى اليقين أن الأستاذ لو اطلع على هذه المراجع لأثبت ما قالته عن وادي قناة كثنيتها لكلام البكري ؛ لتقوية وجه استنباطه ودعمه وإخراجه من دائرة الأخذ من المفهوم إلى الأخذ بالمنقول المنطوق ، والمنطوق مقدم على المفهوم كما هي القاعدة الأصولية ، ومن ذلك ما ورد في سيرة ابن إسحاق :

" فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله

---

(١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، ، ط ١ ، عام ١٩٤٥ م ،

لعالم الكتب بيروت ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(٢) السابق : ج ٣ ، ص : ١٠٤٥ .

عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: إني قد رأيت نفراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فتأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها <sup>(١)</sup> ، وقد ذكر الواقدي وبشكل صريح في مغازيه وهو في معرض حديثه عن إصابة الرسول ﷺ في غزوة أحد وقلق صحابته عليه حين انصراف المسلمين بعد انتهاء المعركة من وادي قناة حيث كان جيش المسلمين ، يقول الواقدي في ذلك :

"فلما كان من النهار وبلغنا مصاب رسول الله ﷺ وتفرق الناس عنه، جئت مع غلمان من بني خدره نعترض لرسول الله ﷺ وننظر إلى سلامته فنرجع بذلك إلى أهلنا، فلقينا الناس منصرفين ببطن قناة ، فلم يكن لنا همة إلا النبي ﷺ ننظر إليه...." <sup>(٢)</sup> ، ومن صريح ذلك أيضاً ما جاء في جوامع السيرة النبوية :

" فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد قدومه من بحران، جمادى الآخرة، ورجبا، وشعبان، ورمضان، فغزته كفار قريش في شوال سنة ثلاث، وقد استمدوا بحلفائهم والأحاييش من بني كنانة وغيرهم، وخرجوا بنسائهم لئلا يفروا، فأتوا فنزلوا بموضع يقال له: عينين، وهو بقرب أحد على جبل ببطن السبخة من قناة، على شفير الوادي، مقابل المدينة...." <sup>(٣)</sup> ومن صريح ذلك ماجاء في بحجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل في معرض الحديث عن غزوة أحد : " ونزل صلي الله عليه وسلم بالشعب من أحد على شفير وادي قناة وجعل ظهره إلى أحد ورتب أصحابه وبوأهم مقاعد للقتال وكانوا مشاة فجعل عبد الله بن جبير .... على الرماة وهم خمسون رجلا و أقعدهم على جبل عينين وقال لهم لا تبرحوا مكانكم إن غلبنا أو غلبنا ..... " <sup>(٤)</sup> ، وكثيرة المراجع التراثية المهمة بالمغازي والسيرة النبوية التي ذكرت وبشكل صريح أن وادي قناة

(١) سيرة ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق المظلي ، تحقيق سهيل زكار ، ط ١ ، عام ١٩٧٨ م ، لدار الفكر بيروت ، ص ٣٢٤ .

(٢) المغازي لمحمد بن عمر الواقدي ، تحقيق ، مارسدن جونز ، ط ٣ ، عام ١٩٨٩ م ، لدار الأعلمي بيروت ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٣) جوامع السيرة النبوية لابن حزم الأندلسي ، ضبط وتصحيح عبد الكريم الجندي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٢ م ، لدار الكتب العلمية بيروت، ص ٩٣ .

(٤) بحجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ليحيى بن أبي بكر الحرزي ، عني به : أنور بن أبي بكر الشيشي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٩ م ، لدار المنهاج للنشر والتوزيع بجدة ، ص ١٦٥ .



بضم القاف كان موضعاً من مواضع معركة أحد<sup>(١)</sup>، أما علماء السيرة النبوية المحدثون فيكادون يتفقون على أن وادي قناة كان أحد المواضع التي دارت فيها معركة أحد ومن ذلك قول صاحب الرحيق المختوم : " وهناك عباً رسول الله ﷺ جيشه، وهياًهم صفوفاً للقتال، فانتخب منهم فصيلة من الرماة الماهرين، قوامها خمسون مقاتلاً، وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري الأوسي البصري، وأمرهم بالتمركز على جبل يقع على الضفة الجنوبية من وادي قناة- وعرف فيما بعد بجبل الرماة- جنوب شرق معسكر المسلمين، على بعد حوالي مائة وخمسين متراً من مقر الجيش الإسلامي.... " (٢).

ومن ذلك أيضاً قول صاحب السيرة النبوية والعهد المدني في معرض حديثه عن جيش المشركين في يوم أحد : " واصل جيش مكة سيره حتى اقترب من المدينة فاستراح عند مدينة تسمى "الصمغة" وأطلق الإبل والخيل ترعى، وبعدها تابع الجيش مسيرته، فسلك وادي العقيق، ثم انحرف منه إلى ذات اليمين، حتى نزل قريباً من جبل "أحد" في مكان يقال له عينين، في بطن السبخة، ومن قناة على شفير الوادي، الذي يقع شمالي المدينة، فعسكر هناك يوم الجمعة....." (٣)

والحق أن اتفاق كثير من علماء السيرة النبوية الطاهرة والمغازي على أن وادي قناة موضع من مواضع معركة

(١) ينظر الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، لعبد الرحمن السهيلي ، تحقيق عمر السلمي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٠ م ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت ، ج ٥ ، ص ٣٠٠ ، وينظر كذلك لكتاب: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - ﷺ - والثلاثة الخلفاء ، لسليمان الكلاعي ، تحقيق كمال الدين عز الدين علي ط ٤ ، عام ٢٠٠١ م ، لعالم الكتب ببيروت ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، وينظر كذلك لكتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، لفتح الدين محمد اليعمرى الربيعي ، تعليق إبراهيم رمضان ، ط ١ ، عام ١٩٩٣ م ، لدار القلم ببيروت ، ج ٢ ، ص ٧ ، وينظر كذلك لكتاب : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض ط ١ ، عام ١٩٩٣ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ج ٤ ، ص ١٨٣ ، وينظر لتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، المؤلف: حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري ، ط بدون ، تاريخ بدون ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ببيروت، ج ١ ، ص ٤٢٠ .

(٢) الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية لصفي الرحمن المباركفوري ، ص ٢٥٥ ، ط ١ ، عام ٢٠٠٧ م ، لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر .

(٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، لأحمد أحمد غلوش ، ص : ٣٢٦ ، ط ١ ، عام ٢٠٠٤ م ، لمؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ببيروت.

أحد ، أو أنه موضع قريب جدا من جبل الرماة بأحد ، دليل يعضد استنباط محمود شاكر ويدعمه ويقوي من سلامة تذوقه الذي هداه إلى أن في أبيات ابن الزبيرى خطأ قديم ، جعل من قباء موضعاً من مواضع معركة أحد على ما بينه وبين أحد من بُعد ، فقباء جنوب المدينة المنورة ، ووادي قناة شمال المدينة المنورة ، ولعل ما جعل هذا الخطأ ينتشر ويستشري بين أهل العلم التشابه الكبير في الرسم الإملائي بين قباء وقناة حينما ضبط هذا البيت كتابة ، ولكن هل وجود هذا الخطأ في الشعر مسوغ لأن نتجراً على النصوص ونعدل ونبدل فيها ؟ لقد وصف الشيخ عبد السلام هارون رحمه الله الزيادة والحذف والتعديل والتبديل من الأمور الخطيرة جدا التي تتعرض لها النصوص ، فالنسخة العالية الموثوق بها والتي تخضع لقوانين التحقيق العلمي وضوابطه " يجب أن تؤدي كما هي دون زيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل " (١) .

واعتبر الإحداث في النسخة العالية من المخطوط فإل يخرج بالتحقق عن الأمانة العلمية ، واعتبر الحواشي حقاً مشروعاً ومكتسباً للتحقق لإثبات كل ما يريده دون المساس بما هو واضح وجلي من المخطوط (٢) ، ولعل إحساس شاكر بعدم التزامه بقواعد التحقيق العلمي ما جعله يسمي إخراج كتيب التراث ونشرها بالقراءة والتعليق ، ولكن ذلك أفضى به إلى الجرأة على نصوص المؤلفات التي قام بتحقيقها كثيرا وتعرض فيها لنقد لاذع من المختصين ، فبدل وعدل وحذف وأضاف رغبة منه رحمه الله في تمام العمل وخدمة العلم وطلاب العلم ، والمتأمل لكتاب الطبقات خصوصا يجد أن الأستاذ قد مارس ذلك كثيراً .

أما الاستنباط الثاني للأستاذ شاكر في قول ابن الزبيرى السابق (فقتلنا النصف) أو (فقتلنا الضعف) والذي اعتبره خطأ كله ، بحجة أن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة من الجيش المسلمين ، حيث يعتمد على أن من شهد القتال من المسلمين في يوم أحد سبعة مئة قتل منهم أربعة وسبعون من الشهداء وهذا العدد لا يمثل النصف ولا أقل منه بقليل ، كما أنهم لم يقتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين ، وذلك أن عدة قتلى بدر من المشركين سبعون ، ورواية ابن سلام جاءت بقوله قبلنا النصف ، ورأى أنها أحق الروايات بالقبول ، واستبعد أن تكون رواية البيت ب (قتلنا النصف) وعلل ذلك بأن ابن الزبيرى أراد أنهم قتلوا من المؤمنين في أحد مثل الذي قتله المسلمون منهم يوم بدر ، فانتصفوا منهم أي أخذوا حقهم كاملاً

(١) تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ط٧ ، عام ١٩٩٨ م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ص ٧٧ .

(٢) السابق : ص ٧٩ وما بعدها .

حتى صاروا على النصف منهم سواء بسواء ، وبناء عليه فرواية ابن سلام الجمحي عند شاكر هي الرواية الصائبة وغيرها من الروايات فيها خطأ قديم في شعر ابن الزبير كالحطأ السابق في قوله (قباء) ، فإن أغلب روايات هذا البيت بقوله (قتلنا الضعف) وهي رواية الجاحظ في الحيوان<sup>(١)</sup> ، ورواية ابن هشام في السيرة النبوية<sup>(٢)</sup> ، ورواية أبي عبيد عبد الله البكري الأندلسي صاحب سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي<sup>(٣)</sup> ، ورواية صاحب الروض الأنف<sup>(٤)</sup> ، ورواية أبي الفتح فتح الدين اليعمري الربيعي صاحب كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير<sup>(٥)</sup> ، وهي أيضا رواية ابن كثير في سيرته النبوية<sup>(٦)</sup> ، ورواها ب (قتلنا النصف) صاحب شرح نهج البلاغة عبد الحميد ابن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد<sup>(٧)</sup> ، ورواها أيضاً بالنصف صاحب الحماسة البصرية أبو الحسن البصري<sup>(٨)</sup> .

(١) الحيوان للجاحظ ، ج ٥ ، ص ٥٦٥ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام لجمال الدين عبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ط ٢ ، عام ١٩٥٥ م ، لشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .

(٣) سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي ، لأبي عبيد عبد الله البكري ، ج ١ ، ص ٣٨٧ .

(٤) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم السهيلي ، ج ٦ ، ص ٨٢ .

(٥) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، لمحمد بن أحمد اليعمري الربيعي ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٦) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ، لإسماعيل بن عمر بن كنير القرشي الدمشقي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ط ١ ، عام ١٩٧٦ م ، لدار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، ج ٣ ، ص ١١١ .

(٧) شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١ ، عام ٢٠٠٧ م ، لدار الكتاب العربي ودار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ١٥ ، ص ١٧٨ .

(٨) الحماسة البصرية ، لصدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ، تحقيق مختار الدين أحمد ، ج ١ ، ص ١٠١ ، ط بدون ، تاريخ بدون ، لعالم الكتب العربية ببيروت ، ولكتاب الحماسة البصرية تحقيق آخر لعادل سليمان وهو تلميذ نجيب للأستاذ محمود شاكر ، وقد روى هذا البيت وخرجه على النحو الذي خرجه فيه أستاذه محمود شاكر ، ينظر للحماسة البصرية ، لصدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ، تحقيق عادل سليمان ، ط ١ ، عام ١٩٩٩ م ، لمكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

وقبل مساءلة استنباط الأستاذ محمود شاکر لا بد وأن نسأل سؤالاً مشروعاً ، هل يمكن أن نحاکم النص على أنه وثيقة تاريخية ترصد جميع الجوانب التاريخية بدقة متناهية ؟ وهل الشاعر بناء على ذلك مطالب بأن يضع الكلمة الفصل الحق في الحقائق التاريخية متجهداً من جميع الاعتبارات الشعرية ؟ وهل قصد شاعر قریش عبدالله بن الزبیری في هذا الموضوع الافتخار بقتلهم من المسلمين ضعف قتلاهم في بدر ؟

لقد ارتکز استنباط محمود شاکر في هذا البيت على مبدأ الصدق والكذب في الشعر ، وقام بقراءة هذا البيت وتقويمه احتكاماً إلى أدلة وظواهر تاريخية جاءت من خارج النص ، واعتمد في حكمه على مقاييس قامت على أساس تاريخي محض مرصود ومتفق عليه ، ومعنى ذلك أنه قام بمعاملة النص على أنه وثيقة تاريخية لا بد وأن يكون فيها النص راصداً وبدقة متناهية للواقعة التي هو بصدد تناولها بدون تدخل لأدوات الشاعر الخيالية والبيانية والتي من أهمها على الإطلاق المبالغة والتخييل ، والمبالغة والتخييل تحديدأ أدوات شعرية تكاد تكون القاسم المشترك بين سياقات المدح والهجاء والفخر ، والحق أن النص لا ينبغي بناء على ذلك أن يحاکم على أنه وثيقة تاريخية دقيقة ولا حتى اجتماعية تعكس الواقع الذي قيل فيه ، فلا فساد في الشعر ولا خطأ قديم ولا حديث حينما تنتصر قبيلة على قبيلة أخرى ، فينهض شاعر القبيلة المنتصرة ويمتدح نصر قومه ويبالغ فيه ويضمنه على وجه المبالغة والتخييل مالميس فيه ، ولا فساد في الشعر أيضاً حين ينهض الشاعر من القبيلة الأخرى المهزومة ويعتذر للهزيمة ويجمع بخياله الشعري إلى توصيف هزيمة قومه بما يشبه الانتصار الذي هو في حقيقته هزيمة وانكسار ، كل ذلك يكون بأدوات الشعر نفسها وتقنياته الخيالية وحجته التأثيرية.

فلا ينبغي أن يُخطأ مثل شعر عبد الله بن الزبیری لوجود مثل هذه المبالغة ، لاسيما وإن خلو سياق وصف المعركة والافتخار بالنصر من المبالغة والطريقة الشعرية التخيلية ؛ يكاد يكون قريبا من وصف نثري مقالي ليس فيه أي روح شعرية تخيلية وهذا مخالف لطبيعة الشعر المؤثرة في النفوس ، ومثل هذه الطريقة الشعرية التي يخالف فيها الشعر بعضاً من الحقائق ويستخدم فيها الشاعر تقنية المبالغة والتخييل قد تكون أحد المقاصد من قولهم أعذب الشعر أكذبه ، ولعل مبالغة ابن الزبیری إن أجاز النص لنا تسميتها مبالغة وتخيلا هي ما يدفع شعراء رسول الله ﷺ لتكذيبها والتعريض بها في شعرهم المقابل لها ومن ذلك :

فَدَعْ عَنْكَ التَّدَكَّرَ كُلَّ يَوْمٍ	وَرُدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكَمِيبِ
وَحَبَّرَ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ	بصديقٍ، غيرِ إخبارِ الكذوبِ

بَمَا صَنَعَ الْمَلِيكَ عَدَاةَ بَدْرِ  
عَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حِرَاءُ  
لَنَا فِي الْمَشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ  
بَدَتْ أَرْكَائُهُ جَنْحَ الْعُرُوبِ  
فَوَافَيْنَاهُمْ مِّنَّا بِجَمْعٍ  
كَأُسْدِ الْغَابِ: مُرْدَانٍ وَشَيْبٍ<sup>(١)</sup>

فسمى توصيفه لمعركة بدر في هذه القصيدة حقاً ، وسمى توصيف شعراء المشركين لها كذباً لاشتماله على شيء من مثل هذه المبالغات ، ولو تم تطبيق معيار محمود شاعر على الشعر كله لذهب جله ، إذ لو تم تطبيق معيار استنباطه هنا على شعر شعراء المسلمين لسقط أغلبه ، فقد كان من الطبيعي أن يعتذر أحد شعراء المسلمين للهزيمة التي لحقت بهم في معركة أحد وأن يوجد لها حبكة شعرية تخرجها من دائرة الهزيمة إلى معنى شعري آخر يتصرف فيه الشاعر بطريقته الخاصة ، كنا ننتظر ذلك من مثل حسان بن ثابت<sup>(٢)</sup> وكعب بن مالك الأنصاري<sup>(٣)</sup> شاعري رسول الله ﷺ ، فمن المفترض أن نرى شعراً إسلامياً يهون من نصر المشركين

(١) الأبيات لحسان بن ثابت ، ينظر : ديوان حسان بن ثابت ، شرح وتقديم عبد الله علي مهنا ، ط ٢ ، عام ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية بيروت ص : ٢٤ .

(٢) أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، ولد في المدينة قبل مولد الرسول ﷺ بنحو ثماني سنين ، فعاش في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة أخرى ، وشب في بيت وجاهة وشرف ، وكان ينشد الشعر قبل الإسلام ، وكان ممن يفدون على ملوك الغساسنة في الشام ، وبعد إسلامه اعتبر شاعر النبي ﷺ ، ولقد سجلت كتب الأدب والتاريخ الكثير من الأشعار التي ألّفها في هجاء الكفار ومعارضتهم ، وكذلك في مدح المسلمين وثناء شهدائهم وأمواتهم . وأصيب بالعمى قبل وفاته ، ولم يشهد مع النبي مشهداً لعله أصابته ويعد في طبقة المخضرمين من الشعراء لأنه أدرك الجاهلية والإسلام ، توفي في العام الخمسين من الهجرة على أصح الأقوال ، ينظر في ترجمة حسان بن ثابت إلى مقدمة ديوانه ، ص ٧-١٥ .

(٣) كعب بن مالك الأنصاري السلمي ، شاعر النبي ﷺ وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذين خلفوا ، فتاب الله عليهم . شهد العقبة ، روى عنه بنوه : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، ومُجَد ، ومعبد ، وروى عنه بنو كعب ، وجابر ، وابن عباس ، وأبو أمامة ، وعمر بن الحكم ، وعمر بن كثير بن أفلح ، وآخرون ؛ وحفيده عبد الرحمن بن عبد الله ، كانت كنيته في الجاهلية : أبا بشير . وكان كعب من أهل الصفة . وذهب بصره في خلافة معاوية ، وهو من السبعين الذين شهدوا العقبة ، اختلف في تاريخ وفاته والراجح أنها في العام الخمسين من الهجرة النبوية المشرفة ، ينظر لترجمته في ديوانه ، ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق : سامي مكّي ، ط ١ ، عام ١٩٦٦ م ، طبع في مطبعة المعارف ببغداد ، ص ١٥ - ١٢١ .

على المسلمين في أحد على لسان شعراء المسلمين ، كما وجد لابن الزبير شعر يهول نصر بني قومه على المسلمين مما نحن بصدد الحديث عنه هنا ، ولكن كعب بن مالك الأنصاري تراءى له أن يقول في يوم أحد :

فجئنا إلى موج من البحر وسطه  
أحايش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن نصيبة  
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع

نغاورهم تجري المنية بيننا  
نشارعهم حوض المنايا ونشرع

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى  
وليس لأمر حمه الله مدفع

ضربناهم حتى تركنا سراهم  
كأنهم بالقاع خشب مصرع

لدن غدوة حتى استفقنا عشية  
كأن دُكَّنا حر نار تلفع

وراحوا سراعاً موجفين كأنهم  
جهام هراقت ماءه الريح مقع

ورحنا وأخرانا بطاء كأننا  
أسود على لحم بباشة ضلع<sup>(١)</sup>

فأبيات كعب بن مالك هذه قيلت في يوم أحد ، ذلك اليوم الذي انكسر فيه المسلمون بعد أن ترك الرماة الجبل الذي شدد رسول الله ﷺ عليهم بعدم تركه مهما يكن من أمر ، ولم يتسبب نزولهم منه في هزيمة المسلمين فقط ، بل كاد يتسبب في مقتل الرسول ﷺ لولا دفع الله ، وإذا ما تم تطبيق معيار الصدق والكذب على هذه الأبيات ، فإنه سيُتهم بوجود خطأ في هذا الشعر كما ادعاه محمود شاعر في شعر ابن الزبير ، فظاهر هذه الأبيات المستقطعة يوحي بأن جيش المسلمين قد نال من المشركين وأن المسلمين أثنوا فيهم الضرب والفتك حتى تركوهم كالخشب المصرعة ، ومن تبقى منهم هرب وولى كأنهم سحاب أهرقت الريح ماءه وانقلع من السماء ، أما المسلمون فقد تولوا من المعركة كأنهم أسود تشبعت من لحم فرائسها وأخذت منه أوفر الحظ والنصيب ، وادعاء مثل ذلك بتقنيات الشعر وادعاءاته ومبالغاته لم ولن يغير من الحقائق التاريخية التي ألفناها في كتب السيرة والتي أثبتت هزيمة المسلمين في هذه الغزوة من جهة ، ولا يعني من جهة أخرى فساد شعر ابن مالك وانطوائه على أخطاء تاريخية ؛ لأن الشاعر ليس مطالب بأن يكون مؤرخاً دقيقاً

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ص ٢٢٦، ٢٢٧ .

ينقل الأحداث والوقائع كما هي ، هذا إذا ما قمنا بالتسليم جدلاً بأن ابن الزبير قصد بقوله (فقتلنا الضعف) المبالغة والتخييل والادعاء الشعري ، فقد يكون ابن الزبير قصد من ذلك ما توحى به كلمة (أسيادهم) في قوله (فقتلنا النصف من أسيادهم) ، فقد تكون كلمة أسيادهم دليلاً على أن المقصود بالنصف أو الضعف هم الأسياد أو الأشراف أو الفرسان (أسيادهم ، أشرافهم ، فرسانهم) على حسب روايات البيت المختلفة المقصود بها أكابر القوم ، وتفسير ذلك أن الشاعر أراد بأن القتل الذي أعمله المشركون في المسلمين يوم أحد والذي هو موضع افتخار ابن الزبير ، كان قتلاً انتقائياً بحيث لم يُقتل من المسلمين أي أحد ، بل قتل منهم الأشراف والسادة والكبراء كحمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير حامل لواء المهاجرين في غزوتي بدر وأحد ، وأبي حذيفة بن اليمان ، وعمرو بن الجموح سيد الأنصار وعبد الله بن عمرو بن حرام وغيرهم من سادة المهاجرين والأنصار وأشرافهم ، وليكون معنى قول ابن الزبير بناء على ذلك أن من قُتل من أسياد المسلمين وكبرائهم هم ضعف من قتل من أسياد المشركين وكبرائهم في بدر كالحكم بن هشام أبي جهل ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وغيرهم من سادات قريش وكبرائهم ، فافتخار ابن الزبير بقتل سادة المسلمين وكبرائهم وأشرافهم قد يكون مقصوداً لهم دون غيرهم من جيش المسلمين ، كما كان مقصوداً لسادة قريش ورؤوسهم في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في غزوة بدر :

وَتَرَكْنَا مِنْ قُرَيْشٍ جَمْعَهُمْ  
مِثْلَ مَا جَمَعَ فِي الْخَصْبِ الْهَمْلُ

فَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ  
وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رَفْلُ

كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سِيدِ  
مَاجِدِ الْجَدِيدِ مَقْدَامِ بَطْلِ

وَشَرِيفٍ لَشَرِيفٍ مَاجِدِ  
لَا نَبَالِيَهُ لَدَى وَقَعِ الْأَسْلِ<sup>(١)</sup>

(١) ديوان حسان بن ثابت ص : ١٨٢ .

### الفصل الثالث : أنماط الاستنباط

تعددت اهتمامات الأستاذ محمود شاعر طيلة حياته الأدبية ومسيرته العلمية ، فقضية الشعر الجاهلي التي شغل بها كثيراً وكانت اللبنة الأولى والأهم لتكوينه العلمي ، لم يكن اهتمامه بها شافعاً لعدم وجود غيرها من الاهتمامات العلمية ، فالتحقيق العلمي لكتب التراث العربي تحت ستار القراءة والتعليق كان أحد شواغله واهتماماته ، والحديث عن القضايا الأدبية التي أثّرت في عصره كانت هي الأخرى شاغلاً له وقد صرف لها جانباً من اهتمامه وتفكيره ، ونقد المشاريع النقدية لغيره من الأدباء والعلماء كان هو الآخر شاغلاً واهتماماً من شواغله واهتماماته العلمية ، كل هذه الاهتمامات المتنوعة المتشعبة لم يكن ليتعاطى معها فكر محمود شاعر على وتيرة واحدة ونمط استنباطي معين ثابت ، فقد كان لكل جنس منها بل وما يندرج من أنواع تحت الجنس الواحد أنماطاً استنباطية متعددة تتناسب مع طبيعة كل موضوع ، فقد كانت بعض المواضيع والأفكار التي تناولها محمود شاعر تحتم عليه الانتقال من العموميات إلى الجزئيات ، وبعضها الآخر يحتم عليه أن ينتقل من عام الفكرة إلى خاصتها ، وحين تنعم النظر في استنباطاته تجد أنه يلح على المتلقي في قبول بعضها ، ويستدل عليها بأدلة متنوعة متعددة تتعاضد جميعاً لدعم إقناع المتلقي وانتزاع تسليمه ، وهو لا يلتزم هذا النهج مع كل استنباطاته ، فالبعض منها يعتمد شاعر أن ينزله منزلة الاستنباط الحملي غير القابل للشك ، ولا يدعمه بأدلة ولا يجهد نفسه في محاولة إقناع المتلقي به ، وكأنه في ذهنه كما هو في ذهن المتلقي من الأمور المسلمة البديهية التي لا تحتاج إلى تدعيم أو استدلال ، وبعض استنباطاته يقوم على الافتراض العلمي القائم على أصول معرفية وثقافية ثم يثبت في بحثه ذلك صحة استنباط ذلك الفرض ، كما يلاحظ في الكثير من استنباطاته اعتماده على نص واحد أو دليل واحد وهو استنباط لا يشبه تلك الاستنباطات المركبة التي تحتاج أن يضم إلى النص نص آخر ليكتمل الاستنباط وتُستظهر النتيجة المبتغاة

وبما أن أساس الاستنباط هو الفهم والإدراك من النص منطوقه ومفهومه ، فقد اعترضت محمود شاعر بعضاً من النصوص الظاهرة المعنى ، استطاع أن يجري عليها نمطاً من الاستنباط لم يجره على تلك النصوص الخفية التي يحتاج الاستنباط معها إلى مزيد تأمل وعناية وإعمال للفكر ، وهذا النوع من الاستنباط هو من أكثر الأنواع التي تجلت فيها قدرة محمود شاعر التدوقية ، وسنحاول في هذا الفصل الحديث عن أنماط الاستنباط باعتبار الأفراد والتركيب والظهور والخفاء واستعراض بعض من أدلته الاستنباطية .



## المبحث الأول : الاستنباط بين الأفراد والتركيب

### أولاً : الاستنباط باعتبار الأفراد :

ويقصد به الاستنباط من النص المفرد دون حاجة إلى نص آخر لإتمام الاستنباط ، وهذا النوع جاءت به كثير من الاستنباطات عند الأستاذ محمود شاكر ، وقد تنوعت السبل التي سلكها الأستاذ عند جنوحه إلى هذا النوع من الاستنباط ، فقد يكون الاستنباط مبنياً على اختيار معنى صائب يُقتنص به المراد من النص ، وكثيراً ما يعارض باختياره لما يراه صواباً اختياراً لعالم آخر يخطئه ويفند خطأ اختياره ، ومن ذلك استنباط معنى كلمة شقراء بما يتوافق مع المعنى العام لبيتين أوردها ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء للشماخ بن ضرار<sup>(١)</sup> والبيتان قوله :

أُخَاتِلُهُمْ عَنْهَا لِكَيْمَا أَنَاهَا

يَقُولُونَ لِي : يَا احْلِفْ وَلَسْتُ بِمُحَالِفٍ

كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَاحَهَا<sup>(٢)</sup>

فَقَرَجْتُ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحُلْفَةٍ

(١) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني ، قبل اسمه معقل بن ضرار والشماخ لقبه فقط ، وهو شاعر مخضرم شهد الجاهلية والإسلام ، عدّه البعض من طبقة لبيد بن ربيعة ، ويقال أنه كان لدية سرعة بديهة في تأليف الأراجيز ، أسلم وحسن إسلامه وله صحبة ، جاهد في فتوح العراق ، وكان يحث الناس في معركة القادسية على القتال ، وقد غزا أذربيجان مع سعيد بن العاص ، لا يعلم تحديداً تاريخ وفاته ولكن المرزباني قال بأنه توفي في غزوة موقان في زمن الخليفة عثمان بن عفان ، وذلك في العام الواحد والعشرين للهجرة النبوية المشرفة ، ينظر لترجمته في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ، لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، ط ١ ، عام ١٤١٥ هـ ، لدار الكتب العلمية بيروت ، ج ٣ ، ٢٨٥ .

(٢) البيتان في ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي ، ط ١ ، عام ١٩٦٨ م ، لدار المعارف بمصر ، ص ٢٩٢-٢٩٤ ، وقد وردت البيتان باختلاف ملحوظ في البيت الأول ، حيث لم تذكر رواية الديوان ياء النداء قبل احلف ، ووردت أحادعهم بدلا من أخاتلهم في بداية الشطر الثاني من البيت الأول ، أما تحقيق الشنقيطي لديوان الشماخ فأورد البيت الأول بياء النداء قبل احلف ، وأورد أحادعهم في الشطر الثاني بدلا من أخاتلهم ، وفي البيت الثاني رواه بلفظة قدّدت بدلا من شقّت ، ينظر لديوان الشماخ بن ضرار الصحابي الغطفاني ، تحقيق محمد الأمين الشنقيطي ، ط بدون ، تاريخ بدون ، مطبعة السعادة بمصر ، ص ٢٠ .

فقد استنبط محمود شاعر أن معنى كلمة الشقراء الواردة في هذا البيت " المرأة الحسناء البيضاء ، يعلو بياضها حمرة صافية ، وجلال كل شيء غطاؤه ، كالحجلة ونحوها ، والحجلة قبة العروس والعداري المقصورات ، توضع عليها ثياب مزينة موشاة تسترها ....."<sup>(١)</sup> ، ليكون المعنى عنده بناء على تفسير هذه الشقراء ، أنهم أرادوا منه أن يُطلّق هذه المرأة ، فلما أقبلوا عليه يحنونه على الحلف يمين الطلاق ، وامتنع هو عن الحلف مرة بعد مرة ، يريد خداعهم عن الطلاق ورغبة منه في إصابة استيقانهم بعدم حلفه ، لترسيخ عزة طلاقها في أنفسهم ، " فلما استيقنوا ويئسوا أن يسمعوا اليمين خارجة من فيه فرّج كرب نفسه بهذه المرأة البغيضة يمين شقت يأسهم من سماعها ، أرسلها عليهم فجأة ، واضحة بينه سريعة خاطفة ، أذهلت السامعين ، كما تذهل الناظرين حسناء مُحجّبة مَنِيعة قد يئس المترقبون من رؤيتها ، فإذا بهم تشق حجابها فجأة ، فتطيش أبصارهم من رؤيتها ، واضحة الحيا مشرقة الوجه " <sup>(٢)</sup> وهو حينما استنبط هذا المعنى فإنما أراد باختياره بإزاء معنى لشقراء في نفس السياق أورده ابن قتيبة في كتابه المعاني الكبير، قال فيه ابن قتيبة: " يريد يقولون لي يا هذا احلف ..... ، خادعهم عن اليمين لكيما أردّها عني فلما عيل صبري حلفت ، .. كما وطئت فرس شقراء على جلالها فخرجت منها وكذلك خرجت أنا من هذه اليمين، أبو عمرو: " كمثل جواد قدّ عنها جلالها " أبو عبيدة و " كقدك عن متن الجواد جلالها " <sup>(٣)</sup>.

إذن فالأستاذ محمود شاعر يرى أن الشقراء المرأة الحسناء المحجبة المنيعّة التي يئس من رؤيتها المترقبون ، وفجأة تشق حجابها فينظرون إليها بجلاء ووضوح ، وهذه الهيئة هي هيئة مشبه به لمشبه هو هيئة رجل يناشده قوم طلاق زوجته فيمانع مراراً ثم يفجؤهم يمين فرّج بها هم نفسه ، هذا على رأي الأستاذ محمود شاعر أما ابن قتيبة فيرى أن هيئة المشبه به فرس شقراء وطئت على جلالها فخرجت منها كما خرج الشاعر من اليمين بهذه الحلقة التي فرج بها كرب نفسه ، ولم يقدم محمود شاعر بين يدي استنباطه دليلاً سوى أنه بسّطه تحليلاً وتدوقاً

(١) ينظر لطبقات فحول الشعراء الحاشية رقم (١) ، ج : ١ ، ص : ١٣٥ .

(٢) السابق : ج : ١ ، ص : ١٣٥ .

(٣) المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق سالم الكرنكوي ، و عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، ط ١ ، ١٩٤٩ م ، لدائرة المعارف العثمانية ، ثم أعادت تصويرها ونشرها دار الكتب

العلمية ببيروت ط ١ ، عام ١٩٨٤ م ، ج ٢ ، ص ٨٤١ .

واعتماداً على استنباطه الخاص ورؤيته النقدية الناقدة الفاحصة ، وكما أنه لم يقدم دليلاً مادياً واحداً على صحة استنباطه من النص ، فإنه لم يقدم تعليلاً واضحاً يمكن الاستئناس به لرد رأي ابن قتيبة ، واكتفى بقوله: إن رأي ابن قتيبة رأي غير حسن ولا نعلم أي عدم حُسن قصد ، فلو أبان عن عيب يرتبط بالمعنى من تفسير ابن قتيبة لكانت تلك الإبانة دليلاً يدعم استنباطه ويقويه ، أما ابن قتيبة فقد قدّم بين يدي استنباطه دليلاً وكأنه استظهر استنباطه من خلال هذا الدليل، فقد عضد استنباطه برواية أخرى لشطر البيت الذي فيه لفظة الشقراء موضع الخلاف لأبي عمرو بن العلاء : " كمثل جواد قدّ عنها جلالها " ، ورواية أخرى لأبي عبيدة معمر بن المثنى : " كقدك عن متن الجواد جلالها " ، وهاتان الروايتان تدعمان رأي ابن قتيبة في أن المراد بالشقراء الفرس ، ويدعمه أيضاً قرب الشبه ما بين الهيئتين ؛ فأدأه لليمين وخروجه منها مشابه إلى حد بعيد وطأ الفرس لجلالها وخروجها منه ، على أن هذا القرب ما بين طرفي التشبيه لا يلاحظ كثيراً في استنباط شاكر ، فأدأ الشاعر ليمينه وخروجه منها وتفرج كربتته بها لا يقترب كثيراً من المرأة الحسنة المحجبة الجميلة المرقوبة التي تلقي بخمارها فجاءة ، إلا على سبيل حالة الذهول التي تصيب مرتقبَي الطرفين ، إذ جعل محمود عنصر المفاجأة والذهول بين الطرفين عنصراً مشتركاً استحلب منه توجيه كلمة الشقراء والمعنى المبني على هذا التوجيه ، وقد يكون تأويل ابن قتيبة أقرب للصواب لعدة أمور :

أولها : أن ابن قتيبة استند على روايتين للبيت - كدليل منطوق - تقطعان بصحة ما ذهب إليه من رأي وما وفق إليه من استنباط ، أما محمود شاكر فقد استند على مفهومه الخاص والمنطوق مقدم على المفهوم كما هي القاعدة الأصولية .

ثانياً : أنه لا يظهر أي فساد للمعنى من اعتبار الشقراء فرساً وطئت بقدمها على جلالها فخرجت منه ، ولذلك لم يقدم محمود شاكر تبريراً منطوقاً لعدم استحسانه هذا الرأي ، بل اكتفى بعدم استحسانه بدون تعليل ؛ لأنه يجد في نفسه أن اختياره أليق بالشعر وبهذه الصورة البيانية وأشد إصابة .

ثالثاً : هناك دليل من البيت يمكن أن يستأنس به للدلالة على أن المراد بالشقراء الفرس لا المرأة ، وهو قوله الفعل المسند إليه كلمة الشقراء (شقت الشقراء) ، وبيانه أن وطأة الفرس على جلالها الذي تغطى به قد يحدث فيه شقاً وقدلاً لا تحدّثه أبداً المرأة الحسنة التي تريد أن تخلع عنها حجابها ، فالمرأة التي تخلع حجابها

لا تزيد عن أن تتناوله بيدها ثم تلقي به عن رأسها ووجهها دون شقه وقده ، وهذا الغالب في وضع النساء حين يلقيهن حجبهن عنهن ، وبذلك يكون الشق مناسباً للفرس ودليلاً يومئ إلى أن الشاعر قصد بالشقراء فرساً لا امرأة .

رابعاً : أن العرب اعتادت على تسمية الفرس الكريمة بالشقراء تسمية عَلمِيَّة ، كما أن الشعر الفصيح كثير فيه أن تكون الشقراء فرساً لا امرأة ، حتى وإن لم تدل على علم بل على صفة أو رمز فقط ، والشواهد على ذلك وذا كثيرة جداً ، يقول صاحب أسماء خيل العرب وفرسانها :

" ومن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة فارس الشقراء وهو ربيعة بن أبي ، أبلى في يوم نقا الحسن ، ... يوم قتلوا بسطام بن قيس..... وكان خرج بسطام ليغير على بني ضبة، قال شمعة بن الأخضر بن هبيرة بن المنذر بن ضرار بن عمرو:

ويوم شقيقة الحسنين لاقــت  
 بنو شيان آجالاً قصـارا  
 .....  
 .....  
 ترى الشقراء ترفل في سلاها  
 وقد صار الدماء له إزاراً<sup>(١)</sup>  
 وذكر أيضاً صاحب (أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها) أن ربيعة بن أبي فرسه الشقراء<sup>(٢)</sup> ، وذكر أيضاً أن " الشقراء فرس للرقاد بن المنذر القائل فيها:

إذا المهرة الشقراء أدرك ظهرها  
 فشبَّ الإله الحرب بين القبائل<sup>(٣)</sup>

(١) أسماء خيل العرب وفرسانها ، لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، ط ١ ، عام ٢٠٠٩ م ، لدار البشائر بدمشق ، ص ٣٧ .

(٢) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، للحسن بن أحمد بن محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني ، تحقيق محمد علي سلطاني ، ، ط ١ ، عام ١٩٨١ م ، المؤسسة الرسالة ببيروت ص ١٤٠-١٤١ .

(٣) السابق ص : ١٣٢ .

وقال الجاحظ في كتابه الحيوان :

"وبعث رجل من العرب بديلاً مكانه في بعض البعوث، وأنشأ يقول:

إذا ما اختبّت الشّقاء ميلاً  
فهانّ عليّ ما لقيّ البديلُ

يشنّفها ويحسبها بعيراً  
قليلٌ علمه بالخيّل فيل<sup>(١)</sup>

ونقل الخالديان قول رجل يسمى العرنس بن وثاق اليربوعي:

فأولى على عمرو بن بدر فائنه  
يُطوّع في عال من الركض زائد

مضى يحمد الشّقاء لما تمطّرت  
به تحت جُوشوش<sup>(٢)</sup> من اللّيل وافد

إذا ما رأى لمع السيوف بدا له  
طريق نجاء للفرار مساعدي<sup>(٣)</sup>

ونقل أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال عن بعض العرب "قَوْلُهُمْ : شَيْئاً مَا يُرِيدُ السَّوْطُ إِلَى الشَّقَاءِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ مَعْنَاهُ إِنَّكَ لَتَبْتَغِي شَيْئاً"<sup>(٤)</sup> ، ومن ذلك أيضاً ما ورد في ديوان الحماسة من قول المزار بن منقذ<sup>(٥)</sup> :

(١) الحيوان للجاحظ ، ج ٧ ، ٨٢ .

(٢) " الجُوشُوشُ : الصَّدْرُ ، مَثَلُ الجُوشُوشِ والجوشن ... ومضى جوش من الليل: أَي صَدَرَ مِنْهُ ، مَثَلُ جَرَشٍ . قَالَ رَبِيعَةُ بْنُ مَرْثُومٍ الضَّبِّيُّ : وَفَتَيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَبَحْتُ سَلَافَهُ  
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، ج ٣ ، ٩٩٩ .

(٣) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، للخالديين : أبو بكر مُجَدِّد بن هاشم الخالدي ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي ، تحقيق مُجَدِّد علي دقة ، ط ١ ، عام ١٩٩٥ م ، لوزارة الثقافة السورية ، ص ٥٩ .

(٤) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، تحقيق : مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، ط ٢ ، عام ١٩٨٨ م ، لدار الجيل ببيروت ، ج ١ ، ص ٥٥١ .

(٥) المزار بن منقذ: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصراً لجرير والفرزدق . وهو زياد بن منقذ بن عبد بن عمرو بن صدي بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم الحنظلي العدوي . والمزار لقب له ، واسمه زياد ، ينظر لمعجم الشعراء للمرزباني : ص ٤٠٩ .

متى أمُرُّ على الشقراءِ معتسفاً

حَلَّ النَّقا بِمَرْوَحٍ لَحْمَهَا زِيَمُ

والوشمُ قد خرجت منها وقابلها

مِنَ الثَّنَايَا الَّتِي لَمْ أَقْلِهَا بَرَمُ

قال المرزوقي : " .....والشقراء ، قال الأصمعي: يعني فرسه ، ... أي راكباً الشقراء ، والخل: الطريق في الرمل، والنقا: الرمل، والمروح: النشيط، ومعنى زيم: متفرق، ووشم وبرم: موضعان، والثنايا: العقاب. " (١) .

وقريب من شقراء بيت السماخ ما أورده الحصري القيرواني من بيتين نسبهما لابن المعتز (٢) وهما قوله :

مشهرة لا يُحجِبُ النخلُ ضوءها

كَأَنَّ سَيُوفاً بَيْنَ عَيْنَيْهَا تُجَلِّسُ

يُفَرِّجُ أَغْصَانَ الْوَقُودِ اضْطِرَامُّهَا

كَمَا شَقَّتِ الشَّقَرَاءُ عَنْ مَتْنِهَا جَلًّا (٣)

وأورد جار الله الزمخشري أيضاً الشقراء اسماً من أسماء الخيل في كتابه المستقصى في أمثال العرب ، حيث قال في ذلك : "أشأم من الشقراء على نفسها قيل هي فرس لقيط بن زُرارة التي ركبها يوم جيلة وكان يقول : أشقراء إن تقدم تنحر وإن تأخر تعقر ، وقيل هي فرس رحمت ركبها فأصاب فلوها فشقت بطنه ، وقيل هي فرس كانت لبعض بني لكيز جموح فركبها يوماً فمرت بحرف فأزادت أن تثبه فقصرت عنه فانكبت فيه فاندق عنقها وسلم ركبها ودخل على أهلها بلجامها ، فقال : إن الشقراء لم يعد شرها سنانك رجليها فأبشروا ، قال بشر بن أبي خازم :

(١) شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، ص : ٩٨٠ .

(٢) عبد الله بن المعتز بالله وهو أحد خلفاء الدولة العباسية، وكنيته أبو العباس، ولد عام ٢٧٤ هـ في بغداد، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة ، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولقب بالمرتضى بالله، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر بالله وقتلوه في عام ٢٩٦ هـ ، وأخذ الخلافة من بعده المقتدر بالله.

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب ، لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك ، وحققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه ، محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، عام بدون ، لدار الحيل ببيروت ، ولم أجد هذين البيتين في ديوان ابن المعتز ، ط ١ ، عام بدون ، لدار صادر ببيروت ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

فَأَصْبَحَ كَالشَّقْرَاءِ لَمْ يَعِدْ شَرَهَا سَنَابُكُ<sup>(١)</sup> رَجَلَيْهَا وَعَرْضُكَ أَوْفَرُ<sup>(٢)</sup>

هذا وقد أورد البغدادي صاحب الخزانة بيت الشماخ هذا ، ووافق ابن قتيبة على أن الشقراء في البيت بمعنى الفرس ، حيث قال : " وقدّ بمعنى شق وقطع طويلاً . يريد : كشفت هذا الغم عني باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه <sup>(٣)</sup> " .

خامساً : ومن الأدلة التي تشي بأن الشقراء الفرس لا المرأة ، أن الشاعر عقد التشبيه على أساس وصف حالته هو لا حال المترقبين له ، وهذا الأمر مستنبط من قوله (فَقَرَّجْتُ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحُلْفَةٍ) ، وبذلك يكون من المناسب الجمع بين الهيئتين بحال الشاعر والفرس نفسيهما ، فالشاعر خرج من كربه بيمينه ، والفرس خرجت من جلالها بقده وتفلتها وخلاصها منه ، وليس مأم التشبيه معقوداً على حال المترقبين حتى يجعل الجامع بين الهيئتين الذهول والمفاجأة ، وتصدير هذه الصورة البيانية بتفريج الكرب خير مبين عن ذلك ، وبناء على ما تم ثبته وإيضاحه فإنه لا يظهر فساد في تأويل ابن قتيبة للشقراء بالفرس .

ومن شواهد هذا الباب بيت لرؤبة بن العجاج <sup>(٤)</sup> ، استنبط منه محمود شاكر بشكل مباشر معناه المراد بحسب فهمه له ، وبغض نظره عن اختلاف كبير ساقه حول أصل هذا البيت ، ودون أي تدخل منه لترجيح رأي على

---

(١) " السُّنْبُكُ: طرف الحافر وجانباه من قدم، وجمعه: سَنَابُك ، وسُنْبُكُ السيف: طرف حليته " العين للخليل بن أحمد

الفراهيدي ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ .

(٢) المستقصى في أمثال العرب ، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، ط ٢ ، عام ١٩٨٧ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت،

ج ١ ، ص ١٧٩ والبيت في ديوان بشر بن أبي خازم ، ص ٧٢ .

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للبغدادي ، ج ٣ ، ١٩٥ .

(٤) رؤبة - بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة - وهي في الأصل اسم لقطعة من الخشب

يشعب بها الإناء ، وجمعها رثاب، وباسمها سمي عبد الله بن رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة ، مات في البادية، وقد أسنّ ، و لما مات عام ١٤٥ هـ قال الخليل: " دفنا الشعر واللغة والفصاحة " ، ينظر لوفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأحمد بن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، ، ط ١ ، عام ١٩٧٨ م ، لدار صادر ببيروت ، ج ٢ ، ص ٣٠٣-٣٠٥ .

رأي أو القول بفساد رأي وصواب آخر ، أو حتى توجيه أحد الآراء وتقويمه والأخذ بناصيته ، وقد جاء هذا البيت في جامع البيان للإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۚ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ ۚ وَيُمِيتُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>

يقول الطبري : "والغزى جمع غاز، جمع على فعل كما يجمع شاهد شُهد ، وقائل قُول ، . وقد ينشد بيت رؤية:  
فَالْيَوْمَ قَدْ نَهْنَهْنِي تَنْهَنْهِي  
وَأَوَّلَ حِلْمٍ لَيْسَ بِالمُسْفَه

وَقَوْلُ: إِلَّا دَهٍ فَلَا دَهٍ<sup>(٢)</sup>

وينشد أيضا: وقولهم: إِلَّا دَهٍ فَلَا دَهٍ<sup>(٣)</sup>

قال محمود شاکر بعد أن ساق جملة من آراء العلماء في تفسير "إلا ده فلا ده" ، " ومهما يكن من أصله ، فإن رؤية يريد: زجرني عن ذلك كف نفسي عن الغي، وأوبة حلم أطاره جنون الشباب ، وقول ناصحين يقول: إن لم ترعو الآن عن غيك، فلن ترعوى ما عشت! " <sup>(٤)</sup> .

إذن فهذا نوع من الاستنباط عند محمود شاکر يضرب فيه الذكر صفحاً عن أقوال علماء التراث ولا يعرضها للمساءلة كعادته ، بل يكتفي فقط بعرض رأيه واستنباطه بحسب فهمه للبيت وكأنه يفهم من قوله : "ومهما يكن من أصله فإن رؤية يريد ... " ، أن الحديث عن أصل هذا التركيب ومساءلة أقوال أهل العلم فيه لا يغني شيئاً عن معناه الذي لن يختلف مع كل أصل ، فمحصلة الأمر أن الناصحين يقولون لرؤية إذا لم تنته عن غيك الآن وفي هذه السن فلن تنته عن الغي أبداً مهما يكن من اختلاف في أصل البيت ، فلن يغير المعنى أن تكون كلمة ده فارسية أو عربية كما اختلفوا فيه ، ولن يتعد معنى البيت عن هذا المعنى حينما يقال أن (إلا ده ) معناها إلا هذه فلا هذه ، يعنى أن الأصل « إلاذه » بالذال المعجمة ، فعربت بالذال غير المعجمة. ولن يغير المعنى أبداً أن تكون «ذه» اسم فاعل لا اسم للفعل وهى معربة لا مبنية وتنوينها تنوين الصرف لا تنوين التنكير

(١) سورة آل عمران الآية الكرمة رقم (١٥٦) .

(٢) ديوان رؤية بن العجاج ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد، ط بدون ، عام بدون ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع بالكويت ، ص ١٦٦ .

(٣) جامع البيان للإمام الطبري ج٧، ص ٣٣٣ .

(٤) السابق ، الحاشية رقم (١) ، ج٧، ص ٣٣٣ .



كما قاله النحاة ، ومما يدعم القول بأن الاختلافات التي وردت في أصل هذا البيت لا تجعل له معنى يتعد عن هذا المعنى ، استعراض بعض تلك الآراء ومقايستها بفهم محمود شاكر ، واستنباطه ومعرفة ما كانت تلك الآراء تستطيع توليد معنى للبيت آخر يتعد عما استنبطه شاكر ويستقيم مع ما يتطلبه السياق الكلي للنص ، فأبو عبيدة معمر بن المثنى يقول في مجاز القرآن في شرح البيت : " وقال رؤية: وقول إلا ده فلا ده يقول: إن لم يكن هذا فلا ذا. ومثل هذا قولهم: إن لم تتركه هذا اليوم فلا تتركه أبداً، وإن لم يكن ذاك الآن لم يكن أبداً"<sup>(١)</sup> . ومن ذلك أيضاً قول ابن قتيبة الدينوري في تأويل مشكل القرآن : "وقوله: إلا ده فلا ده ، يريدون : إن لم يكن هذا الأمر لم يكن غير ، وهو مثل قول رؤية : وقول إلا ده فلا ده يروي أهل العربية أن الدال فيه مبدلة من ذال، كأنهم أرادوا: إن لم تكن هذه لم تكن أخرى"<sup>(٢)</sup> .

ولعل أكثر من أسهب الحديث عنها من المتقدمين أبو هلال العسكري ، حيث نقل آراء بعض العلماء عنها، إلا أنه لم يكن له منها رأي خاص واختيار محدد واكتفى بعرضها فقط ، قال العسكري في ذلك : " (قَوْلُهُمْ إِلَادَهُ فَلَادَهُ) فسر على وجوه فقال بعضهم يضرب مثلاً للرجل يطلب شيئاً فإذا منعه طلب غيره ، وقال الأصمعي لا أدري ما أصله ، وقال غيره أصله أن بعض الكهان تنافر إليه رجلان فامتحناه فقالا له في أي شيء جئناك ؟ قال : في كذا قال لا ، فأعاد النظر وقال إِلَادَهُ فَلَادَهُ ، أي إن لم يكن هذا فليس غيره ثم أخبرهما ، وقال آخرون معناه إن لم يكن ذلك الآن لم يكن أبداً يغيره به ، وأنشد قول رؤية (قَوْلُهُ إِلَادَهُ فَلَادَهُ ... ) وقال الخليل : يقال إن قول رؤية (إِلَادَهُ فَلَادَهُ) فارسي حكى صوت ظئره وكانت العرب تقول إذا رأى الرجل ثأره إلا ده فلا ده أي إن لم تتأر فلا تتأر أبداً"<sup>(٣)</sup> " .

أما البغدادي فقد أسهب في شرح البيت دون التفصيل في اختلاف العلماء حوله ، وفي ذلك يقول بعد أن أورد البيت وما قبله : " وصف قبل هذه الأبيات شبابه وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ مَغَاظِلِ الْغَوَايِي ، ومواصلة الْأَمَانِي ، إِلَى أَنْ قَالَ: فالיום قد زجرني عَمَّا كُنْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ: الأول: التنهنه ؛ وَهُوَ مُطَاوَعُ نَهْنَهْتِهِ عَنْ كَذِّ فَتْنَهْنِهِ أَي: كَفَفْتَهُ وَزَجَرْتَهُ عَنْهُ فَكَفَ ، أَي: زَجَرْتَنِي زَوَاجِرَ الْعَقْلِ ، الثَّانِي: أَوَّلَ حِلْمٍ أَي: رُجُوعَ الْعَقْلِ لَا يَنْسَبُ إِلَى

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ج ١، ص ١٠٦ .

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ص ٣٠٧ .

(٣) جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ج ١، ص ٩٤ .

السَّفَه ، الثَّالِث: عدل القائلين: إن لم تتب الآن مع الدَّوَاعِي إِلَى التَّوْبَةِ فَلَا تَتُوب أَبَدًا ، فَقَوْلُهُ: وَقَوْلُ هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ ، وَالرَّابِع: حَقَّةٌ أَيْ: حَقَّةٌ حَقَّةٌ<sup>(١)</sup> ، أما أصحاب المعاجم فهم لا يبتعدون كثيرا بمعنى التركيب وأصله عن دلالة الواضحة في بيت رؤبة بن العجاج ، بل ويجعلون بيت رؤبة شاهداً على توجيه معناه وتحديد أصله ، بعد أن يستعرض البعض منهم جملة الآراء في ذلك ، فالخليل بن أحمد الفراهيدي يرى أن " ده: دة: دة: كلمة كانت العرب تتكلم بها ، يرى الرجل تأرّه. فتقول له: يا فلانُ إلّا دِه فلا دِه، أي: أنك إن لم تتأر بفلانٍ الآن لم تتأر به أبداً ، وأما قول رؤبة: وَقَوْلُ إلّا دِه فلا دِه فيقال: إنها فارسيّة<sup>(٢)</sup> " ، أما صاحب التهذيب اللغة فعله من أكثر الذين فصلوا القول في هذا التركيب من اللغويين ؛ فقد خصص له ثلاث صفحات متتابعة من كتابه ، تتبع فيها أقوال أهل العلم في معناه وفي أصله واختار منها اختياره الذي لا يبتعد كثيراً عن تلك الأقوال، ويمكن عدّ نقله مرجعاً يحاط فيه بكافة الأصول والمعاني التي يعود إليها هذا التركيب والتي لا تبتعد كثيراً عن استنباط محمود شاكر وعن المعنى العام لهذا التركيب في بيت رؤبة ، ويمكن أن نلخص الآراء التي نقلها صاحب التهذيب في تركيب (إلا دِه فلا دِه) فيما يلي :

أولاً : أنها كلمة كانت العرب تتكلم بها، يرى الرجل تأمره فيقول له: يا فلان: إلّا دِه فلا دِه؛ أي: إنك إن لم تتأر بفلان الآن لم تتأر به أبداً .

ثانياً : أنها كلمة تقال في باب طالب الحاجة يسألها فيمنعها فيطلب غيرها .

ثالثاً : أنها كلمة بمعنى المثل يضرب للرجل، يقول: أريد كذا وكذا، فإن قيل له: ليس يمكن ذاك، قال: فكذا وكذا .

رابعاً : أنها كلمة تستخدم لمعنى : إن لم يكن هذا فلا يكون ذاك ، وإن لم يكن هذا الآن فلا يكون لاحقاً .

خامساً : أنها كلمة تستخدم حينما يؤثر الرجل فيلقى واتره فيقول له بعض القوم: إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه .

سادساً : أنها كلمة تُقال للرجل الذي قد أشرف على قضاء حاجته من غريم له أو من تأره أو من إكرام صديق له .

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ، ج ٦ ، ص ٣٩١ .

(٢) العين للخليل بن أحمد ، ج ٣ ، ص : ٣٤٨ .

سابعاً : أنها كلمة تستخدم في معنى : إن لم تغتنم الفرصة الساعة فلست تصادفها أبداً ، وهذا اختيار صاحب التهذيب <sup>(١)</sup>.

أما ابن منظور ومرتضى الزبيدي فلم يزيدا في معجميهما لسان العرب <sup>(٢)</sup> وتاج العروس <sup>(٣)</sup> إلا أنهما نقلتا كلام الأزهري صاحب تهذيب اللغة وأوجزاه ونسبة كل ما نقلاه إليه دون إضافة تستحق الثبوت هنا في هذا الموضوع. وبعد هذا العرض السريع لمعنى هذا التركيب وما اشتمل عليه من اختلاف أقاويل أهل العلم فيه ، فإنه قد يقال بأن استنباط محمود شاعر استنباط صائب وفهم دقيق لمراد البيت من سياقه ومن مبناه ومعناه بنفسه ، ويستطاع أيضاً عن طريق استعراض هذه الآراء المختلفة لأهل العلم حول معنى (إلا ده فلا ده) أن يفهم مقصد محمود شاعر ومغزاه حين قال قبل استنباطه لمعناها : "ومهما يكن من أصله ، فإن رؤية يريد..." ، فتتبع هذه الأصول والمعاني المختلفة لن يسهم غالباً في توليد معنى لهذه الكلمة غير ما ذكره محمود شاعر ؛ لأنه المعنى الذي يستقيم به البيت ؛ ولأنه المعنى الذي يسوغ استدعاء مثل هذا التركيب الذي يغلب عليه صيغة المثل ؛ ولأنه المعنى الذي يستقيم مع السياق الكلي لهذا البيت ، ولاستجلاء ذلك فلا بد من إيراد الأبيات السابقة لهذا البيت كما هي رواية الديوان :

لِلَّهِ دُرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ	سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْهِيِ
أَنْ كَادَ أَخْلَاقِي مِنَ التَّنَزُّهِ	يُقْصِرْنَ عَنْ زَهْوِ الشَّبَابِ الْمُرْدَهِي
بَعْدَ لَجَاجٍ لَا يَكَادُ يَنْتَهِي	عَنِ التَّصَابِي وَعَنِ التَّعْتُّهِ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْتَمَتُّهُ	أَيَّامَ تُعْطِينِي الْمَنَى مَا أَشْتَهِي
غُرٌّ بِلَذَّاتِ الصَّبَا تَفْكُهُي	تَحْتَ دُجْنَاتِ النِّعَمِ الْأَرْفَهُ

(١) تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، تحقيق محمد عوض مرعب ، ط ١ ، عام ١٤٠٨ هـ ، لدار إحياء التراث

العربي ببيروت ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ .

(٢) ينظر لسان العرب ج ١٣ ، ص ٤٩٠ .

(٣) تاج العروس لمرتضى الزبيدي ، ج ٣٦ ، ص ٣٨٠ .

لَمْ يَطْوِ أَذْيَالِي كَثَارُ الْمُبْتَهِي

وَلَا مَعَرَاتُ الْخُطُوبِ الشَّدَّهِ

فَالْيَوْمَ قَدْ نَهَنَهْنِي تَنَهْنَهِي

وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمِسْقَةِ

وَقَوْلٍ إِلَّا دَهٍ فَـلَا دَهٍ

وَحَقَّةٍ لَيْسَتْ بِقَوْلِ الثُّرَّةِ<sup>(١)</sup>

فالبين من هذه الأبيات أن الشاعر يبين قرب انغماسه في تلبية رغبات النفس ، فقد واجه كل المشاق في فطم نفسه عن هواها ومناها وكاد مع تحمله هذه المشاق أن ينجي نفسه بتحقيق مشتهاها ونيل مبتغاها ، وقد استمر على هذا أمداً كان حقيقاً بأن يكون زمان التصابي هو زمن التمتع ، فقد شكل الشباب وتداعياته الجزء الأكبر من مكونات هذا النص ، والجلي أن مشكلات الشباب والفتوة استأثرت فيه باهتمام الشاعر ؛ وهذا بسبب ما عاناه من متاعب وهموم واضطرابات نفسية من الخطوب الشَّدَّه ، ومن مصاعب كبح جماح نفسه في ظل وجود مغريات لا تنقطع ونعيم زاد من صعوبة السيطرة على نفسه ، ومما يزيد يقيننا بآراء الشاعر ومعتقداته في الشباب ، أن الشباب بتداعياته الفطرية والغريزية هو أحد المكونات الرئيسة للفكر وللقيم وللشاعر والسلوك، ففيه وحده تبرز دوافع الشهوات ومنطلقات الأهواء، وتتوَّقد الأحلام و يولد الخيال ، وتشتد فيه مظاهر الحيوية والنشاط في نفس كل شاب ، ويتحدّد كثير من أهداف الشاب من خلال شهواته وغرائزه ، وترسم له مخيلته الطرق السهل للوصول إليها ، فيخترق جميع الحواجز و كافة الممنوعات التي قد تعيقه عن نيل تلك الأهداف أو الوصول إلى أحدها ، فتصبح قوى الشاب العقلية ضعيفة التأثير في مجرى حياته وهو شاب ، بينما تسيطر عليه مشاعر الشهوانية وحب إشباع الغرائز وإصابة الأمان ، بل وتنقلب كل المفاهيم والقيم في نفسه لتصبح شهواته ورغباته هي أساس المبتغى وغاية المنال ، والسياق الكلي لهذا البيت يوحي بأن الشاعر يتحدث عن تلك الفترة من الشباب ، وكيف أن أولئك الغانيات اللآتي رآهن عدن به إلى أيام الشباب ولياليه وغواياته ولهوه ، بعد أن كادت أخلاقه لا تستطيع مقاومة زهوة الشباب ولذات الصبا وأطاييه ، وتقتصر دون تحكم سلطان الشباب عليه ، وبعد مرحلة من اللجاج النفسي والتنازع القلبي بين تحكم الأخلاق وتسلط إلف الشباب وفتوته ، ذلك الشباب الذي يمنح النفس كِبَرًا واختيالاً وعُجباً بفتوته؛ فيأخذ من المنى ما يشتهي ولا يترك من دنياه إلا ما لا تشتهيه نفسه و ما ليس له فيه رغبة ، ويقرر الشاعر بأن فتوة الشباب

(١) ديوان رؤبة بن العجاج : ص ١٦٦ .

واستحكامه على تصرفاته وأفعاله ليس هو الوحيد الذي يزيد من صعوبة سيطرته ، فمما يساعد على سيطرة أهواء الشباب والانقياد وراء نزواته كثرة أوجه النعيم وتوفرها ومشاهدتها أين ما دار به النظر ووطئت به القدم ، فتعدد وجوه النعيم يشبه الغيوم المطبقة المظلمة التي ليس وراءها غيث ولا رحمة ، ولكنها تعمّي على بصر الشاب فلا يكاد يرى نور الحق ، وتقوده إلى تلك الملدات وذلك النعيم المطبق الطيب اللين ، ولكن وبعد أن انقضت تلك المرحلة فإن الشاعر فطِنٌ لما يحتبك وراءها وفيها من غرور ومغريات ، فهي غير قادرة على أن تنسيه أحداثاً ونوازل شُدّه يحار فيها العقل ويندهش منها الفكر ، فقد زجره عن ذلك كله كف نفسه عن الغواية والتصابي، وأوبته إلى حلم أطاره جنون الشباب وغوايته ، وقول ناصحين له يقولون : إن لم ترعو الآن عن غيك، فلن ترعوى ما عشت ، وهذا تحديداً ما أراده شاكر من قراءة البيت .

إن هذا السياق وما اشتمل عليه من تداعيات الشباب وأهوائه هو ما يسوغ لأن يكون استنباط محمود شاكر استنباطاً دقيقاً منتزعا مما أراده الشاعر ورمى إليه ، وغضّه النظر عن كل الأصول اللغوية التي قد يعود إليها التركيب اللغوي المستخدم (إلا ده فلا ده) ، فإن هذه الأصول لا تستطيع مجتمعة ومتفرقة استبعاد هذا المعنى ، ولن تستطيع توليد معنى آخر لهذا التركيب يتناسب مع السياق العام للنص ، بل ويمكن اعتبار تأويل محمود شاكر واستنباطه خاتمة طبيعية وملائمة جدا لتمام المعنى العام وكماله .

## ثانياً : الاستنباط باعتبار التركيب :

مضى فيما تقدم الحديث عن الاستنباط عند محمود شاكر باعتبار النص المفرد بدون الحاجة لضميمة نص آخر إليه ، أما الحديث هنا فهو نوع آخر من الاستنباط يستخدم فيه الأستاذ محمود نصين ويربط ما بينهما ربطاً مباشراً للاستنباط ، وهذا النوع هو أقل من صاحبه في أنواع الاستنباط لديه ، وغالب ما يكون هذا النوع من الاستنباط حينما يكون وجه الاستنباط ضعيفاً من النص الواحد ويحتاج إلى نص آخر يدعمه ويقويه ، أو حينما يحس الأستاذ أن الاستنباط ناقص ولا يمكن أن يكون تاماً إلا بضم غيره إليه ، وسيأتي بيان كل من ذلك في نماذج مختارة ، وقد تنوعت السبل التي سلكها الأستاذ عند جنوحه إلى هذا النوع من الاستنباط ، فمنها ما يكون سبيله دلالة اللغة العربية وأصل وضعها اللغوي وسياقها الذي وردت فيه ، ومن ذلك استنباطه الذي أوسع فيه من التهكم الذي يصل إلى التجريح بلويس عوض على خلفية استدعاء الثاني لقوله تعالى :

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾<sup>(١)</sup>

ولابد قبل إبانة استنباط محمود شاكر أن نعرض ماقاله لويس عوض حينما استدعى هذه الآية الكريمة ، فقد استدعاها في استنباط مفاده أن (دانتي) صاحب الكوميديا الإلهية<sup>(٢)</sup> ، قد اقتبس من القرآن الكريم ومن رسالة

---

(١) سورة الرحمن ، الآية الكريمة رقم : (٣٧) .

(٢) دانتي أليغييري شاعر إيطالي ، ولد دانتي في عام (١٢٦٥ م) ، وقد شارك بحماس في الصراع السياسي الذي كان يوجد في زمانه ، وتم نفيه من مسقط رأسه. فكان مؤيداً نشطاً للوحدة الإيطالية ، وأعظم أعماله الأدبية التي تعنينا هنا والتي استدعاها لويس عوض في كتابه على هامش الغفران (الكوميديا الإلهية) المكونة من ثلاثة أقسام الجحيم ، المطهر والفردوس ، ويعتبر هذا العمل البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجه أوروبا أثناء العصور الوسطى ، وقاعدة اللغة الإيطالية الحديثة ، فهي واحدة من الأعمال الرئيسية لعملية الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة ، وتعتبر تحفة من الأدب الإيطالي وواحدة من قمم الأدب العالمية ، ويعرف دانتي في الأدب الإيطالي بالشاعر الأعلى ، ويعرف أيضاً بـ "أبي اللغة" الإيطالية. وقد كتب جيوفاني بوكاتشيو أول سيرة ذاتية لدانتي ، في تراتاتيلو في مرتبة الشرف لدانتي ، وقد اعتمد عليها مترجم كتابه الكوميديا الإلهية في ترجمته لدانتي ، وقد دعي دانتي في آخر حياته من قبل الأمير جيدو نوفيلو بولينتا إلى رافينا في عام (١٣١٨ م) ، ورحل إلى هناك وأنهى عمله الأخير "الجنة" وتوفي عام (١٣٢١ م) عندما بلغ من العمر ستة وخمسين عاماً بينما هو في طريقه للعودة إلى رافينا من مهمة دبلوماسية في فينيسيا ، ينظر لترجمته في مقدمة كتابه الكوميديا الإلهية الجحيم لدانتي ، ترجمة حسن عثمان ، ط٣ ، عام بدون ، لدار المعارف المصرية ، ص ٢٥ وما بعدها.

الغفران حينما رمز لمريم العذراء بالوردة السماوية ، وهذا الرمز يوحي باتصاله بالآية الكريمة السابقة في سورة الرحمن ، حيث وصف دانتي الوردة بأن أوراقها من الملائكة ، وقد كان للوردة من وجهة نظر لويس عوض "أدب غزير في العصور الوسطى الأوروبية ... وهو كله قصص ظاهره دنيوي وباطنه بحث بالخيال في الإلهيات على طريقة دانتي وليس له في التراث الكلاسيكي الأوروبي أصول معروفة ..."<sup>(١)</sup> ، وبناء على ذلك فإن لويس عوض لا يستبعد أن تكون أوروبا المسيحية قد أخذت هذا الرمز من العالم الإسلامي مترجمة رموزه الحمراء للجحيم ، وربط لويس عوض هذا الاستنباط بشاهد فيه صورة بيانية لأبي العلاء المعري ، نسج فيها أبو العلاء الوردة في سقط الزند وجعل جحيمها في الأرض لا في السماء ، وذلك في قوله :

فإذا الأرضُ وهي غبراء صارتُ مِنْ دمِ الطَّعْنِ وَرْدَةٌ كَالِدِهَـانِ

وقد تمسك لويس عوض أيما تمسك بعد استشهاده بهذا البيت باستنباطه السابق المتضمن أخذ أوروبا رمز الوردة الحمراء للجحيم من العالم الإسلامي .<sup>(٢)</sup>

غير إن هذا الاستنباط لم يرق لمحمود شاكر مطلقاً ورأى فيه تلاعباً باللغة العربية وعدم فهم لأساليب القرآن الكريم ، كما اهتم فيه لويس عوض بعدم عودته لكتب التفاسير المعتبرة ، واستخدم في كل ذلك ألفاظاً وأساليب وعبارات مقذعة تهكم فيها كثيراً بفكر لويس عوض وثقافته الأكاديمية ، والذي يهمننا من ذلك كله استنباطه المبني على استنباط لويس عوض في مدلول الوردة ، وحينما يشرع محمود شاكر في بيان معنى الوردة الواردة في الآية ، فإنه يستدعي نصاً قرآنياً آخر لدعم استنباطه وتقويته ، ويستدعي كذلك السياق الذي وردت فيه الآية موطن الاستنباط ، يقول محمود شاكر :

" ومعنى ذلك بلا إطالة هو أن الله سبحانه وتعالى ينذر عباده ويخوفهم بما سيكون يوم القيامة من الهول والفرع الأكبر ، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾<sup>(٣)</sup> فتتكدر النجوم وتنتشر الكواكب ، وتنشق السماء وتتفطر ، يتبدل لونها حمرة صافية مشرقة من شدة اللهب يومئذ ، فذلك قول الله سبحانه في صفة يوم القيامة: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾<sup>(٣٧)</sup> ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾<sup>(٣٨)</sup> ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ

(١) على هامش الغفران للويس عوض ، ص : ١٧٤ .

(٢) السابق ، ص ١٧٤ .

(٣) سورة إبراهيم الآية الكريمة رقم (٤٨) .

عَنْ ذَنْهِ إِنْسٍ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمَا فَيُؤْخَذُ  
بِالنَّوَصِي وَالْأَفْئَامِ ﴿٤٠﴾ فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤١﴾<sup>(١)</sup>.

إذن فالأستاذ محمود شاکر يرى أن الوردة هي الحمرة الصافية المشرقة من شدة اللهب ، وهو لا يعتمد في  
استنباطه على نص واحد ، بل يستنبط ذلك من قوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ ،  
ثم من آية سورة الرحمن موطن الخلاف مضموماً إليه السياق الذي وردت هذه الآية فيه ، والحق أن هذا  
الاستنباط هو الذي جرت عليه كتب العديد من علماء التفسير ، قال مقاتل في تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا  
انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ :

"فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ يعني انفرجت من المجرة، وهو البياض الذي يرى في وسط السماء وهو شرح السماء  
لنزول من فيها، يعني الرب- تعالى- والملائكة فَكَانَتْ : يعني فصارت من الخوف وَرْدَةً كَالدِّهَانِ: شبه لونها في  
التغير والتلون بدهان الورد الصافي ، قال أبو صالح: شبه لونها بلون دهن الورد، ويقال بلون الفرس الورد يكون  
في الربيع كميتاً أشقر، وفي الشتاء أحمر، فإذا اشتد البرد كان أغبر ، فشبه لون السماء في اختلاف أحوالها بلون  
الفرس في الأزمنة المختلفة"<sup>(٢)</sup> ، وقال الفراء: في قوله «وَرْدَةً كَالدِّهَانِ» أراد بالوردة الفرس الورد يكون في الربيع  
وردة إلى الصفرة فإذا اشتد البرد كانت حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة فشبه تلون السماء  
بتلون الورد من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن لاختلاف ألوانه. ويقال كدهان الأديم يعني  
لونه"<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما ذهب إليه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ، يقول الإمام الطبري :  
(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) يقول تعالى ذكره: فإذا انشقت السماء وتفتطرت، وذلك يوم  
القيامة، فكان لونها لون البرذون<sup>(٣)</sup> الورد الأحمر ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، ذكر من قال  
ذلك:

(١) سورة الرحمن من الآية الكريمة (٣٧) وحتى الآية الكريمة (٤١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ، لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ، تحقيق عبد الله محمود شحاته ، ط ١ ، عام  
١٤٢٣هـ ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت ، ج ٤ ، ص ٢٠١.

(٣) البرذون مفرد ، وجمعُه بَرَادِيئُ. وَالْبَرَادِيئُ مِنَ الْخَيْلِ: مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ نِتَاجِ الْعَرَابِ ، لسان العرب لابن منظور ، ج ١٣ ،



... عن ابن عباس (فكانت وردة كالدّهان) قال: كالفرس الورد ....<sup>(١)</sup> .

وقال في ذلك السمرقندي صاحب تفسير بحر العلوم :

" فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ يعني: صارت كدهن الورد الصافي، وهذا قول مقاتل. وقال القتيبي: صارت حمراء في لون الفرس. يعني: بمنزلة الدابة الجُلُجُون الذي تغير لونه في كل وقت، يرى لونه على خلاف اللون الأول، ويقال له: المورد ويقال: الدهن الأديم الأحمر بلغة الفارسي. يعني: الفرس الذي يكون لونه لون الورد الأحمر، يعنون أخضر يضرب إلى سواد، يتغير لونه بياض. ويقال: من هيبة ذلك زاغ فيرى أنه كالدّهان.<sup>(٢)</sup>"

وقال أبو إسحاق الثعلبي صاحب تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن :

" فإذا انشقت انفرجت السماء فصارت أبوابا لنزول الملائكة، بيانه قوله سبحانه: يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فكانت صارت وردة ، مشرقة، وقيل: متغيرة، وقيل: بلون الورد "<sup>(٣)</sup>

وقال الواحدي صاحب التفسير الوسيط في تفسير الآية الكريمة موطن الاستنباط :

" {فَكَانَتْ وَرْدَةً} ... كلون الفرس الورد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة، قال قتادة: هي اليوم خضراء كما ترون، ولها يوم القيامة لون آخر إلى الحمرة ، {كَالدِّهَانِ} .. جمع دهن، قال الفراء: شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الورد في اختلاف ألوانها، بالدهن واختلاف ألوانه ... "<sup>(٤)</sup> .

وقال الإمام البغوي في تفسيره :

" فكانت وردة، أي كلون الفرس الوردي وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة .... وقيل: إنها تتلون ألوانا يومئذ كلون الفرس الوردي يكون في الربيع أصفر وفي أول الشتاء أحمر فإذا اشتد الشتاء كان أغبر فشبه

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري ، ج ٢٣ ، ص ٥٠ .

(٢) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ، تحقيق محمود مطرجي ، ط ٢ ، عام ١٤٢٥ هـ ، لدار الفكر ببيروت ، ج ٣ ، ص ٣٨٤ .

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، تحقيق ، محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٢ م ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت ، ج ٩ ، ص ١٨٧ .

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، تحقيق وتعليق:

عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس ، قدمه

وقرظه: عبد الحي الفرماوي ، ط ١ ، عام ١٩٩٤ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ .

السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه كالدهان، جمع دهن شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الورد في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه ، وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع، وقال عطاء بن أبي رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألواناً ، وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي ، وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم ، وقال الكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن " (١).

وقد عرض فخر الدين الرازي في تفسيره لبعض من الآراء التي تؤيد استنباط محمود شاكر ، يقول الرازي في ذلك : " .. ما معنى قوله تعالى: فكانت وردة كالدهان؟ نقول: المشهور أنها في الحال تكون حمراء ذلك: يقال: فرس ورد إذا أثبت للفرس الحمرة، وحجرة وردة أي حمراء اللون. وقد ذكرنا أن لهيب النار يرتفع في السماء فتذوب فتكون كالصفر الذائب حمراء، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يقال: وردة للمرة من الورود كالركعة والسجدة والجلسة والقعدة من الركوع والسجود والجلوس والقعود، وحينئذ الضمير في كانت كما في قوله: إن كانت إلا صبيحة واحدة أي الكائنة أو الداهية ، وأث الضمير لتأنيث الظاهر وإن كان شيئاً مذكراً، فكذا هاهنا قال: فكانت وردة واحدة أي الحركة التي بها الانشقاق كانت وردة واحدة، وتزلزل الكل وخرب دفعة ، والحركة معلومة بالانشقاق لأن المنشق يتحرك، وتزلزل " (٢).

إذن فاستنباط محمود شاكر مدعوم بتوافق مع آراء كبار المفسرين كما هو ملاحظ ، ولو اكتفى بالاستنباط المباشر من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ لكان ذلك كافياً لتوافقه مع ما جاء في أمهات كتب تفسير القرآن الكريم ، ولكن شيئاً ما ألح عليه في أن يوطئ لاستنباطه هذا بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ ، ولا أظن ذاك الشيء إلا مهاداً عقلياً يزم إليه عقل المتلقي ويرغمه لأن يقرّ بهذا الاستنباط الذي هو خارج حدود العقل ، فانشقاق السماء وتلونها بالحمرة الدامية كلون الفرس الورد هو مما يجري على خلاف ما تعتاده العقول وتدركه القلوب من أهوال يوم القيامة ، تلك الأهوال التي جعل

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، للحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ،

ط١ ، عام ١٤٢٠ هـ ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت ، ج٤ ، ص ٣٣٧ .

(٢) مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ، ط٣ ، عام ١٤٢٠ هـ ، لدار إحياء التراث العربي ، ج٢٩ ،

الإيمان بها جزءاً لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر كركن خامس وأساس من أركان الإيمان الستة ، وكأن الأستاذ شاعر يريد بمهاد هذه الآية عدم مفاجأة عقل المتلقي بانشقاق السماء وتلوّنها بالحمرة كالفرس الورد موطن الاستنباط ، فلا بد قبل الشروع في ذلك الاستنباط أن يقدم له بأن السموات والأرض ستبدل يوم القيامة بتبدلات خارقة وخارجة عن نطاق العادة والمألوف ، ومنها ما استنبطه في الآية الكريمة ، وقد زاد من سهولة انتزاع إقرار المتلقي بهذا المهاد أنه من التنزيل العظيم ، والإقرار به واجب والإذعان له ملزم .

ولابد قبل مغادرة هذا الاستنباط الإشارة إلى أمر بالغ الأهمية ، فقد تمت الإشارة إلى أن محمود شاعر قد هاجم لويس عوض في هذا الموضوع هجوماً لاذعاً عنيفاً ، وقد برّر محمود شاعر هجومه بقوله بعد أن نقل كلام لويس عوض المتضمن استدعاء قوله تعالى ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ :

"وحسي حسي فقد مللت هذا ... الدعي المجترئ ، .... مالوردة السماوية ؟ ... وما وردة كالدهان ؟ أيّ مجنون يطيق أن يتكلم بهذا في كتاب يقرؤه الملايين .. فيأتي هذا التالف فيلعب بألفاظ لغته كما يشتهي علانية بلا حياء .. ويدّعي أنه قرأ تفاسير (وردة كالدهان) ، أيّ خيال من سمادير<sup>(١)</sup> الإدمان تخيل له أن السماء إذا انشقت وانتشرت نجومها يوم القيامة صارت كالوردة التي تُشم بالأنف في شكلها ؟ أهذا إنسان مفيق؟ أهذا خلق يتكلم في الآداب وفي الشعر ؟ أهذا تصور يليق بمن يحمل رأساً فيه ذرة من عقل ؟ هذا معتوه لا يخاطب...<sup>(٢)</sup>"

إذن فمحمود شاعر يرى بخطأ تفسير الوردة الواردة في الآية الكريمة بالوردة المشمومة ، وخطأ ما يترتب على هذا التفسير من أن السماء إذا انشقت وانتشرت نجومها يوم القيامة صارت كالوردة التي تُشم بالأنف في شكلها كما نسبته هو للويس عوض ، ومن الواضح بمكان أن محمود شاعر يرى أن القول بذلك عبث باللغة وادعاء كاذب لقراءة التفاسير المعتبرة التي تناولت تفسير هذه الآية الكريمة ، وهو من الأوهام والسقطات العلمية التي وقع فيها أستاذ جامعي كلويس عوض .

(١) اسْمَدَّرَ بَصْرَهُ اسْمَدَّرَاراً ... (و) السُّمْدُورُ أَيْضاً: (غِشَاوَةُ الْعَيْنِ) وَضَعْفُ الْبَصَرِ ، تاج العروس لمرتضى الزبيدي ،

ج ١٢ ، ص ٨٦ ، وفي المعجم الوسيط : (السمادير) مَا يَتَرَاوَى لِلنَّاطِرِ كَأَنَّهُ الدُّبَابُ ، الطَّائِرُ الْوَاحِدُ سَمْدُورٌ ، المعجم الوسيط ، المؤلفون : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، ط ٤ ، عام ٢٠٠٤ م ،

لمكتبة الشروق الدولية ، ج ١ ، ص ٤٤٨ .

(٢) أباطيل وأسمار لمحمود شاعر ، ص ٨٢ .

والحق أن بعضاً من المفسرين فسّر الوردة الواردة في آية سورة الرحمن الكريمة : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ بالوردة المشمومة وإن كان أولئك المفسرين لم يخرجوا بها عن إطار اللون حتى وإن فسرت بالوردة المشمومة ، ومن ذلك قول الماوردي :

" { فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ } يعني يوم القيامة . { فَكَانَتْ وَرْدَةً } فيه وجهان: أحدهما: وردة البستان ، وهي حمراء ، وقد تختلف ألوانها لكن الأغلب من ألوانها الحمرة ، وبها يضرب المثل في لون الحمرة...." (١)

ومن ذلك قول عبد القاهر الجرجاني في تفسير الآية الكريمة :

" { وَرْدَةً } زهرة ، أي تنقلب حمراء بعد أن كانت صفراء . رواه ابن عرفة عن ثعلب ، وقال الأزهري: أي صارت كالوردة تتلون ألواناً" (٢).

وقال أبو حيان الأندلسي في الآية :

" ( فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ : جواب إذا محذوف ، أي فما أعظم الهول ، وانشقاقها : انفتارها يوم القيامة ، فَكَانَتْ وَرْدَةً أي حمرة كالورد . قال ابن عباس وأبو صالح : هي من لون الفرس الورد ، فأنت لكون السماء مؤنثة ، وقال قتادة : هي اليوم زرقاء ، ويومئذ تغلب عليها الحمرة كلون الورد ، وهي النوار المعروف ، قاله الزجاج ، ويريد كلون الورد ..." (٣) .

وقد جعل ابن الجوزي القول بالوردة النبات قولاً ثانياً في معاني وردة سورة الرحمن ونسبه للماوردي ، قال ابن الجوزي : "قوله تعالى فإذا انشقت السماء أي انفرجت من المجرة لنزول من فيها يوم القيامة فكانت وردة وفيها قولان ، أحدهما كلون الفرس الوردة قاله أبو صالح والضحاك وقال الفراء الفرس الوردة تكون في الربيع وردة إلى الصفرة فإذا اشتد الحر ، كانت وردة حمراء فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون

(١) النكت والعيون ، تفسير الماوردي ، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، تحقيق السيد بن عبدالمقصود

ابن عبد الرحيم ، ط بدون ، عام بدون ، لدار الكتب العلمية بيروت ، ج ٥ ، ٤٣٦ .

(٢) دَرْجُ الدُّرِّ في تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّورِ ، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) ولید بن أحمد بن صالح الحُسَيْنِ ، (وشاركة في بقية الأجزاء): إیاد عبد اللطيف القيسي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٨ م ، لمجلة الحكمة البريطانية ، ج ٣ ، ص ١٥٨٨ .

(٣) البحر المحیط في التفسير ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق صدقي جميل ، ط بدون ، عام ١٤٢٠ هـ ، لدار الكتب العلمية بيروت ، ج ١٠ ، ص: ٦٥ .

الوردة من الخيل .... والثاني أنها وردة النبات وقد تختلف ألوانها إلا أن الأغلب عليها الحمرة ....<sup>(١)</sup> .

وبذلك يعلم أن تفسير الوردة بالوردة النبات المشمومة هو مما قاله بعض علماء التفسير أيضاً في التراث العربي ، وهو من الآراء المحتملة لدى بعضهم وغير المستبعدة ، والحق أن شيئاً من الغيظ يتجدد توقده في نفس محمود شاكر على لويس عوض بسبب آرائه في أبي العلاء المعري ، كانت السبب الأبرز في رفض محمود لآراء لويس عوض وتخطئتها قبل تمام التحري عنها والتتبع لجذورها ، فلويس عوض كان على اطلاع بكتب التفاسير حينما قال : "ولكن الوردة الواردة في القرآن وتفسيرها هي المقابل الأصلي الذي خرجت منه كل هذه الاجتهادات في أدب الوردة على أرجح الاحتمالات ...."<sup>(٢)</sup> .

ودليل اطلاعه أن قوله نباتية وردة آية سورة الرحمن قول فيه اتباع لا ابتداء لعلماء معتبرين ، وليس من الصواب اتهام لويس عوض بناء على ذلك بعدم اطلاعه على كتب التفاسير بناء على آرائه العلمية ومحاكمتها على أساس من ذلك ، كما أننا لا نملك حق نقد كلام لويس عوض بناء على ما نفهمه لا بناء على ما ينطقه هو بقلمه ، فقد كررت قراءة قسم الكوميديا الإلهية (الفردوس) القسم الأخير من كتاب على هامش الغفران وقبلها الكوميديا الإلهية (الجحيم) فلم أجد فيها أن لويس عوض شبه فيها انشقاق السماء بالوردة في شكلها كما قاله محمود شاكر ، وكل ما في الأمر أنه قام بعرض فردوس دانتي وترقيعه في كوميدياه الإلهية إلى السموات التسع مستخلصاً تأثر دانتي بحادثة المعراج في التراث الإسلامي والقرآن الكريم ورسالة الغفران ، وقد عرض أثناء عرض نعيم دانتي عن الوردة النبات ونقل فيها أقوالاً مترجمة وعلى الترتيب بحسب ذلك العرض:

القول الأول : على لسان باترياس (شخصية في كوميديا دانتي الإلهية ) مخاطبة دانتي (بطل فردوس الكوميديا الإلهية) : "لم تدلّ في عشق وجهي حتى أهلك العشق عن النظر إلى الحديقة الفاتنة التي أينعت تحت ضياء المسيح ، هاهي ذي الوردة التي فيها أصبحت الكلمة الإلهية جسداً ، وهذا هو السوسن الذي هدى شذاه إلى الطريق القويم ، وكانت الوردة هي مريم العذراء (روزا ميستيكا) كما كانوا يسمونها"<sup>(٣)</sup>

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن مُجَدَّ الجوزي ، ط ٣ ، عام ١٤٠٤ هـ ، للمكتب الإسلامي

بيروت ج ٨ ، ص ١١٨ .

(٢) على هامش الغفران للويس عوض ، ص ١٧٦ .

(٣) السابق : ص ١٦٦ .

القول الثاني : على لسان دانتي قوله : "وقال عن الوردة : إن اسم الزهرة الجميلة الذي أناديه في صباحي ومساءلي قد شغل عقلي ؛ فعاقني عن النظر إلى النار الكبرى ، وحين امتلأت عيني بضياء ذلك النجم .... رأيت مشعلا من وسط السماء يرسم دائرة في صورة إكليل من الزهر هبط وأحاط به كالزناد " (١) .

القول الثالث : على لسان دانتي قوله : "قال دانتي : ورأيت النور في هيئة نحر يتلأل بالضياء يجري بين صفتين ... ومن هذا المجرى خرجت شرارات حية ، وفي الجانبين كانت هذه الشرارات تستقر في الأزهار ، وكأنها عقيق يساوره الذهب " (٢) .

القول الرابع : على لسان دانتي قوله : " وجذبتني بياتريس في صمت من يريد الكلام ، فأدخلتني بين أوراق الوردة الأبدية الصفراء التي تنتشر على مدى واسع " (٣) .

القول الخامس : على لسان دانتي بعد أن طلبت منه بياتريس النظر الدير الرحب ذي الأردية البيضاء : "ولكن دانتي لم ير الوردة البيضاء الصافية البياض إلا حول العرش وكانت أوراقها من الملائكة الناصعة البياض ، ورأى راية السلام منشورة في وردة الفردوس حيث جلست مريم العذراء ، وتنتهي الكوميديا الإلهية بصلاة موجهة للعذراء وبرؤيا الخلاص الأبدي في النعيم " (٤) .

القول السادس : للويس عوض نفسه بعد أن لاحظ العلائق بين فردوس دانتي في الكوميديا الإلهية وقصة المعراج ، واستنباطه وجود علائق أخرى بين فردوس دانتي والقرآن الكريم ورسالة الغفران ، ولا بد من نقل كلام لويس عوض على طوله ؛ لأنه بعينه ما اقتبسه محمود شاكر نصاً للتهكم به على لويس عوض ونقده :

"غير أن بعض التفاصيل الواردة في فردوس دانتي توحى بأنه اقتبس أيضا من القرآن الكريم ومن رسالة الغفران وربما من غير ذلك من المصادر الإسلامية ، فتصويره للوردة السماوية يوحي بأن له صلة ما بما جاء في سورة الرحمن : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ، وقد اتخذ دانتي من وردة الفردوس البيضاء رمزا لمريم العذراء فينوس السماوية أم الحب الإلهي ، ووصف الوردة بأن أوراقها هي الملائكة ، وكان نقيضها في العصور

---

(١) على هامش الغفران للويس عوض ، ص ١٦٧ .

(٢) السابق ص : ١٦٨ .

(٣) السابق ص : ١٦٨ .

(٤) السابق ص : ١٦٨ .

الوسطى هو الوردة الحمراء ، رمز فينوس الجسدية أم الحب الشهواني ، وقد كان للوردة أدب غزير في العصور الوسطى الأوروبية ، مثل رواية الوردة الشهيرة ، وهو كل قصص ظاهره دنيوي ، وباطنه بحث بالخيال في الإلهيات على طريقة دانتي ، ومنه ما هو سابق لدانتي وليس له في التراث الكلاسيكي الأوروبي أصول معروفة ، فليس يبعد أن تكون أوروبا المسيحية .... أخذته من العالم الإسلامي عن طريق أسبانيا ، وصقلية ، وترجمت رموزه الحمراء رمزا للجحيم ، والمعري نفسه ينسج على صورة الوردة في سقط الزند ويجعل جحيم الوردة الحمراء في الأرض لا في السماء :

فإذا الأرضُ وهي غبراءُ صـارتْ  
مِنْ دمِ الطَّعْنِ وَزْدَةً كَالِدِهَـا

ولكن الوردة الواردة في القرآن وتفسيرها هي المقابل الأصلي الذي خرجت منه كل هذه الاجتهادات في أدب الوردة على أرجح الاحتمالات <sup>(١)</sup> "

وكما يلاحظ من جميع الأقوال السابقة التي ترجمها لويس عوض عن الكوميديا الإلهية المختصة بالوردة ، وكذلك القول الأخير على لسانه هو شخصياً ، فإنه لم يشبه فيها ولا في غيرها انشقاق السماء بالوردة بجامع شكل كل منهما كما قاله محمود شاكر ، بل جعل تصوير دانتي للوردة السماوية ذا صلة ما بما جاء في آية سورة الرحمن دون أي تفسير منه مباشر للآية الكريمة ، كما أنه جعل من تلك الوردة السماوية رموزاً خيالية للنعيم والجحيم ، ولو قال بذلك لويس عوض صراحة لم يكن إلا متبعاً لأقوال بعض علماء التفسير ، وشاكر حينما أقذع في نقد لويس عوض في هذا الموضوع تهكم كثيراً على بعض المصطلحات مثل (الوردة السماوية ، روزا مستيكا ) ، وكما هو ملاحظ من ثبت الأقوال التي وردت فيها الوردة في القسم الأخير من (على هامش الغفران) فيما سبق آنفاً ، فإن لويس عوض لم يورد هذه المصطلحات إلا مترجماً حرفياً لكوميديا دانتي الإلهية ، ولم يأت بها تشدقاً أو حشواً من القول ، لاسيما وأن ترجمة هذه الكوميديا بما فيها هذه المصطلحات التي تهكم عليها محمود مقارنة نقدية جادة استطاع فيها لويس عوض أن يثبت تأثر أدب العصور المسيحية الوسطى بحادثة المعراج تحديداً وبالقرآن الكريم ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، وعند إنعام النظر فيما ترجمه وعرضه لويس عوض في القسم الأخير تحديداً من كتابه على هامش الغفران (الكوميديا الإلهية الفردوس) ومقابلته ذلك بالنصوص التي تحدثت عن حادثة المعراج تحديداً ورصدتها بتفاصيلها الدقيقة ، فإنه من الصعب جداً إنكار تسرب أثر حادثة المعراج تحديداً في الكوميديا الإلهية (الفردوس) تحديداً .

## المبحث الثاني : الاستنباط بين الظهور والخفاء.

### أولاً : الاستنباط الظاهر :

إن فهم النصوص فهماً صحيحاً هو الأساس القويم الذي يقوم عليه الاستنباط ، ومن الصعب جداً أن يصح الاستنباط بدون فهم جيد للمقتضى النصي المستنبط منه ، وقد يواجه المستنبط بعضاً من النصوص الظاهرة المعنى لا يحتاج لاستنباط معناها إلى كد فكر وتأويل فهم ، فهي من الواضح بمكان يجعلها باباً مشرعاً يستطيع المستنبط وبكل سهولة استنباط ما يريد منها دون عناء ، وقد واجه محمود شاعر كثيراً من صنف هذا الاستنباط ، وهو حين يواجهه يوجز فيه القول ويختصر فيه العبارة ، فوضوحه يغني عن كل البسط في القول والزيادة فيه ، ولو زاد المستنبط في هذا الصنف بياناً وتفصيلاً فيه لعماءه وألبسه الغموض وعزاه عن وضوحه وظهوره وجلائه .

ومن هذه الاستنباطات عند محمود شاعر استنباطه استنباطاً مباشراً من قصيدة لعباس العقاد ، جاء على خلفية ردود موجهة لسيد قطب ، بعد أن رد الثاني بعضاً من نقادات هذه القصيدة للرافعي أستاذ شاعر وصديقه الحميم ، فما كان من شاعر إلا أن انبرى لسيد قطب يدعم نقادات أستاذه الرافعي ويخطئ ردود سيد قطب عليها ، ومن ذلك قوله معلقاً على قصيدة العقاد (غزل فلسفي : فيك من كل شيء) <sup>(١)</sup>:

" ونحن حين قرأنا قصيدة العقاد لأول مرة في مجلة المقتطف .... زعمنا أنها قصيدة مؤلفة من غير مادة الشعر، وأن الغزل الفلسفي الذي فيها حديث يتهالك والفلسفة منطق يتماسك ، فهي على ذلك ليست من شعر ولا فلسفة ، وهذا هو بديهة الرأي لمن يقرأ هذه القصيدة ويتدبر معانيها ، ويقيسها إلى غرض صاحبها ، فإنه سَمّاها أول ما سمى (غزلاً فلسفياً) ، ثم أتبع هذا وفي رأسها ما يشبه تفسيراً لهذا العنوان ، وما يتضمن فحوى القصيدة ، ويحدد جملة معانيها ، وذلك قوله " فيك من كل شيء... " <sup>(٢)</sup>

إذن فمحمود شاعر استنبط استنباطاً مباشراً من نص ظاهر المعنى وهو عنوان القصيدة الرئيس الذي وضعه الشاعر وعنون به قصيدة ، استنبط منه أن القصيدة مؤلفة من فلسفة تتساقط معها لغة الشعر وتتهاوى ،

---

(١) ديوان وحي الأربعين لعباس بن محمود العقاد ، ط ١ ، عام ٢٠١٢ م ، المؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر . ص

٥٣ وما بعدها .

(٢) أباطيل وأسمار ، لمحمود شاعر ، ج ١ ، ص : ١٤ .



مع ربطه استنباط فلسفة القصيدة من عنوانها بمبناها الذي يأتي على رأسه قول العقاد (فيك من كل شيء) ، حيث يرى أن العرب والفلاسفة جميعاً يزعمون أن لفظ كل إذا دخل على النكرة ألبس أفرادها عموماً على سبيل الشمول فقط دون التكرار ، ويستخدم شاعر لشرح هذه الفلسفة لغة فلسفية ليست معهودة في أسلوبه السلس وبيانه الرصين ؛ كل ذلك في محاولة منه لبسط سلطة استنباطه بتسرب الفلسفة في القصيدة تسرباً أضّر بلغتها الجمالية ووآد جمال الشعر بين كلماتها ، يقول شاعر :

" فكذا أوجب الشاعر على صاحبه أن يشمل جوهر شخصيتها جزءاً من كل ما يمكن أن يسمى شيئاً ، ومن كل ما يسوغ أن يسمى موجوداً موعوداً ، وهذا الإطلاق من فيلسوف يتغزل يقتضي شمول الأفراد من كل شيء ، ومن كل موجود .... ولكن أين تذهب بمعنى اللفظ (كل) في العربية وفي حدود الألفاظ التي تدور على ألسنة الفلاسفة ؟ وأي دلالة توجب قبض معنى الشمول من هذا اللفظ ؟ أو أي مسوغ يجيز الحد من الإحاطة التي يقتضيها هذا الحرف في مجرى قول الشاعر فيك من كل شيء ، وفيك من كل موجود ؟ " (١).

واستنباط محمود شاعر من قوله (كل شيء) مبني على استنباط أستاذه الراجعي والذي يختصره الراجعي بقوله : "وهناك ضرب من المبالغة يجيء من سقوط الخيال ... وهذه المبالغة تأتي من جمع أشتات مختلفة وإدماجها كلها في معنى واحد ، كهذا الذي حاول أن يدمج الطبيعة كلها في حبيبته ، فزعم أن فيها من كل شيء ، ونسي أن كل قبيح وكل بغيض هو من كل شيء " (٢).

وشاعر وقبله الراجعي يريدان بنقدهما هذا قول العقاد من قصيدته غزل فلسفي :

فِيكَ مَتِي وَمَنْ النَّاسِ وَمِنْ — كُلِّ موجودٍ وموعودٍ تُؤَامُ (٣)

والحق أن هذا النقد صحيح لو كان هذا البيت وثراً لا شافع له ، فالقبح جزء من قوله (كل موجود) ، و نسبة القبح وما شابهه مما تشتمل له النفوس و هو إلى الهجاء أقرب منه إلى الغزل وإن كان مقامه غزلاً ، ولكن البيت ليس فرداً لا شافع له ، بل هو جزء من قصيدة أسماها شاعرها بالحب الفلسفي ، وهو لا يريد من الفلسفة لا لغة شعرية ولا تصويراً فلسفياً ولا نمطاً يشابه أنماط الفلاسفة المغرقة في الغموض والجفوة ، بل يريد من هذا

(١) أباطيل وأسمار لمحمود شاعر ، ج ١ ، ص : ١٥ .

(٢) وحي القلم لمصطفى الراجعي ج ٣ ، ص : ٢٩٣ .

(٣) وحي الأربعين ، ص : ٥٥ .

العنوان ومن القصيدة كلها فلسفة غزلية جديدة يتحدث بها عما يكتن بين جوانحه تجاه محبوبته ، فهو يتحدث عن الأثر البالغ الذي خلفته في نفسه محبوبته وهي تتراءى له من وراء كل شيء وإن كان ذلك الشيء ليس بجميل ، وقد أراد من ذلك أن يكون غزله مخصوصاً ومختلفاً عن الكثير من سياقات الغزل التقليدية في الشعر العربي .

والشاعر ليس بمؤاخذ حين يرى محبوبته في لغة الخيال الشعري أينما قلب نظره ، بشرط أن يتأول لذلك تأويلاً يتناسب مع طبيعة النسيب ورقة الغزل ، فعنترة بن شداد العبسي رأى محبوبته في لمعة السيوف وهو في معترك تضرب فيه الرقاب ، وتُجْزُ فيه الرؤوس ، وتسيل فيه الدماء ، وتنشتر فيه رائحة الموت ، وتثير فيه حوافر الخيل وأقدام الراجلين النقع ، ومع كل ما في ذلك من معانٍ تتضاد مع الجمال ، ومع كل ما فيه من المعطيات التي لا تحفز الشاعر لاستخدام لفظة رقيقة للتعبير عما يدور في ميدان المعركة ، يفجؤنا عنترة بعد أن يصف ذلك كله بقوله :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحَ نَوَاهِلُ  
مِئِي وَيِضُّ الْهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي

فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السِّوْفِ لَأَهَّا  
لَمَعَتْ كِبَارِقُ ثَعْرِكَ الْمَتَبَسِّمِ<sup>(١)</sup>

قال هذين البيتين بعد أن كان يقول :

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ  
يَتَذَامُرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُدَمِّمِ

يَدْعُونَ عَنَتَرَ، وَالرِّمَاحَ كَأَهَّا  
أَشْطَانُ بَغْرِ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ

كَيْفَ التَّقَدَّمَ وَالرِّمَاحَ كَأَهَّا  
بَرْقُ تَلَالُأُ فِي السَّحَابِ الْأَزْكَمِ

(١) هذان البيتان في ديوان عنترة ولم يذكرهما ضمن معلقته (هل غادر الشعراء من متردم) بل ذكرنا كبيتين مستقلين لا ثالث

لهما ، ينظر لشرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ، ص ١٩١ ، و ينظر لديوان عنترة ، ص ٨٤ ، ط ٤ ، عام

١٨٩٣م ، على نفقة أمين الخوري ، مطبعة الآداب ببيروت ، ولمناسبتها بمعلقته أدرجها بعض العلماء ضمن

معلقته كأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، صاحب جمهرة أشعار العرب ، ص ٣٧٦ ، ووردت مدرجة

بالمعلقة كذلك في شرح المعلقات التسع المنسوب لأبي عمرو الشيباني ، ص ٢٤٠ .

كَيْفَ التَّقَدُّمُ وَالسَّيُوفُ كَأَنَّهَا  
 مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِعُرَّةٍ وَجْهَهُ  
 فَازَوَّرَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانَهُ  
 فَتَرَكْتُ سَيْدَهُمْ لِأَوَّلِ طَعْنَةٍ  
 رَكِبْتُ فِيهِ صَعْدَةً هِنْدِيَّةً  
 وَالْحَيْلُ تَفْتَحُ الْعُبَارَ عَوَائِسًا  
 وَلَقَدْ حَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ  
 الشَّامِتِي عِرْضِي، وَلَمْ أَشْتَمُهُمَا  
 إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا  
 وَلَقَدْ تَرَكْتُ الْمَهْرَ يَدْمَى نَحْرُهُ  
 إِذْ يُتَّقَى عَمْرُو وَأُدْعَى غَدُوَّةُ  
 يَحْمِي كَتِيبَتَهُ وَيَسْعَى خَلْفَهَا

عَوَا جَرَادٍ فِي كَثِيبٍ أَهْيَمِ  
 وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرُبَلَ بِالْدَمِ  
 وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحُمِ  
 يَكْبُو صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ  
 سَحْمَاءَ تَلْمَعُ ذَاتَ حَدٍّ هُنْدَمِ  
 مَا بَيْنَ شَيْطَمَةٍ، وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ  
 لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي ضَمَضَمِ  
 وَالتَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمْ أَلْقُهُمَا دَمِي  
 جَزَرَ السَّبَاعِ وَكَلَّ نَسْرٍ قَشَعِمِ  
 حَتَّى اتَّقَنِي الْحَيْلُ بَابِي حَدْلِمِ  
 حَدَرَ الْأَسِنَّةِ إِذْ شَرَعْنَ لِدَهْمِ  
 يَفْرِي عَوَاقِبَهَا كَلْدَغِ الْأَرْقَمِ

ولقد عمدت إلى اختيار الأبيات الأكثر دموية قبل البيتين الأول ليعلم أن تذكر الحبيبة التي يتغزل بها شاعر ما ليس بالضرورة أن يكون في سياق الغزل التقليدي ، فقد جاء بيتا عنتره السابقين على ما فيهما من رقة وعذوبة وسلاسة وتمكن من المعنى بعد سياق الموت والدماء وصليل السيوف والطعن والكر والفر ، فللشاعر الحق في تذكر حبيبته وذكرها حتى مع رؤية الدماء وسيطرة الموت وغلبة القتل والطعن ، وليس أفضع على النفس وأشد بأساً من ذكر الموت والقتل والطعن ، وكأنها مع تلك الفظاعة وشدة البأس يستحيل أن تتواءم مع سياق الغزل إلا في عالم الشعر وخياله ، وفي حدود إمكانات الشاعر وقدراته التصويرية والبيانية التي تستطيع أن تلح علينا في قبول ربط هذه السياقات المتنافرة ببعضها ربطاً محكماً ، وقريب من بيتي عنتره قول ابن رشيق القيرواني :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ فِي السَّفِينَةِ وَالرَّدى  
 وَالْجُوُّ يَهْطِلُ وَالرِّيحُ عَوَاصِفُ  
 وَعَلَى السَّوَّاحِلِ لِلْأَعَادِي غَارَةٌ  
 وَعَلَتْ لِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ضَجَّةُ

مُتَوَقِّعٌ بِتَلَاطِمِ الْأُمُوجِ  
 وَاللَّيْلُ مُسَوِّدُ الذَّوَائِبِ دَاجِ  
 يُتَوَقَّعُونَ لِغَارَةٍ وَهِيَ جَاجِ  
 وَأَنَا وَذِكْرُكَ فِي أَلَدٍ تَنَاجِي<sup>(١)</sup>

(١) ديوان ابن رشيق القيرواني ، جمعه ورتبه عبد الرحمن باغلي ، ط بدون ، عام ١٩٨٩م ، لدار الثقافة ببيروت ، ص

وعلى هذا فإن الغزل الذي سَمَّاه العقاد فلسفة له جذور في فصيح الكلام وفي شعر العرب ؛ فليست نظرة العقاد لمحبوته في كل شيء هي النظرة الأولى لشاعر ينتسب للسان العرب وأدبهم حتى وإن كان الشيء قبيحاً. وغاية ما في الأمر أن استنباط محمود شاكر لفلسفة القصيدة من عنوانها المباشر استنباطاً هو بعينه استنباط من النصوص الظاهرة المعنى ، فليس أدل ظهوراً من معنى عنوان قصيدة وضعها شاعر بنفسه يختزل فيه كثيراً مما اشتملت عليه معانيها وتكونت منه أجزاءها ، على أن الفلسفة التي قصدها الشاعر لا ترتبط كثيراً بالفاظ الفلاسفة وخياراتهم التركيبية ، بل هي في حقيقة الأمر مرتبطة بفلسفة خاصة بالشاعر يرى فيها محبوبته في كل شيء وكأنها لا تغيب عنه ولا ينفك ذكرها عن عقله بغض النظر عن الأمر الذي يراها فيه ، فطبعاً كان أو لطيفاً ، جميلاً كان أو قبيحاً ، فليس المرئي وحده هو ما يذكره بحبيته لتناسب بين ما يراه وبين حبيته ؛ بل لأن حبيته عالقة وراسخة في ذهنه وقلبه وناظره ، وكأنها حينما ينظر إلى كل الأشياء تظهر لديه كاللقطة الأولى التي تسبق نظره لأي شيء ، ويزيد من حظوظ صحة أن تكون هذه القصيدة فلسفة بهذا الاعتبار أن كلمة العقاد :

فِيكَ مِنِّي وَمِنَ النَّاسِ وَمِنْ— كُلِّ موجودٍ وموجودٍ تُؤَام

والتي هي موطن النقد وموضع الخلاف ، جاءت في آخر هذه القصيدة وكأن الشاعر يطالبنا أن نقيس مالم يذكره بما هو داخل تحت قوله (من كل موجود) بما قاله قبل هذه الكلمة ، فقد قال قبل ذلك :

فِيكَ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى الْعَيْنُ الَّتِي	تُرْسَلُ اللَّمَحُ مُضِيئًا فِي الظَّلَامِ
فِيكَ مِنْ بَدْرِ الدُّجَى أَحْلَامُهُ	حِينَ يَسْرِي نَائِمًا بَيْنَ نِيَامِ
فِيكَ مِنْ كُلِّ ربيعٍ طَلَعَةٌ	تُنْبِتُ النُّصْرَةَ عَامًا بَعْدَ عَامِ
وَالشَّتَاءُ الْجَهْمُ لَا يَعْدُوكَ مِنْ	عَهْدِهِ الْعَاصِفُ بَرْقٌ وَعَمَامِ
مَا تُعَيِّ الطَّيْرُ إِلَّا بَعْضَ مَا	أَنْتَ رَاوِيهِ، وَلَا نَاحَ الحَمَامِ
وَإِذَا الْجُدُولُ نَاغَى نَفْسَهُ	فَهِيَ أَصْدَاؤُكَ مِنْ غَيْرِ كَلَامِ
وَصُنُوفُ الْوَحْشِ هَلْ نَظَرَتْهَا	مِنْ نِقَارٍ بَيْنَكُمْ أَوْ مِنْ وَثَامِ؟
لَا انْفِتَالُ الْحَوْتِ تَنْسَاهُ وَلَا	سَطْوَةُ النَّسْرِ وَلَا خَوْفَ النَّعَامِ
فِيكَ مِنْ نَارِ الْحَيَاتَيْنِ الْهُوَى	هَلْ حَيَاةُ الْحَيِّ إِلَّا مِنْ ضِرَامِ؟
وَالَّذِي أَرْهَبُهُ وَأَسْفَا	هَجْرَكَ الْمَدْعُو بِالْمَوْتِ الرُّؤَامِ

فِيكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَقْصٌ رَائِقٌ  
وَمِنْ الْأَمْلاكِ طَيْبٌ وَرِضَاٌ  
وَمِنْ الْحَمَرَةِ سُكْرَاهَا إِذَا  
وَمِنْ الْقُوْتِ غِذَاءٌ وَمِنْ أَلْ—  
فِيكَ مِنْ أَرْضِكَ حَظٌّ وَافِرٌ  
فِيكَ مِنْ هَنْدَسَةٍ عَلْوِيَّةٍ  
وَمِنْ الْفَنِّ مِثَالٌ بَـاذِخٌ

وَمِنْ الْأُخْرَى تَبَاشِيرُ التَّمَامِ  
وَمِنْ الشَّيْطَانِ غَيٌّ وَأَثَامِ  
أَسْلَسْتُ فِي النَّفْسِ أَوْ طَاشَ الرِّمَامِ  
مَاءٌ رَيٌّ ، وَمِنْ الْجُوعِ هِيَـَامِ  
وَحُطُوطٌ مِنْ سَمَاءٍ لَا تُـَرَامِ  
مَا اسْتَدَارَ الْخَطُّ فِيهِ وَاسْتَقَامِ  
هُوَ لِلْمَثَالِ وَالشَّادِي إِمَامِ

ومن هذه الأبيات السابقة للبيت المشتغل على قوله (من كل موجود) ، يتبين أن الشاعر يرى أن محبوبته فيها من شمس الضحى ، وبدر الدجى ، والربيع النَّضِير ، والشتاء الجهم ، والطير الشادي ، والحمام النائح ، وجدول الماء ، وصنوف الوحش التي لا تُسْتَأْنَس ، والحوت ، والنسر ، والنعام ، والنار ، والدنيا ، والملائكة ، والشياطين ، والخمرة ، والقوت ، والأرض ، والسماء ، والهندسة ، والفرن ، ويمكن لنا أن نضع هذه الكلمات بإزاء تلك الكلمات التي اقترحها الراجعي والأستاذ محمود شاكر الداخلة تحت نطاق (من كل موجود) (البق والقمل والنمل والخنفساء والوباء والطاعون والهيفة وزيت الخروع والملح الإنكليزي) ؛ فهذه الأشياء بحسب الراجعي وشاكر داخلة تحت نطاق (كل موجود) باعتبارها من الموجودات وباعتبار العموم الكبير الذي يقتضيه التعبير بهذه الكلمة ، فكيف للشاعر أن يجد شيئاً من محبوبته في هذه الأشياء باعتبارها من الموجودات ؟ والجواب عن ذلك يكمن في أن العقاد فاجأنا بأشياء قد يكون بينها وبين الكلمات التي اقترحها الراجعي وشاكر شيئاً من المؤانسة والاتفاق ، كالشتاء الجهم البائس ، وكالحوت ، والنسر ، والنار ، والشياطين ، وقد استطاع خيال الشاعر إيجاد مناسبة لرؤية حبيبته في هذه الأشياء التي لا ترغبها النفس ، وهذه المناسبة تحديداً هي الفلسفة التي أرادها الشاعر في قصيدته ، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الشاعر قصد قصداً لأن يختتم تعداد الأشياء التي يرى محبوبته في شيء منها بقوله (كل موجود) ، وكأنه يضع للمتلقي بهذه الكلمات أشياء أخرى كنماذج وأقيسة يستطيع أن يقيسها على الأشياء التي ذكرها أولاً وكّد خياله في إيجاد مناسبة لها مع محبوبته .

ومن الاستنباط من النص الظاهر المعنى عند محمود شاكر استنباط جاء على خلفية موازنة عقدها بين روايتين لكلام منقول عن جد الرسول ﷺ عبد المطلب ، وذلك أن أم رسول الله ﷺ قد خرجت بالنبي ﷺ إلى المدينة المنورة تزور أخواله فماتت وهي عائدة إلى مكة المكرمة ، وله ﷺ ست سنين ، فكفله بعد أمه آمنة بنت وهب

جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يرى في الرسول ﷺ ما يسره ويسعده فيقر به إليه ويدنيه منه ، "حتى كان ﷺ يدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، ويجلس على فراشه ، فإذا أراد بنو عبد المطلب منعه قال عبد المطلب : دعوا ابني فإنه يؤنس ملكاً" <sup>(١)</sup> .

قال محمود شاكر معلقاً على قول عبد المطلب :

" في ابن سعد : ج ١ ، ص ٧٤ ، <sup>(٢)</sup> (ليؤنس) ، وهي أجود ، أي أنه يحس ذلك ويعلمه ... " <sup>(٣)</sup>

فقد استنبط محمود شاكر من النص الظاهر المعنى لرواية الطبقات الكبرى لابن سعد زيادة في معنى الإحساس والعلم بالشيء في هذه الرواية ، من زيادة لام التوكيد على الفعل (يؤنس) ، وهي زيادة في معنى الإحساس لا تكاد تكون في رواية المقرئ لخلوها من لام التوكيد ، وبناء على هذا الاستنباط فمحمود شاكر يبني استنباطاً آخر يرى فيه أن رواية ابن سعد أجود من رواية المقرئ .

والملاحظ أن الشخصية الفاحصة الناقدة المستنبطة لهذه الأحكام هي الشخصية اللغوية البيانية لمحمود شاكر ، وليست الشخصية العالم بالروايات التي تقارن بين ما تجده من روايات وتختار الأصح منها بحسب ما تقتضيه ضوابط الرواية ، فقد كان معيار مقتضى الدلالة اللغوية سبب اختيار محمود لهذه الرواية واستنباطه معنى زيادة الإحساس والعلم بالشيء من زيادة لام التوكيد على الفعل (يؤنس) .

والحق أن استنباط محمود شاكر هنا استنباط دقيق ومتوافق مع الوجهة اللغوية والبيانية لكلام عبد المطلب ، فقد ذكر جمع من أهل العلم بنحو العربية بأن عدد اللامات في اللغة العربية إحدى وأربعون لاماً ، منها لام التوكيد " وهي مفتوحة وقبلها نون مشددة لا تأتي إلا بعد إن وإنا وإنك وإنكم وإنهما ، وإنه ، وذلك

---

(١) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ، لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، حققه وشرحه

وصححه محمود شاكر ط ٢ ، عام بدون ، للشؤون الدينية بقطر ، ج ١ ، ص ٧ .

(٢) يقصد بـابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، البصري ، البغدادي المعروف بـابن سعد المتوفى :

٢٣٠ هـ ، صاحب كتاب الطبقات الكبرى ، حققه إحسان عباس ، ط ١ ، عام ١٩٦٨ م ، لدار صادر ببيروت ، وقد وجدت هذا النص في هذه الطبعة في الجزء الأول ، وفي الصفحة : ١١٨ ، كما وجدته في نفس الكتاب ، تحقيق علي محمد عمر ، ط ١ ، ط ١ ، عام ٢٠٠١ م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٣) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع للمقرئ ، الحاشية رقم : ٢ ، ج ١ ، ص ٧ .

مثل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> ، و ﴿إِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾<sup>(٣)</sup> و ﴿يَقُولُ أَأَنْتَ لِمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> و ﴿وَإِنْكُمْ لَتَمُوتُنَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾<sup>(٥)</sup> و ﴿إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٦)</sup> و ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾<sup>(٧)</sup> .

فنون التوكيد تفيد مزيداً من التوكيد الذي يحتاجه السياق ويطلبه المعنى ؛ لأنها تفيد تثبيت المعنى وتقويته في ذهن المخاطب ، إذ لا تستخدم مع كل ضرب من ضروب التعبير ، وإنما يحسن استخدامها بل ويلزم حين يكون المخاطب منكراً وفي حاجة إلى تثبيت الخبر وتقويته له ، والمخاطبون هنا هم بنو عبد المطلب الذين لا يرون في محمد ﷺ ما كان يراه جده عبد المطلب ، إذ لو كانوا يرون شيئاً من ذلك ما قاموا بمعاملته معاملة تنتهي بمنعه من دخوله خلوة جده وفراشه ، فلزم عليه أن يسوق الكلام مؤكداً لهم كئاد نفسه مما كانت تحس به نفسه تجاه حفيده ﷺ ، وهذا توفيق من الله لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فإحساس جده هذا يضمن له مزيداً من الرعاية والعطف كأشد ما يحتاج إليه اليتيم، فالكلام إذن يقتضي مزيداً من التوكيد لا تقوم به إلا لام التوكيد ، وشبيه ورودها في هذا الموضع بورودها في سياق القسم وكأن كلام جد الرسول ﷺ قسم لم يقسمه لفظاً ، وإنما وقع في قلبه وفي معنى كلامه موقع المقسم به المتيقن من حدوثه ووقوعه ، وبناء عليه فالرواية الأجود بياناً هي رواية ابن سعد في الطبقات ووجه جودتها في استنباط شاكر قد لا يكون إلا في حاجة الخطاب لتوكيد يقرر المعنى ويقويه في ذهن المخاطب .

(١) سورة الحج ، الآية الكريمة رقم : (٥٩) .

(٢) سورة النحل ، الآية الكريمة رقم : (١٨) .

(٣) سورة هود ، الآية الكريمة رقم : (٦٢) .

(٤) سورة الصافات ، الآية الكريمة رقم (٥٢)

(٥) سورة الصافات ، الآية الكريمة رقم (١٣٧) .

(٦) سورة القارعة ، الآية الكريمة رقم (٨) .

(٧) سورة الشعراء ، الآية الكريمة رقم : (٥٤) ، وينظر لنص الخليل الوارد فيه هذه الآيات الكريمة لكتاب إعراب القرآن

وبيانه ، لمحبي الدين بن أحمد ط٤ ، عام ١٤١٥ هـ ، لدار اليمامة بدمشق ، ج٧ ، ص ٤٦٣ .

## ثانياً : الاستنباط الخفي :

ونقصد هنا بالاستنباط الخفي عكس الاستنباط السابق في المبحث السابق وهو الاستنباط من النصوص الظاهرة المعنى ، فالاستنباط الخفي هو الاستنباط من النصوص غير الظاهرة المعنى تماماً ، والاستنباط من هذه النصوص يتوقف على ضرورة أساسية لا يتم الاستنباط إلا بها ، وهي الفهم الدقيق للنص بفهم لغته ودلالاتها والاستئناس بشروح أهل العلم ومعاجم اللغة كلما استغلق فهم نص ما ، فيلزم كل مريد للاستنباط من مثل هذه النصوص معرفة المعنى المعجمي الصحيح لمفرداتها وربطه بمجازات اللغة وبلغة الشعر ، ولا بد من التسليم عند ذلك بأن فهم اللغة من معاجم اللغة فقط والاكتفاء بها في تفسير الشعر ربما يورط مستنبط معاني بعض النصوص في أخطاء قد تمتد لتطال النص بأكمله ، وهذا النوع الاستنباط في النصوص الأدبية يقابله عند علماء التفسير الاستنباط من الآيات غير ظاهرة المعنى ، والتي يشترط العلماء للاستنباط من مثل هذه الآيات الفهم الدقيق لها والرجوع للنقل والسماع لمعرفة مشكلها ، واعتبروا كل مفسر لا يفعل شيئاً من ذلك في مثل هذه الآيات مفسراً بالرأي ، وفي ذلك يقول الإمام القرطبي صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن بعد أن ذكر الوجه الأول من وجوه فساد التفسير بالرأي :

"الوجه الثاني : أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية ، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة ، وما فيه من الاختصار ، والحذف والإضمار ، والتقديم والتأخير ، فمن لم يُحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي ."<sup>(١)</sup>

ومثل ذلك ينطبق على من يستظهر من النصوص الأدبية ويستنبط منها معتمداً فقط على ظاهر اللغة العربية دون معرفته بأسرارها البيانية ، ودون رجوعه لشروح أهل العلم ومعاجم اللغة وكتب التراث البلاغي والنقدي . وقد شغل هذا النوع كثيراً من مساحات الاستنباط عند محمود شاكر ، وكان يسير فيه على ذات منهج القرطبي السابق في تفسير القرآن الكريم - والله ولكلامه المثل الأعلى - ، فقد جعل محمود شاكر منهجه في الاستنباط

---

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق عبد الله بن عبد

الحسن التركي ، وشارك في تحقيق الجزء الأول مُجدّ رضوان عرقسوسي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٦ م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر



من النصوص منهجاً تذوقياً ، لا يعتمد فيه فقط على كتب أهل اللغة ، ولا يحصر نفسه أيضاً في معاجم اللغة التي جعل الاعتماد عليها فقط في تفسير كل الشعر دفناً للغة <sup>(١)</sup> ، كما جعل القرطبي التفسير بظاهر العربية فساداً وجناية على التفسير .

إن الأستاذ محمود شاعر رحمه الله يعتمد كثيراً في هذا النوع من الاستنباط على تذوقه للكلام وتقليبه على كل وجه وربطه بمقامه ومقتضياته والسياق العام الذي جاء فيه ، ومن ثم الوصول إلى نتائج كانت في كثير من الأحوال محل ثقة الأستاذ واطمئنانه .

ومن الاستنباط من النصوص غير ظاهرة المعنى عند محمود شاعر والتي اعتمد فيها على فهمه الخاص وتأويله التذوقي قوله بعد قول الأغلب العجلي <sup>(٢)</sup> :

نَحْنُ وَرَدْنَا وَادِيَّ جُلَاحٍ —————  
بِحَقْلٍ جُمُ الوَعَى مِنْ وَائِلٍ

عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأَسَلِ النَّوَاهِ —————  
فِي دَيْلَمٍ يَزْحَفُ بِالْقَنَاطِلِ <sup>(٣)</sup>

فِي جِذْمٍ <sup>(٤)</sup> عَجَلٍ <sup>(٥)</sup> فِي الْعَدِيدِ الدَّائِلِ <sup>(٦)</sup>  
وَمِنْ بَنِي شَيْبَانَ غَيْرِ خَامِلٍ

وَالْحَيْلُ تَعْدُو بِالْوَشِيحِ <sup>(٧)</sup> الدَّابِلِ —————  
تَحْتَ قَتَامِ الْعُبَيْرِ الْقَسَاطِلِ <sup>(٨)</sup>

(١) ينظر في ذلك لكتاب نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر ، ص ١-٢ .

(٢) "الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة، من بني عجل بن لجيم ، من ربيعة، شاعر راجز معمر ، أدرك الجاهلية والإسلام وتوجه مع سعد بن أبي وقاص غازيا فنزل الكوفة، واستشهد في واقعة نهاوند، وهو أول من أطال الرجز. قال الأمازي : هو أرجز الرجاز وأرصنهم كلاما وأصحهم معاني ، وقال البكري في شرح نوادر القالي: الأغلب العجلي آخر من عمر في الجاهلية عمرا طويلا توفي ٢١ هـ " ، ينظر الأعلام للزركلي : ج ١ ، ص ٣٣٥ .

(٣) القنابل مفردا " الْقَنْبَلَةُ وَالْقَنْبَلُ: طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ الْحَيْلِ، قِيلَ: هُمْ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَنَحْوِهِ، وَقِيلَ: هُمْ جَمَاعَةُ النَّاسِ، قَنْبَلَةٌ مِنَ الْحَيْلِ، وَقَنْبَلَةٌ مِنَ النَّاسِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ " لسان العرب لابن منظور ، ج ١١ ، ص ٥٧٠ .

(٤) "جِذْمُ الْقَوْمِ: أَصْلُهُمْ " ، العين للخليل بن أحمد ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

(٥) عَجَلٌ : هم قوم الشاعر كما هو موضح في نسبه في الحاشية أعلاه (٢) .

(٦) "فَرَسٌ دَائِلٌ: دُو دَائِلٍ وَذِيَالٌ: طَوِيلُهُ " تاج العروس ، ج ٢٩ ، ص ٢٢ .

(٧) الوشيح : " وشج: وَشَجَتِ الْعُرُوثُ وَالْأَغْصَانُ: اشْتَبَكَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَشْتَبِكُ " لسان العرب ج ٢ ، ص ٣٩٨ .

(٨) القساطل : مفردة : قسطل: .....: الغبار الساطع ، السابق : ج ١١ ، ص ٥٥٧ ، أفدت من شرح الأستاذ شاعر لهذه الأبيات كثيراً في الطبقات ، وقد أعانني بعد الله على البحث عن معاني الكلمات في المعاجم ، غفر الله له .

فِي حَسْبٍ بَخٍ وَقَبْصٍ كَامِلٍ      وَعَدَدٍ كَالدَّبْرِ غَيْرِ جَافٍ لـ

وقد علق محمود شاكر على البيت الأخير بقوله :

" الحسب : الشرف الثابت في الآباء وشرف الأفعال أيضاً ، وبخ ، سَرِيٌّ <sup>(١)</sup> نبيل ، يقول الراجز :

فِي حَسْبٍ بَخٍ وَ عَزَّ أَقْعَسِ <sup>(٢)</sup>

وهذا مما أدخلت كتب اللغة في بيانه ووجوه استعماله ، وأصله من قولهم في تعظيم الأمر وتفخيمه والفخر به :  
"بخ بخ" ، والقبص : العدد الكثير المجتمع ، كامل : تام ، والدبر : بفتح الدال وكسرهما ، النحل ، يريد مثله  
في الكثرة والازدحام ، وقوله : غير جافل ، غير متفرق ولا منتشر ولا منزعج ...." <sup>(٣)</sup>.

فالأستاذ محمود شاكر استنبط من البيت الأخير معنى قوله حَسْبٍ بَخٍ بأنها الشرف الثابت المختار النبيل من  
شرف الآباء وشرف الأفعال ، وقد سوغ لنفسه ذلك بتبعية (بخ) اللفظية لقوله (حسب) ، وبخ عند أهل  
اللغة اسم فعل " وقد يتكرر فيقال بخ بخ ، الأول منون والثاني مسكن ، وفي حال استخدامها مفردة يجوز أن  
تكون ساكنة ويجوز أن تأتي مكسورة ، وبخ منونة مكسورة وبخ منونة مضمومة ، أما إذا كانت مكررة فيقال  
بَخْ بَخْ مسكين ، ومكسورين مخففين ، ومنونين مكسورين مشددين ، وهي كلمة عند أهل اللغة تقال عند  
الرضا والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح ، وقد تستعمل للإنكار ، وتكون للرفق بالشيء ، وللمبالغة

(١) " السَّرِيٌّ: المختار " ، لسان العرب ، لابن منظور ، ج ١٤ ، ص ٣٧٩ .

(٢) ينسب البعض هذا إلى رؤية بن العجاج ، ولم أجده في ديوانه ، ومن نسبه إليه جعله تمام لقوله :

وَجَدْتُنَا أَعَزَّ مَنْ تَنَقَّسَا      عِنْدَ الْحِفَاطِ حَسْبًا وَمُقْبَسَا

فِي حَسْبٍ بَخٍ وَعَزَّ أَقْعَسَا

ينظر لشرح أبيات سيبويه ، لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق مُجَدِّد علي الريح هاشم ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، راجعه طه عبد الرؤوف  
سعد ، ط ١ ، عام ١٩٧٤ م ، لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ، و ينظر لأساس البلاغة للزمخشري ، ج ١ ، ص  
٤٧ ، وينظر لشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني ، تحقيق : حسين بن عبد الله  
العمرى ، مطهر بن علي الإرياني ، يوسف مُجَدِّد عبد الله ، ط ١ ، عام ١٩٩٩ م ، لدار الفكر المعاصر ببيروت ، ج ١ ، ص ٨٢ ،  
وينظر للطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول ، لابن معصوم المدني ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ،  
ط ١ ، عام ١٤٢٨ هـ ، لمؤسسة آل البيت بمشهد إيران ، ج ٥ ، ص ١٠١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي ، الحاشية رقم (٢) ، ج ٢ ، ص : ٧٤٤ .

وتقال أيضاً عند استعظام الشيء <sup>(١)</sup> .

واتهام الأستاذ شاكر لإخلال معاجم اللغة بوجوه استعمال ( بخ ) يتلخص في أنها لم تذكر أن من وجوه استعمال (بخ) في لغة العرب أن تكون بمعنى المختار النبيل ، والحق أن ما وقعت عليه من كتب معاجم اللغة - في حدود بحثي وإطلاعي - لم تعد السري الشريف من وجوه استعمال بخ كما استنبطه محمود شاكر ، وقد وجدت بعضاً ممن أتى على هذا البيت واضطره الاستشهاد به يقول بأن ( بخ ) فيه على نحو يقترب مما رآه الأستاذ شاكر أو يتطابق معه تطابقاً كلياً ، أما ما يقترب منه فيكاد يكون ما ذكره أبو سعيد السيرافي في شرحه لشواهد سيبويه ، حيث ذكر هذه الأبيات مستشهداً بها على تخفيف بخ :

وَجَدْتَنَا أَعَزَّ مَنْ تَنَقَّسَا      عِنْدَ الْحِفَاطِ حَسَبًا وَمُقَيَّسَا

فِي حَسَبٍ بَخٍّ وَعِزٍّ أَفْعَسَا

ثم قال في شرحها : " يمدح قومه ، والحِفَاط: المحافظة على الأسباب التي توجب الشرف وجميل الذكر، والمُقَيَّس: مقايستهم إلى غيرهم من الناس. يقول: إذا قايستنا مُقاييس إلى غيرنا، كنا أعظم منه وأشرف، والبَخّ: الذي يُتَعَجَّب من عظمه وشرفه. والأفْعَس: المنيع الثابت " <sup>(٢)</sup>.

ومما يقترب من استنباط الأستاذ شاكر أيضاً ما ذكره صاحب أساس البلاغة ، حيث يقول :

" وأما قول العجاج:

فِي حَسَبٍ بَخٍّ وَ عِزٍّ أَفْعَسَا

فوصف بهذا الصوت مبالغة في كون حسبه ممدّحاً معجباً به، كما يقال: رجل أفة لمن يتأفف به " <sup>(٣)</sup>

---

(١) ينظر العين للخليل بن أحمد ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ، وينظر للصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، ج ١ ، ص ٤١٨ ، وينظر لتاج العروس لمرتضى الزبيدي ج ٧ ، ص ٢٢٩ ، وينظر للسان العرب لابن منظور ج ٣ ، ص ٦ .

(٢) شرح أبيات سيبويه ، لأبي سعيد السيرافي ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ، ج ١ ، ص ٤٧ .

أما ما يتطابق كلياً مع ماذهب إليه الأستاذ رحمه الله فهو ما ذكره ابن معصوم المدني في كتابه الطراز الأول والكناز، حيث رأى أن بخ في قول هذا الراجز بمعنى السري الشريف ، وهو الوجه الذي يرى محمود أن معاجم اللغة قد أخلت في جعله وجهاً من وجوه استعمال بخ ، يقول ابن معصوم وإن كان قوله هو نفسه قول الزمخشري صاحب الأساس إلا أن فيه زيادة تطابق ما استنبطه محمود شاعر :

" وقول العجاج:

فِي حَسْبِ بَخٍ وَ عِزِّ أَقْعَسَا

وصف بهذا الصوت مبالغة في كون حسبه ممدحاً معجباً به كما يقال: رجل أفة، لمن يتأفف به، ومثله قولهم: رجل بخ، للسري الشريف .." (١) .

وغاية الأمر أن استنباط محمود شاعر في هذا الموضع من الاستنباط الخفي ؛ لأن معنى بخ الذي استنبطه لم يكن منصوفاً عليه فيما بين يديه من معاجم اللغة ، وقد تأول له معنى واستنبط هذا الاستنباط بناء على فهمه الدقيق للنص ، والحق أن معنى البيت لا يقوم على تمامه إلا على هذا التأويل أو نحو منه ، على أن معنى العجب والعظمة والمبالغة من المعاني التي تحتبكه لفظة بخ في لغة العرب ، وقد تؤول بناء على ذلك بأنها نعت لشيء يسبقها كالحسب ونحوه ، فإن قلت حسب بخ كما هو في بيت الراجز فقد لا تخطئ إن أردت تفسيره بأنه حسب عظيم وغاية في الرفعة ، وقد وجدت مصطلحاً فقهياً ينسب الدراهم إلى بخ كلفظة ؛ لتكون بعد إجراء النسب (الدراهم البحيّة) ، " والدراهم البحيّة بتشديد الخاء والياء نوع من أجود الدراهم منسوبة إلى بخ وقالوا هي التي كتب عليها بخ .." (٢) ومما قيل في تسميتها هذا الاسم أنه " يقال لصاحبها: بخ بخ " (٣) ؛ فأكسبتها هذه النسبة جودة وأهمية عالية تسربت إليها عن طريق لفظة بخ بما تحمله من معاني

(١) الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول ، لابن معصوم المدني ، ج ٥ ، ص ١٠٢ .

(٢) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية ، لأبي حفص نجم الدين النسفي ، طبعة بدون ، عام ١٣١١ هـ ، للطبعة العامة ، مكتبة المثنى ببغداد ، ص ١٤١ .

(٣) الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول ، لابن معصوم المدني ، ج ٥ ، ص ١٠٢ .

العظمة والشرف والمبالغة في العجب .

وقد اشتمل كتاب المتنبي لمحمود شاكر على نفائس من استنباطاته الخفية من النصوص غير ظاهرة المعنى ، وهي استنباطات كان لها الفضل بعد الله في إطلالة محمود شاكر على الساحة الأدبية ، فقد بقي كتابه المتنبي مهيمناً على أقرانه من الكتب والمؤلفات التي قلبت موازين البحث العلمي في عصره العلمي الزاخر ، وإذا كان حصول شاكر على جائزة الدولة التقديرية في مصر قد منحت له تقديراً لأعماله الأدبية كلها ، فإن جائزة الملك فيصل العالمية منحت له بسبب من كتاب المتنبي كما هو مثبت في شهادة هذه الجائزة <sup>(١)</sup> ، وربما يتسع المجال لو أردنا القبض على استنباطات شاكر كلها في كتابه النفيس المتنبي ، ولكنه يمكن الاكتفاء في ذلك باستنباط بالغ الأهمية ، استوقف العديد من العلماء والأدباء في عصره ، كمصطفى صادق الرافعي ، وشكري عباد ، وفؤاد صروف ، وهو حب المتنبي للأميرة خولة الأخت الكبرى لسيف الدولة الحمداني ، وقد خصص محمود شاكر لهذا الاستنباط باباً كاملاً في كتابه المتنبي قال عنه الرافعي :

" وهذا الباب من غرائب هذا البحث ، فليس أحد من هذه الدنيا المكتوبة... يعلم هذا السر .. والأدلة التي جاء بها المؤلف تقف الباحث المدقق بين الإثبات والنفي ، ومتى لم يستطع المرء نفيّاً ولا إثباتاً في خبر جديد يكشفه الباحث ولم يهتد إليه غيره ، فهذا حسبك إعجاباً يذكر ، وهذا حسبه فوزاً يُعَدُّ.." <sup>(٢)</sup>

وقد تبدى لمحمود شاكر حب المتنبي للأميرة خولة بعد فحصه الدقيق للنصوص التي قالها المتنبي في رثاء أختي سيف الدولة الصغرى والكبرى التي هي خولة ، وأهم ما اعتمد عليه شاكر في استخلاص ذلك أنه وجد فرقاً كبيراً بين أدوات الرثاء وسماته وخصائصه الفنية وعاطفته عندما وزان بين مقامات الرثاء التي قالها المتنبي في الأميرتين ، كما اعتمد على استنطاق بعض الكلمات التي دفن فيها المتنبي عميق حبه لخولة من القصيدة التي رثاها بها حينما توفيت وبعد مغادرة المتنبي بلاط سيف الدولة وضربه في البلاد بين مصر وفارس ثم محاولة العودة إلى موطنه في الكوفة ، ولم يكتف شاكر باستنباط حب المتنبي للأميرة خولة من الموازنة واستنطاق النصوص

---

(١) نشر محمود شاكر شهادة براءة جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي في كتابه المتنبي ص : ١٩٥ .

(٢) وحي القلم للرافعي : ج ٣ ، ص ٣٤٩ .

فقط ، فقد جعل تجويد المتنبي في شعره الذي قاله في سيف الدولة ومدحه به بسبب من حبه لخولة ، حيث رأى شاكر أن وراء قلب المتنبي وهو يمدح سيف الدولة نفحة من نفحات المرأة التي تصنع للشاعر إبداعه ، وما تهتم له هنا تلك النصوص الخفية المعنى التي استنبط منها شاكر قصة هذا الحب الذي غلب على قلب المتنبي ، ومن ذلك بيتان اثنان اختارهما من قصيدة المتنبي في رثاء الأميرة خولة ، وهما قوله :

أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيَتْ      فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي حَلَبِ  
يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُلْتَهَبٍ      وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبٍ<sup>(١)</sup>

يقول محمود شاكر معلقاً على هذين البيتين :

" فليس يطول الليل على شاعر من أجل أخت أميره ، وإنما يطول عليه الليل من أجل حبيبته التي فاتها به الموت ، ثم زاد أبو الطيب في الدلالة بقوله : إن سيف الدولة يظن أن فؤاده غير ملتهب ، وأن دمه غير منسكب ، وما لسيف الدولة ولهذا ؟ أيجب سيف الدولة أن يلهب قلبه وينسكب دمه من أجل أخته ، أو يسوءه إذا لم يكن ذلك كذلك ؟ " <sup>(٢)</sup>

إذن فقد استنبط محمود شاكر من طول ليل المتنبي أنه يحب خولة أخت سيف الدولة ؛ لأن الليل يطول غالباً على المحبين ، وكأنه يرى أن ارتباط الليل بسياقات شعر الغزل بشكل صريح ، هو نفسه ارتباط ليل المتنبي المحب الذي طال بفواته من محبوبته ، ولكن الفرق أن المتنبي لم يصرح بأنه ليل محب عاشق كغيره من الشعراء العشاق ، وإنما تأويل شاكر جعل من ليل المتنبي ليل عاشق يطول سكت عنه شاعره و صرح به الفهم والتأويل ، وقد رأى شاكر أن طول الليل يحتاج إلى مزيد من الدلالة على حب المتنبي لخولة ، فاستدعى القلب الملتهب والدمع المنسكب الواردين في البيت التالي لليل ، فالقلب الملتهب والدمع المنسكب لا يتفقان إلا مع من يطاول ليله الحب ويسهده العشق ، ولو لم يربط القلب والدمع بتطاول الليل لما كان طول الليل دليلاً على العشق ، إذ قد يطول الليل من الهم والخوف وغيرها مما هو وارد في الشعر العربي ومن ذلك قول امرئ القيس في تطاول ليله

(١) ديوان المتنبي ، ص ٤٣٤ .

(٢) المتنبي لمحمود شاكر ، ٣٤١-٣٤٢ .

بألهم :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْحَى سُذُوقَهُ  
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي  
فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ  
عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَـلِي  
وَأُزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ كَلٍ  
بُصْبُوحٍ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ  
بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيذْبَلٍ<sup>(١)</sup>

ومثله قول النابغة الذبياني:

كَلَيْلِي لَهُمَّ يَا أُمَيْمَةً نَاصِبٍ  
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ  
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ  
وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ عَمِ النَّبِيِّ ﷺ :  
وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ  
وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبٍ  
تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ<sup>(٢)</sup>

تَطَاوَلَ لَيْلِي بِهِمْ وَصِيبُ  
لِلْعَبْرِ قُصَيِّ بِأَحْلَامِهَا  
وَدَمْعٍ كَسَخِ الْبَيْتَاءِ السَّرْبِ  
وَهَلْ يَرْجِعُ الْحُلُمُ بَعْدَ اللَّعْبِ<sup>(٣)</sup>

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في تطاول الليل بالوساوس :

---

(١) ديوان امرئ القيس ، ص : ١١٧ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٥٦ .

(٣) ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ ، شرح وجمع مُجَدِّ التونجي ، ص ١٧ ، ط ١ ، عام ١٩٩٤م ، لدار الكتاب العربي

تطاوَلَ ليلي واعتزني وساوسي

لَا تِ أَتَى بِالتُّرَّهَاتِ الْبَسَاسِ<sup>(١)</sup>

أَتَانَا جَرِيرٌ ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ

بَتَلَكَ الَّتِي فِيهَا اجْتَدَاعُ الْمَعَاطِسِ<sup>(٢)</sup>

وقول أبي تمام عن ارتباط الليل بالسقم وإن كان السياق في النسيب :

وَمَا ضَرَمَ الْبُرْخَاءُ أُنِي

شَكَّوْتُ فَمَا شَكَّوْتُ إِلَى رَحِيمِ

أَظُنُّ الدَّمَعَ فِي حَدِي سَيَبْقَى

رُسُومًا مِنْ بُكَائِي فِي الرُّسُومِ

وَلَيْلٍ بَتْ أَكَلُوهُ كَأَنِّي

سَلِيمٌ أَوْ سَهَرْتُ عَلَى سَلِيمٍ<sup>(٣)</sup>

وقول أبي فراس الحمداني :

وَأَسْرَ أَقَاسِيهِ ، وَلَيْلٌ تُجُومُهُ

أَرَى كُلَّ شَيْءٍ ، غَيْرُهُنَّ ، يَزُولُ

تَطُولُ فِي السَّاعَاتِ وَهِيَ قَصِيرَةٌ

وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسْرُكُ طُولُ!<sup>(٤)</sup>

وشواهد تطاول الليل لسبب غير سبب العشق كثيرة في شعر العرب ، ولكن إحساس محمود شاكر النقدي جعله يربط تطاول ليل المتنبي بالقلب الملتهب والدمع المنسكب ليؤكد أن ذلك يعود إلى حب المتنبي للأميرة

(١) "البس: الدس. يُقَالُ: بَسَّ فُلَانٌ لِفُلَانٍ مَنْ يَتَخَبَّرُ لَهُ خَبْرَهُ وَيَأْتِيهِ بِهِ أَي دَسَّهُ إِلَيْهِ. وَالبَسْبَسَةُ: السَّعَايَةُ بَيْنَ النَّاسِ.

والبَسْبَسُ: شَجَرٌ. وَالبَسْبَسُ: لُغَةٌ فِي السَّبْسَبِ، وَزَعَمَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ مِنَ الْمُقْلُوبِ. وَالبَسَاسُ: الْكَذِبُ. وَالبَسْبَسُ: الْفَقْرُ.

والتُّرَّهَاتُ الْبَسَاسُ هِيَ الْبَاطِلُ، وَرُبَّمَا قَالُوا تُرَّهَاتُ الْبَسَاسِ " ، ينظر لسان العرب لابن منظور ج ٦ ، ص ٢٩ .

(٢) ديوان معاوية بن أبي سفيان جمعه وحققه وشرحه ، فاروق أسليم بن أحمد ط ١ ، عام ١٩٩٦ م ، لدار صادر

بيروت، ص ٨٣ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ، تقديم وفهرسة: راجي الأسمر ، ط ٢ ، عام ١٩٩٤ م ، لدار الكتاب العربي

بيروت، ج ٢ ، ص : ٧٧ .

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح خليل الدويهي ط ٢ ، عام ١٩٩٤ م ، لدار الكتاب العربي بيروت ، ص ٢٥٢ ،

٢٥٣ .



خولة ، والملاحظ في استنباطات محمود شاعر المتعلقة بحب المتنبي للأميرة خولة أنها متسلسلة وعلى نسق بديع من الترتيب والاتساق ، ومن ذلك أنه بعد أن أتم الاستنباط من البيتين السابقين ، تجلّى له أمر جديد من خلال البيتين نفسيهما ولكنه لم يصرح بشكل مباشر بما رآه في هذين البيتين مما تجلّى له بعد تمام استنباطه حب خولة ، فانتقل من استنباطه حب المتنبي لخولة إلى علم سيف الدولة بحب المتنبي لأخته ، وانصرافه إلى ذلك هو ما يتطلبه الأمر وما يقتضيه البحث وما يستدعيه تمام الاستنباط ، وبيان ذلك أن شاعر رأى أن البيتين فيهما توجد وتلوع على موت خولة لا يديه إلا من شغف قلبه حبها ، وأن هذا الحب يتضح جلياً لمن أرقق فكره في البحث عما يكتن بين كلمات هذه القصيدة خصيصاً من اللوعة والتفجع اللذين لا يليقان إلا بعاشق ، والقول بوضوح ذلك يورط شاعر في قضية لا بد من طرقها مباشرة بعد هذا الاستنباط وبعد هذين البيتين تحديداً ، وهي قضية علم الأمير بهذا الحب الذي كان لأخته الأميرة خولة من المتنبي ، فسؤال المتنبي لسيف الدولة بـ : أتظن يا سيف الدولة بعدم تلهب قلبي وانسكاب دمعي على موت خولة ؟ كأنه سؤال مبني على إقرار السائل وعلمه بالمسؤول عنه ، وكأن الجواب عنه هو علم سيف الدولة البديهي والمبني على يقين المتنبي بأنه يعلم تلهب قلب المتنبي وانسكاب دمعه على موت خولة ذاتها ، وهي ذات القضية التي دلف إليها شاعر (علم سيف الدولة) وانصرف به عن شاغله الأول واستنباطه الأهم (حب المتنبي لخولة) ، فإن قال بعدم علم أمير الدولة بهذا الحب فسيكون القول بذلك مناسباً لترميز المتنبي وتعميته على حبه في القصيدة وعدم تصريحه به ، ولكنه سيفضي به إلى نفي شيء من وضوح لغة الحب في كلمات هذين البيتين والتي أقرها تأويله وادعاها استنباطه ، مما سيؤثر على استنباطه الأم وقضيته الكبرى هنا وهي حب المتنبي لخولة ، والقول بعلم أمير الدولة بهذا الحب يؤكد هذا الحب ويقويه ، بل وينتقل بقضية حب المتنبي لخولة من الفرض إلى الإثبات ومن الشك إلى اليقين ، فالمتلقي الذي لا يزال في حيرة من أمر هذا الحب ولا يزال قبوله له مترنحاً بين أخذه وردّه ، لن يجد بداً من التسليم بصحته إذا تقرر له أن سيف الدولة على علم بهذا الحب ، إذ إن الهاجس الأكبر لدى المتلقي أن الذي يدعي شاعر أن المتنبي يحبها أميرة ، لها من جلاله القدر ورفعة المقام ما يسمو بها عن غزل شاعر بها وإن كان متنبياً ، ولا يقوض معنى ذلك في نفس المتلقي إلا القول بعلم سيف الدولة بهذا الحب ؛ لأنه سيشرعن لغة الحب وسيجعلها لغة مباحة مستساغة تلامس أذن سيف الدولة فلا تؤرقه - لعلمه بهذا الحب - بما تؤرق به أي رجل عربي آخر قد يعلم أن شاعراً يتغزل في أخته ، ولكن لماذا يستخدم المتنبي

هذا الترميز والتعمية ؟ ولماذا لم يصرح بهذا الحب في هذه القصيدة لاسيما وأنه أرسلها لسيف الدولة ولم ينشدها بين يديه ؟ يرى شاكر للجواب عن ذلك افتراض أن علم سيف الدولة بهذا الحب كان سرّاً بينه وبين المتنبي لا يعلمه غيرها ، وحين تسرب علم هذا الحب مع سرّيته إلى الشاعر أبي فراس الحمداني تسبب في وجود عداوة باغية بينه وبين المتنبي ، ولهذا السرية جاءت ألفاظ الحب في هذه القصيدة غير صريحة ، بل هي خبيئة بين كلمات النص ودلالاتها وعاطفة أبي الطيب الجياشة تجاه خولة ، تراءى كل ذلك لشاكر وهو يستنبط من هذين البيتين حب المتنبي لخولة ، وحينما تجلّى ذلك له وفطن إليه ابتدره ، وقام بعرضه وبطريقة مباشرة وبدون محاولة لربط ذلك بالبيتين السابقين بشكل مباشر ، مع أن هذين البيتين كشفوا لشاكر علم سيف الدولة بحب المتنبي لاخته ككشفهما له وجود ذلك الحب نفسه ، وفي ذلك يقول الأستاذ شاكر بعد تعليقه السابق على بيتي المتنبي (أرى العِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيتُ .... ) :

" هذا ولا نشك نحن ومن خلال ما جمعناه عندنا من الدلائل في هذا الأمر ، المتعلق بحب أبي الطيب وخولة في أن سيف الدولة كان على علم بما كان بينهما من المحبة الغالبة على أمرهما ، وإنه كان قد وعد أبا الطيب عدّة لم يف له بها في أن يزوجه أخته هذه ، وكان ذلك سرّاً بينهما ، اتصل بعض خبره بأبي فراس الحمداني ، فكان سبباً في العداوة الباغية بين الرجلين ، ولولا علم سيف الدولة بذلك لما استباح أبو الطيب لنفسه أن يكتب هذه القصيدة إلى سيف الدولة ، على كثرة الإشارات فيها إلى أمره وأمر خولة والحب الذي بينهما ."<sup>(١)</sup>

وغاية الأمر أن حب المتنبي لخولة من عجائب استنباطات محمود شاكر وملكوته التدوقية الخالصة ، فمن يقرأ قصيدة رثاء المتنبي لأخت سيف الدولة الصغرى ، ثم يوازن بينها وبين قصيدة رثاء أخته الكبرى الأميرة خولة ، يجد أن رثاء الصغرى لا يكاد يكون إلا في مواضع قليلة ومتباعدة في هذه القصيدة كما قاله الأستاذ رحمه الله ، وأن غالبية أبيات هذه القصيدة منصرفة إلى مدح سيف الدولة دون إظهار مزيد من التفجع والتهلل على فقد تلك الأخت ، بل ويزيد من ذلك أن المتنبي يطلب من سيف الدولة المفجوع أن يقيس موت أخته الصغرى ببقاء أختها الكبرى الأميرة خولة ، وإذا قام سيف الدولة بهذه المقايسة سرى الهم عن نفسه وتسلى عن حزنه على أخته ، يقول المتنبي :

---

(١) المتنبي لمحمود شاكر ص : ٣٤٢ .

فَإِذَا قِسْتَ مَا أَخَذْتَ بِمَا عَادَ

رَنْ سَرَى عَنِ الْفُؤَادِ وَسَلَى

وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى

وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى<sup>(١)</sup>

وهذا كله مما أشار إليه الأستاذ محمود شاكر رحمه الله ومما استنبط منه حب المتنبي لخولة أخت سيف الدولة ، ومما يحسب لشاكر حينما قرأ المتنبي تسلله إلى عمق معانيه وضبط حركتها بلغة المتنبي وبمحيطه الذي محص رواياته تمحيصاً دقيقاً على طريقة علماء الجرح والتعديل ، وجعل ما اطمأنت له نفسه من الروايات التي رويت عن شخصية المتنبي وصفاته وسيرته شواهد لما قرأه في شعره من خلال لغته ومواجهته المباشرة والجسورة للنص ، فليست ثمة دلالات يمكن أن تحيط بالنص وتسبر أغواره وتكشف ماهياته أكثر من دلالة لغته التي تكون منها ، وقد استطاع شاكر وبامتياز أن يكشف النقاب عن الوجه الخارجي لفكر المتنبي عن طريق لغته فيما طرقه من قضايا في كتابه ، كما استطاع أن يربط فكر المتنبي بوجهته النفسية غير مبتعد في ذلك كله عن لغة النص نفسها التي كانت ملهمه الأول بعد توفيق الله في كل ما توصل إليه ، وغاية الأمر أن شواهد الاستنباط من النصوص غير الظاهرة المعنى التي تعتمد على إعمال الذهن والتدبر هي التي جعلت الأنظار تتجه نحو شاكر كناقذ وأديب ، وهي من أبرز العوامل التي كان لها الفضل بعد الله في احتلاله منزلة مرموقة بين جهابذة العلم في عصره ، فمما هو معلوم أن عصر شاكر من العصور التي برز فيها علماء فرضوا أسماءهم على الساحة الأدبية ؛ بما حباهم الله به من علم ومعرفة وبما قدموه من قضايا وإضافات نفيسة للمكتبة العربية ، ولولا قدرة الله قبل قدرة الأستاذ شاكر الاستنباطية من مثل هذه النصوص لما كان لاسمه ذِكر بين أساطين العلم في عصره.

---

(١) ديوان المتنبي ، ص : ٤٠٦ .

### المبحث الثالث : أدلة الاستنباط

إيراد الأدلة عملية فكرية يعتمد فيها المستنبط على ثقافته وقدرته العقلية لدعم استنباطه وتقويته وشد أركانه ، والغالب أن الاستنباط من النص الظاهر الجلي المعنى لا يحتاج إلى رده بأدلة ، فوضوحه وجلاء نصه وظهوره مغنية عن استرفاد دليل يدعم هذا النوع من الاستنباط ، ولا يعني القول بذلك عدم وجود أدلة على المستنبط من النصوص الظاهرة المعنى ، فقد يوجد المستنبط لحاجة في نفسه دليلاً على أمر استنبطه من نص ظاهر لا يُحتاج معه إلى دليل ، أما الاستنباط من النصوص غير ظاهرة المعنى فهو الذي يحتاج إلى استدلال ومحااجة عقلية وأسلوبية تتجيش جميعاً على ذهن المتلقي ليكون تعاضدهما كفيلاً بإقناعه والاستيلاء على إقراره ، وكلما كان النص المستنبط منه أشد خفاء كلما كانت الحاجة إلى دليل أشد قوة وظهوراً لدعم الاستنباط من النص غير ظاهر المعنى ، ومن الطبيعي جداً أن تتنوع أدلة الاستنباط عند محمود شاکر تبعاً للاستنباطات ، فالاستنباطات من النصوص الظاهرة والخفية لا تأخذ رسماً واحداً في الاستدلال ، وكذلك الحال في الاستنباط العقلي الذي لا يعتمد على نصوص مطلقاً ، وكذلك الحال أيضاً في الاستنباطات التي تتمحور حول القضايا النقدية والأدبية والصراعات الفكرية ، فكل نوع من هذه الاستنباطات يحتاج إلى دليل مناسب يتلاءم مع طبيعته ومقتضاه ، فقد كان الاستدلال بالنص ملحاً في بعض الاستنباطات عند محمود شاکر لم يقيم الاستنباط إلا به حيث لا يمكن للمتلقي قبوله إلا بالاعتماد عليه ، وفي مواضع أخرى يستخدم محمود الاستدلال بالعكس ؛ لأنه يراه مطلباً للنتيجة المستنبطة لا يتم الاستنباط إلا به ولا يقوم إلا عليه ، وقد يجنح أحياناً للتمثيل ويراه مناسباً للدلالة به على بعض ما يستنبطه فهمه ، وقد يعتمد في بعض استنباطاته على الاستقراء بنوعيه التام والناقص حين يرى أن الاستنباط لا يمكن أن يتمخض إلا عن استقراء ، ذلك الاستقراء الذي جعله شاکر شرطاً في شطر تناول بحث ما في مادة علمية ، " فشطر المادة يتطلب قبل كل شيء جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر، ثم تصنيف هذا المجموع ، ثم تمحيص مفرداته تمحيصاً دقيقاً ، وذلك بتحليل أجزائها بدقة متناهية ...." <sup>(١)</sup> ، وسنحاول في هذا المبحث استجلاء أهم أنواع الأدلة الاستنباطية عند محمود شاکر ، وربطها بالاستنباطات التي جاءت دليلاً عليها ، ومعرفة وجه دلالتها ، وكشف مدى ملاءمتها لأن تكون دليلاً أو لا تكون والله الموفق.

(١) أباطيل وأسمار لمحمود شاکر : ص ٢٤-٢٥.

## الأدلة النقلية :

يستدعي الاستنباط في بعض المواضع نقولاً تعد أصيلة في مجال الاستنباط يدعم بها المستنبط رأيه ويقويه ، كاستدلال أهل اللغة والبلاغيين بالقرآن الكريم باعتباره مرد الفصاحة ومرجعها الأول ، وكذلك الاستدلال بسنة نبيه ﷺ باعتبارها جوامع الكلم التي ينتهي إليها البيان وتقف عندها حدود البلاغة والفصاحة ، وكذلك الاستدلال بفصيح كلام العرب شعره ، ومتى ما استطاع المستنبط في علوم العربية كلها رد استنباطه بأدلة نصية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفصيح كلام العرب شعر ونثره ، فقد وصل باستنباطه إلى الذرى الرفيعة من القبول والأخذ ، فلا يملك أحد غالباً رد الاستنباط المعتمد فيه على دليل نصي من واحد من هذه الثلاثة ؛ لأن المستنبط استدلال بدليل قطعي الثبوت لا يمكن رده ورد ما استنبط منه إلا إذا كان الدليل لا يتوافق وجهه مع الأمر المستنبط .

والأستاذ محمود شاکر واحد من العلماء الذين استدعوا الأدلة النصية لدعم استنباطهم وعضد احتجاجهم ، فكان رحمه الله كثير الاستدلال بنصوص مختارة من كلام الله عز وجل وكلام نبيه ﷺ وفصيح كلام العرب شعره ونثره ، وقد أحوجه لذلك بعض من القضايا اللغوية والنقدية التي يتطلب الاستنباط منها أدلة يحتج بها ويستند عليها ، ومن ذلك استدلاله بالقرآن الكريم على استنباط له أعقب قول ابن أخت تأبط شراً :

وَفُتُّوْ هَجَرُواْ ثُمَّ أَسْرَوْاْ لَيْلَهُمْ      حَتَّى إِذَا الْاَنْجَابُ حَلُّواْ

يقول محمود شاکر :

"وبعد هذه السكتة اللطيفة في غنائه ' انبعث يرجع ثم أسروا ليلهم ، و الإسراء : سير الليل كله ، ولكنه ذكر الليل وأضافه إلى الفتية ليدل بذلك على استغراق الإسراء لليل كله بلا انقطاع ولا توقف ، وليطرح على (هَجَرُوا) .... معنى استغراق الهجير كله سيراً ولم يعطف بالواو فيقول : (هَجَرُوا وأَسْرُوا لَيْلَهُمْ ) بل قال : ثم أسروا ؛ لأن العطف بالواو يجعل الكلام كأنه إخبار عن أفعال كانت في زمن وانقضت ولا يراد بها غير الخبر ، أما (ثم) فهي بطبيعتها تحمل معنى الحركة والتتابع ، بلا نظر إلى الزمن المقيد ، كما تقول : صعد في الجبل ، ثم

وقف على قمته ، ثم نظر ، ثم رمى بنفسه فهوى ، ومعنى الحركة والتتابع ظاهر كل الظهور فيما ذكره الله سبحانه وتعالى من أمر الوليد بن المغيرة المخزومي <sup>(١)</sup> ، لما تعرض لرسول الله ﷺ ثم سمع القرآن :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ ۖ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ ۖ ﴿٢٣﴾ وَاسْتَكْبَرَ ۖ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ ﴿٢٦﴾ ۝ ﴾ .

وهذا موضع يحتاج إلى فضل تأمل منك وترداد ..... ، أما ما يقوله النحاة في (ثم) من أنها حرف عاطف يقتضي الترتيب والتراخي والمهلة ، فهو نظر نحة يحتاج إلى بيان ليس من عملنا هنا أن نخوض فيه .. " (٣) .

وهذا استدلال بالقرآن الكريم استدعاه محمود شاكر ليدعم استنباطه في ثم العاطفة ، فالأستاذ محمود يرى أن ثم العاطفة في البيت فيها معنى الحركة والتتابع بغض النظر عن الزمن المقيد في السياق ؛ ولذلك اختارها الشاعر عاطفة دون الواو لأن العطف بها يجعل الكلام كأنه أخبار عن أفعال ماضية كانت وانقضت ولا يراد بها غير الخبر دون أن تفيد شيئاً من التتابع الذي طرحته ( ثم ) ، وقد دعم استنباطه بالآيات الثمان الكريمة من سورة

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر المخزومي القرشي ، ولد ٩٨ قبل الهجرة ، وتوفي في العام الأول من الهجرة النبوية المشرفة ، وهو أحد قادة قريش وسادتها ، ووالد الصحابييين خالد بن الوليد والوليد بن المغيرة ، من أغنى أغنياء قريش حيث ورد أنه بنى ركن من أركان الكعبة الأربعة عندما قامت قريش بترميمها واشتركت باقي القبائل في بقية الأركان ، وورد كذلك أنه كان في موسم الحج وطول الأربعين ليلة يذبح للحجيج كل يوم عشرة من الإبل ، كانت قريش تسميه الوحيد أو وحيد مكة لان قبائل قريش تكسو الكعبة عام وهو وحده عام ، ويقال أنه أول من حرم الخمر في الجاهلية ، وقد أدرك الوليد بن المغيرة بعثة الرسول ولم يسلم، بل قال مستنكراً عدم نزول الدعوة عليه هو، وهو كبير قريش : "أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، فنحن عظيمي القريتين"، فأنزل الله فيه قوله جل شأنه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ سورة الزخرف ، الآية الكريمة رقم ١٣ .

(٢) سورة المدثر ، الآيات الكريمة من (١٨) إلى (٢٥) .

(٣) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر ، ص : ٢١٢ .

المدثر ، والتي يرى شاعر أن (ثم) قد أحدثت فيها تتابعاً وحركة ، ولم يستدل الأستاذ بهذه الآيات المباركة من سورة المدثر إلا بعد أن تقرر له بأن معنى الحركة والتتابع ظاهر كل الظهور فيما ذكره الله سبحانه وتعالى من أمر الوليد بن المغيرة المخزومي لما تعرض لرسول الله ﷺ ثم سمع القرآن الكريم .

وهذا تقرير صريح من الأستاذ بما أضافته ثم في هذه الآيات الكريمة من الحركة والتتابع حينما استدعاها كدليل يعضد استنباطه ، والذي يبدو أن ما رآه شاعر في (ثم) في هذه الآيات قد تبدى له وهو يحس بالحركة التي أحدثتها ( ثم ) في قول الشاعر السابق (وَفُتُّوْ هَجَرُواْ ثُمَّ أَسْرَوْاْ) ، وحينما لم يكن منه ترقٍ مع الإحساس بالحركة والتتابع الذي أحدثتها (ثم) لم يقرر شيئاً من ذلك وسيأتي بيان ذلك في موضعه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

والتحقيق في هذا الاستنباط يستلزم مراجعة أقوال العلماء في ثم ، فعلماء النحو يجعلون لكل حرف من حروف العطف فائدة معنوية معنى تختص بكل واحد منها ، ومنها ثم وفائدتها : " المهلة والتراخي تقول قَامَ زيدٌ ثُمَّ عَمَرُوْهُ أَيَّ بَيْنَهُمَا مهلة" <sup>(١)</sup> ، نحو قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ﴾ <sup>(٢)</sup>

وهذا غالب استعمالها في اللغة العربية ، وليس معنى ذلك أنها لا تستخدم إلا للمهلة والتراخي ، فقد تستخدم لمطلق العطف ، دون قصد مباشر إلى المعنى المخصوص الذي رآه علماء النحو واللغة غالباً على ثم العاطفة ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ <sup>(٣)</sup>

---

(١) اللع في العربية ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : سميح أبو مغلي ، ص : ٧٠ ، ط بدون ، عام ١٩٨٨ م ،  
لدار مجدلاوي بعمّان .

(٢) سورة عبس ، الآية الكريمة رقم : (٢٢) .

(٣) سورة البقرة ، الآية الكريمة رقم : (١٩٩) .

فلو كانت ثم في هذه الآية الكريمة تفيد التراخي والمهلة لكان معنى الآية الكريمة أن يفيض الناس من مزدلفة ، يقول الشنقيطي صاحب أضواء البيان في سبب نزول هذه الآية الكريمة <sup>(١)</sup> :

"وسبب نزولها أن قريشاً كانوا يقفون يوم عرفة بالمزدلفة، ويقولون: نحن قطان بيت الله، ولا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ؛ لأن عرفات خارج عن الحرم وعامة الناس يقفون بعرفات، فأمر الله النبي ﷺ والمسلمين، أن يفيضوا من حيث أفاض الناس، وهو عرفات لا من المزدلفة كفعل قريش ، وهذا هو مذهب جماهير العلماء، وحكى ابن جرير عليه الإجماع، وعليه لفظة «ثم» للترتيب الذكري بمعنى عطف جملة على جملة، وترتيبها عليها في مطلق الذكر، ونظيره قوله تعالى :

﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ " <sup>(٢)</sup>

وقد تفقد ثم معنى غير معنى التراخي والمهلة ، وهو معنى المشاركة الذي اعتبرت به حرف عطف ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

يقول الأسترابادي :

"فالإشراك بخالق السموات والأرض مستبعد غير مناسب وهذا المعنى فرع التراخي ومجازه" <sup>(٤)</sup>

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد المختار الشنقيطي ، ط ١ ، عام ١٩٩٥ م ، لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت . ج ١ ، ص ٨٩ .

(٢) سورة البلد ، الآيات الكريمة من : (١٣-١٧) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية الكريمة رقم : (١) .

(٤) شرح كافية ابن الحاجب ، لمحمد بن الحسن الإسترابادي ، تحقيق إميل يعقوب ط ١ ، عام ٢٠٠٦ م ، لمؤسسة التاريخ العربي ببيروت ، ص : ٣١٦ .



وقد تتجرد (ثم) من دلالة الزمان مطلقاً ، وطبقاً لذلك يتباين تأويلها بحسب السياق الذي وردت فيه ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾<sup>(١)</sup>

يقول أبو حيان صاحب التفسير المحيط :

"ثم كان من الذين آمنوا: هذا معطوف على قوله: فلا اقتحم ودخلت ثم لتراخي الإيمان والفضيلة، لا للتراخي في الزمان، لأنه لا بد أن يسبق تلك الأعمال الحسنة الإيمان، إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع، أو يكون المعنى: ثم كان في عاقبة أمره من الذين وافوا الموت على الإيمان، إذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات، أو يكون التراخي في الذكر كأنه قيل: ثم اذكر أنه كان من الذين آمنوا"<sup>(٢)</sup>

ومن استخدام ثم للترتيب الذكري فقط في الشعر العربي باعتبار الأولى في الذكر بدون تراخ ولا ترتيب زماني قول الحسن بن هانئ<sup>(٣)</sup>:

(١) سورة البلد الآية الكريمة رقم (١٧)

(٢) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق عادل أحمد ، علي معوض ، شارك في التحقيق ، زكريا النوتي ، أحمد الجمل ، : ط ١ ، عام : ١٩٩٣م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ج ٨ ، ص ٤٧١ .

(٣) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء ، المعروف بأبي نواس ، شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز من بلاد خوزستان في العام ١٤٦ هـ ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها عام ١٩٨ هـ ، كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان فنسب إليه ، وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، وفي تاريخ بغداد أنه من طيء من بني سعد العشيرة ، هو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته ، ينظر لترجمته في مقدمة ديوانه ، ص ٩ وما بعدها ، ط بدون ، عام بدون ، لدار الكتاب العربي ببيروت ، وينظر كذلك لتاريخ دمشق أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق ، عمرو بن غرامة العمروي، ط ٤ ، عام ١٩٩٥م ، لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بعمّان ، ، ج ١٣ ، ص ٤٠٧ ، وينظر لوفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ

قَبْلَهُ ، ثُمَّ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ<sup>(١)</sup>

ومثله قول الأفيشر الأسدي<sup>(٢)</sup> أيضاً :

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ مَنْ شَرُّهَا

أَبَا ثُمَّ أُمًّا فَقَالُوا : لِمَهُ؟<sup>(٣)</sup>

فالمقصود في البيتين ترتيب الدرجات بالأولى دون التراخي والمهلة ؛ لأن سيادة النفس ثم سيادة الأب ثم سيادة

الجد أولى في الترتيب وإن كانت في الزمان معكوسة في بيت أبي نواس ؛ ولأن "كون الشخص خيراً أمّا من

غيره لا يتأخر عن كونه خيراً أباً من غيره " <sup>(٤)</sup>

وعلماء التفسير لا يتعاملون دائماً مع ثم على الصفة الغالبة لها المقتضية للترتيب والمهلة والتراخي ، بل يجردونها

أحياناً من كل ذلك أو شيء منه حين يقتضي التفسير ذلك التجريد ، فالزخشي مثلاً صاحب الكشف عن

حقائق غوامض التنزيل تجد له في تفسيره شيئاً من ذا وشيئاً من ذاك بحسب مقتضى التفسير ، ومن ذلك ما

قاله في آيات سورة المدثر التي استدل بها شاكر على أن ثم أحدثت فيها حركة وتتابعاً ، حيث قال :

" ثُمَّ نَظَرَ عَظَفَ عَلَى فَكَّرَ وَقَدَّرَ والدعاء: اعتراض بينهما. فإن قلت: ما معنى ثُمَّ الداخلة في تكرير الدعاء؟

قلت، الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ... فإن قلت: ما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها؟

قلت، الدلالة على أنه قد تأتى في التأمل وتمهل، وكأنّ بين الأفعال المناسقة تراخ وتباعد. فإن قلت: فلم قيل

فَقَالَ إِنَّ هَذَا بِالْفَاءِ بعد عطف ما قبله بثم؟ قلت: لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق

بها من غير تلبث ، فإن قلت: فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت:

(١) ديوان أبي نواس ، ص ٤٩٣ .

(٢) المغيرة بن عبد الله بن معرض، الأسدي، أبو معرض ، شاعر هجاء، عالي الطبقة من أهل بادية الكوفة، كان يتردد

إلى الحيرة. ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام وعاش وعمر طويلاً وكان (عثمانياً) من رجال عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ،

وأدرك دولة عبد الملك بن مروان لُقّب بالأفيشر لأنه كان أحمر الوجه أقشر وكان يغضب إذا دُعي به، قال المرزباني : هو أحد

مُجَنّ الكوفة وشعرائهم، هجا عبد الملك ورثى مصعب بن الزبير، وقتل بظاهر الكوفة خنقاً بالدخان في العام الثمانين من

الهجرة النبوية المشرفة ، ينظر لكامل ترجمته في مقدمة ديوانه ، صنعة : مُجَدّ علي دقة ، ، ط١ ، عام ١٩٩٧ م ، لدار صادر

للطباعة والنشر ببيروت ، ص ١٣ وما بعدها.

(٣) ديوان الأفيشر الأسدي ، ص : ١١٥ .

(٤) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ، مُجَدّ بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي المصري ، المعروف بناظر الجيش،

تحقيق : علي مُجَدّ فاخر ، جابر مُجَدّ البراجة ، إبراهيم جمعة العجمي ، جابر السيد مبارك ، علي السنوسي مُجَدّ ، مُجَدّ راغب

نزال ، ، ط١ ، عام ١٤٢٨ هـ ، لدار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة ، ج٧ ، ص ٣٤٤٤ .

لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد " (١).

وقال الزمخشري أيضاً<sup>(٢)</sup> في قوله تعالى :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٣)

" ثم في قوله ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا للاستبعاد ، والمعنى: أَنَّ الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل ، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز، ومنه ثم في بيت الحماسة:

لَا يَكْشِفُ الْعَمَاءُ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ  
يَرَى عَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا<sup>(٤)</sup>

هذا بعض من شأن العلماء مع ثم العاطفة ، وغاية ما يقال فيه أن العلماء لاحظوا خروج (ثم) عن نسق فائدتها المعنوية وإفادتها فوائد أخرى غير التراخي والمهلة بحسب ورودها في السياق ، ومعنى ذلك أن التابع والحركة التي أحدثتها ثم في نفس محمود شاكر قد تكون واحدة من دلالات المعاني السياقية التي تنتجها ثم حين تتركب مع غيرها ؛ إذ إنها حرف لا يظهر معناه إلا مع غيره ، لاسيما وأن المشهد الحركي الذي أحسه

---

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ، ج٤، ص ٦٥٠ .

(٢) السابق ، ج٣، ص : ٥١٥ .

(٣) سورة الكهف ، الآية الكريمة رقم : ( ٥٧ ) .

(٤) البيت في ديوان الحماسة منسوب لجعفر بن علبة الحارثي ، ينظر شرح ديوان الحماسة للبريزي ، ج١، ص ٩ ، ولم أجد لجعفر بن علبة ترجمة إلا في مقالة علمية إلكترونية لباحث اسمه عباس بن هاني الجراخ ، ذكر فيها أنه جعفر بن علبة بن ربيعة ويكنى بأبي عارم؛ وعارم ابن له قد ذكره في شعره ، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه ، وكان جعفر قد قتل رجلا من بني عقيل قيل إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغايروا عليها ، وقيل بل في غارة أغارها عليهم ، وقيل بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته فرصدوه في طريقه إليهن ، فقاتلوه فقتل منهم رجلا فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه ، وأخبره في هذه الجهات كلها تذكر وتنسب إلى من رواها ، والأصفهاني ذكر أنه كان يكنى " أبا عارم، وعارم ابن له ذكره في شعره ، وكان لجعفر من الإخوة إثنان، هما : جعد وماعز ، وكان أبوه علبة شاعراً وأورد له أبو الفرج الأصفهاني أبياتاً في رثاء ابنه جعفر .

شاكر هو ما يجده القارئ في نفسه فعلياً حينما يقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة المدثر ، والتي تنتقل بالقارئ حركياً بين عبوس وجه الموصوف وتقطيئه وإدباره واستكباره ، وكأنك ترى كل ذلك في مشهد أمام ناظريك ، بل وتستطيع مع إحساس مثل إحساس الأستاذ شاكر أن تقبض على خلجات نفس الوليد بن المغيرة من بين كلمات الآيات المباركة ، وتتسلط على موجهاته الفكرية والشخصية من خلال تدقيقك النظر بالإحساس بتقاسيم وجهه وكلام الله عز وجل يلقي عليه، وعليه فاستنباط الأستاذ غاية في الفطنة والإحساس العجيب باللغة .

وقد سبق القول بأن ما رآه شاكر في (ثم) في هذه الآيات قد تبدى له وهو يحس بالحركة التي أحدثتها (ثم) في قول الشاعر السابق (وَفُتُوْهُ هَجَرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا) ، وحينما لم يكن منه ترقٍ مع الإحساس بالحركة والتتابع الذي أحدثتها (ثم) لم يقرر شيئاً من ذلك ، وبناء عليه وحينما لم ينته إليه هذا الإحساس الشعري لم يتطرق لما أحدثته (ثم) من حركة وتتابع في الآيات التي استدلت بها هنا مطلقاً في جامع البيان لابن جرير الطبري ، حيث لم يورد الأستاذ في حواشي جامع البيان شيئاً من الحركة والتتابع التي أحدثتها ثم في آيات سورة المدثر ، على أنه أتم كتابه غلط صعب وخط مخيف والذي سجل فيه هذا الاستنباط قبل أربعة أعوام من نشره جامع البيان بمعونة أخيه الشيخ أحمد شاكر رحمهما الله ، وعلى أن لغة الجزم والقطع التي تحدث بها الأستاذ عن الحركة والتتابع التي أضافتها (ثم) في الآيات حينما استدعاها كدليل ، كانت موهمة لأن يتمسك بها في جامع البيان ولكنه لم يفعل ، فهل تراءى له أن يكتفي بما أورده في كتابه غلط مع أنه لم يلامس فيه الآيات تحليلاً وبسطاً كونها جاءت دليلاً ؟ أم وجد في نفسه شيئاً من ذلك ولم يرَ أن يخوض فيه في كتاب الله عز وجل كما رأى ألا يخوض في اعتبار النحاة لثم بالتراخي والمهلة ؟ أم غلبه عليه نسيان وطول أمد ؟

وقد يُظنُّ أن مرد عزوف شاكر عن تسجيله إحساسه بما أحدثته ثم من حركة وتتابع في تفسير آيات المدثر ، أن ابن جرير الطبري نفسه الذي يحقق شاكر منته لم يُفِض في ذلك في تفسيره لهذه الآيات ، وسيكون الإقرار بهذا الظن وقبوله غير متجانس مع طبيعة محمود شاكر العلمية ، التي لا تنفك عن الإيضاح والزيادة والقبول والنقض والاستدراك على علماء التراث كلما استدعى تذوقه الخاص شيئاً من ذلك ، لا سيما وأن اعتراضات شاكر على ابن جرير في جامع البيان كافية وإضافاته العلمية في الحواشي وفيرة في كثير من الأمور التي زاد فيها

على ابن جرير أو عارضه أو استدرك عليه ، إذن فعدم استفاضة ابن جرير عن (ثم) في تفسير آيات المدثر ليست كافية في الاعتذار عن عزوف شاكر عن تسجيل استنباطه عن تتابع وحركة ثم في الآيات المباركة ، لاسيما وأن الحركة والتتابع التي أحدثتها ثم في الآيات أشد ظهوراً وجلالاً فيها من البيت الشعري ، ففتية ابن أخت تأبط شراً كان منهم ما يكون من الركب في التهجير والإسراء والحلول .

أما الآيات الكريمة فكان فيها حركات متتابعة مترامية فيها تفكير ، وتقدير ، ونظر ، وعبوس وجه ، وبسور ، واستدبار ، واستكبار ، محتوم كل ذلك بقول اختصر نتائج كل هذه الحركات المتتابعة التي أفادتها ثم .

وكان الأولى أن يدون شاكر ذلك في حواشي تفسير ابن جرير لسورة المدثر كونها دليلاً يقاس ما فيه على غيره ويستأنس به ، وكذلك لم ينبس الأستاذ بحرف واحد عن ذلك في مواضع أفاض فيها ابن جرير الطبري الحديث عن (ثم) العاطفة ، والتي تشبه (ثم) في آيات سورة المدثر من حيث عدم اشتغالها على الفائدة المعنوية التي ألزمها بها النحاة ، ومن هذه المواضع حديث ابن جرير عن ثم العاطفة الواردة في قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>

يقول ابن جرير الطبري في معنى الترتيب والتعاقب الذي ينتهي عن ثم في هذه الآية :

" وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: (ولقد خلقناكم) ، ولقد خلقنا آدم = (ثم صورناكم) ، بتصويرنا آدم.... كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالأفعال تضيفها إليه، والمعنى في ذلك سلفه ... و"ثم" في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، وذلك كقول القائل: "قمت ثم قعدت ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل: قمت وقعدت ؛ ..... لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفًا، لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها ، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين .... " <sup>(٢)</sup>

(١) سورة الأعراف ، الآية الكريمة رقم : (١١) .

(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري ، ج ١٢ ، ص ٣٢٢ .

وعليه فالأقرب للصواب القول بأن الذي صرف شاكر عن تدوين ذلك في جامع البيان ما تمت الإشارة إليه سابقاً من أن الذي أيقض إحساسه بأثر الحركة والتتابع الذي أحدثته (ثم) انفعاله النقدي وترقي إحساسه لإحساس الشاعر في البيت الشعري الذي وردت فيه من تلك القصيدة .

وحينما لم يكن شيئاً من ترقى الإحساس النقدي لم يتطرق شاكر لمزيد من التفصيل عن ثم في هذين الموضعين في جامع البيان ، وقد يكون من الصواب أيضاً القول بأن الحركة والتتابع الذي أحدثها أسلوب العطف في البيت الشعري أو الآيات الكريمة من سورة المدثر قد يلاحظ ويستجلى من غير العطف بثم ، حيث من الممكن استشعار ذلك المشهد الحركي لو أن الأداة العاطفة هي الفاء أو الواو ، فثم كانت بمثابة الوصلة المتقطعة التي ربطت الأفعال الحركية فعلياً، فالأفعال الواردة في الآيات الكريمة ( فَكَّرَ ، قُتِلَ ، قَدَّرَ ، نَظَرَ ، عَبَسَ ، بَسَرَ ، أَدْبَرَ ، وَاسْتَكْبَرَ ) ظاهر فيها معنى الحركة بذاتها .

أما حرف العطف الذي يربط بين هذه الأفعال أياً كان فدوره الربط المنطقي بين هذه الأفعال ليتكون المشهد الحركي بتتابع يرقى لأن يكون مشهداً يسترعي الانتباه ، فلو قلنا في غير القرآن الكريم :

( الوليد بن المغيرة حينما سمع كلام الله عز وجل فكر فقدر فنظر فعبس فبسر فأدبر فاستكبر ) .

( الوليد بن المغيرة حينما سمع كلام الله عز وجل فكر وقدر ونظر وعبس وبسر وأدبر واستكبر ) .

فالمشهد الحركي واضح كل الوضوح في التركيبين بدون استخدام ثم العاطفة ، إذ إن الفاء والواو العاطفتين قد قامتتا بالربط فقط بن الأفعال التي كان لها الفضل في إبراز الحركة والتتابع فعلياً ، وعليه فإن القيمة الحقيقية التي ظهرت معها الحركة والتتابع هي قيمة العطف بذاته وليس حرف العطف (ثم) بذاته ، على أن الحرف ثم في الآية الكريمة قد وقع موقعاً غاية في البلاغة والبيان

فالتعبير القرآني الكريم بثم أكسب حركات الوليد بن المغيرة مهلة وتراحياً أفادت بأن الفعل (فكر) كان تفكيراً عميقاً طال معه الوقت بحيث لا يصح أن يكون الفعل (نظر) بعده قد أتى بعد تفكير سريع عابر ، بل أتى بعد تفكير عميق وطويل ، فقد كان بين مارآه وبين ما فكر به ما يستحق أن يعبر عنه بثم العاطفة التي تفيد مهلة وتراحياً قد لا تفيده مثلها من أخواتها أدوات العطف ، ومثل ذلك يقال بين الأفعال (نظر وعبس) (بسر

وأدبر) ، وقيمة التعبير بالتراخي والمهلة بين هذه الأفعال أن اتهام الوليد بن المغيرة لمحمد ﷺ بأنه ساحر وأن ماجاء به يفرق بين المرء وزوجه جاء بعد تفكير وتريث وإمعان في الكفر والإلحاد ، فاتهامه للنبي ﷺ بذلك هو الذي ختم به القرآن الكريم هذا المشهد الحركي في آيات سورة المدثر ، والذي جعله المفسرون سبباً لنزول هذه الآيات المباركة ، ومنهم ابن جرير الطبري حيث قال بعد قوله السابق : "وخبر ذلك أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقى له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال: لم؟ قال: يعطونكه فإنك أتيت مُجّداً تتعرض لما قبّله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك مُنكر لما قال، وأنتك كاره له؛ قال: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فلما فُكّر قال: هذا سحر يأتريه عن غيره " .

وعليه فإن اتهام الوليد بن المغيرة بالسحر قد سبقه حراك فكري متتابع وخطوات بينها من المهلة والتراخي مالا تتسع له إلا ثم من بين أخواتها ، ولذلك جاءت الآيات بتكرار ثم فيها لإثبات ذلك التراخي والمهلة بين كل فعل وفعل ، كما أن التعبير بثم وحدها يحاكي الواقع الذي من أجله نزلت هذه الآيات المباركة ، فمن خلال سبب نزول الآيات المثبت أعلاه يتبين جلياً أن المهلة والتراخي بين الأفعال التي صورت حركات الوليد بن المغيرة المتتابعة واقعاً ، حيث لم تتعاقب هذه الأفعال بما تعقب به المصافحة بسط اليد في قولنا : بسطت يدي لزيد فصافحني ، بل تعاقبت وجاء بينها مهلة وتراخ وامتسع من الوقت ، الأمر الذي يؤكد لنا أن استنباط محمود شاكر قائم على حسن بصر وإحساس باللغة .

ومن أدلة الاستنباط عند محمود شاكر بالسنة النبوية المشرفة على صاحبها أفضل صلاة وأتم التسليم والشعر العربي معاً ، استنباطه الخاص بمعنى (انجاء) في نفس البيت السابق :

وَفُتِّوْهُ هَجَرُوْهُ ثُمَّ أَسْرَوْا      لَيَّلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حَلُّوْا

فقد استدعى شاكر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم رواه البخاري في صحيحه ؛ وبيتاً شعرياً لدعم استنباطه وفهمه الخاص لمعنى كلمة انجاء الواردة في البيت ، حيث نفى أن يكون معنى انجاء

السحاب انكشف السماء وذهاب السحاب حتى لا يرى منه شيء ، وبديلا عن ذلك يرى شاكر أن معنى انجباب السحاب " أن يتصدع السحاب وتنفثق في ركامه جوية مستديرة تكشف عن جزء من سماء صافية ملساء والسحاب محيط بها من آفاقها ونواحيها <sup>(١)</sup> ، واستدعى لدعم استنباطه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الاستسقاء في صحيح البخاري الذي روي بالفاظ مختلفة ، لأن هذه الروايات المختلفة في نظره تحدد معنى انجباب السحاب الذي يدعم استنباطه ، والحديث الذي استدلل به خبره أن المطر تتابع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجمعة إلى الجمعة التي تليها في المدينة المنورة ، فتسببت كثرة المطر واستمراره في هلاك المواشي وتهدمت من أثره بعضاً من البيوت ، فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه فقال صلى الله عليه وسلم : ( اللهم على رؤس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر ) ، وموطن الاستدلال هو قول أنس بعد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : " فما يشير بيده صلى الله عليه وسلم إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة " ، وجاء في لفظ آخر : " فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل " ثم جاء الحديث نفسه بلفظ آخر أن السحابة الماطرة : " انجابت عن المدينة انجياب الثوب " . وهذا الحديث قد جاء في صحيح البخاري في مواضع متفرقة منها ثلاثة في كتاب الاستسقاء ، أولها في باب ( باب من اكتفى بصلاة الجمعة في الاستسقاء ) ، ونصه : " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت المواشي وتقطعت السبل ، فدعا فمطرونا من الجمعة إلى الجمعة ثم جاء فقال تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلك المواشي فادع الله بمسكها ، فقام صلى الله عليه وسلم فقال ( اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر ) . فانجابت عن المدينة انجياب الثوب " <sup>(٢)</sup> وثاني هذه المواضع في ( باب الدعاء إذا انقطعت السبل من كثرة المطر ) ، ونصه قريب من نص سابقه باختلاف ملحوظ في نص دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ونص الحديث : " جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمطروا من الجمعة إلى الجمعة فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلك المواشي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اللهم على رؤوس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر ) ،

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر ص : ٢١٣ .

(٢) الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب

البغا ، ط ٣ ، عام ١٩٨٧ م ، لدار ابن كثير ، اليمامة ببيروت ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .



فانجابت عن المدينة انجياب الثوب"<sup>(١)</sup> ، وثالثها في باب (إذا استشفعوا إلى الإمام ليستسقي لهم لم يردهم) وهو في النص كسابقه مع اختلاف ملحوظ في نص دعاء النبي ﷺ ، ونص الحديث: " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله هلكت المواشي وتقطعت السبل فمدع الله . فدعا الله فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلك المواشي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ( اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر ) . فانجابت عن المدينة انجياب الثوب "<sup>(٢)</sup> ، ورابعها في (باب رفع اليدين في الخطبة ) ، ونصه : " : أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه و سلم فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال يا رسول هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه و سلم فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع يديه فقال ( اللهم حوالينا ولا علينا ) ، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يحىء أحد من ناحية إلا حدث بالجوود "<sup>(٣)</sup> ، وخامسها في باب علامات النبوة في الإسلام ، ونص الحديث : "أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فبينما هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال يا رسول الله هلكت الكراع هلكت الشاء فادع الله يسقينا . فمد يديه ودعا قال أنس وإن السماء لمثل الزجاجة فهاجت ريح أنشأت سحابا ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله يحبسها . فتبسّم ثم قال ( حوالينا ولا علينا ) . فنظرت إلى السحاب تصدع حول المدينة كأنه إكليل "<sup>(٤)</sup> ،

(١) صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

(٢) السابق : ج ١ ، ص ٣٤٥ .

(٣) السابق : ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٤) السابق : ج ٣ ، ص ١٣١٣ .

وسادسها في باب التبسم والضحك ، ونص الحديث : " أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة فقال قحط المطر فاستسقى ربك ، فنظر إلى السماء وما نرى من سحب فاستسقى فنشأ السحاب بعضه إلى بعض ثم مطروا حتى سالت مئاعب المدينة فما زالت إلى الجمعة المقبلة ما تقلع ثم قام ذلك الرجل أو غيره والنبي صلى الله عليه و سلم يخطب فقال غرقنا فادع ربك يجبسها عنا فضحك ثم قال ( اللهم حوالينا ولا علينا ) . مرتين أو ثلاثا فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يمينا وشمالا يمحط ما حوالينا ولا يحط منها شيء يريهم الله كرامة نبيه صلى الله عليه و سلم وإجابة دعوته" (١) ، وسابعها في باب الدعاء غير مستقبل القبلة ونص الحديث فيه : " بينا النبي صلى الله عليه و سلم يخطب يوم الجمعة فقام رجل فقال يا رسول الله ادع الله أن يسقينا . فتغيتم السماء ومطرنا حتى ما كاد الرجل يصل إلى منزله فلم تزل تمطر إلى الجمعة المقبلة فقام ذلك الرجل أو غيره فقال ادع الله أن يصرفه عنا فقد غرقنا، فقال ( اللهم حوالينا ولا علينا)، فجعل السحاب يتقطع حول المدينة ولا يحط أهل المدينة " (٢) .

أما أهل اللغة فيقولون أن الجوبة " الفُرْجَةُ في السحاب وفي الجبال، وانجابت السحابة: انكشفت " (٣) ، ويرون أن الجوبة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه السابق " الحُفْرَةُ المِسْتَدِيرَةُ الواسِعَةُ وكلُّ مُنْفَتِحٍ بلا بِنَاءٍ جَوْبَةٌ أي حتى صار الْعَبِيْمُ وَالسَّحَابُ مُحِيطًا بِأَفَاقِ الْمَدِينَةِ وَالْجَوْبَةُ : الْفُرْجَةُ في السَّحَابِ وفي الجِبَالِ " (٤) .

واستنباط محمود شاكر مبني على إثبات ونفي ، واستدلالة يقوم على الإثبات لا على النفي ، وبيان ذلك أن شاكر يرى أن انجياب السحاب معناه أن يتصدع السحاب وتفتق في ركامه جوبة مستديرة تكشف عن جزء من سماء صافية ملساء والسحاب محيط بها من آفاقها ونواحيها ، وانجباب في بيت ابن أخت تأبط شراً مشتق من هذا المعنى ، وهذا هو الشق المستنبط الذي يقوم على الإثبات والذي استدلل له بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) السابق : ج ٥، ص ٢٢٦١.

(٢) السابق : ج ٥، ص ٢٣٣٥.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، ج ١ ، ص : ١٠٤ .

(٤) تاج العروس للزبيدي : ج ٢، ص ٢٠٣.

الذي رواه البخاري بألفاظ مختلفة ، والحق أن تلك الروايات المختلفة تتعاقد جميعاً للكشف عن معنى الجوبة التي استنبطها شاعر واستدل لها ، فمعنى انكشاف الظلام وانقشاعه لا يتلاءم مع سياق البيت ومراد الشاعر ، فالفتية الذين وصلوا التهجير بالإسراء سرعة منهم في طلب الثأر ، لا يتناسب مع سرعتهم أن ينتظروا انجياب ظلام الليل وانكشافه ثم يخفوا إلى أعدائهم ، وعليه فإن انجياب في قوله (حَتَّى إِذَا انْجَابَ حُلُوهَا) لا يحمل معنى انكشاف الظلام وانقشاعه لتعارضه مع سياق السرعة والتلهف لأخذ الثأر الذي يظهر في البيت ، ولكنه يحمل ما أراد له شاعر من أن انجياب الظلام الذي أراده الشاعر هو " ظهور صدع مفتوح في ركام الظلام قبل المشرق ، وهو الضوء الخابي المكفوف من وراء الليل والظلام محيط به من نواحيه ، وذلك عند أول مطلع الفجر حيث لا تستبين شيئاً ولا تراه إلا تلمساً " <sup>(١)</sup> ، واستشهد شاعر أيضاً لوجود هذا الوقت في شعر العرب بوصف ذي الرمة <sup>(٢)</sup> له في قوله :

إلى أن يشقَّ اللَّيْلَ ورْدُ كَأَنَّهُ      وراء الدُّجَى هادي أغرَّ جوادٍ <sup>(٣)</sup>

وصواب الأمر كما استنبطه شاعر أنه هو ذات الوقت الذي يمكن أن تُفسر به كلمة (انجياب) في بيت ابن أخت تأبط شراً ، ولا يعضد القول بذلك فقط تناسقه مع سياق السرعة والتلهف لطلب الثأر ، بل يعضده

(١) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر ، ص ٢١٤ .

(٢) أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن العدوي الرباعي التميمي ، ولد عام ٧٧هـ ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين ؛ إذ كان كثير التشبيب بمية ، وهي مية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرية وقد كانت فاتنة الجمال ، وهو من شعراء العصر الأموي ومن فحول الطبقة الثانية في عصره ، ويقال إنه كان ينشد شعره في سوق الإبل ، فجاء الفرزدق فوقف عليه ، فقال له ذو الرمة: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ فقال: ما أحسن ما تقول! قال: فما لي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن وصفتك للأبصار والعطن، وقال أبو عمرو بن العلاء: ختم الشعر بذبي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج ، وقال أبو عمرو: قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قوله قصيدته التي أولها : ما بال عينك منها الماء ينسكب - لكان أشعر الناس ، توفي عام ١١٧هـ وهو في سن الأربعين ، ينظر لترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ .

(٣) ديوان ذي الرمة ، تقديم وشرح أحمد حسن بسج ، ط ١ ، عام ١٩٩٥ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص ٧٠ .

أمر آخر ، وهو أن العرب كانت تتخذ من الليل درعاً للغارة والحرب ، فنوم الليل لديهم لا يتفق مع ما تستدعيه الغارة والحرب من التهيؤ واليقظة والاستتار بالليل للهجوم ، وذلك في مثل قول عمرو بن بَرّاقة<sup>(١)</sup> :

وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلُّ مَالِهِ حُسَامٌ كَلَوْنَ الْمِلْحِ أَيْضُ صَارِمٍ

عَمُوضٌ إِذَا عَضَّ الْكَرْبَهَةَ لَمْ يَدَعْ لَهُ طَمَعاً طَوْعُ الْيَمِينِ مُلَازِمٌ<sup>(٢)</sup>

ومن ذلك أيضا قول الشنفرى<sup>(٣)</sup> :

وَلَيْلَةَ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رُبُّهَا وَأَقْطَعُهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ عَلَى غَطَشٍ وَبَغَشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيرٌ وَوَجَرٌ وَأَفْكُلٌ<sup>(٤)</sup>

(١) عمرو بن الحارث بن عمرو بن منبه الهمداني ، ويعرف بعمرو بن بَرّاقة وهي أمه ، شاعر همدان قبيل الإسلام ، له أخبار في الجاهلية ، عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد عليه ، قال الكلبي : أذن عمر للناس فدخل عمرو ابن بَرّاقة وكان شيخاً كبيراً يعرج ، توفي على أصح الأقوال عام ١١ هـ .

(٢) كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ، ص : ٣١ .

(٣) عمرو بن مالك الأزدي ، من قحطان ، شاعر جاهلي ، يمني ، من فحول الطبقة الثانية وهو صاحب لامية العرب ، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائريهم ، وكان من فتاك العرب وعدائهم ، وقيست ففزاته ليلة مقتله فكان الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة ، وفي الأمثال (أعدى من الشنفرى) ، وكان الشنفرى سريع العدو لا تدركه الخيل حتى قيل : (أعدى من الشنفرى) ، وكان يغير على بنو سلامان ، وقد ظفر به أعداؤه وقتلوه قبل ٧٠ سنة من الهجرة النبوية على أصح الأقوال ، ينظر في ترجمته لمقدمة ديوانه ، جمع وتحقيق إميل يعقوب ، ص ٩ وما بعدها ، ط ٢ ، عام ١٩٩٦ م ، لدار الكتاب العربي ببيروت .

(٤) الغطش من (غَطَشَ اللَّيْلُ يَغْطِشُ ، أَظْلَمَ) تاج العروس للزبيدي ، ج ١٧ ، ٢٩٢ ، البغش (البَغْشَةُ: المطرُ الضَّعِيفَةُ) ، السابق : ج ١٧ ، ص ٨٣ ، السعار : (الجَوْعُ وَقِيلَ: شِدَّتُهُ ، وَقِيلَ: هَيْبُهُ) السابق : ج ١٢ ، ص ٣١ ، إرزير : (الصَّوْتُ فِي الْبَطْنِ مِنَ الْقَرْقَرَةِ وَنَحْوِهَا ، أَوِ الْوَجَعُ يَجِدُهُ الرَّجُلُ فِي بَطْنِهِ) والمقصود صوت في البطن من شدة الجوع ، السابق ، ج ١٥ ، ص : ١٥٤ ، الوجر : (الْخَوْفُ) ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ ، الأفكل : (الأَفْكَلُ، كَأَحْمَدَ: الرَّعْدَةُ تَعْلُو الْإِنْسَانَ، تَكُونُ مِنَ الْبَرْدِ وَالْخَوْفِ) ، السابق : ج ٣٠ ، ص ١٨٨ .

فَأَيْمَنُ نِسْوَائاً وَأَيْمَنُ الْإِدَّةَ

وَعُدْتُ كَمَا أُبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلُ

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْعُمَيْصَاءِ جَالِساً

فَرِيقَانِ مَسْئُولُ وَآخَرُ يَسْأَلُ<sup>(١)</sup>

وهذا الوقت الذي هو ظهور صدع مفتوق في ركام الظلام قبل المشرق وذلك عند أول مطلع الفجر موطن استنباط شاكر لمعنى الانجياب في البيت ، هو الوقت المنصوص عليه في الكتاب الذي أرسله علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معقل بن قيس الرياحي<sup>(٢)</sup> ، حيث حثه على السير للحرب في هذا الوقت تحديداً ، وذلك في قوله عليه السلام :

" ولا تسر أول الليل فإن الله جعله سكناً ، وقدره مقاماً لا ظعنأ ، فأرح فيه بدنك ، وروح ظهرك ، فإذا وقفت حين ينبطح أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله " <sup>(٣)</sup>

هذا ما يختص بالاستنباط القائم على الإثبات في هذا الموضع عند الأستاذ شاكر ، أما الاستنباط القائم على النفي فالمقصود به نفيه في هذا الموضع أن يكون للانجياب معنى التكشف والانقشاع ، فبعد أن قرر في استنباطه السابق معنى الانجياب الذي يتلاءم مع سياق البيت ومع دلالاته ، قال الأستاذ :

" وحيث ورد لفظ انجباب في كلام العرب ، فهو حامل جمهور هذا المعنى ، و لا تكاد تجده بمعنى مطلق

---

(١) ديوان الشنفرى ، ص : ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) معقل بن قيس (أو عبد قيس) الرياحي، من بني يربوع: قائد، من الشجعان الأجواد، أدرك عصر النبوة، وأوفده عمار بن ياسر على عمر، بشيرا بفتح تستر ، ووجهه على بني ناحية حين ارتدوا ، ثم كان من أمراء الصفوف يوم الجمل، وولي شرطة علي بن أبي طالب عليه السلام ثم كان مع المغيرة بن شعبة عليه السلام في الكوفة ، فلما خرج المستورد بن علفة جهز المغيرة معقلا في ثلاثة آلاف وسيره لقتاله ، فنشبت بينهما معركة على شاطئ دجلة، فتبارزا ؛ فقتلا معا ، وكان ذلك سنة اثنتين وأربعين في خلافة معاوية ذكره الطبري وأرخه أبو عبيدة سنة تسع وثلاثين في خلافة علي وفيه قال جرير:

ومنا فتى الفتيان والجود معقل ومننا الذي لاقى بدجلة معقلا (ديوان جرير ، ص ٣١٩)

ينظر لترجمته في الأعلام للزركلي ، ج ٧ ، ص ٢٧١ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج ١٥ ، ص ٩٢ .

التكشف والانقشاع .... " (١) .

والحق أن هناك شواهد من كلام العرب تدل على أن ( انجاب ) تأتي بمعنى الكشف والانقشاع ، متوافقة مع ما نصت عليه العديد من معاجم اللغة في ذلك (٢) ، ومن واضح ذلك وجليه قول أم الضحاك المحاربية (٣) :

لَمْ أَنْتَبِهْ حَتَّى وَقَفْتُ بِعَيَّةٍ  
مِنْ الْعَيِّ ثُمَّ انْجَابَ عَيِّي غِطَائِيَا  
فَأَقْصَرْتُ عَمَّا تَعْلَمِينَ وَلَا أَرَى  
أَخَا غِيَّةٍ عَنْهَا انْتَهَى كَانَتْهَايَا (٤)

فانجياب الغطاء انكشافه عن المغطى به ، ومن ذلك أيضا ما ذكره صاحب التهذيب في بيت للعجاج ابن رؤبة :

" وَجَيْبُ اللَّيْلِ: الصُّبْحُ .... قَالَ الْعَجَّاجُ:

حَتَّى إِذَا ضَوْءُ الْقَمِيصِ جَوَّابَا  
جَوَّبَ: نَوَّرَ، وكشف، وجلَّى " (٥)

والمقصود : حتى إذا كشف ضوء الصبح غيب الليل وقشعه وجلّاه بنوره .

ومن ذلك أيضاً ما رواه الجاحظ في البيان والتبيين في وصف الخمر وشرها في الليل كله حتى ينجاب صباحاً :

---

(١) نط صعب ونمط مخيف ، لمحمود شاكر : ص ٢١٤ .

(٢) ينظر لتهذيب اللغة لأبي منصور مُجَّد بن أحمد بن الأزهرى الهروي ، تحقيق : مُجَّد عوض مرعب ، ج ١١ ، ص ١٤٩ ، ط ١ ، عام ٢٠٠١م ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت ، و ينظر للصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، وينظر للسان العرب لابن منظور : ج ١ ، ص ٢٧٨ ، وينظر لتاج العروس لمرتضى الزبيدي : ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٣) أم الضحاك المحاربية شاعرة جاهلية من شاعرات الغزل ، تزوجت رجلاً من الضباب يدعي عطية، وأحبته حباً شديداً، وما لبث أن طلقها فعاشت أمداً تندي حبه ، إلى أن سلاها طول الفراق ، ينظر لشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت ، ص ٦٤ ، ط ١ ، عام ١٩٣٤م ، للمكتبة الأهلية ببيروت .

(٤) الأبيات منسوبة إلى أم الضحاك المحاربية في كتاب بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور ، صححه وشرحه: أحمد الألفي ، ط ١ ، عام ١٩٠٨م ، مطبعة مدرسة والده عباس الأول بالقاهرة ، ص ٢٠٢ ، ولم أجد لها نسبة في غيره في حدود بحثي وإطلاعي .

(٥) لم أجد البيت في ديوان رؤبة بن العجاج .

(٦) تهذيب اللغة ، لأبي منصور الهروي : ج ١١ ، ص ١٤٩

وَصَافِيَةٍ تُعْشِي الْعُيُونَ رَقِيقَةً  
أَذْرْنَا بِهَا الْكَأْسَ الرَّوِيَّةَ بَيْنَنَا  
فَمَا ذَرَّ قَرْنَ الشَّمْسِ حَتَّى كَانْنَا  
رَهِيْنَةً عَامٍ فِي الدَّانِ<sup>(١)</sup> وَعَامٍ  
مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ كُلُّ ظَلَامٍ  
مِنَ الْعَيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ<sup>(٢)</sup>

ومن الجلي البين في ذلك أيضاً ما رواه الجاحظ في كتابه الحيوان :

كَانَتْ أُمُورٌ فَجَابَتْ عَنْ حُلُومِكُمْ<sup>(٣)</sup>  
إِنِّي لِأَعْلَمُ ظَهَرَ الضُّعْنِ أَعَزُّهُ  
عَيِّ وَأَعْلَمُ أَنِّي أَكِلُ الْكِفَا<sup>(٤)</sup>

وعلى معنى الكشف والجلاء وظف البحترى<sup>(٥)</sup> لفظة انجباب في قوله :

(١) الدنان واحد : (الدن) " وهو وعاء ضخم للخمر ونحوها " ، المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

(٢) الأبيات بدون نسبة في البيان والتبيين ، ونسبها المبرد لإسحاق الموصلي في كتابه الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج ٣ ، ص ٤٠ ، ط ٣ ، عام ١٩٩٧ م ، لدار الفكر العربي ببيروت ، وكذلك نسبها إليه أبو منصور الثعالبي ، في كتابه خاص الخاص ، شرح وتعليق مأمون بن محيي الدين الجنان ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص : ١١٣ ، ط ١ ، عام ١٩٩٤ م ، وكذلك نسبهما لإسحاق الموصلي أبو المعالي البغدادي ، في كتابه التذكرة الحمدونية ، ط ١ ، عام ١٤١٧ هـ ، لدار صادر ببيروت ، ج ٦ ، ص ٣٦٦ .

(٣) يوجد رواية أخرى للشطر الأول من البيت فيها حكومتكم بدلا من حلومكم ليكون الشطر :

كَانَتْ أُمُورٌ فَجَابَتْ عَنْ حُكُومَتِكُمْ

وهي أجود من هذه الرواية ، لأنها تأخذ بعنق مطلع القصيدة :

أَبْلَغُ قُرَادًا لَقَدْ حَكَمْتُمْ رَجُلًا  
لَا يَعْرِفُ النَّصْفَ بَلْ قَدْ جَاوَزَ النَّصْفَ

فحكومتكم في البيت الشاهد نتيجة عن التحكيم الوارد في مطلع القصيدة والذي عليه تدور الأبيات ، ولأجل ذلك كانت هذه الرواية أجود وأليق بالمعنى من رواية الجاحظ ، وهي مثبتة في الدر الفريد وبيت القصيد ، لمحمد بن أيدير المستعصمي ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط ١ ، عام ٢٠١٥ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ج ٩ ، ص ٣٤٤ ،

(٤) نسب الجاحظ الأبيات التي منها هذين البيتين لرجل من بني عبس لم يفصح عن اسمه ، ينظر : الحيوان للجاحظ ، ج ٣ ، ص ٨٨ ، ونسبها المستعصمي ، إلى رجل من بني عبد قيس لم يفصح عن اسمه أيضاً ، ينظر الدر الفريد وبيت القصيد ، لمحمد بن أيدير المستعصمي ج ٩ ، ص ٣٤٤ ، ولم أجد في غيرهما نسبة لشاعر بعينه في حدود بحثي وإطلاعي .

(٥) أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي ، ولد في منبج إلى الشمال الشرقي من حلب في سوريا. عام ٢٠٦ هـ ، قال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، المتنبي وأبو تمام والبحترى ، قيل لأبي العلاء المعري : أي الثلاثة أشعر؟ فقال : المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحترى ، وقد اجتمع بأبي تمام الطائي ، وأراه شعره ، فأعجب به ، وقال: أنت أمير الشعر بعدي ، توفي عام ٢٨٤ هـ ، ينظر لترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج ١٣ ، ص ٤٨٦ .

صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّ غُرَّةَ وَجْهِهِ

فَلَقَى الصَّبَاحَ انْجَابَ عَنْهُ دُجَاهُ

يَجْرِي إِذَا جَرَّتِ الْحَيَاةُ عَلَى الْوَنَى

فَيَبْدُ أُولَى جَزِيئَهَا أُخْرَاهُ<sup>(١)</sup>

والشواهد في استخدام انجاء بمعنى التكشف والانقشاع كثيرة ، وغاية الأمر أن الاستدلال بالنص عند محمود شاعر يمثل شقاً كبيراً من أدلته التي احتج بها لاستنباطاته ، معتمداً في كثير من استنباطاته على فصيح الكلام الذي يحتج به ، فاستدعى لذلك شيئاً من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ وآثار الصحابة والشعر الفصيح ، ويلاحظ على الأستاذ شاعر وهو يستدعي هذه الأدلة محاولات حثيثة لتوجيه الاستدلال بها إن لم تنص نصاً مباشراً على استنباطه ، فيجعل تذوقه لها وفهمه الخاص بها موجهاً لها لأن تكون دليلاً يستأنس به ويرد استنباطه إليه ، وهو عندما يقوم بذلك تحديداً فإنه يقوم بعملية فكرية تتضمن وضع الحقائق الأدبية أو اللغوية أو المعلومات بشكل عام بطريقة منظمة ، يغلفها بأسلوب أخاذ وقلم سيال وتمكن من الكلمة ، بحيث يصل في نهاية المطاف إلى استنتاج واستنباط يستلزم إقرار المتلقي وإيمانه بصحته .

---

(١) ديوان البحري ، شرح وتحقيق : حسن بن كامل الصيرفي ، ج ٤ ، ص ٢٤٣٢ ، ط ٣ ، عام بدون ، لدار المعارف

المصرية.



## الأدلة العقلية :

للعقل منزلة كبيرة في المجالات الاستدلالية ؛ فهو قادر على أن يجعل الطريقة التي يفكر بها دليلاً بحد ذاتها على صحة بعض الاستنباطات ، والعادة أن يمنح المستنبط في العلوم الأدبية والنقدية إلى الدليل العقلي عند عدم وجود أدلة نقلية تدعم الاستنباط الذي هو بصدده ، وفي هذه الحالة يكون الدليل النقلي أقوى من الدليل العقلي ؛ لأنه الخطوة الثانية والبديلة التي يمنح إليها المستنبط بعد الدليل النقلي ؛ ولأن العلوم العربية التي تختص بالمجالات الشرعية والعقائدية واللغوية إنما تنبني وتقوم على أساس من تلك الأدلة النقلية التي تجعل الاستنباط منطلقاً لها ، فالفقيه مثلاً يحتاج إلى أدلة نقلية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يستنبط منه الحكم الشرعي ، والعالم اللغوي والنحوي يحتاجان إلى منطلق لأحكامهما اللغوية والنحوية وقواعدهما التي تضبط اللغة عن طريق الأدلة النقلية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والفصيح من كلام العرب .

وقد تكون الأدلة العقلية عند البعض قادرة على تقويض بعض الأدلة النقلية ، وفي ظل ذلك نشأ البحث البلاغي والنقدي عند بعض علماء التراث العربي الذين اعتمدوا على الجانب العقلي اعتماداً كبيراً ؛ حتى كان موجهاً ليس في دعم رؤاهم وآرائهم بل حتى في توجيه الأدلة النقلية وطريقة قراءتها بما يتوافق مع المنطلقات والمرتكزات العقلية .

وقد تكون الأدلة العقلية عاضدة ومؤيدة للأدلة النقلية في قضية ما ، ليس لضعف في وجه الاستدلال بذلك الدليل النقلي ، وإنما للتأكيد بدلالته والرغبة من تقوية جانب الاستنباط والاستدلال حتى يصبح الأمر المستنبط في حكم الثابت الذي لا يقبل النقض ولا يتسرب إليه شيء من المعارضة والاحتجاج .

وقد استخدم الأستاذ محمود شaker الاستدلال العقلي في استنباطاته استخداماً لافتاً ، وخاصة في تلك الاستدراكات التي استدرکها على العلماء بشكل عام ، وناهض بها وبشكل خاص استنباطاتهم التي تقوم على أساس عقلي أيضاً ، ومن ذلك قضية قدم الشعر الجاهلي وعمره وطول قصائده قبل الأشعار التي وصلت إلينا منه ، وهذه القضية قضية قديمة ناقشها العديد من علماء التراث العربي ، ويهمننا منها هنا تلك الآراء التي استخدم محمود شaker لمناهضتها الاستدلال العقلي ، فقد تطرق الأستاذ لهذه القضية واستنبط رأيه فيها بعد معارضته لرأي ابن سلام الجمحي والجاحظ تحديداً ، حيث يرى ابن سلام الجمحي بأنه لم :

"... يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات ، يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمر وتُبَّع<sup>(١)</sup>." وقد عقب الأستاذ شاعر على كلام ابن سلام السابق بقوله : " هكذا يرى ابن سلام وغيره من المتقدمين ، وهو عندي باطل ، فالشعر أقدم مما يزعم ، وطويله أعتق مما يتوهم ، وليته قال هنا ما قاله منذ قليل في سبب ذهاب شعر عبید وطرفة ، أن قَدَمَهُما كان السبب في قلة ما روي عنهما، فإذا صح ذلك فمن كان قبلهما أجدر أن يذهب من كلامه أكثر مما ذهب من كلامهما ، وهذا بحث طويل ليس هذا مكان الاحتجاج فيه.<sup>(٢)</sup>"

إذن فشاعر يستنبط قدم الشعر العربي وأنه عتيق بقصائده الطوال وعمره أكبر مما يتوهمه ابن سلام الجمحي وغيره من المتقدمين ، ويستدل لذلك بدليل عقلي ليس من بنات أفكاره ، وإنما جاء به من كلام ابن سلام الجمحي في موضع سابق عن هذا الموضع ، ويتلخص استدلال شاعر العقلي في أن ( مذهب وضاع من الشعر القديم تسبب في قلة ما وصلنا منه وهو السبب في الشك في عمره وحادثة نشأته ) ، ولكنه رأى أن يسند ذلك الاستدلال لابن سلام ليبطل رأيه هنا برأي آخر في موضع سابق ، وبذلك يتحقق له أمران: أولهما : دفع رأي ابن سلام الجمحي عن طريق استحداث ما يشبه التناقض والصدام في كلام ابن سلام نفسه، فابن سلام تناول قبل استنباطه السابق قضية ذهاب الشعر وعدم حفظه مما تسبب في قلة أشعار شعراء لاتتناسب شهرتهم الأدبية مع قلة نتاجهم الواصل إلينا مثل طرفة بن العبد<sup>(٣)</sup> ، وعبید بن الأبرص<sup>(٤)</sup>، مستدلا

(١) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٢٦.

(٢) السابق ، حاشية رقم ٤ ، ج ١ ، ص ٢٦ .

(٣) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، أبو عمرو، البكري الوائلي ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان هجاءً غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد ، اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعب عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاء بها، فقتله المكعب شاباً ، ينظر لترجمته في موسوعة شعراء العصر الجاهلي ، لعبد عون الروضان ص ١٧٥ .

(٤) عبید بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، أبو زياد، من مضر ، شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وهو أحد أصحاب المجهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات ، عاصر امرؤ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وعمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه ، ينظر السابق : ص ١٩٢ .

بذلك أنه قد ذهب الكثير من قصائدهم التي تسببت لهم بهذه المكانة الأدبية ، يقول ابن سلام :

" وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الشَّعْرِ وَسُقُوطِهِ قَلَّةٌ مَّا بَقِيَ بِأَيْدِي الرُّوَاةِ الْمُصَحِّحِينَ لَطَرَفَةِ وَعَبِيدِ الَّذِينَ صَحَّحَ لَهُمَا قِصَائِدَ بِقَدَرِ عَشْرٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا غَيْرُهُنَّ فَلَيْسَ مَوْضِعُهُمَا حَيْثُ وَضَعَا مِنَ الشُّهُرَةِ وَالتَّقْدِمَةِ ، وَإِنْ كَانَ مَّا يَرَوِي مِنَ الْغَنَاءِ لَهُمَا فَلَيْسَ يَسْتَحِقُّانِ مَكَانَهُمَا عَلَى أَفْوَاهِ الرُّوَاةِ ، وَنَرَى أَنَّ غَيْرَهُمَا قَدْ سَقَطَ مِنْ كَلَامِهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي نَالَهُمَا مِنْ ذَلِكَ أَكْثَرَ كَانَا أَقْدَمَ الْفُحُولِ فَلَعَلَّ ذَلِكَ لَذَاكَ ... " (١)

فكما أن ضياع شعر طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص تسبب في قلة قصائدهم ، وتسبب في تنافر بين شهرتهم ونتائجهم الذي بين أيدينا الآن ، فإن الشعر العربي ضاع منه ما يوهنا بأنه حديث النشأة ، وأن قصائده الطوال إنما طولت وهلهلت على يد من وصلنا منهم القصائد الطوال ، وهذا هو الاستدلال العقلي عند محمود شاكر في هذه القضية وفي هذا الموضع بالذات .

ثانيهما : أنه استنتج لنفسه دليلاً عقلياً يدعم استنباطه ويقوي رأيه في أن الشعر العربي قديم النشأة عتيق العهد.

ولم يقف شاكر في هذه القضية عند حد القصائد الطوال وقدمها المرتبطة بقديم الشعر العربي وحادثة نشأته ، بل تجاوزها إلى قضية عمر الشعر الجاهلي نفسه ، فقد كانت واحدة من القضايا التي رَحَّلَ البحث فيها من تحقيقه لكتاب الطبقات إلى كتابه القيم ( قضية الشعر الجاهلي عند ابن سلام ) ، ولأهمية هذه القضية عند شاكر فقد خصها بجزء قيم في كتابه هذا وابتدأ بها ، ورأى أن النقاد الذين تناولوا هذه القضية قبله يؤولون إلى رأي الجاحظ ؛ لثقتهم في عقله وطريقة تفكيره ونظراته الأدبية ، حيث يرى الجاحظ أن الشعر العربي :

"حديث الميлад، صغير السنّ، أوّل من نَحَجَ سبيله، وسهّل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حجر، ومهلhel ابن ربيعة. وكتب أرسطاطاليس، ومعلّمه أفلاطون، ثم بطليموس، وديمقراطس، وفلان وفلان، قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب ، ويدلّ على حادثة الشعر، قول امرئ القيس بن حجر.....:

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَنًا  
ضَيَعَهُ الدُّخْلُونَ<sup>(٢)</sup> إِذْ عَدَرُوا  
أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خَفَازَتَهُ  
وَلَمْ يَضِعْ بِالْمَغِيبِ مَنْ نَصَرُوا

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ص ٢٦ .

(٢) الدخلون : "فُلَانٌ دُخِلَ فُلَانٌ وَدُخِلَ لَهُ إِذَا كَانَ بِطَانَتِهِ وَصَاحِبَ سِرِّهِ" لسان العرب لابن منظور ، ج ١١ ، ص ٢٤٠ .

لَا جَمِيرِيَّ وَفِي وَلَا عُدَسٍ

وَلَا اسْتُ عِيرٍ يَحْكُهَا النَّقَرُ

لَكِنْ عُوِيرٌ وَفِي بِذِمَّتِهِ

لَا قِصَرٌ عَابَهُ وَلَا عَوْرٌ<sup>(١)</sup>

فانظر، كم كان عمر زرارة! وكم كان بين موت زرارة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام؟! فإذا استظهرنا الشعر،

وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائي عام<sup>(٢)</sup>

إذن فالجاحظ هنا يرى أن عمر الشعر العربي مائي عام بحد أعلى ، واستدل بدليل نقلي ليس فيه ما ينص على

عمر الشعر الذي حدده ، بل جاء بالأبيات السابقة لأمرئ القيس ليستدل بما فيها على وجه التأول العقلي ؛

فاستدل بالحساب الزمني لعمر زرارة الذي مات قبيل ولادة النبي ﷺ ، وبحكم أن امرئ القيس ذكر زرارة هذا

في شعره فإن هذا دليل على حداثة الشعر ؛ لأن الجاحظ يرى في بداية استظهاره أن أول من هلهل الشعر

وسهل الطريق إليه امرؤ القيس وخاله مهمل بن ربيعة ، وبذلك يكون الشعر حديث العهد وصغير السن عند

الجاحظ ، وقبل أن يلج الأستاذ شاعر إلى استنباطه الخاص بقدم الشعر وحدثه ، فقد أفاض على النحو

السابق في فهم كلام الجاحظ هذا ، ومحاولة تحديد وجه استدلاله وطريقة حسابه ؛ كي يتسنى له بناء استنباطه

واستدلاله على أساس من الفهم العميق لوجهة نظر الطرف الآخر ، وهذا مما يحسب للأستاذ محمود شاعر

رحمه الله ، وبالنظر إلى استنباط الجاحظ واستدلاله بالجانب العقلي وتوظيف الحساب الزمني وربطه ببعض

ألفاظ النص النقلي الذي استدل به ، فإن الأستاذ شاعر حينما بدأ في مناهضة رأي الجاحظ بدأ من حيث

انتهى الجاحظ بدليله العقلي الذي استند عليه في هذه القضية ، وناهضه بدليل عقلي آخر استطاع به أن

يقوض كثيراً من قوة الجانب الاستدلالي عند الجاحظ في هذه القضية ، فاستدل شاعر على بطلان استدلال

الجاحظ وبطلان استنباطه الخاص بحداثة الشعر العربي بأدلة اعتمد فيها كثيراً على الجانب العقلي الذي اعتمد

الجاحظ عليه ، ومن ذلك :

أولاً : يرى شاعر أن استدلال الجاحظ على حداثة الشعر استدلال حسابي ، والحساب وحده لا يكفي في

تحديد حداثة الشعر وقدمه .

ثانياً : يرى شاعر أن الجاحظ غفل عن شعر امرئ القيس وخاله ، فمما لا يقبله العقل أن يكون شعرهما

(١) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٥ ، عام بدون ، لدار المعارف بمصر ، ص : ١٣٢ .

(٢) الحيوان للجاحظ : ج ١ ، ص ٧٤ .

الموزون المقفى المهلهل قاما باستحدثاه بنفسيهما ، فكيف يتسنى لهما أن يستحدثا هذا القدر من البحور المختلفة الأوزان ومن القوافي ؟

ثالثاً : كيف يتسنى لامرئ القيس وخاله أن يصلا بشعرهما لهذه الدرجة من النضج والإبداع دون مثال سابق؟ ولم يكتب شاعر بسرد هذه الأدلة العقلية التي تبطل القول بحداثة الشعر العربي ، بل زاد على ذلك بتوجيه الدليل النقلي الذي جاء به الجاحظ إلى وجهته التي ينبغي أن تكون إليه ، فقد استطاع شاعر أن يتخذ من أبيات امرئ القيس التي استدعاها الجاحظ دليلاً لا يقبل الشك على أمرين :

أولهما : أن امرأ القيس وخاله مهلهل بن ربيعة من أقدم شعراء العصر الجاهلي الذين وصل إلينا شعرهم. ثانيهما : أن أكثر ما انتهى إلينا من القصائد الطوال في الشعر الجاهلي لا يكاد يتجاوز عمره المائتي عام ، ولا يدخل في هذا التحديد الزمني المقطعات أو الأبيات ذوات العدد ؛ لأنها تمثل درجة الترتي والنظام المنطقي العقلي الذي ترقى به الشعر حتى وصل إلى ما وصل إليه نتاج امرئ القيس وخاله مهلهل<sup>(١)</sup>.

وقد انتقد شاعر الطريقة الحسابية والاستدلال العقلي الذي اعتمد عليه الجاحظ في تحديد عمر الشعر الجاهلي؛ لأنه يرى أن هذه الدعوى تحتاج إلى دليل مقنع غير مجرد الادعاء الذي لا يوجد برهان عليه ولا يعضده دليل ، وبناء على ذلك حكم بطلان رأي الجاحظ ، وحكم بعدم وجود أصل أصيل يمكن أن تستند عليه مقالة الجاحظ في ذلك ، ولكي يقطع الأستاذ كل أمل في قبول رأي حداثة الشعر الذي قال به الجاحظ ، تراءى له أن يتبع الأصل واللينة الأولى لهذه القضية ، فأصل قول الجاحظ بحداثة الشعر الجاهلي هو يقينه التام بأن أول من شق طريق الشعر ونهج سبيله وهلهله امرؤ القيس وخاله مهلهل ، وهذا اليقين في نظر شاعر مبني على الخبر الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الكنى وضعفه أخوه أحمد شاعر<sup>(٢)</sup> : " صاحب لواء الشعراء إلى النار امرؤ القيس ؛ لأنه أول من أحكم الشعر " ، ويرى الأستاذ شاعر أن قول الجاحظ (هو أول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق إليه) قريب جداً من الخبر الذي رواه البخاري ، وهذا الخبر في سنده "رواة مجاهيل كذبة مغرقين في الكذب"<sup>(٣)</sup>، وبناء عليه فإن الأساس والأصل الأصيل الذي بنى عليه الجاحظ رأيه في حداثة

---

(١) ينظر لقضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام لمحمود شاعر، ط بدون ، تاريخ بدون ، لمطبعة المدني بالقاهرة ، ص

١٢ وما بعدها.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد شاعر ، ط ١ ، عام ١٩٩٥م ، لدار الحديث بالقاهرة ، ج ٦ ، ص ٥٢٩ .

(٣) السابق : ص : ١٦ .

الشعر أصل متهالك ، وحين يتتبع الأسلوب الذي أبدى به الجاحظ رأييه في القصائد المطولة وأولية الشعر ؛ يلاحظ أنه أسلوب قد يصل إلى القطع والجزم الموصلين إلى درجة اليقين الذي لا يقبل الشك ، وأنه نتيجة استظهار أدبي محفوظ في أفقه الثقافي أو نقل وصل لديه إلى حد التواتر، إلا أنه لم يكشف عن شيء من ذلك؛ وهذا ما دعا بعض النقاد إلى الاعتراض على المنهج الذي سلكه الجاحظ في هذه القضية ، فالجاحظ اكتفى بالتقدير الحسابي ولم يظن نفسه بجمع المادة التي قالها سابقوه من العلماء والنقاد على وجه من الاستيعاب المتيسر " فكان الخلل في أول مقوم من مقومات ما قبل المنهج في صنيع أبي عثمان فأداه إلى مالا يسلم له " (١)، كما أنه لم يقيم بفحص المادة التي بين يديه وهذا الخلل المنهجي الثاني في هذه القضية ، وذلك أنه لم ينظر في شعر امرئ القيس وخاله مهمل كيف وصلا إلى هذا المستوى الأدبي الرفيع (٢)؟ ولكن من المحتمل لو فحص تلك المادة فحصاً دقيقاً أن يكون حكمه يتوافق مع طبيعة الإبداع الأدبي الذي يستحيل أن يولد كله دفعة واحدة على يد شخص واحد أو شخصين فقط . وهذا الأمر بذاته هو الذي جعل الأستاذ شاعر يرد هذا القول ويكاد يجزم بل ويجزم بأن الشعر أقدم مما حكم به الجاحظ ، وأن القصائد المطولة منه أشد قدماً من اعتقاد الجمحي وتوهمه ، وكذلك فصرامة اعتراض الشيخ شاعر توحى بوجود أدلة ثقافية بين يديه ولكنه لم يقدمها - لعدم وجودها - ، والذي يسوغ اعتراضه الغير مستدل له بدليل نقلي أنه مبني على حكم لا يستند هو أيضاً على دليل نقلي ، ولكن الاستدلال العقلي الذي استدلل به لا يخفى على من دقق النظر أنه غلب به دليل الجاحظ وحجته ، ورأي شاعر هنا يتوافق مع العديد من آراء النقاد المحدثين في هذه القضية ، ومن الجيد هنا ثبت ما اختصره الدكتور شوقي ضيف عن هذه القضية مختزلاً فيه رأي الكثير من النقاد والعلماء ، فقال فيه قولاً يحسن نقله : " لا ريب في أن المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضة ، فليس بين يدينا أشعار تصور أطواره الأولى ، إنما بين يدينا هذه الصورة التامة بتقاليدها الفنية المعقدة... وهي تقاليد تلقي ستاراً صفيقاً بيننا وبين طفولة هذا الشعر ، ونشأته الأولى فلا نكاد نعرف عن ذلك شيئاً.. " (٣) ،

(١) موقف أبي فهر محمود شاعر من قضية عمر الشعر الجاهلي ، مقالة علمية في مجلة الأدب الإسلامي ، لمحمود

توفيق سعد ، المجموعة الرابعة ، العدد : ١٦ ، شهر ٥-٦ ، للعام ١٤١٨ هـ ، ص ٤٢ وما بعدها .

(٢) السابق ص : ٤٤ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص ١٨٣ .

وهو الحكم الحق في هذا الباب ، ومما تطمئن إليه النفس .

بقي قبل الانتهاء من الاستدلال العقلي عند شاكر في قضية أولية الشعر ، أن تتم الإشارة إلى أن شاكر حينما يعارض رأيه رأي شخص آخر أياً كان ذلك الشخص ، فإنه يثبت لذلك الشخص صفات تدعم اعتراضه أو استدراكه أو حتى موافقته حتى وإن ناقض الأستاذ شاكر رحمه الله نفسه في إثبات تلك الصفات ، ما يثبت أن الأستاذ يقرأ الشخصيات قراءات مختلفة بحسب موقفه النقدي هو منها ، فقد سبقت الإشارة إلى أن الشاعر جوته قد نال نصيباً وافراً من هذه النظرة المزدوجة <sup>(١)</sup> .

والجاحظ هنا واحد من الشخصيات البارزة التي نالها هذا الأمر ، فقد تناول الأستاذ شخصية الجاحظ تناولاً يوحى بالتناقض والتضاد بأثر من الموقف النقدي وحده ، وبيان ذلك أن الأستاذ حينما أراد في كتابه نمط صعب ونمط مخيف إثبات أن الجاحظ عالم ذو اطلاع واسع لا تفوت ثقافته وسعة اطلاعه شيئاً من كتب العلماء السابقين عليه ، وذلك حينما استبعد أن يكون الجاحظ اطلع على مقولة في كتاب تفيد أن خلف الأحمر <sup>(٢)</sup> أقسم بالله أنه هو الذي قال قصيدة (إن بالشعب الذي دون سلع) وأن تأبط شراً لم يقلها ، ويتساءل الأستاذ بناء على ذلك : كيف يتردد الجاحظ في نسبة هذه القصيدة إلى خلف الأحمر مع كبير اطلاعه وتمحيصه ؟ وغاية شاكر هنا أن نفي أن تكون القصيدة لخلف مع اطلاع الجاحظ المؤكد على اليمين المنسوبة لخلف ولكنه لم يأبه بالكتاب الذي ورد فيه هذا القسم ولم ينسب هذه القصيدة لخلف ، وكل ذلك يستلزم أن يكون الجاحظ موسوعياً مطلعاً على هذا الكتاب وغيره ، وما

---

(١) ينظر لصفحة : ٧٥ من هذا البحث وما بعدها .

(٢) خلف بن حيان بن محرز ويكنى أبا محرز ، اختلف العلماء في تحديد تاريخ ولادته ، وكان خلف راوية نفسه علامة يسلك الأصمعي طريقه ويحتذي حذوه حتى قيل هو معلم الأصمعي ، وهو والأصمعي فتقا المعاني وأوضحا المذاهب وبيننا المعلم ، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة ، وقال الأخفش : لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي ، وقال ابن سلام : أجمع أصحابنا أن الأحمر كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدق لساناً ، وكنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه ، وقال شمر : خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه وكان ضنيناً بأدبه ، ولم يكن فيه ما يعاب . إلا أنه كان يعمل القصيدة ، يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء ، وينحلها أعيان الشعراء ، ومات خلف بعد وفاة الرشيد ، والرشيد مات سنة ١٩٣هـ ، وروى بعضهم أنه مات سنة ١٧٥هـ " ينظر لترجمته في معجم الأدباء ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، تحقيق إحسان عباس ، ط ١ ، عام ١٩٩٣م ، لدار الغرب الإسلامي ببيروت ، ج ٣ ، ص ١٢٥٥ .

يهمننا من ذلك كله أن الموقف النقدي هنا هو الذي ألزم شاعر أن يصف الجاحظ بأنه ذو اطلاع ودراية وتقصي ، وأن هذه الصفات سبب إغفاله لقسم خلف الأحمر الذي ورد في كتاب لا يكاد يشك الأستاذ في عدم اطلاع الجاحظ عليه ، ولذلك قال :

"فبعد جداً ألا يكون الجاحظ قد وقف على كتاب دعلب سنة ٢٣٠ هـ حين ألف كتاب الحيوان ، وقد مضى على تأليفه أكثر من عشرين سنة ، والجاحظ هو الجاحظ في التتبع والرواية والتقصي" <sup>(١)</sup>

وحينما تعلق الأمر بشخصية الجاحظ نفسها التي قالت بحداثة الشعر العربي وتحديد عمره بما لا يزيد عن مائتي سنة من ولادة الرسول ﷺ ؛ فإن الجاحظ عند شاعر لم يعتمد في هذا الاستنباط على التقصي والتتبع والدراية، بل اعتمد على العجب والثقة بالنفس وبقينه بحسن نظره ، وهذه الصفات هي التي منعت أن يزداد سبقاً في الاستخراج والاستنباط ، وفي ذلك يقول الأستاذ يصف شخصية الجاحظ ومذهبه في قضية حداثة الشعر:

"واستحوذ على أبي عثمان عجبه بنفسه ، وثقته بحسن رأيه ونظره ، أن يزداد سبقاً في الاستخراج والاستنباط ، فزاع زيفاً منكراً ، مفرطاً الغرابة ، فأعاد صياغة القضية صياغة جديدة ، يلقيها مسلمة لا تحتاج إلى برهان" <sup>(٢)</sup> ويقول أيضاً في موضع آخر عن الجاحظ في قضية حداثة الشعر :

"وقد ظن أبو عثمان ما ظن في لطف ما سبق إليه ، وفي براعة ما ابتدعه ، واحتملته خيلاؤه التي لا تفارقه فقيده في أول كتاب الحيوان ..... " <sup>(٣)</sup>

ومن النماذج التي برز جانب الاستدلال العقلي فيها عند محمود شاعر ، أنموذج تساؤله عن التاريخ الذي ألف فيه ابن سلام الجمحي كتبه وهي على ترتيب الأستاذ : كتاب الطبقات ، ثم كتاب شعراء الفرسان ، ثم كتاب سادات العرب وأشرفها وما قالوه من شعر ، ثم كتاب أيام العرب .

وقد ابتدأ الأستاذ الحديث عن ذلك بجزمه القاطع وبقينه الذي لا يخالطه شك بأن ابن سلام لم يؤلف شيئاً من تلك الكتب في صدر حياته ولا في أوسطها بل في آخرها ، واستدعى لتبرير يقينه دليلاً نقلياً ممزوجاً بجانب من الاستدلال العقلي ، وقد أحوجبه لذلك المزج أن الدليل النقلي الذي استدعاه لم يكن واضحاً بما

---

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر : ص ٦٧-٦٨ .

(٢) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام لمحمود شاعر ، ص : ١٩ .

(٣) السابق ، ص : ٢٠ .



يكفي لإثبات أن ابن سلام الجمحي ألف كتبه كلها في أواخر حياته ، فقد استدلل لذلك بخبر رواه أبو الطيب اللغوي في كتابه مراتب النحويين ، ونصه :

" أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي<sup>(١)</sup> ، -وكان ابن أخت أبي عبد الله محمد بن سلام - قال : كان الرياشي<sup>(٢)</sup> يختلف إلى أبي عبد الله يستعير منه كتابه في الطبقات ، فكنت أخرج إليه منه جزءاً جزءاً ، فقليل للرياشي في ذلك فقال : لو عاش يومين لسمعه منه<sup>(٣)</sup> .

وكما هو ملاحظ فليس ثمة دليل من هذا الخبر يقطع بأن ابن سلام ألف كتبه كلها في أواخر حياته ولم يؤلفها في صدرها ولا واسطتها ، مما جعل الأستاذ شاکر رحمه الله يتأول بعقله ويستدل باستنتاجه من المحيط الخارجي لهذا الخبر ، فتوصل به إلى أمرين كلاهما بتأويل عقلي وحسابي محض<sup>(٤)</sup>:

التأويل الأول : لو أن ابن سلام ألف كتبه وهو بالبصرة لعرف ذلك الرياشي ولم يؤجل طلب كتب ابن سلام بما فيها الطبقات إلى أن يصير ابن سلام ببغداد ؛ لأن الرياشي بصري ، وابن سلام بصري مثله ، وقد رحل ابن سلام من البصرة لبغداد في العام الثاني والعشرين بعد المائتين من الهجرة النبوية المشرفة وفي بغداد كانت وفاته ،

---

(١) عمرو بن محمد بن شعيب الجمحي، البصري ، الأعمى ، ولد في سنة ٢٠٦هـ ، وعني بالعلم وهو مراهق، فسمع للعلماء في سنة ٢٢٠هـ ولقي الأعلام ، وكتب علماً جماً ، وكان ثقة، صادقاً، مأموناً، أديباً، فصيحاً، مفوهاً، رحل إليه من الآفاق، وعاش مائة عام سوى أشهر ، ينظر لترجمته في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ، ج : ١٤ ، ص ٧ .

(٢) أبو الفضل الرياشي عباس بن الفرّج البصري النحوي ، ولد بعد ١٠٨هـ ، وسمع من طائفة كثيرة من كبار أهل العلم، كان حافظاً للغة، والشعر كثير الرواية عن الأصمعي، قدم الرياشي بغداد، وحدث بها وكان ثقة وكان من الأدب، وعلم النحو بمحل عال ، لما كان من دخول الزنج البصرة ما كان، وقتلهم بها من قتلوا وذلك في شوال سنة سبع بلغنا أنهم دخلوا على الرياشي المسجد بأسيا فهم والرياشي قائم يصلي الضحى فضربوه بالأسياف، وقالوا: هات المال فجعل يقول: أي مال أي مال؟! حتى مات فلما خرجت الزنج عن البصرة دخلناها فمررنا ببني مازن الطحانين، وهناك كان ينزل الرياشي فدخلنا مسجده فإذا به ملقى، وهو مستقبل القبلة كأنما، وجه إليها وإذا بشملة تحركها الريح، وقد تمزقت وإذا جميع خلقه صحيح سوي لم ينشق له بطن ، ولم يتغير له حال إلا أن جلده قد لصق بعظمه ويس، وذلك بعد مقتله بسنتين رحمه الله ، ينظر لترجمته في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ، ج ١٢ ، ص ٣٧٣ .

(٣) مراتب النحويين لعبد الواحد بن علي أبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط بدون ، عام ٢٠٠٩م ، لشركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر ، ص ٧٩ .

(٤) ينظر لرأي الأستاذ في ذلك لقضية الشعر الجاهلي عند ابن سلام لمحمود شاکر ، ص : ٤٧ وما بعدها .

فلو أن ابن سلام ألف كتبه بما فيها الطبقات في بداية حياته لكان قد ألفها وهو في البصرة ، مما يمكن الرياشي من الاطلاع عليها وهو في البصرة أيضاً قبل ارتحال ابن سلام الجمحي منها .  
التأويل الثاني : أن ابن سلام الجمحي كان قد انتهى قبيل وفاته من تأليف كتبه ، ولولا أن باغته المنية لكان عزمه أن يخرج هذه الكتب إلى الناس ليسمعوها منه ، ولكن فاتهم بموته سماعها منه .  
هذه تأويلات الأستاذ العقلية من هذا الخبر الذي لم يصرح بشيء من ذلك ، وكل ما هو مفهوم من ظاهر الخبر أن الرياشي كان يتردد إلى ابن سلام الجمحي يستعير منه طبقات فحول الشعراء ، وكان ابن اخت ابن سلام راوي الخبر الفضل بن الحباب الجمحي يخرج للرياشي من هذا الكتاب جزءاً جزءاً ، وانتهى الخبر بأن الرياشي قال : لو عاش ابن سلام الجمحي يومين لسمع من ابن سلام كتاب الطبقات الذي كان يتردد من أجله إليه ، وبالنظر إلى الاستدلال العقلي والتأويلين المبنية على الفهم التي ابتناها الأستاذ شاعر من هذا الخبر يلاحظ مايلي :

أولاً : لا ذكر في الخبر إلا لكتاب الطبقات وأما غيره من الكتب فمبني على استدلال عقلي محض للأستاذ لم ينص عليه هذا الخبر ، ولا أعلم ما هو الوجه العقلي الذي سوغ للأستاذ ضم كتب ابن سلام الجمحي غير الطبقات لهذا الخبر ؟ لاسيما وأن الخبر صريح بذكر الطبقات دون غيره .

ثانياً : استظهار الأستاذ المتضمن بأن ابن سلام ألف كتبه في أواخر حياته وأنه كان عازماً على إخراجها للناس لولا أن وافته المنية ، هو استظهار عقلي محض لا يسوغه شيء من هذا الخبر ؛ لعدم ورود ما يشير إلى كتب ابن سلام كلها ماعدا الطبقات ، أما ما يختص بكتاب الطبقات وحده وتردد الرياشي على ابن سلام الجمحي ليستعيره منه فقد يكون الأمر متعلقاً برغبة من الرياشي نفسه وحرص وإلحاح على طلب العلم وأخذه من العلماء ، وهو ما يعرف عن مثله من العلماء في حرصهم على طلب العلم واللقاء بالعلماء ، ولا يعني القول بذلك أن ابن سلام الجمحي ضنين بعلمه على طلبة العلم ، ولكن ما بين يدينا من هذا الخبر لا يشير إلى عزم ابن سلام نفسه على إقراء الناس كتبه ، بل يصرح فقط بأن الرياشي هو من أراد ذلك من ابن سلام .

ثالثاً : قول الرياشي : (لو عاش يومين لسمعه منه) قد يفهم منه أن مراد الرياشي ليس الاطلاع على كتاب طبقات فحول الشعراء وقراءته لكونه حديث التأليف ، فقد يكون المراد من تردد الرياشي إلى ابن سلام قراءة الكتاب عليه وأخذ العلم منه مشافهة حتى وإن كان تأليف الكتاب قديماً ، على النحو الذي كان يقوم به

العلماء ، وربما تكون هذه الطريقة في السماع والمشافهة خطوة ثانية أرادها الرياشي بعد اطلاعه وقراءته الشخصية لهذا الكتاب في وقت سابق .

ومادامت الأخبار النقلية لم تقطع بالزمن الذي ألف فيه ابن سلام كتبه فلاستدلال العقلي والاستعانة بالمحيط الاجتماعي والثقافي هو السبيل الوحيد لاستنتاج ذلك ، وهو الذي سوغ للأستاذ أن يسلك هذا السبيل ليستنبط هذا الاستنباط المدعوم بمزج كبير بين الدليل النقلي والعقلي ؛ لإنشاء دليل كان إلى العقل أقرب من النقل رغم انطلاقه من النقل ، وكان هذا الدليل قوياً في عقل الأستاذ وفكره ؛ بدليل قَطْعُه على وجه الجزم واليقين بأن ابن سلام ألف كتبه في أواخر حياته استناداً على هذا الدليل ، وقد جره تيقنه بذلك واطمئنانه نفسه إليه تأويل عقلي آخر ، استدل به هو الآخر لدعم استنباطه في ذات القضية ، ومصدر هذا الاستدلال خير أوردته الأستاذ من كتاب تاريخ بغداد ، ونصه :

" حَدَّثَنَا الحسين بن فهم <sup>(١)</sup>، قَالَ: قدم علينا مُحَمَّد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتل علة شديدة، فما تخلف عنه أحد، وأهدى إليه الأجلَاء أطباءهم، وكان ابن ماسويه <sup>(٢)</sup> ممن أهدى إليه، فلما جسسه ونظر إليه، قَالَ له: ما أرى من العلة كما أرى من الجزع! فقال: والله ما ذاك لحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة،

---

(١) هو: الحافظ، العلامة، النسابة، الأخباري، أبو علي الحسين بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز البغدادي ، كان مولده في سنة إحدى عشرة ومائتين ، روى عن: مُحَمَّد بن سلام الجمحي، وجمع من العلماء ، وكان له جلوس من أهل العلم يذاكرهم، لكنه عسر في الرواية ، وقد قال الدارقطني: ليس بالقوي ، توفي في رجب سنة تسع وثمانين ومائتين ، ينظر لترجمته في سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ، ج ١٣ ، ص ٤٢٧ .

(٢) يوحنا بن ماسويه، أبو زكريا ، من علماء الأطباء. سرياني الأصل ، عربي المنشأ. كان أبوه صيدلانيا في جنديسابور (بخوزستان) ثم من أطباء العين، في بغداد. وتقدم، وخدم الرشيد ، وبيغداد نشأ ابنه يوحنا (صاحب الترجمة) ونبغ حتى كان أحد الذين عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة، في أنقرة وعمورية وغيرها من بلاد الروم، وجعله أميناً على الترجمة، ورتب له كتاباً حاذقين بين يديه ، ولم يقتصر عمله على خدمة العلم بل خدم الرشيد والمأمون ومن بعدهما إلى أيام المتوكل، بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم، حتى كانوا لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بمحضرتة، وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشات المقوية والمهاضمة ، وأصاب شهرة واسعة وثروة طائلة. وكان مجلسه ببغداد أعمر مجلس، يجمع الطبيب والمتفلسف والأديب والظريف ، له نحو أربعين كتاباً معظمها رسائل، منها " البرهان " ، ينظر لترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لأبي العباس ابن أبي أصيبعة ، تحقيق نزار رضا ، ط بدون، عام بدون ، مكتبة الحياة ببيروت ، ص ٢٤٦ ، وينظر للأعلام للزركلي ، ج ٨، ص ٢١١ .

ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعلة ، ولو وقفت بعرفات وقفة ، وزرت قبر رسول الله ﷺ زورة، وقضيت أشياء في نفسي، لرأيت ما اشتد علي من هذا قد سهل ، فقال له ابن ماسويه: فلا تجزع، فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية وقوتها ما إن سلمك الله من العوارض بلغك عشر سنين أخرى ، قال الحسين بن فهم: فوافق كلامه قدرا فعاش مُجَدَّ عشر سنين بعد ذلك، ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين <sup>(١)</sup>.

وكما هو ملاحظ أيضاً فليس ثمة في هذا الدليل النقلي ما يشير إلى أن ابن سلام ألف شيئاً من كتبه في أواخر حياته ، ولكن الاستدلال العقلي المبني على الظن وحده هو ما سوغ للأستاذ أن يقول فيه :

" فقول ابن سلام ... (ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ ..... ) يدل على أن هذه العلة الشديدة قد أهبته من غفلة عن أشياء كانت في نفسه ، ويتمنى أن يكتب الله له لو أن يقف حيث يستجاب الدعاء ، فيسأل ربه أن ييسر له قضاءها والفروغ منها ، وتقر عينه فلا يأخذه من أمر هذه الدنيا جزع ، وأكبر ظني أن هذه الأشياء التي كان يتمنى قضاءها هي تأليف كتب جامعة ، كان يحب أن يتعجل في كتابتها ، بعد أن قضى اثنتين وثمانين سنة لم يؤلف كتاباً ، ولا يبقى من علمه عند الناس إلا الشيء من الأحاديث التي أثرت عنه... " <sup>(٢)</sup>

ويلاحظ من كلام الأستاذ هنا أن هذا الخبر لم يجعله يقطع بحزم وبقين كسابقه في القول بتأخر تأليف ابن سلام لكتبه ، بل بنى ذلك على ظن منه بأن من الأشياء التي أراد ابن سلام دعاء الله أن يمهل حتى يقضيها كتابة علمه ونظمه في مؤلفات ؛ حتى لا يبقى علمه أحاديث وروايات يتلقفها العلماء سماعاً دون قيدها بكتابة ، وقد أحسن الأستاذ رحمه الله حينما احترز بقوله (وظني) ؛ لأنه ظن وحسب ليس بمقدورها أن يقطعان بالقول في ذلك والجزم به ، وعلى كل حال فالبحث في هذه القضية تحديداً قد لا يلقي بكثير من الفائدة على قيمة مؤلفات ابن سلام ومكانته في التراث العربي ، فسواء ألف كتبه في بدء حياته أو واسطتها أو حتى نهايته فستظل القيمة العلمية لتناجه المعرفي هي هي نفسها دون تأثر بمعرفة ذلك من عدم معرفته ، وستظل القيمة الحقيقية في نوعية النتاج العلمي الذي تفرد به ابن سلام وأعني منه تحديداً الطبقات الذي تميز

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق بشار عوَّاد معروف ، ط١ ، عام ٢٠٠٣ م ،

لدار الغرب الإسلامي في تونس ، ج ٥ ، ص ٩١٧ .

(٢) قضية الشعر الجاهلي عند ابن سلام لمحمود شاكر ، ص : ٤٩ .

عن نظرائه من الكتب التراثية ، كالأصمعيات والمفضليات ، فقد ميزه ابن سلام بروحه النقدية وفكره الأدبي الفاحص المدقق ، فلم يجعل طبقاته مثل نظرائه التي يغلب عليها أن تكون مدونات شعرية لها الفضل بعد الله في حفظ ما اشتملت عليه من الشعر العربي ، أما الطبقات فلا يخفى ومنذ مقدمة ابن سلام له في بدايته أنه سيتسلط على ما يتناوله من الشعر كناقذ وعارف بأحوال الشعر ومميز له كتمييز الصيارف للنقود الصحيحة والزائفة ، ولم يذكر ذلك فقط ذكراً فقط في مقدمته ، بل مارس النقد ممارسة لا تخفى على من يقرأ كتاب الطبقات ، وقد كانت تعليقاته العديدة على الشعر والشعراء ولا زالت تشكل مرجعاً نقدياً يحتاج به ، ومما لا بد من أخذه بعين الروية وحفظ الحقوق اعتبار الجمحي أول من حاول أن يجعل للنقد الأدبي منهجاً قائماً بذاته في التراث العربي ، فهو يناقش كثيراً من الشعر بعقله وذوقه حتى وضع يده على ما سماه بالشعر المصنوع والشعر المنحول ، واختلف اختلافاً لا تحطئه العين عن السائد من جهود علماء عصره في التفضيلات الشعرية الغير معللة والنقد غير الموضوعي ، فابن سلام كثيراً ما كان يعلل بعض بل كثير من أحكامه النقدية حتى تتسم بسمة الأحكام الموضوعية وإن كان هذا لا ينطبق على كل أحكامه وآرائه ، حتى استحق وبجدارة أن ينال شرف المحاولة الأولى التي أسست لما بعدها من الجهود النقدية في القرن الرابع الهجري والتي بدت فيها ملامح النقد العربي أشد وضوحاً .

ولم يستطع أن يحدد جهود الجمحي في محاولة الشروع المبكرة في منهجة النقد العربي حتى من أراد إنكارها، ولعل القول ينصرف هنا لمحمد مندور الذي جعل القرن الرابع القرن المؤسس للنقد المنهجي عند العرب ، محاولاً إقصاء جهود ابن سلام في تشكيل ملامح النقد العربي في أواخر القرن الثالث الهجري في كتابه الطبقات تحديداً ، ولكنه وفي أثناء محاولته إقصاء ابن سلام فقد أقر بالجهود الأولية لابن سلام الجمحي في تكوين ملامح النقد العربي القديم ، تلك الجهود التي تؤهله لأن يكون حامل لواء رسم الوجهة النقدية في التراث العربي، يقول مُجد مندور في ذلك :

"وإذن فابن سلام لم يتقدم بالنقد الفني إلى الأمام شيئاً كبيراً ، وإن كان قد صدر في تحقيقه للنصوص عن مذهب صحيح ، وحاول أن يُدخل في تاريخ الأدب العربي اتجاهاً نحو التفسير ومحاولة للتبويب تقوم على أحكام فنية ؛ ولهذا نستطيع أن نظل عند ملاحظتنا السابقتين من عدم صدور النقد - كفنٍ لدراسة النصوص

وتتميز الأساليب — عن منهج مستقيم وروح علمية في تحليل الأحكام ، وذلك حتى أواخر القرن الثالث ، وإنما أصبح النقد نقداً منهجياً في القرن الرابع فقط عند الأمدي وعبد العزيز الجرجاني ..... " (١)

فابن سلام في نظر محمد مندور وإن لم يتقدم بالنقد الفني إلى الأمام إلا أنه قد اتخذ منهجاً صحيحاً في تحقيق النصوص ، وقد حاول أن يسلك في الأدب العربي اتجاهاً نحو التفسير ومحاولة للتبويب المنهجي تقوم على أحكام فنية ، وعند التدقيق وإنعام النظر فإن هاتين الصفتين كافيتان تماماً لأن تكونا البداية الحقيقية لمنهجية النقد العربي هي ابن سلام الجمحي رحمه الله .

ومن الأدلة العقلية الخالصة عند محمود شاكر استدلال أقر فيه بضرورة وجود دليل نقلي يقطع بصحة ما ذهب إليه ، ولكنه وبالرغم من إقراره فقد اكتفى باستدلاله العقلي الذي جعله يقطع بأن سواد بن عمرو (٢) الوارد اسمه في قصيدة ابن أخت تأبط شراً هو خال الشاعر دون وجود خبر أو رواية تقطع بصحة ذلك ، ولكنه استنبط بحسب تأويله العقلي للبيت الذي ورد فيه اسم سواد بن عمرو هذا ، والبيت هو قول الشاعر :

سَقَيْنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو  
إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَحُلٌ

يقول محمود شاكر :

"ثم شيء آخر ..... ، أني أرجح أن سواد بن عمرو هذا هو (سواد بن عمرو بن جابر بن سفيان) ابن أخي تأبط شراً المقتول ، وابن خال هذا الشاعر ؛ وذلك لأنني أحسست في قوله : (سَقَيْنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو) وذكر اسمه ونسبه طرفاً من العطف ، ومن التحجب ، ثم قوله : (إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَحُلٌ) كأن في قوله بعد خالي تلميحاً إلى الرحم التي تجمعهما ؛ فلذلك رجحت أمر هذه القرابة بينهما ، وإن كنت في الحقيقة أقطع لنفسي بأن هذا هو الصحيح ، وإن لم يأت به خبر أو رواية " (٣)

إذن فمحمود شاكر يرى أن سواد بن عمرو هو ابن أخي تأبط شراً المقتول وابن خال خفاف بن نضلة الذي نسب له في بداية كتابه نخط صعب ونخط مخيف هذه القصيدة ، وقد بنى ذلك على استدلال عقلي مبعثه

(١) النقد المنهجي عند العرب منهج البحث في الأدب واللغة ، محمد مندور ، ط بدون ، عام ١٩٩٦م ، لدار النهضة بمصر

(٢) لم أجد له ترجمة في حدود ما وقع بين يدي من مراجع .

(٣) نخط صعب ونخط مخيف لمحمود شاكر ، ص : ٢٦٧ .

إحساسه بأن سبق ذكر سواد بن عمرو على قوله (إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَحُلٌّ) يلمح إلى صلة الرحم التي تجمعهما ، ويرجح لنفسه ذلك بل ويقطع بصحته بناء على ذلك .

والحق أن القطع بذلك والقول به قد لا يرتضيه البحث العلمي الذي يحتاج إلى دليل قاطع في مثل هذه الاستنباطات ، ولا يقصد بالدليل القاطع هنا فقط الخبر النقلى أو الرواية التي تنص على ذلك ، بل قد يشتمل على دليل قاطع من النص ذاته أو أشد وضوحاً من هذا الذي ذكره الأستاذ في هذا البيت ، و لا يعني القول بذلك تعرية رأي محمود شاكر هنا وتخطئته ، ولكن قد يكون من الصواب اعتبار ما قاله الأستاذ فرض علمي يحتاج إلى إثبات أو نفي بأدلة مقنعة ، وقد توقفت كثيراً عند سواد بن عمرو وعدت إلى ما وقع بين يدي من المراجع العلمية التراثية التي تناولت هذه القصيدة فلم أجد فيها - في حدود بحثي وإطلاعي - ولو من طرف خفي ما يشير إلى قرابة بين سواد بن عمر وقائل هذا النص ، وللمرزوقي كلام في أن سواد مرخم عن سواده ولم يذكر فيه شيئاً عن هذه القرابة التي قالها الأستاذ شاكر ، يقول المرزوقي :

" وقوله يا سواد بن عمرو جعل سواد - وقد رخمه عن سواده - بمنزلة ما جاء تاماً ولم يحذف منه شيء فجعل سواد وابن بمنزلة شيء واحد، وبناء على الفتح. " (١)

وغاية الأمر أن الاستدلال العقلي عند محمود شاكر يشغل حيزاً من جوانب استنباطاته واستدلالاته المهمة ، وهذا الجانب لم يأخذ نمطاً واحداً بل تعددت أنماطه وطرائقه ، فقد استخدمه الأستاذ -ووفقاً لما تم طرحه من نماذج- مستقلاً برأسه دليلاً متفرداً لا يسانده إلا أسلوبه الجميل ، وقد استخدمه أحياناً أخرى في ثنايا دليل نقلي آخر ؛ لضعف في وجه الاستدلال بالنقل فيكون الاستدلال العقلي داعماً ، أو لزيادة دعم الاستنباط من الدليل النقلي وتقويته وإقراره ومحاولة جعله من مسلّمات ذهن المتلقي .

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ص : ٥٩٤ .

## الأدلة العكسية :

الاستدلال بالعكس من أقسام الاستدلال المباشر عند علماء المنطق ، ويقصد به أن يشتق صاحب الاستدلال " من القضايا الحاضرة في الذهن عكوسا لها ، ويستفيد منها أحكاما جديدة ، وعمليته في ذلك عملية عقلية بحتة " (١).

والمقصود بالاستدلال بالعكس عند محمود شاعر ذلك الافتراض الذي يفترضه لنقيض استنباطه ، ثم يقوم بإبطال الافتراض النقيض ، فيصح الاستنباط بإبطال ذلك الفرض النقيض ، بل ويزيد في ذات الوقت من حظوظ قبول الاستنباط ورسوخه وتقويته .

ويلاحظ على هذا النوع من الاستدلال عند محمود شاعر أن غالب وروده في ثنايا قراءاته النقدية للنصوص الأدبية ، وتحديدًا حينما يتناول الأستاذ تأويلاً لنص يراه أنه التأويل الوحيد المناسب لقراءة هذا النص والملائم لمدلول ومراد مبدعه أو سياقه أو حتى محيطه ، فيعمد حينها إلى افتراض تأويل آخر محتمل، أو اقتراح ألفاظ أخرى غير الألفاظ التي جاء بها النص مما لا يقوم بها استنباطه ، فيقوم بإبطال ذلك كله ونفي الصحة عنه ، ويتولى في آخر الأمر فرض استنباطه على أنه الخيار الوحيد الممكن قبوله في هذه المسألة أو هذه القضية . ومن نماذج الاستدلال بالعكس عند محمود شاعر اقتراح بترتيب بعض أبيات قصيدة (إن في الشعب الذي دون سلع) على النحو الذي رتبها الشاعر الألماني جوته ، جاء هذه الاقتراح بعد شهادة منحها الأستاذ شاعر لإحساس جوته المتوقد ، "وتوتره المستجيب لنبضات الفن" (٢) .

جاء ذلك بعد أن لاحظ شاعر تصريح جوته بإحساسه وجود صلة بين القسم الرابع والقسم الأول من هذه القصيدة ، وأن القسم المتأخر منهما يرجع بالقارئ إلى القهقري ، والقسمان الأول الذي أراده شاعر وبحسب تقسيمه هو للقصيدة هو قول الشاعر :

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ      لَقَيْتِلَا ، دُمُهُ مَا يُطْلُ  
قَذَفَ الْعِبَاءَ عَلَيَّ وَوَلَّى      أَنَا بِالْعِبَاءِ لَهُ مُسْتَقْلٌ

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، لعبد الرحمن

حسن حبنكة الميداني ، ص : ١٧٧ .

(٢) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر ، ص ٢٥٠ .



ووراء الثَّارِ مَيِّ ابنُ أَخِي  
مُطَرِّقٌ يَرشُخُ مَوْتًا ، كما أَطُ  
مَصِيعٌ ، عَقْدَتُهُ مَا تُحِلُّ  
رَقَّ أَفْعَى ، يَنْفُثُ السُّمَّ صِلُّ  
أما القسم الرابع فهو قول الشاعر :  
فَلَيْتَ فَلَّتْ هَذَيْلٌ شَبَاهُ  
لَيْمًا كَانَ هَذَيْلًا يَقُولُ  
وَمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاحٍ  
جَعَجَعٍ ، يَنْقَبُ فِيهِ الْأَظْلُ  
مِنْهُ ، بَعْدَ الْقَتْلِ نَهَبٌ وَشَلُّ  
وَمَا صَبَحَهَا فِي ذُرَاهَا

يقول شاعر معلقاً على إحساس جوته وفيه الشاهد الذي ننشده هنا :

"وهذا حسبه من الفضل والبراعة ، ولكنك لو طاوعت جوته وفصلت البيت الثامن عشر عن البيتين التاسع عشر والعشرين لكان شيئاً مضحكاً جداً ، ولو وضعت ما اقترحه حيث اقترحه لكن هكذا :

(مُطَرِّقٌ يَرشُخُ مَوْتًا ، كما أَطُ رَقَّ أَفْعَى ، يَنْفُثُ السُّمَّ صِلُّ

وَمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاحٍ) وهذا كلام فارغ جداً ، ومضحك جداً أيضاً ، وإنما اقترح ذلك جوته لسوء ترجمة فريتاج للقصيدة ثم لهبوط ترجمته هو للقصيدة وفسادها ..... فاقترح هذا الترتيب ، اعتماداً على ما فهمه من هذا الخلط والفساد والهبوط ، في الترجمة اللاتينية والترجمة الألمانية لا اعتماداً على القصيدة العربية نفسها ، كما كان ينبغي أن يفعل وفي فعله هذا من غطرسة بني جلدته ماكنت أحب أن أنزّهه عنه ، لفضله وبراعته وإحسانه .... " (٢)

فالاستدلال هنا بالعكس يتمثل في افتراض مطاوعة المتلقي لترتيب جوته لأبيات القصيدة على النحو الذي ذكره لجوته ، وبعد ان افترض تلك المطاوعة قام بإبطالها إبطالاً بأسلوب فيه من التهكم والسخرية على جوته

(١) جيورج فيلهلم فريتاج هو مستشرق ألماني ، ولد في لونبرغ تتلمذ على اللغات الشرقية على يد دو ساسي ، يجيد العربية والفارسية والتركية ، عمل كأستاذ للغات الشرقية في جامعة بون ، له قاموس عربي لاتيني ، اعتمد فيه على قاموس ياكب يوليوس ووسعه وحسنه ، وله كتاب لتعليم اللغة العربية للمتحدثين بالألمانية ، . نشر من التراث العربي أجزاء من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، وديوان أبي تمام في الحماسة، وعمل مع تلميذه فستنفلد على نشر معجم البلدان لياقوت الحموي ، ينظر للأعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٢) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر ، ص : ٢٥٢-٢٥٣ .

الشيء الكثير ، والعجيب أن هذا التهكم وهذه السخرية مسبقة ومتبوعة بثناء على جوته نفسه ، ذلك الثناء الذي حينما يُطالع للوهلة الأولى يعتقد بأنه لن يكون في ثناياه إلا مزيداً من امتداح العالم الشاعر الألماني جوته وتمجيد لمناقبه النقدية، ولكنها شخصية الأستاذ محمود شاعر النقدية رحمه الله التي لا تكاد تنفك عما يشبه ذلك .

إذن فالاستدلال الذي استدعاه محمود شاعر هنا هو استدلال بعكس مارآه وذهب هو إليه من ترتيب الأبيات، ولا شك أن الترتيب الذي اقترحه جوته لا يستقيم مع السياق الكلي للنص ، ولا يتسلسل تسلسلاً تقتضيه بالضرورة ترتيب المعاني والأفكار ، فقلوه : (مُطَرِّقٌ يَرشُحُ مَوْتاً ..... ) يشبه فيه إطراره وسكونه منتظراً لفرصة ينتهزها في إدراك ثأره ، بالحية التي تسكن عند تربصها بأحد ، وشبه إمساكه لمن يطلب منهم الثأر بعد سكونه وإطراره ونيله منهم بسم الحية التي تقتل لدغتها ما تمسك أنيابها وتأني عليه .

أما البيت الثاني الذي اقترحه جوته بعد هذا البيت فهو قول الشاعر : (وَمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاحٍ ..... ) وهو يتحدث فيه عن هذيل " وبما كان ينال خاله منهم ويحملهم فيه على المراكب الصعبة، وينزلهم له بالمنازل الحزنة، التي تؤثر في أنفسهم وأموالهم ..."<sup>(١)</sup> ، إذ كان يذلهم ويضطرهم إلى أسوأ ما يكون من الأمر فلا يكون لهم خيار حيث يضطرهم ، كالبعير الذي ينيخه صاحبه أينما أراد إناخته ومهما كانت طبيعة الأرض التي يستناخ عليها سواء كان ذلك البعير راغباً أم كارهياً ، وعليه فإن الترتيب المنطقي للقصيدة يقتضي إدراج هذا البيت بعد معنى يرتبط به إن وجد ، فوضع قول الشاعر : (وَمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاحٍ ..... ) بعد قوله :

فَلَيْئِنْ فَلَّتْ هُذَيْلٌ شَبَاهُ لَيْمًا كَانَ هُذَيْلًا يَقُولُ

هو في حقيقة الأمر وضع منطقي وترتيب يقتضيه السياق ويطلبه المعنى ، ليكون معنى البيتين معاً معنى يليق بمعنى الشعر وفكر الشاعر ، فالشاعر يريد أن يقول :

إن كانت هذيل التي قتلت تأبط شراً قد نالت منه وفلت حدّه ، فهي لم تفعل ذلك إلا بسبب من فعله في هذيل قبل نيلهم منه ، فقد كان يثخن فيهم القتل ويفل حدودهم ويفتك بقوتهم ، وبما كانوا يلاقونه منه في

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ص : ٥٩٣ .

إذ لا لهم واضطرارهم إلى أسوأ ما يكون من الأمر مثلهم في ذلك مثل البعير الذي ينيخه صاحبه كارهاً كان أو راغباً فوق أي أرض وتحت أي سماء ، وبهذا المعنى المتناسق يعلم أن ترتيب الأستاذ شاعر رحمه الله أولى بالصواب وأقرب إلى الصحة ؛ لأن قوله (وَمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاحٍ ..... ) مكمل لقوله : (فَلَمَّا قَلَّتْ هُدًى لِّشَبَابِهِ ..... ) ومتمم لمعناه ومبناه ، وبالإمكان أن يعنون البيتان بسؤال : ما سبب قتل هذيل لتأبط شراً ؟ وتجتمع البيتان لتشكلاان إجابة وافية شافية قصد إليها الشاعر قصداً ، أما جوته الذي كان ترتيبه على هذا النحو :

مُطَرِّقٌ يَرِشُخُ مَوْتًا ، كَمَا أَطْ  
رَقَّ أَفْعَى ، يَنْفُثُ السُّمَّ صِلُ  
وَمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاحٍ  
جَعَجَعٍ ، يَنْقَبُ فِيهِ الْأَظْلُ

فإنه ترتيب لا يقتضيه ترابط الأبيات وتتمام المعنى ولا يسانده السياق الكلي للنص ، ففيه ما فيه من انفصام الانتقال من حديثه عن نفسه بما لا يتناسب ، مع تعليل معطوف على تعليل قبله لا يمتان بصلة لحديثه عن نفسه ، ومن هنا كانت ثورة محمود شاعر النقدية الفظة الغليظة على ترتيب جوته الذي يفضي إلى فوضى غير مبررة في النص ، ذلك الترتيب الذي شغل به محمود شاعر كثيراً وخصوصاً في كتابه نمط صعب ونمط مخيف ، حيث حشد لتبرئة الشعر الجاهلي من الخلل في ترتيب القصيدة كل قواه الأسلوبية وأدلتة العقلية والنقلية ما أمكنه ذلك ، بل ويجعل لعلماء التراث العربي مزيداً من الورع وكمال العقل والعلم ؛ " لا جتناهم أمر الفصل في هذه القضية إذا عرضت لهم مع سعة علمهم ومع تمكنهم من لسان العرب ، وإحاطتهم بأكثر تصاريف العرب وشعرائها في كلامها " <sup>(١)</sup> ، وأشار إلى أن أكثر من اجترأ على هذه التهمة جماعة من المستشرقين ومن تبعهم من العرب ، وقد اعتذر لهم بضعفهم في اللغة العربية وقلة بضاعتهم من لسان العرب وجهلهم بتصاريف الكلام <sup>(٢)</sup> ، واعتبر ما جاء في الشعر الجاهلي من اختلال في ترتيب الأبيات فناً من الفنون التي يقصد إليها الشعراء ؛ " لأنهم لم يقصدوا إلى " الإبانة المغسولة عن المعاني ، بل ركبوا إلى أغراضهم أغمض ما في البيان .. من المذاهب ، فرما شعثوا ماكن حقه أن يكون مجتمعاً ؛ لأنهم لا يبلغون حق الشعر إلا بهذا التشيعيث " <sup>(٣)</sup>

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر ، ص ١٣١ .

(٢) السابق : ص ١٢٩ .

(٣) السابق : ص ١٢٩ .

وحتى ما وجد من الشعر الجاهلي مختل الترتيب وهو عند شاكر موجود لا شك فيه ؛ فإن سببه ليس قصد الشعراء أنفسهم إلى التشعيث فقط ، بل سببه الرواة الذين رووا الشعر بروايات مختلفة تسببت في تدخل علماء التراث العربي لا لتصحيح ترتيبها ، بل فقط لروايتها ثم بذكر اختلاف الرواة القدماء فيها ، وبالنص على تقديم بيت أو أبيات في القصيدة في رواية عن رواية ولا يزيد عن أكثر من ذلك <sup>(١)</sup>، وقد اقترح محمود شاكر ترتيباً منطقياً لقصيدة (إن في الشعب الذي دون سلع) ، فقط على مستوى تسلسل الأبيات ، فبعد أن كد نفسه في ترتيبها بحسب قراءته الفاحصة لها ورؤيته النقدية ، قام بتقسيمها إلى أقسام من الأول وحتى السابع ، وحاول إيجاد مناسبات تربط تلك الأقسام بعضها ببعض كما فعل في النموذج الأنف الذكر ، حيث أعجب لإحساس جوته بوجود علاقة بين القسم الرابع والقسم الأول من القصيدة كما تم ذكره ، وكل هذه الجهود تندرج تحت محاولات شاكر الحثيثة لربط القصيدة الجاهلية ببعضها البعض ، تلك المحاولات التي سخر لها شاكر كل ما يمتلكه من الذوق والحس والأدبي والقدرات الاستنباطية و الاستدلالية وغطه العالي من البيان ، حيث شكلت هذه القضية همّاً نقدياً وغاية تحليلية ، وفق في كثير من آرائه فيها كما رأيناه في النموذج السابق ، وإصراره على إنشاء هذه العلاقة العضوية في النص الجاهلي أفضى به إلى محاولات للتوفيق بين بعض أحكامه النقدية مستخدماً في ذلك تقنية الاستدلال بالعكس ، فحين يتعلق الأمر بتحديد الغرض الذي من أجله قيلت قصيدة ابن أخت تأبط شراً يصر الأستاذ رحمه الله أن القصيدة خالية من الرثاء ومن التفجع ، وقد صرح بذلك في قوله: "والقصيدة كما ترى خالية من الرثاء والتفجع ، وبريئة من التحريض على طلب الثأر ، فليس يحسن إذن أن توصف بأنها قصيدة ثائرة مفعمة بروح الانتقام ، .... أو أنها تعبير ليس كمثلته تعبير عن روح الشاعر ، جياشة ثائرة غاضبة ، لا يكاد يستطيع كبحها على أن تتأثر للقتيل لساعتها .. ...." <sup>(٢)</sup> ، ولم ينس إصراره هذا حين تعلق الأمر بمحاولاته الحثيثة في ربط أقسام القصيدة الذي اقترحه ، فتجده يثبت أن الغناء كله خرج مخرج الرثاء لا مخرج الذكرى لو ربط القسمان الرابع والثاني بدون فصل القسم الثالث بينهما ، وفي ذلك يقول :

" فمولد هذا القسم الرابع من الإحساس بترجيع القسم الثاني ، وطموحه وحنينه إلى (يَرْكَبُ الْهُوْلَ وَجِيداً...) <sup>(٣)</sup>

(١) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر ، ص : ١٤٢ .

(٢) هذا جزء من بيت في نفس القصيدة والبيت كاملاً هو : يَرْكَبُ الْهُوْلَ وَجِيداً وَلَا يَصْ حَبُهُ إِلَّا الْيَمَانِي الْأَفْلُ.

يجعله أشد التصاقاً والتحاماً بهذا الموضوع من الغناء منه بالقسم الأول....ولو وقع مثل هذا لشاعر لم يتوغل في أسرار النغم توغل شاعرنا هذا .... لألحق هذا القسم الرابع بالقسم الثاني دون أن يفصل بينهما بشيء .... ولكن حذق زمن النفس الكامن في أعماقه السحيقة نفخ يده من هذا الخاطر ، ولا شك أنه قد خطر له ؛ لأنه لو فعل ما أوحى به لكان مضطراً أن يرفد هذا القسم الرابع بفتحة أشد التصاقاً والتحاماً بإحساس البيت الأول منه بالقسم الثاني (حَبَّرَ مَا نَابَنَا مُصْمِلٌ)<sup>(١)</sup> وبذلك يكون قد أخرج الغناء كله مخرج الرثاء لا مخرج الذكرى ، ولكن هذا يقتضيه أن ينقض بناء القصيدة كله ، وأن يكسب ألفاظها وأنغامها سمناً آخر غير هذا

(١) السابق : ص : ٢٤٩ .

(٢) القسم الثاني من القصيدة يتكون من تسعة أبيات وهو الأطول بحسب تقسيم الأستاذ محمود شاكر، وهي :

حَبَّرَ مَا نَابَنَا مُصْمِلٌ	جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ
بَرَّيْنِ الدَّهْرِ وَكَانَ غَشُومًا	بِأَيِّ جَارِهِ مَا يُدَلُّ
شَامِسٌ فِي الْقُرَى حَتَّى إِذَا مَا	ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَرْدُ وَظِلُّ
يَابِسُ الْجَنَبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ	وَنَدِيَّ الْكَفَيْنِ ، شَهْمٌ ، مُدِلُّ
ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ ، حَتَّى إِذَا مَا	حَلَّ حَلَّ الْحَزْمِ حَيْثُ يَحِلُّ
عَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي	وَإِذَا يَسْطُو فَلَئِنَّ أَبْلُ
مُسْمِلٌ فِي الْحَيِّ أَخْوَى رِفْلُ	وَإِذَا يَغْرُو فَيَسْمَعُ أَرْلُ
وَلَهُ طَعْمَانٍ : أَرْيٌّ وَشَرِيٌّ	وَكِلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ
يَرْكَبُ الْهَوَلَ وَحِيدًا وَلَا يَصْـ	حُبُّهُ إِلَّا الْيَمَائِيُّ الْأَفْلُ

والقسم الرابع هو قول الشاعر :

فَلَيْتَ فَلْتُ هُدَيْلَ شَبَاهُ	لَيْمًا كَانَ هُدَيْلًا يُفْلُ
وَمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنْاخٍ	جَعَجَعٍ يَنْقُبُ فِيهِ الْأَطْلُ
وَمَا صَبَّحَهَا فِي ذُرَاهَا	مِنْهُ بَعْدَ الْقَتْلِ نَهَبٌ وَشَلُّ

السمت ، ولأنزل بالقصيدة كلها أذية مؤلمة ، ولنزلت عندئذ من ذروتها الشاهقة التي بلغت ، فمن أجل هذا ومخافته أقدم زمن النفس على التشعيث ، فقطع أواصر القسم الرابع التي تربطه بالقسم الثاني وخاتمه ، وأنزل بينهما القسم الثالث .....<sup>(١)</sup>.

إذن فشاكر يرى أن تقسيم القصيدة إلى أقسام عادلة أولى به إلى الصحة أن يكون القسم الثالث فاصلاً بين القسمين الرابع والثاني ؛ لأن الشاعر قصد إلى تقديم زمن النفس عن تشعيث شعره وتفريقه ، وزمن النفس مصطلح جاء به الأستاذ محمود شاكر رحمه الله وألحقه في كتابه نمط صعب ونمط مخيف بفهرس المصطلحات الأدبية والنقدية ، وقد فسره الأستاذ بأنه زمن القصيدة الذي يشبه تخلق الجنين حتى يتم خلقه ؛ وعليه فإن زمن النفس هذا يبدأ من البدايات الأولى للقصيدة وينتهي بنهاية آخر حرف فيها ، وهو " الذي يؤثر في تخير الألفاظ والتراكيب والدلالات فينتظمها النغم الواحد أو الأنغام المختلفة التي يتكون منها لحن واحد متكامل ، وهو الذي نسميه القصيدة ...."<sup>(٢)</sup> ، وبناء على هذا التعريف فإن سلطة زمن النفس هي السلطة الأعلى في القصيدة ، وهي سلطة متطاولة لا تنقضي إلا بانقضاء كل القصيدة ، وهي التي تتحكم في الدلالات والمقتضيات الشعرية بما فيها التشعيث الذي يرى الأستاذ أن الشاعر الجاهلي كان يعتمد وجوده في قصيدته ، ولكن شاعر هذا النص آخر التشعيث وجعله أهمية تالية بعد زمن النفس ، فزمن النفس ألزم الشاعر بالفصل بين القسمين الرابع والثاني بحسب ترتيبه ، ولجأ الأستاذ لتقوية استنباطه للاستدلال المعكوس الذي رتبته على أساس فرض أن قدم الشاعر التشعيث على زمن النفس ، ووصل بين القسمين الرابع والثاني بدون فاصل بينهما ، لتكون نهاية القسم الثاني متصلة بشكل مباشر بأول القسم الرابع على هذا النحو :

يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَحِيداً وَلَا يَصْـ  
حُبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِيُّ الْأَفْلَـ

فَلَيْتَ فَلْتُ هُدَيْلُ شَبَاهُ  
لَيْمًا كَانَ هُدَيْلًا يَفْلُـ

إذن هذا نقيض استنباط الأستاذ الذي رتبته بناء على ما يقتضيه زمن النفس ، ورأى الأستاذ رحمه الله لو أن

(١) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر ، ص : ٢٤٩ .

(٢) السابق ، ص : ٢٤٢ .

الشاعر وصل القسمين الثاني والرابع بدون فاصل بينهما لكان الشاعر مضطراً " أن يرفد هذا القسم الرابع بفتحة تجعله أشد التصاقاً والتحاماً بإحساس البيت الأول منه بالقسم الثاني ، (حَبَّرَ مَا نَابَنَا مُصَمِّلٌ) وبنعم البيت الذي يليه : (بَزَيَّ الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا).... ثم يأتي عندئذ بعد الفتحة بقوله : (فَلَيْتَ فَلَّتْ هُدَيْلُ شَبَاهُ) " (١).

وفي استدلال الأستاذ السابق لا بد من الإشارة إلى ثلاثة أمور :

أولها : في هذا الاستنباط والاستدلال له بالعكس تضارب وتصادم بين وجود التشعيث في القصيدة الجاهلية بحسب تفسير الأستاذ له من عدم وجوده ، فهو يرى بأن التشعيث فن ومذهب يسلكه الشاعر الجاهلي ، واعتبر ما جاء في الشعر الجاهلي من اختلال في ترتيب الأبيات من قبيل التشعيث الذي يقصده الشعراء ؛ لأنهم " لم يقصدوا إلى الإبانة المغسولة عن المعاني ، بل ركبوا إلى أغراضهم أغمض ما في البيان .. من المذاهب ، وربما شعثوا ما كان حقه أن يكون مجتمعاً ؛ لأنهم لا يبلغون حق الشعر إلا بهذا التشعيث " (٢) وهذا جميل وحسن استظهار منه رحمه الله ، ثم يرى في هذا الاستنباط أن الشاعر قد فصل بين القسمين الرابع والثاني لأنه قدم زمن النفس لأهميته وآخر عنه التشعيث ففصل بينهما بالقسم الثالث ؛ لأن زمن النفس هو المسيطر على الشاعر والمتحكم فيه حينها ، ثم استدلل بالعكس لدعم استنباطه بأن الشاعر لو وصل بين القسمين الرابع والثاني لاضطر لإيجاد فتحة يبتدئ بها القسم الرابع .

وهذا الاضطراب يتعارض مع ما قرره الأستاذ سابقاً من أن الشعراء يتخذون من التشعيث مذهباً وفناً فيفرون ماحقه الاجتماع من الكلام ، فالزام الشاعر بفتحة يوطئ بها أبيات القصيدة يتصادم ويتضاد في حقيقة الأمر لاستظهار الأستاذ بنحوض الشعراء الجاهليين للتشعيث ، كاحتجاج لما اختل ترتيبه من أبيات قصائدهم .

ثانيها: التطبيق العملي لتقسيم الأستاذ لأبيات القصيدة يتطلب أن يفصل بين بيتين مرتبطين كل الارتباط وهما:

(١) نط صعب ونط مخيف لمحمود شاعر ، ص : ٢٤٩ .

(٢) السابق ، ص : ١٢٩ .

ببعضهما البعض ، وهما قول الشاعر :

يَرْكَبُ الْهُوْلَ وَحِيداً وَلَا يَصْـ  
حُبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِيُّ الْأَفْلَـ

فَلَيْنُ فَلْتُ هُذَيْلُ شَبَاهُ  
لَيْمًا كَانَ هُذَيْلًا يَقُولُـ

فالبيت الأول من هذين البيتين هو آخر القسم الثاني بحسب ترتيب الأستاذ ، والبيت الثاني هو أول القسم الرابع ، وعند النظر للبيتين وللوهلة الأولى يلاحظ بأن فلول السيف هو القاسم المشترك بينهما ، ففلول السيف أتى في البيت الأول كناية عن شجاعة المقتول (خال الشاعر) ، فهو شجاع لا يخشى الأهوال لاعتياده عليها ولا يكون بمعيته عند ركوبها إلا السيف اليماني المثلم من كثرة الضرب به ، هذا هو المعنى العام لهذا البيت ومن الملائم جداً أن يكون قوله (فَلَيْنُ فَلْتُ هُذَيْلُ شَبَاهُ ...) بعده مباشرة بدون فاصل ؛ لأنه الحديث فيه مستكمل لأهم صفة في خال الشاعر المقتول التي جعلت هذيل تقتله وتفل شباه ، وهي صفة الشجاعة التي استدعاها الشاعر بأسلوب كنائي بديع في البيتين معاً ، فكفى عن الشجاعة في البيت الأول بفلول السيف لكثرة الضرب به ، ثم كنى به في البيت الثاني عن نيل هذيل من خاله وقتلهم إياه بشجاعة ليس مثلها شجاعة بقوله (فَلَيْنُ فَلْتُ ...) ، ومعناه إن كانت هذيل التي قتلت تأبط شراً قد نالت منه وفلت حدّه ، فهي لم تفعل ذلك إلا بسبب من فعله في هذيل قبل نيلهم منه ، فقد كان يشحن فيهم القتل ويمزقهم في كل غارة يغيرها عليهم ، وكفى بفلول سيف خاله عن مقتله ليبين أن هذيلاً لم تقتله إلا بعد أن فلت سيفه بعد مواجهة مباشرة لم يهرب منهم فيها ؛ بل قام بمطاعتهم وضربهم بسيفه حتى نالت منه وقتلته ، ثم اختتم استدعاء فلول السيف في آخر البيت الثاني بقوله " لَيْمًا كَانَ هُذَيْلًا يَقُولُ " فهذيل لم تفل حده وقتلته إلا بكثرة ضربه لهم ومطاعتهم وفله حدود سيوفهم .

وكل هذه التدايعات بفلول السيف تصب في معنى واحد كان هم الشاعر أن يبرزه ويستكمله في صورة فلول السيف بصور مختلفة في هذين البيتين ، وعليه فإن ترتيب هذين البيتين ووضعهما متعاقبين هو السبيل الوحيد لاستكمال الصور المختلفة لفلول السيف ، ويزيد من قوة ترابط هذين البيتين أنها في وصف شخصية واحدة وهي خال الشاعر ، ويزيد ثم يزيد من قوة ترابطها أنها صارخة في وصف خال الشاعر بالشجاعة وحدها من بين صفاته التي ذكرها عنه في هذه القصيدة .



فلذلك ومن أجله يكون تعاقب البيتين بهذا الترتيب أقرب للصواب من فصلهما بأجنبي يشكل وجوده بينهما فجوة كبيرة في استكمال المعنى وتمامه ، فإن قيل على ترتيب الأستاذ رحمه الله :

يَرْكَبُ الْهَوَلَ وَحِيداً وَلَا يَصْـ  
حُبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِيُّ الْأَفْلَـ

وَفُتُّوْ هَجَرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ  
حَتَّى إِذَا انْجَابَ حَلُّوْ

كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ  
كَسَنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسْلُـ

فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا  
مَلُّوا رُعْتُهُمْ فَاشْتَمَعَلُواْ

فَلَمَّيْنُ فَلَّتْ هُذَيْلٌ شَبَاهُـ  
لِمَا كَانَ هُذَيْلًا يُفْلُـ

فقد تم الفصل بين هذين البيتين المرتبطين بأبيات قد لا تكون من قوة الارتباط بمنزلة تعاقبهما ، وفيها عسر انتقال وتخلص من حديث الشاعر عن خاله ووصفه بالشجاعة (يَرْكَبُ الْهَوَلَ ..) ، ثم انتقاله بشكل مفاجئ للحديث عن الفتية الذي ذكروا أنفسهم للأخذ بثأر المقتول ، (وَفُتُّوْ هَجَرُوا) واستكمال وصفه لهم بالسيوف الماضية التي تردت بسيوف ماضية تشبه سنا البرق ولمعته ، واستكمالها أيضاً في قوله (فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ ...). وصف مسيرهم وغلبة النعاس عليهم ثم قيامه بترويعهم وتفزيعهم حتى جدوا في السير ، ثم العودة بعد ذلك كله إلى استكمال وصف خاله بالشجاعة بتقنية فلول السيف في قوله (فَلَمَّيْنُ فَلَّتْ هُذَيْلٌ ... ) ، وفي هذا الترتيب ما فيه من قطيعة وتشثيت تشمل معنى واحد مترابط ومتتابع في بيتين حقهما أن يتتابعا لتمامه بتعاقبهما.

ثالثاً : الذي دفع الأستاذ محمود شاکر للاستدلال بالعكس في هذا الموضع كما تمت الإشارة إليه هو استنباطه القائم على أن القصيدة خالية من الرثاء والتفجع ، وبريئة من التحريض على طلب الثأر ، حيث يرى "أن القصيدة معقودة على تذكر شيء مضى حدث به الشاعر نفسه فتغنى وترنم ، إلا الأبيات الخمسة في أوله فإن لها شأنًا آخر " <sup>(١)</sup> ، ويرى أن الأبيات الخمسة الأول من هذه القصيدة حديث نفس مطوية على كمد وغيظ ، وأن الشاعر انصرف حتى في هذه الأبيات عن الرثاء ؛ وعلل انصراف الشاعر عن الرثاء بأن قوم تأبط شراً

(١) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاکر ، ص : ١٤٢ .

المقتول حينما جاءهم نبأ مقتله " أكثروا اللغظ في دمه ، وبدأ منهم التردد والإحجام عن إدراك ثأره ، وآثروا السلامة ، فقد هلك تأبط شراً ... وهلك قبل مهلكه الفتاك من إخوته وهلك أشدّاء أصحابه بالغارات ، تفانوا جميعاً وهم حماة (فهم) وأولو البأس فيها ، وإنما هلك تأبط شراً وهو غازٍ في الطلب بثأرهم فكأن القوم أحجموا لذلك عن الخروج في نقض هذه الأوتار "(١) وبني بناء على ذلك خشية الشاعر من ذهاب دم خاله هدرًا فاستقل هو والفتية الذين ذكرهم في القصيدة بطلب الثأر .

وإذا كان الأستاذ رحمه الله قد أخرج القصيدة من الرثاء وأدخلها في باب الذكرى ؛ فلست أرى الذكرى التي قصدها إلا تلك الذكرى التي تشتمل عليها كثير من قصائد الرثاء ، فمن أشهر المراثيات في الأدب العربي على الإطلاق مراثيات الخنساء التي لا تكاد تخلو قصيدة منها على الذكرى ؛ التي جعلها الأستاذ محمود شاعر مستقلة في هذه القصيدة عن الرثاء ، ومع اشتغال بعض قصائدها على هذه الذكرى تصريحاً وتلميحاً فليس بمقدور أحد أن يستقل بها عن الرثاء مطلقاً ، لا سيما وأن الذكرى التي تشتمل عليها قصائد الرثاء ليست في حقيقتها إلا رثاء لا يتجزأ عنه ولا يستقل ، ومنه قول الخنساء :

تَذَكَّرْتُ صَخْرًا إِذْ تَغَتَّتْ حَمَامَةٌ      هَتَوْتُ عَلَى غُصْنٍ مِنَ الْأَيْكِ تَسْجَعُ  
فَظَلْتُ لَهَا أَبْكِي بَدْمَعِ حَزِينَةٍ      وَقَلْبِي مِمَّا ذَكَرْتَنِي مُوجَّعُ  
تُذَكِّرُنِي صَخْرًا وَقَدْ حَالَ دُونُهُ      صَفِيحٌ وَأَحْجَارٌ وَيَبْدَاءُ بَلْقَعُ  
وقولها :

لَا تَحِلْنِي أَيْيَ نَسِيْتُ وَلَا بَلَّ      فُؤَادِي وَلَوْ شَرِبْتُ الْقَرَاخَا  
ذَكَرَ صَخْرٍ إِذَا ذَكَرْتُ نَدَاهُ      عَيْلَ صَبْرِي بِرُزْئِهِ ثُمَّ بَاخَا

(١) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر ، ص : ١٤٧ .

(٢) ديوان الخنساء ، ص : ٨٠ .

(٣) ديوان الخنساء ، ص : ٢٨ .

فهذه الأبيات من مراثي الخنساء وهي صريحة بالذكرى التي هي عين الرثاء ووجهه الآخر ، ولا يستطيع بحال إخراجها من باب الرثاء إلى باب الذكرى حتى ولو تم استحداث باب في أغراض الشعر اسمه الذكرى مستقل عن غيره من الأغراض ، ثم إن الأستاذ شاعر رحمه الله اعتبر قصيدة المتنبي في رثاء جدته من باب الرثاء لا من باب الذكرى على أن فيها من الذكرى التي لم يصرح المتنبي بلفظها ما يزيد عن الذكرى التي في قصيدة (إن بالشعب الذي دون سلع ) ، ومنها قول المتنبي :

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْخَةٍ      فَمَاتَتْ سُوراً بِي فَمُتُّ بِهَا عَمَّا  
تَعَجَّبُ مِنْ لَفْظِي وَحَظِّي كَأَنَّمَا      تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَعْرَبَ عَصَمَا  
فَوَ أَسْفَاً أَلَا أَكْبَ مُقْبِلًا      لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلِقَا حَزَمَا  
وَأَلَا أَلَا قِي رَوْحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي      كَأَنَّ ذِكْرِي الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا<sup>(١)</sup>

على أن نفي الأستاذ محمود شاعر أن يكون في القصيدة رثاء وتفجع وتحريض على الثأر قد لا ينطبق على هذه القصيدة كلها ، ففي بعضها عاطفة صريحة بالرثاء وإظهار التفجع على المقتول ، فقوله :

حَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصَمِّلٌ      جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ  
بَزَيِّ الدَّهْرِ وَكَانَ عَشُومًا      بِأَيِّ جَارُهُ مَا يُدَلُّ

فهذان البيتان تدلان أيما دلالة على التفجع على المقتول والتحسر على فراقه وتمثل عظم خبر مقتله وجلالته ، وتفصح عن أن الشاعر ابتلي بلاء عظيما بمقتل خاله وفراقه ، ولا أظن رثاء وتفجعا أشد وضوحاً من ذلك، شأنه في ذلك شأن قصائد الرثاء التي يظهر فيها الشاعر فاجعته وصدمة من هول نبأ موت من يرثيه ، أما التحريض على طلب الثأر والانتقام فهي لا تكاد تخفى ومن مطلع القصيدة بحسب ترتيب الأستاذ لها :

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ      لَقَتَيْلًا دُمُهُ مَا يُطْلُ

(١) ديوان المتنبي ، ص : ١٧٤ ، ١٧٥ .

قَذَفَ الْعِبَّاءَ عَلَيَّ ، وَوَلَّى

أنا بالعبء له مستقل

ووراء الثَّارِ مَيِّ ابْنِ أُخْتِ

مَصِغٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ

مُطَرِّقٌ يَرِشُخُ مَوْتًا ، كَمَا أَطَى

رَقَ أَفْعَى ، يَنْفُثُ السُّمَّ صِلُ

فهذه الأبيات تسيطر عليها روح الانتقام ويهيمن عليها التحريض على طلب الثَّار لقتلة خال الشاعر ، فقائل النص ومن البيت الأول قال إن دم القاتل لا يطل ، وإنه سيثَّار له ولن يجعل دمه يذهب هدرًا ، وهذا صريح في التهديد والوعيد بما لا يحتاج إلى مزيد من الإبانة ، وقوله (قذف العبء) صريح هو الآخر في البيان عن التحريض على الثَّار من قتلة خال الشاعر ، فالقتيل قذف بعبء على ابن اخته الذي قال النص وقد استقل به دون غيره ، وهذا العبء يتمثل في نيله من قتلة خاله والثَّار له ممن قتله ولا يحتمل أن يكون العبء شيء آخر غير هذا ، وهذا أوضح من أن يقال عنه إنه تحريض صريح على طلب الثَّار ، ومثله قوله (ووراء الثَّار مني ....) فقد اشتمل على "ضرب من الوعيد، كأنه يجري مجرى قول القائل: الله من ورائك"<sup>(١)</sup> ، ومجيء هذا البيت في مطلع القصيدة وفي معرض الحديث عن قتل خاله وما عقب القتل مباشرة من استقلاله بالثَّار له ، وقيل الحديث عن الثَّار نفسه وعن الثَّارة أنفسهم ، ما يشي بأن الشاعر يحرض نفسه بنفسه على الثَّار لخاله ويعملها بالنيل من هذيل التي قامت بهذه الفعل الشنيعة ، أما قوله (مُطَرِّقٌ يَرِشُخُ مَوْتًا ..) فإن الشاعر يشبه فيه إطراره وسكونه منتظرًا لفرصة ينتهزها في إدراك ثَّاره ، بالحية التي تسكن عند تربصها بأحد، وشبه إمساكه لمن يطلب منهم الثَّار بعد سكونه وإطراره ونيله منهم بسم الحية التي تقتل لدغتها ما تمسك أنيابها وتأتي عليه ، وفي هذا ما لا يخفى من روح الانتقام المفعمة التي يتنفسها الشاعر ، وفيها ما فيها من التهيؤ والتربص للقتل ولا غير القتل والثَّار ولا غير الثَّار ، إذن فبعض أبيات القصيدة صريحة كل الصراحة في التهديد والوعيد والتحريض على طلب الثَّار والنيل من هذيل .

أما قوله :

فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا

هَوُمُوا رُعْتَهُمُ فَاشْمَعُوا

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ص ٥٨٧ .

فهو شديد الإبانة عن تحريض الشاعر لمن نخض معه في طلاب ثأر خاله ، فهؤلاء الثأرة ساروا كل يومهم ، ثم نزلوا وهوموا ، وناموا نومةً خفيفةً فلما أمهلهم حتى انتهوا من هذه النومة قام بإيقاظهم وترويعهم وبعثهم للارتحال ومتابعة السير في طلب الثأر ، ولا أرى هذا الترويع والتنبيه إلا من باب التحريض على القتل ، بل وتجاوز فيه الشاعر مرحلة التحريض اللفظي إلى التحريض العملي ، ويكفي أن يقال في ذلك أن القوم قد خفوا بعد أن نبههم وقام بترويعهم أو قل تحريضهم .

أما الرثاء فهذه القصيدة تستوفي ما في قصائد الرثاء من عناصر يطرقها شعراء الرثاء وتشتملها المراثي ، وأهمها حديث الشاعر الرائي عن حتمية الموت ، والشاعر في هذه القصيدة رأى أن قتل خاله وإن كان فاجعة وخبراً مصملاً ، فإنه كان متحققاً بما كان يفعله في هذيل من الأفاعيل ، فقد كان يقتلهم ويؤذيهم ويهينهم ويوردهم موارد الهلاك ، وهم منه واجفون حتى تحقق لهم النيل منه :

فَلَيْتَ فَلْتُ هُذَيْلَ شَبَاهُ  
لَبِمَا كَانَ هُذَيْلًا يُفْلُ  
وَبِمَا أَبْرَكَهَا فِي مُنَاخٍ  
جَجَجَ ، يَنْقُبُ فِيهِ الْأُظْلُ  
وَبِمَا صَبَحَهَا فِي دُرَاهَا  
مِنْهُ ، بَعْدَ الْقَتْلِ نَهْبٌ وَشَلُ

ومنها أيضاً التفجع وإظهار اللوعة والأسى على فراق المرثي ، وقد تم بيانه سابقاً وأنه متمثل في قوله :

خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَعٌ  
جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ  
بَرَّيْنِ الدَّهْرِ وَكَانَ غَشُومًا  
بِأَيِّ جَارُهُ مَا يُدَلُّ

أما عنصر التأبين فمما لا يخفى أنه العنصر الأهم والمكون الرئيس لقصائد الرثاء ، والشاعر هنا قد أبّن مرثيه ووصفه بصفات كريمة رفيعة ، وكأنه في ذكرها وتعدادها يعلل سبب فجيعته عليه واستقلاله بثأره ، فهي مناقب زالت بزوال شخص عظيم دمه لا يُطل ، ويستحق إدراك ثأره مواصلة المسير ليلاً ونهاراً ، ويستحق العناء والمخاطرة وضرب الرقاب ، فالمقتول :

شَامِسٌ فِي الْقَرِّ حَتَّى إِذَا مَا  
دَكَّتِ الشَّعْرَى فَبَرْدُ وَظَلُ

يَابِسُ الْجُنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ

وَنَدِيُّ الْكَفَيْنِ ، شَهْمٌ ، مُدِلُّ

ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ ، حَتَّى إِذَا مَا

حَلَّ حَلَّ الْحَزْمِ حَيْثُ يَحِلُّ

عَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي

وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْثُ أَبْلُ

مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَحْوَى رِفْلُ

وَإِذَا يَغْزُو فَيَسْمَعُ أَرْلُ

وَلَهُ طَعْمَانٍ : أَرْيٌّ وَشَرِيٌّ

وَكِلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ

فهذه الأبيات صريحة في تأبين المراثي بصفات كريمة رأى الشاعر أنها كافية دون ما سواها لطلب الثأر له والنيل من قتلته ، وهذا التأبين هو من العناصر التي لا تكاد تخلو منه المراثي في الشعر العربي ، ووجوده مع إخوته في هذه القصيدة دليل على أن مأم هذه القصيدة الرثاء .

## الأدلة الاستقرائية :

يُعرّف علماء المنطق الاستقراء بأنه " تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً" <sup>(١)</sup> ، والاستقراء من أهم الأدلة التي اعتمد عليها علماء التراث الإسلامي ، فضبطوا به الأحكام الفقهية والشرعية باستقراء ظواهرها ، وضبطوا به لغة العرب نحوها وصرفها ومعاني مفرداتها بعد أن استقرأوا ظواهرها من لسان العرب ، وكونوا منها قواعد عامة وأحكاما صارت مرجعاً للغة العرب حتى يومنا هذا ، " وكان للاستقراء دور مهم في استخراج علم العروض الذي وضعه الخليل ، وفي ضبط زحافاتهِ وعلله ، إذ تتبع الشعر العربي ، وأحصى وضبط ما شاهد فيه " <sup>(٢)</sup> .

وحيثما يتعلق الأمر بالأدب والنقد العربيين المدونتين البحثيتين الأكبر في مسيرة محمود شاعر العلمية ، فإن كثيراً من أحكامه النقدية والأدبية اعتمدت وبشكل كبير على الاستقراء ، ذلك الاستقراء الذي يخضعه لتدقيقه الخاص ، فيجعل منه مزيجاً علمياً لا يكاد يكون إلا عنده كما هو عند كبار العلماء ، وأكد أجزم أن الاستقراء عند محمود شاعر ممزوجاً بتدقيقه الخاص هو التفسير الطبيعي لأغلب اعتراضاته اللغوية واستدراكاته على معاجم اللغة ، ولكنه يختلف عن استقراء علماء اللغة القدامى ، وذلك أن استقراء شاعر سبيله الوحيد هو بطون الكتب العربية التي غصت بها مكتبته وامتلاأت بها ثقافته وانصقلت بها دربته ، أما الاستقراء عند العلماء القدامى فهو استقراء للغة عن طريق تتبع ظواهرها من كلام العرب الأقحاح أنفسهم ، أو من كلامهم المتواتر المنقول للعلماء سماعاً أو مشافهة أو كان منسوخاً في الأطراس ، ثم استنتاج أحكام عامة منها هي ما نعرفه اليوم بالنحو والصرف والمعاجم اللغوية على سبيل المثال ، وحيثما اختط شاعر لنفسه منهج التدقيق كمنهج خاص يطبقه على كل كلام ، ألزم نفسه بهذا النوع من الاستقراء الذي جعله ركناً بل حجر الزاوية التي يقوم عليها المنهج العلمي السليم ، بل جعله شرطاً أساساً لما قبل المنهج ، " أي الأساس الذي لا يقوم المنهج إلا عليه ، فهذا الذي أسميته منهجاً ينقسم إلى شطرين : شطر في تناول المادة ، وشرط في معالجة التطبيق ، فشرط المادة يتطلب قبل كل شيء جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر ، ثم تصنيف هذا المجموع ، ثم

---

(١) ضوابط المعرفة لعبد الرحمن حبنكة ، ص : ١٨٨ .

(٢) السابق ، ص : ١٨٩ .

تمحيص مفرداته تمحيصاً دقيقاً ، وذلك بتحليل أجزائها بدقة متناهية .... أما شطر التطبيق فيقتضي إعادة تركيب المادة بعد نفي زيفها ، وتمحيص جيدها ، باستيعاب أيضاً لكل احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرع ، إذن فالاستقراء من أهم الدعائم الأساسية التي لا يقوم المنهج إلا بها عند محمود شاعر ، وقد ظهر جلياً اعتماده عليه في أمرين :

الأمر الأول : اعتمد محمود شاعر على الاستقراء دليلاً في معاركه الأدبية التي خاضها مع علماء زمانه ، ولم يكن يستخدم فيها الاستقراء فقط دليلاً يدعم به استنباطاته وأحكامه النقدية والأدبية ، بل كان يلاحظ على خصومه عدم استقراءهم الشامل وجمعهم المواد العلمية من مظانها على وجه الاستيعاب ، وليس أدل على ذلك من صنيعه مع لويس عوض ومُجد مندور وصراعه معهما حول أبي العلاء المعري في أباطيل وأسماير ، وسنأتي على بعض من النماذج التي اعتمد فيها محمود على الاستقراء في صراعه الأدبي مع لويس عوض ومُجد مندور .

الأمر الثاني : اعتمد محمود شاعر على الاستقراء دليلاً استنباطياً لكثير من استدراكاته اللغوية واقتراحاته وإضافاته على معاجم اللغة ، فكان كثيراً ما يستقري الظواهر اللغوية من كلام العرب الفصيح بمساندة ذائقتهم الخاصة ، ثم يقوم بعد ذلك بالاستقراء والتذوق بإطلاق أحكامه اللغوية التي شكلت ظاهرة علمية في مسيرته رحمه الله .

ومن ذلك أن انتقد شاعر وبشدة وبلغة حادة وعنيفة ومؤلمة لويس عوض في كتابه أباطيل وأسماير على خلفية بعض الأحكام النقدية والأدبية التي انتهى إليها لويس عوض ، ولعل هذا الأمر ملاحظ منذ الصفحات الأولى لهذا الكتاب والتي لها أشد العلاقة وأقواها بالاستقراء ، وبيان ذلك أن لويس عوض أطلق في كتابه على هامش الغفران مجموعة من الأحكام تتعلق بالجانب الاجتماعي عند أبي العلاء المعري ، وتتلخص في أن أبا العلاء المعري درس في اللاذقية وأنطاكية ، مستنداً لويس على ما ذكره القفطي والذهبي في أن أبا العلاء نزل بدير فيها والتقى أبو العلاء براهب درسه الفلسفة وعلوم الأوائل ، حيث إن علوم اليونان هي ما كان يقرأ في الأديرة في الفترة التي كان فيها الحكم للروم ، ويرى لويس عوض أنه لا يعرف شيئاً عن تعليم أبي العلاء المعري حتى سن العشرين وهي فترة التكوين ، إلا تعليمه في حلب ، ثم أنطاكية ، ثم اللاذقية ، ثم تعليمه في طرابلس ، ورأى لويس عوض أن هذا الغموض الذي أحاط بتكوينه العلمي حتى أن بلغ العشرين ، يكاد يتسرب إلى حياته



كلها فيما بين العشرين والخامسة والثلاثين ، <sup>(١)</sup> ورصد حياة أبي العلاء المعري من هذه الزاوية لم يرق لمحمود شاعر ؛ لأنه يفضي إلى القول بعدم أصالة ثقافة أبي العلاء المعري ، وأبو العلاء هو من هو عند محمود شاعر رحمه الله ، فلم تكذب تخلص مؤلفاته في بداية صفحاتها أو ما بين أقسامها من أبيات لأبي العلاء يلزم فيها من طرف خفي على من يعارضه ويخاصمه على المستوى النقدي والأدبي ، ومن هنا ثارت ثائرة محمود شاعر على خلفية إطلاق لويس عوض لحكم تشرب أبي العلاء المعري للثقافة اليونانية عن طريق رصده لمسيرته العلمية حتى سن العشرين ، واتهم على إثر ذلك لويس عوض بعدم اطلاعه على الكتب التي ترجمت لأبي العلاء المعري ، بل واتهمه بأنه لم يطلع إلا على كتاب طه حسين الذي ألفه في أبي العلاء المعري <sup>(٢)</sup> ، والحق أن لويس عوض لم يزد على ما قاله طه حسين عن أبي العلاء المعري في هذه المرحلة من عمره ، بل ولم يذكر لويس عوض من تراجم العلماء التي اعتمد عليها سوى القفطي والإمام الذهبي ؛ وهما أكثر عالَمين اعتمد عليهما طه حسين في مقالته الأولى التي عنيت بزمان أبي العلاء المعري ومكانه ، ومحيطه الاجتماعي والسياسي ، والحياتين الاقتصادية والدينية ، وبناء عليه فقد اقترح محمود على لويس عوض أن يستقرئ كل ما يتعلق بحياة أبي العلاء المعري عن طريق التراجم التي غصت بها كتب العلماء ، كما علق مراجعتها له واستقصاء كل ما فيها بتناولها بحسب تسلسلها التاريخي ، ورأى شاعر أن استقراء حياة أبي العلاء المعري على هذا النحو كفيلاً برصد جانبه الثقافي وحياته الدينية وهما أهم جانبين من حياة أبي العلاء المعري ، وعدد بناء على ذلك ثمانية وعشرين كتاباً وردت فيها كلها تراجم لأبي العلاء المعري ، وقام محمود بسرد مؤلفي هذه الكتب مرتبين بحسب زمانهم ، ومقسمين بحسب معاصرتهم لأبي العلاء المعري وتأخرهم عنه ، وبعد أن قام بتعداد مؤلفي هذه الكتب وترتيبها قال :

" فأني أستاذ جامعي... يستطيع أن يغفل الاطلاع على هذا كله ، ويقتصر على نقل من كتاب محدث ألف منذ أكثر من خمسين سنة ، ويتجاهل كل ما كتبه المحدثون بعد هذا الكتاب ، إلا أن يكون في دراسته ملفقاً ،

(١) على هامش الغفران ، ص ٩٦ - ٩٩ .

(٢) الكتاب هو تحديد ذكرى أبي العلاء ، لطفه حسين ، ط٦ ، عام ١٩٦٣ م ، لدار المعارف بمصر ، ويقصد محمود شاعر منه قسمه الأول الذي سماه طه حسين المقالة الأولى والتي تناول فيها زمان أبي العلاء المعري ومكانه ، ومحيطه الاجتماعي والسياسي ، والحياتين الاقتصادية والدينية ، ينظر لصفحة ٢٩ - ١٠٠ من الكتاب السابق .

متعجلاً طياًشاً" (١) .

والحق أن محمود شاعر قد حصر أغلب الكتب التي ترجمت لأبي العلاء المعري ، ورتبها تاريخياً ، ثم نسب لكل من مؤلفيها ما قاله في قضية تعليم أبي العلاء المعري إن كان قد تناولها ، ويشير إلى عدم تناول المؤلف لهذا الجانب إن لم يكن ، وقد أثمر استقراء محمود شاعر في هذه القضية لثمانية وعشرين مؤلفاً بما يلي :

أولاً : أن العلماء الذين عاصروا أبا العلاء المعري وترجموا له لم يذكروا قصة تعليمه مع أنهم أقرب العلماء عهداً به ، وهم أبو منصور الثعالبي ، والخطيب البغدادي ، والباخرزي في دمية القصر . (٢)

ثانياً : أن بعض العلماء أساء القالة في دين أبي العلاء المعري ، ومع ذلك لم يذكروا قصة تعليمه التي ذكرها

---

(١) أباطيل وأسمار لمحمود شاعر ، ص : ٢٧ .

(٢) لم تذكر كتب هؤلاء العلماء جانباً من تعليم أبي العلاء المعري ، وقد توقف بعضها عن الحديث في فساد دينه ، بل نقل أبو منصور الثعالبي حديثاً لأبي العلاء عن صبره واحتسابه بما أصابه الله به من العمى ، يقول الثعالبي : " قد جمعت بين أهل معرفة الثُّغَمَانِ الَّتِي أَخْرَجَتْ هَؤُلَاءِ الْفَضْلَاءَ وَهِيَ غَيْرُ مَشْهُورَةٍ بِخَرَّاسَانَ وَكَانَ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الدَّلْفِيُّ الْمَصْيَصِيُّ الشَّاعِرُ وَهُوَ مِنْ لَقَبَيْهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي مُدَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً قَالَ لَقِيتُ بِمَعْرِ الثُّغَمَانِ عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ رَأَيْتُ أَعْمَى شَاعِرًا ظَرِيفًا يَلْعَبُ بِالشَّطْرَنْجِ وَالنَّرْدِ وَيَدْخُلُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْجُدِّ وَالْهَزْلِ يَكْنَى أَبَا الْعَلَاءِ وَبِاسْمِهِ يَقُولُ أَنَا أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى الْعَمَى كَمَا يَحْمَدُهُ غَيْرِي عَلَى الْبَصَرِ فَقَدْ صَنَعَ لِي وَأَحْسَنَ لِي إِذْ كَفَانِي رُؤْيَا الثُّغَلَاءِ الْبُعْضَاءَ ... " ينظر لتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لعبد الملك بن مُجَدِّ بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، تحقيق مفيد مُجَدِّ قمحية ، ط ١ ، عام ١٩٨٣م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، وقد ورد في بعضها إثبات لفساد دينه ، وفساد الدين هذا الذي أشاروا إليه من المحتمل أن يكون بأثر من تعليمه الذي تلقاه في المرحلة الأولى من عمره ، ومن ذلك ما ذكره الباخريزي : "أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعريّ التَّنُوخِيّ ضَرِيرٌ ، مَا لَهُ فِي أَنْوَاعِ الْأَدَبِ ضَرِيبٌ ، وَمَكْفُوفٌ فِي قَمِيصِ الْفَضْلِ مَلْفُوفٌ ، وَمَحْجُوبٌ خَصْمُهُ الْأَلَدُ مَحْجُوجٌ ، قَدْ طَالَ فِي ظِلَالِ الْإِسْلَامِ أَنَاؤُهُ ، وَلَكِنْ رُبَّمَا رَشَحَ بِالْإِلْحَادِ إِنَاؤُهُ وَعِنْدَنَا خَيْرٌ بِصَرِهِ ، وَاللَّهُ الْعَالَمُ بِبَصِيرَتِهِ ، وَالْمَطَّلَعُ عَلَى سِرِّيَّتِهِ ، وَإِنَّمَا تَحَدَّثَتِ الْأَلْسُنُ بِإِسَاءَتِهِ لِكِتَابَتِهِ الَّذِي زَعَمُوا عَارِضٌ بِهِ الْقُرْآنُ ، وَعُنُونُهُ ب «الفصول والغايات» محاذاة للصور والآيات ، وأظهر من نفسه تلك الخيانة ، وجدَّ تلك الهوسات كما تجدَّ العير الصَّلْيَانَةُ ... " ينظر لدمية القصر وعصرة أهل العصر ، لعلي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخريزي ، ط ١ ، عام ١٤١٤ هـ ، لدار الجيل ببيروت ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

القفطي واعتمد عليها لويس عوض ، وهؤلاء العلماء هم السمعاني ، وابن الأنباري ، وابن الجوزي ، فالسمعاني مثلاً حين ترجم لأبي العلاء المعري قال :

" والشاعر المعروف البحر الذي لا ساحل له في اللغة ومعرفتها أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري البصير أعجوبة الزمان ، غير أنه تكلم في عقيدته أدركت بحمص من كان يذكر وفاته بالمعرة وهو أبو المعالي عشائر بن ميمون بن مراد التنوخي، وتوفي أبو العلاء في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربع مئة بالمعرة....." <sup>(١)</sup>

وابن الأنباري هو الآخر لم يتحدث عن تعليم أبي العلاء المعري ، ولكنه لم يحكم بفساد دينه وإنما احتاط لنفسه أن يبوء بإثم الطعن في دين الإنسان ومذهبه ، واكتفى ابن الأنباري بقوله:

" ويحكى عنه كلمات وأشعار موهمة، توجب في حقه التهمة؛ والله أعلم" <sup>(٢)</sup>

أما ابن الجوزي فلم يتحدث عن تعليم أبي العلاء المعري بشيء ، ولكنه أساء القول في فساد دينه ومعتقده ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال ابن الجوزي :

" وأما أبو العلاء المعري فأشعاره ظاهرة الإلحاد وكان يبالغ في عداوة الأنبياء ، ولم يزل متخبطاً في تعثيره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه، وما خلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله فليس إلا باطني مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسأهم قدراً وأردأهم عيشاً وَقَدْ شرحنا أحوال جماعة من الفريقين في التاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق . " <sup>(٣)</sup>

---

(١) الأنساب لأبي سعد السمعي ، تقديم وتعليق ، عمر البارودي ، ط ١ ، عام ١٩٨٨ م ، لدار الجنان بدمشق ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ .

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لـ كمال الدين الأنباري ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م ، مكتبة الزرقاء بالأردن ، ص ٢٥٩ .

(٣) تلبس إبليس ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط ١ ، عام ٢٠٠١ م ، لدار الفكر للطباعة والنشر ببيروت ، ص ١٠٠ .

وشاكر يرى أن هؤلاء العلماء الذين سبقوا القفطي لم يقولوا مطلقاً بقصة تعليمه ولم يثبتوها قبله ، وإنما تفرد بها القفطي عمن سبقه من العلماء ، وهذا أول وجه من وجوه بطلان هذه القصة عند الأستاذ .

ثالثاً : تعرضت قصة القفطي في تعليم أبي العلاء المعري التي اعتمد عليها لويس عوض لنقد فاحص من الأستاذ رحمه الله بغية إبطالها من داخلها على طريقة علماء مصطلح الحديث ، ولابد من إثبات نص هذه القصة على طوله وهي :

"ولما كبر أبو العلاء، ووصل إلى سنّ الطلب، أخذ العربية عن قوم من بلده، كبنى كوثر، أو من يجرى مجراهم من أصحاب ابن خالويه وطبقته، وقيد اللغة عن أصحاب ابن خالويه أيضا ، وطمحت نفسه إلى الاستكثار من ذلك، فرحل إلى طرابلس الشام، وكانت بها خزائن كتب قد وقفها ذوو اليسار من أهلها، فاجتاز باللاذقية، ونزل دير الفاروس ، وكان به راهب يشدو شيئا من علوم الأوائل، فسمع منه أبو العلاء كلاماً من أوائل أقوال الفلاسفة، حصل له به شكوك لم يكن عنده ما يدفعها به ، فعلق بخاطره ما حصل به بعض الانحلال، وضاق عطنه عن كتمان ما تحمّله من ذلك، حتى فاه به في أول عمره، وأودعه أشعارا له، ثم ارعوى ورجع، واستغفر واعتذر، ووجه الأقوال وجوها احتملها التأويل."<sup>(١)</sup>

وبعد أن مهد الأستاذ محمود شاكر رحمه الله لفساد هذه القصة وكذبها عن طريق تفرد القفطي بروايتها عمن سبقه ، ذكر عدة أوجه أبطل في كل واحد منها هذه القصة وهي :

١- أن القفطي مصري وبين وفاة أبي العلاء المعري ومولده مائة وعشرون سنة ، ولم يعتمد في هذا الخبر على أحد من معاصري شيخ المعرة ولا من سبقه من العلماء المتحاملين على أبي العلاء المعري ، والذين وصفوه بالإلحاد ، ولو أن هذه القصة ثابتة لأثبتوها تحاملاً على أبي العلاء قبل أن يثبتها القفطي .

٢- أن ممن عاصر القفطي ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وإرشاد الأريب وكان أشد تحرياً ودقة

---

(١) إنباه الرواة على أنباء النحاة ، لعلي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١ ، عام ١٩٨٢ م ، لدار

الفكر العربي بالقاهرة ، ج١ ، ص ٨٤.

من القفطي، وهو شامي قريب من ديار شيخ المعرة وخبير بأخبار وشؤون أهل الشام ، ولم يذكر شيئاً عن هذه القصة مع أنه عقد ترجمة مطولة لأبي العلاء المعري في كتابه إرشاد الأريب بلغت نيفاً وخمسين صفحة ،<sup>(١)</sup> ولو ثبتت هذه القصة لديه لما تردد في إثباتها في ترجمة أبي العلاء المعري .

رابعاً : يرى الأستاذ أن الزمان تهادى مع ذكر أبي العلاء فيرميه بعض العلماء المشتغلين بالتاريخ بالزندقة ، كابن الأثير<sup>(٢)</sup>، وسبط ابن الجوزي<sup>(٣)</sup>، وابن خلكان<sup>(٤)</sup>، وأبي الفداء إسماعيل بن علي<sup>(٥)</sup>، ثم لا يذكرون مع اتهامه شيئاً من هذه القصة ، ومن الواضح أن محمود شاكر حينما يربط أولوية ذكر هذه القصة بذكر زندقة أبي العلاء

---

(١) حينما ذكر ياقوت الحموي معرة النعمان ، نسب إليها أبو العلاء المعري فقط في معجم البلدان ، أما في كتابه إرشاد الأريب فقد تحدث عنه باستفاضة كما ذكره الأستاذ شاكر رحمه الله ، ينظر لمعجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي ، ط ٢، عام ١٩٩٥ م ، لدار صادر بيروت ، ج ٥، ص ١٥٦ ، وينظر لمعجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت بن عبد الله الحموي ، ج ١، ص ٢٩٥ .

(٢) ذكر ابن الأثير الجزري أبا العلاء المعري في كتابيه الكامل واللباب في تهذيب الأنساب ولم يشير فعلاً إلى قصة القفطي هذه ، ينظر للكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ج ٨، ص ١٥٠ ، ط ١، عام ١٩٩٧ م ، لدار الكتاب العربي بيروت ، وينظر للباب في تهذيب الأنساب ، لعز الدين بن الأثير ، ط بدون ، عام بدون ، لدار صادر بيروت ، ج ١، ص ٢٢٥ .

(٣) لم يذكر سبط ابن الجوزي هذه القصة أيضاً مع أنه أطال الحديث عن أبي العلاء المعري ، ينظر لمرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، يوسف بن قزؤغلي بن عبد الله ، تحقيق محمد بركات ، كامل محمد الخراط ، عمار ربحاوي ، محمد رضوان عرقسوسي ، أنور طالب ، فادي المغربي ، رضوان مامو ، محمد معتز كريم الدين ، زاهر إسحاق ، محمد أنس الخن ، إبراهيم الزبيق ، ط ١، عام ٢٠١٣ م ، لدار الرسالة العلمية بدمشق ، ج ١٩، ص ٢٣ .

(٤) لم يذكر ابن خلكان هذه القصة وإنما ذكر في تعليم أبي العلاء مانصه : " قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرة ، وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب ، وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة ... " وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ج ١، ص ١١٣ .

(٥) نفى أبو الفداء أن يكون أبو العلاء قد تلمذ لأحد وفي ذلك يقول : ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، واستفاد من علمائها ، ولم يتلمذ أبو العلاء لأحد أصلاً .. " ينظر المختصر في أخبار البشر ، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه ، ، ط ١، عام بدون ، للمطبعة الحسينية بمصر ، ج ٢، ص ١٧٦ .

وإلحاده ، فكأن القول عنده بنشأة أبي العلاء على الثقافة اليونانية يعادل من القبح والزينة القول بفساد دينه ومعتقده ، فإذا ذكر فساده في الدين والمعتقد فلا بد أن يذكر معه ما يكافئه أو يقل عنه بقليل وهو فساد النشأة العلمية على يد الثقافة اليونانية التي قد تكون هيأت ووطأت لهذه الزندقة التي يرمونه بها ، وهذا ما يفسر الانفعال الشديد للأستاذ رحمه الله على مقولة لويس عوض هذه تحديداً .

خامساً : يرى الأستاذ شاكر أن ترجمة الإمام الذهبي لأبي العلاء المعري في كتابه تاريخ الإسلام ، والتي ذكرت هذه القصة حيث كانت مستنداً ثانياً أحال إليه لويس عوض ، يراها مجرد نقل حرفي نقله الذهبي من القفطي ، وقد استند على ذلك بالمقايضة والموازنة بين لفظي الخبرين المنقول منه والمنقول ، وقد تعتمد الأستاذ رحمه الله إثبات نص هذه القصة كما قاله الذهبي بلفظه حتى يتمكن من إثبات أنه خبر لا يعدو إلا أن يكون منقولاً من خبر القفطي ، ونص الخبر :

"أخذ الأدب عن أهل بلده كبني كوثر، وأصحاب ابن خالويه ، ثم رحل إلى طرابلس وكانت بها خزائن كتب موقوفة ، فاجتاز باللاذقية ونزل ديراً بها كان به راهب له عِلْمُ بأقاويل الفلاسفة ، فسمع أبو العلاء كلامه فحصل له به شكوك ، ولم يكن عنده ما يدفع به ذلك ، فحصل له بعض انحلال ، وأودع ذلك بعض شعره ومنهم من يقول : ارعوى وتاب واستغفر"<sup>(١)</sup> .

وبذلك يكون لقصة الذهبي ما لقصة القفطي نفسها من النقد والرد عند شاكر ، بل ويزيد عليه أنه نقلها وأساء النقل فيها .

ولم يكتف الأستاذ شاكر رحمه الله - بعد أن وازن بين ألفاظ الخبرين - عند القول بأن الذهبي نقل كلام القفطي واختصره وغير بعض ألفاظه ، بل اتهمه بالإساءة في النقل التي كانت سبباً في رفعة شأن الراهب الذي

---

(١) ينظر لتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين الذهبي ، ج٩ ، ص ٧٢١ ، وقد أورد الذهبي هذا الخبر أيضاً في كتابه سير أعلام النبلاء ، بلفظ قريب من لفظ خبر تاريخ الإسلام ، ونصه : وأخذ الأدب عن بني كوثر، وأصحاب ابن خالويه وكان يتوقد ذكاء ، ... وكان إليه المنتهى في حفظ اللغات ، ارتحل في حدود الأربع مائة إلى طرابلس وبها كتب كثيرة، واجتاز باللاذقية، فنزل ديراً به راهب متفلسف، فدخل كلامه في مسامع أبي العلاء، وحصلت له شكوك لم يكن له نور يدفعها، فحصل له نوع انحلال دل عليه ما ينظمه ويلهج به ، ويقال: تاب من ذلك وارعوى ... " ، سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ، ج١٨ ، ص ٢٦ .

درس عليه أبو العلاء كما في القصة ، فالقفطي حينما وصف الراهب في قصته قال عنه :

" وكان به راهب يشدو شيئاً من علوم الأوائل ، فسمع منه أبو العلاء كلاماً من أوائل أقوال الفلاسفة " فاستنبط شاكر من أسلوب القفطي أن هذا الراهب " مبتدئ قليل البضاعة ، قد تخطف كلمات من أوائل (أي من مبادئ) أقوال الفلاسفة " <sup>(١)</sup> ، ثم جاء الذهبي فقال عن الراهب :

(كان به راهب له عِلْمٌ بأقاويل الفلاسفة ) ، " فرفع باختصاره شأن هذا الراهب المبتدئ الشادي ، بما يوهم بأن له علماً بأقاويل الفلاسفة ، وهذا عمل غير مرضيٍّ وإساءة من الذهبي " <sup>(٢)</sup> .

وقد يبدو أن الذهبي لم يزد على تلك الصفة التي وصف بها القفطي الراهب ، ف(يشدو شيئاً من علوم الأوائل) بينة الدلالة في أن الراهب عنده بعض علم من علوم الأوائل وأن هذا الراهب لا يصح أن يوصف بأنه عالم بمعناه الواسع ، وكذلك فعل الذهبي حين قال (له عِلْمٌ بأقاويل الفلاسفة) ، فاستخدم علم بلفظ النكرة للدلالة على تهوين شأن علمه والتقليل منه ، وعليه فإن الخبرين قد يكونان متفقين على الخط من شأن علم الراهب والتقليل منه .

سادساً : قال شاكر أيضاً بأن الصفدي في كتابه (نكت الهميان ونكت العميان) اختصر قول الذهبي في هذه القصة بدون أدنى ريب منه في ذلك ، ولفظ الصفدي الذي قصده هو قوله :

" وكان قد رحل أولاً إلى طرابلس، وكانت بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ما أخذ من العلم ، واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقوال الفلاسفة سمع كلامه ؛ فحصل له بذلك شكوك. " <sup>(٣)</sup>

وبذلك يكون لخبر الصفدي أيضاً ما لخبر القفطي والذهبي من الرد عند الأستاذ محمود رحمه الله .

سابعاً : أما إسماعيل بن كثير فجاء بلفظ مخالف لهذه القصة <sup>(٤)</sup> ، ولم يكن فيه شبه بألفاظ القصة التي توارد على لفظها من رواها من العلماء قبله ، ذلك التشابه الذي رده محمود شاكر إلى رواية القفطي التي قام بردها ، بيد

(١) أباطيل وأسمار ، لمحمود شاكر ، ص : ٢٩ .

(٢) السابق : نفس الصفحة .

(٣) نكت الهميان في نكت العميان ، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، علق عليه ووضع حواشيه مصطفى

عبدالقادر عطا ، ط ١ ، عام ٢٠٠٧ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ص ٨٠ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ، ج : ١٥ ، ص : ٧٤٧ .

أن هذا الاختلاف اللفظي في رواية ابن كثير لم يكن كفيلاً بإقناع شاكر أن تكون روايته بمنأى عن رواية القفطي التي تفرد بها عمن سبقه وحدث ما حدث من لفظ في ترجمة أبي العلاء ، وقد عاب شاكر على ابن كثير في رواية هذه القصة رغم اختلافها أنه رواها بصيغة التمرّض والارتباب ، حيث افتتح ابن كثير خبره بصيغة (يقال)، ونص خبر ابن كثير هو قوله :

" ويقال: إن راهبا اجتمع به في بعض الصوامع ، في مجيئه من بعض السواحل ؛ أواه الليل عنده ، فشككه في دينه "(١).

فلفظ ابن كثير لم تكن فيه أي إشارة لعلم الراهب بأقاويل الفلاسفة ، واستقل عمن سبقه بأنه حدد لقاء أبي العلاء بالراهب ليلة واحدة ، ولم يذكره بسند ولم يعزه إلى أحد ، بل افتتحه بقوله (يقال) التي فيها ما فيها من تمرّض شأن مقولها ، وبذلك تكون رواية ابن كثير هي الأخرى مردودة على الرغم من استقلاليته الأسلوبية فيها، وقد أحسن الأستاذ رحمه الله حين رد رواية ابن كثير ، لأنها مستهله بصيغة تهيء المتلقي ابتداء لعدم قبولها والأخذ بها ، بل ويدل استهلال رواية ابن كثير بقوله (يقال) على عدم اقتناعه الشخصي بالمقول بعدها ، فلو انتهى إلى علمه حدوث ذلك على سبيل القطع واليقين لاستبعد (يقال) من خبره ولم يجعلها فاتحة له .

سابعاً : جعل الأستاذ محمود شاكر رحمه الله نقل كلام العلماء لاحقهم لسابقهم سمة بارزة في قصة أبي العلاء والراهب ، وهو نقلٌ إما أن يكون مرده كلام القفطي أول من جاء بهذه القصة ، وإما أن يكون مرده إلى عالم بعد القفطي ترجم لأبي العلاء المعري وذكر هذه القصة بألفاظ غير ألفاظ القفطي ، ومن ذلك لفظ ابن كثير السابق الذي يرى الأستاذ رحمه الله أن بدر الدين العيني صاحب (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) قد نقله بلفظه ، ثم يأتي السيوطي وعبد الرحيم العباسي وينقلانه عن الصفدي وبذلك تكون كافة الأخبار التي أثبتت قصة تعليم أبي العلاء على يد الراهب مردودة لأنها تعتمد على النقل من أصل غير صحيح .

وقبل أن نجتاز هذا لابد من التنويه على أن رواية بدر الدين العيني لهذه القصة لم تكن تعتمد على ابن كثير كما قاله الأستاذ رحمه الله ، بل لم يتناول العيني أبا العلاء المعري مستقلاً في ترجمة خاصة به ، بل ذكره في معرض ترجمته عالماً باللغات يسمى الحسن بن مُحمَّد بن أحمد بن نجا الصوفي ، وحين وصل في ترجمته إلى أنه كان تاركاً للصلاة وكان ذكياً مفرطاً وله شعر رائق وكان ضريراً ، استدعى بعد ذلك أبا العلاء المعري في قوله :

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، ج : ١٥ ، ص : ٧٤٧ .



الحسن بن مُجَدِّد بن أحمد بن نجا الصوفي... اشتغل بعلوم كثيرة من علوم الأوائل، وكان يشغل أهل الذمة وغيرهم، ونسب إلى الانحلال وقلة الدين وترك الصلوات، وكان ذكياً مفرطاً، وله شعر رائق، وكان ضريراً، وهذا الضرير شبيه بأبي العلاء المعري الضرير في أموره " (١).

وكتاب عقد الجمان هو الوحيد من بين ثلاثة كتب لبدر الدين العيني الذي ترجم لأبي العلاء المعري، ولم أجد ترجمة لأبي العلاء في كتابيه الآخرين (السيف المهند في سيرة الملك المؤيد) و (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر)، أما الصفدي الذي نقل عنه جلال الدين السيوطي فإن روايته نفس رواية القفطي، ونصها: "كان قد رحل أولاً إلى طرابلس وكانت بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ما أخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة سمع كلامه فحصل له بذلك شكوك والناس مختلفون في أمره والأكثر على إكفاره وإلحاده" (٢).

ثم جاء جلال الدين السيوطي ونقل عبارة الصفدي هذه ونسبها إلى الصفدي نفسه (٣)، أما عبد الرحيم العباسي فقد أثبت الخبر كالصفدي إلا أنه لم يشر إلى الصفدي ولم يعز الخبر له (٤)، ولتكون خلاصة هذا

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العيني، حققه ووضع حواشيه: مُجَدِّد أمين، ط ١، عام ١٩٨٧م، للهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ١، ص ٣٣٨.

(٢) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، ط ١، عام ٢٠٠٠م، لدار إحياء التراث ببيروت، ج ٧، ص ٦٥.

(٣) نص رواية جلال الدين السيوطي: " وقال الصفدي: كان قد رحل إلى طرابلس، وكان بها خزانة كتب موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم، واجتاز باللاذقية، ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة، فسمع كلامه، فحصل له بذلك شكوك، وشعره في هذا المعنى المتضمن للإلحاد كثير "، ينظر لبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٩٦٤م، لمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج ١، ص ٣١٦.

(٤) نص رواية العباسي: " وكان قد رحل أولاً إلى طرابلس وكان بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ما أخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع كلامه فحصل له شكوك وكان إطلاعه على اللغة وشواهدا أمراً باهراً، والناس مختلفون في أمره والأكثر على إلحاده.. "، ينظر لمعاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي، تحقيق مُجَدِّد محيي الدين عبد الحميد، ط بدون، عام ١٩٤٧م، لعالم الكتب ببيروت، ج ١، ص ١٣٨.

الاستقراء عند الأستاذ وبمزج فائق الدقة بين منهجه التدقيقي الخاص والمنهج التاريخي ، من أدلته الاستنباطية التي تمخض عن حكمه بنفي صحة القصة التي جاء بها القفطي في تلمذة أبي العلاء على يد راهب له علم باللغات ، والحق أن استقراء الأستاذ رحمه الله كان دقيقاً وغاية في الاستيعاب المتيسر ، وقد ناقش رواية القفطي ومن أتى بعده مناقشة نقدية وعلمية ، مكنه منها اطلاعه الواسع وفحصه الدقيق للأخبار والروايات بأثر من منهج أهل مصطلح الحديث ، فكما إن عند أهل الحديث رواة لا يثقون ففيهم ويردون عليهم رواياتهم ويضعفون أحاديثهم ، فإن روايات القفطي كثيراً ما تتعرض لشيء من ذلك عند محمود شاعر ، ويبدو أن شاعر قد توجس خيفة وحذراً من روايات القفطي بسبب من صنيعة السابق مع أبي العلاء ؛ بدليل أن شاعر حينما رد كلاماً للقفطي في مواضع أخرى وفي كتاب آخر استدعى بعد ذلك صنيع القفطي في خبر تعليم أبي العلاء ، وبيان ذلك أن قصة القفطي هذه ليست الوحيدة التي تعرضت لرد شاعر وعدم قبوله بها وتسليمه لها، فقد رد شاعر أيضاً رواية للقفطي في نخل خلف الأحمر قصيدة لابن أخت تأبط شراً ، رداً ممزوجاً بتهكم وازدراء واتهام مباشر له بنقل كلام غيره من العلماء وتلفيقه ، يقول شاعر :

"أما القفطي وما أدراك ما القفطي ، فإنه ترجم لخلف ... فقال : كان يبلغ من حذقه..على الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء ، حتى يشبه بذلك على جلة الرواة ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم (ياسلام!!) من ذلك قصيدته التي نخلها ابن أخت تأبط شراً ، التي أولها : إن بالشعب ... جازت على جميع الرواة ، فما فطن لها إلا بعد دهر طويل بقوله : خبر ما نابنا مصمئل .... فقال بعضهم : جل حتى دق فيه الأجل ، من كلام المولدين فحينئذ أقر بما خلف ، (ويا سلام مرة أخرى) .... وهذا القفطي على كثرة حشده في جرابه صاحب تحف ؛ فهو الذي اتخفى بالخبر الذي أضحكني طويلاً وأضحك الناس معي وهو الخبر الباطل عن راهب دير الفاروس الذي زعم القفطي أن أبا العلاء نزل بديره .... " (١) .

وقد أطلق شاعر على القفطي ( صاحب التحف والنوادر )<sup>(٢)</sup> بسبب من نقله روايات لا تتفق وبعض الأحكام والحقائق العلمية التي استنبطها الأستاذ رحمه الله .

وشبيهه باستقراء الأستاذ رحمه الله لقصة أبي العلاء وتتبعه الدقيق المحكم لها في بطون أمهات الكتب ، استقرأه

(١) نط صعب ونط مخيف لمحمود شاعر ، ص : ٦٠ - ٦١ .

(٢) السابق ، ص : ٨١ .

الدقيق والمحكم لنسبة قصيدة (إن في الشعب الذي دون سلع ) ، وهو تتبع مبني على وجه الاستيعاب ومركز فيه التدقيق الذي يفحص به كل رواية قيلت في ذلك فحسباً دقيقاً لا يطيقه إلا كبار العلماء ، فذكر خمسة عشر رجلاً من بينهم شعراء أثبتوا هذه القصيدة في مؤلفاتهم ورتبهم بحسب المنهج التاريخي ترتيباً يساهل على القارئ العودة إلى نسبة هؤلاء الرجال لهذه القصيدة وتعليقاتهم عليها إن وجدت ، ثم قام بتقسيم هؤلاء العلماء بحسب نسبتهم لهذه القصيدة إلى خمسة أقسام :

#### القسم الأول :

- ١- من جرّد نسبة القصيدة إلى تأبط شراً : أبو تمام والجوهري .
  - ٢- من ردّد في نسبتها لتأبط شراً على وجه الإجماع : الجاحظ .
  - ٣- من ردّد في نسبتها لتأبط شراً أو إلى غيره مصرّحاً باسمه : ابن دريد ، والبكري الأندلسي .
- القسم الثاني :

- ١- من نسبها إلى ابن أخت تأبط شراً وزعم أنه الهجال بن امرئ القيس الباهلي : ابن هشام .
  - ٢- من نسبها إلى ابن أخت تأبط شراً وزعم أنه خفاف بن نضلة : البكري الأندلسي .
  - ٣- من نسبها إلى ابن أخت تأبط شراً وزعم أنه الشنفرى : ابن دريد ، وابن برّي ، والبغدادي .
- القسم الثالث :

- ١- من جرّد نسبتها إلى الشنفرى : أبو الفرج الأصفهاني .
  - ٢- من ردّد في نسبتها إلى الشنفرى أو إلى غيره : ابن دريد ، والبكري الأندلسي .
- القسم الرابع :

من نسبها إلى العدواني : ابن دريد .

#### القسم الخامس :

- ١- من نسبها إلى خلف الأحمر وزعم أنه نخلها ابن أخت تأبط شراً : ابن قتيبة ، وابن عبد ربه ، والقفطي ، والمرزوقي ، والتبريزي .
- ٢- من ردّد في نسبتها إلى خلف الأحمر : ابن دريد ، وابن عبد ربه ، والبكري الأندلسي .

ثم قام محمود شاعر بمناقشة آراء هؤلاء في نسبة هذه القصيدة ، مناقشة تدل على أنه قد تحدد له قائلها وقد توصل هو لنسبتها معتمداً في ذا وذلك على تذوقه الخاص ، وعلى منهجه في فحص الروايات ذاتها وفحص رجالها وفحص مناهجهم وغاياتهم العلمية ، ومن ذلك رده لنسبة ابن هشام القصيدة إلى الهجال بن امرئ القيس الباهلي ابن أخت تأبط شرّاً ، وقد استند شاعر في ذلك على عدة أمور :

أولها : أن كتاب التيجان التي وردت فيه هذه النسبة فيه خلط عظيم وآفات كبيرة لا يطمئن إليها أهل العلم ، وما فيه من الشعر خليط فاسد جداً وإن وجد فيه بعض الصحة في نسبه وروايته ، إلا أن أكثره غير صحيح النسبة ، وعليه فإن النفس لا تطمئن إلى نسبه هذه .

ثانياً : أن ابن هشام غير مختص بالشعر وقليل العلم فيه ، حتى وإن صحت نسبة هذا الكتاب إليه ، وعليه فإن أحكامه النقدية والأدبية لا يعتد كثيراً بها .

ثالثاً : كان تأبط شرّاً من بني فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر ، وباهلة التي نسب إليها الهجال هم بنو مالك بن أعصّر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ، ومع التقاء نسبهم في قيس عيلان إلا أن شاكراً يستبعد أن يكون الهجال ابن أخت تأبط شرّاً ؛ لأن ديار باهلة كانت في شرقي نجد ، وديار بني فهم كانت بالحجاز ويبعد ما بينهما .

رابعاً : لم يجد شاعر في مراجعه شيئاً عن الهجال هذا ، وقد قال عنه ابن هشام إنه كان فارساً ورئيساً وشاعراً ، ولو كان كذلك لما في خفي أمره في كتب التراجم ، ولذكره الأصمعي عبد الملك بن قريب الباهلي ؛ لأنه من بني قومه .

وكل هذه الأمور تجتمع مع بعضها وتتعاقد للقدح في نسبة ابن هشام هذه ، ثم استقصى شاعر وبنفس تدقيقه وتمحيصه هذا كل الروايات التي حصرها في أقسامه وردها ، ثم ارتضى من نسب هذه القصيدة أن تكون لمجهول وهو رأي ابن عبدربه ولا بد أن يكون هذا المجهول ابن أخت تأبط شرّاً سواء كان معلوماً أو غير معلوم ، وقد كان الأستاذ يميل إلى أن الشاعر المجهول خفاف بن نضلة وهو شاعر رواية البكري الأندلسي ، واستدل لذلك بأن أن كلا الأمرين يطابق ما تضمنته القصيدة في دلالتها على أنها لشاعر يرثي خالاً له ؛ كان شديد

---

(١) التيجان في ملوك حمير ، لعبد الملك بن هشام ، تحقيق : مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، ط ١ ، عام ١٣٤٧ هـ ،

النكاية في هذيل التي نالت منه وقتلته بسبب من ذلك ، واستدل أيضاً على صحة رأيهما بتردد ذكر تأبط شراً في أيام الهذليين وأشعارهم وأخبارهم ، أما ميله لنسبتها إلى خفاف بن نضلة فيدل عليه ثقته في البكري الأندلسي الذي قال بذلك على تأخر زمانه ، وقد وصفه الأستاذ في معرض نسبته هذه بأنه " كان جيد التحري شديد الاستقصاء"<sup>(١)</sup>.

إن هذين النموذجين وأقصد بهما (قصة تعليم أبي العلاء على يد الراهب) (نسبة قصيدة إن في الشعب ..) ، مشرقان جداً في بيان استقصاء محمود شاعر وتبعه واستقرائه على الوجه المتيسر له ودقته في النقل ، وهما مشرقان أيضاً في الكشف عن قدرته الفريدة في فحص الروايات عن طريق التذوق الذي قاله بأنه منهجه الخاص الخالص ، ومشرقان أيضاً في الكشف عن أن منهج التذوق هذا مزيج من المناهج وخليط من القدرات العلمية الكبيرة التي تشكلت وتكونت على يد ثقافته ودريته الكبيرتين .

وقد قلت على الوجه المتيسر لأنه الحد العلمي الذي ارتضاه الأستاذ محمود شاعر رحمه الله في منهجه<sup>(١)</sup> ، وهو احتياط من الأستاذ فيه بعد نظر ومزيد روية ، فالاستقراء التام قد يكون ممكناً لاستنتاج الظواهر واستخلاص الأحكام إذا كان محدداً في نطاق من الممكن الإحاطة به ، كاستخلاص الأحكام اللغوية والنحوية من معلقة امرئ القيس برواية الأصمعي مثلاً ، فهي مادة محددة تستطيع القبض على ظواهرها واستنتاج أحكامها المبتغاة ، أما الاستقراء التام لقصة تعليم أبي العلاء المعري وقضية نسبة قصيدة ابن أخت تأبط شراً فهو أمر من الصعوبة الإحاطة بكل من تحدث فيه من بين بطون العديد من كتب التراث العربي .

ومن الممكن القول بأن الأستاذ شاكراً قد اطلع على كل ما بين يديه وكل ما يمكنه الإطلاع عليه في هاتين القضيتين تحديداً ، ولكن القول بأنه رصد كل ما في كتب التراث العربي عنهما قول من الصعب إطلاقه على عمومه ، ولو أخذت آخر القضيتين مثلاً يوضح ذلك لتبين أن الأستاذ رحمه الله قد غفل عن رصد بعض من العلماء الذين نسبوا هذه القصيدة في بداية كتابه كغيرهم من العلماء الذين رصدهم ، وربما يتمخض رصده ونقده وفحصه لبعض من هذه الكتب عن إطلاق حكم نقدي يقطع القول بنسبة القصيدة ، ومع إغفال الأستاذ رحمه الله لهؤلاء العلماء وعدم حصرهم كغيرهم في مقدمة كتابه ، فهم لم يخرجوا عن النسب التي قال بها

---

(١) نط صعب ونمط مخيف لمحمود شاعر ، ص ٥٨ ، وللعودة لمشكلة نسبة القصيدة في الكتاب يمكن قراءة ما بين

العلماء الذين حصرهم بتسلسلهم التاريخي في بداية كتابه نخط صعب ، ومن هؤلاء العلماء الذين أغفلهم :

- (١) عبد الله بن جعفر بن مُجَدِّد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان ، نسبها لجهول .<sup>(١)</sup>
- (٢) إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي ، نسبها لتأبط شراً .<sup>(٢)</sup>
- (٣) أبو سليمان حمد بن مُجَدِّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، نسبها للشنفرى .<sup>(٣)</sup>
- (٤) مُجَدِّد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، نسبها لخلف الأحمر .<sup>(٤)</sup>
- (٥) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، نسبها لتأبط شراً .<sup>(٥)</sup>
- (٦) أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، نسبها لتأبط شراً .<sup>(٦)</sup>
- (٧) مُجَدِّد بن المبارك بن مُجَدِّد بن ميمون البغدادي ، نسبها لتأبط شراً .<sup>(٧)</sup>
- (٨) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، في كتابه معجم البلدان نفى أن يكون قالها تأبط شراً فقال :  
" فقد ذكر بعض العلماء أنهم استدلووا على أن هذا البيت :

إِنَّ بالشَّعْبِ، الَّذِي دُونَ سَلْعٍ..... لَيْسَ مِنْ شَعْرٍ تَأْبُطُ شَرًّا، لِأَن سَلْعًا لَيْسَ دُونَهُ شَعْبٌ " <sup>(٨)</sup>

- 
- (١) في كتابه تصحيح الفصح ، تحقيق ، مُجَدِّد بدوي المختون ، ط١ ، عام ١٩٩٨ م ، للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، ص ٩٩ .
  - (٢) في كتابه معجم ديوان الأدب ، تحقيق أحمد مختار عمر ، مراجعة إبراهيم أنيس ، ط١ ، عام ٢٠٠٣ م ، لمؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ج١ ، ص ١١٧ .
  - (٣) في كتابه غريب الحديث ، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ ، ط بدون ، عام ١٩٨٢ م ، لدار الفكر بدمشق ، وفي كتابه أيضاً : إصلاح غلط المحدثين ، تحقيق حاتم الضامن ، ط٢ ، عام ١٩٨٥ م ، لمؤسسة الرسالة ببيروت ، ص ٥٨ .
  - (٤) في كتابه حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، ج٢ ، ص ٣٧-٣٨ .
  - (٥) في كتابه الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ج٣ ، ص : ١٢٣١ .
  - (٦) في كتابه الجبال والأمكنة والمياه ، تحقيق أحمد عبد التواب عوض ، ط١ ، عام ١٩٩٩ م ، لدار الفضيلة للنشر والتوزيع بالقاهرة ، ص ١٧٨ .
  - (٧) في كتابه منتهى الطلب من أشعار العرب ، تحقيق : مُجَدِّد نبيل طريف ، ط١ ، عام ١٩٩٩ م ، لدار صادر ببيروت ، ج٢ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .
  - (٨) معجم البلدان ، لياقوت الحموي : ج١ ، ص ٩ .

أما في كتابه معجم الأدباء ، فقد نسبها لخلف الأحمر ، وقال بأنه نحلها لتأبط شراً<sup>(١)</sup>.

(٩) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، الزبيدي ، نسبها لخلف الأحمر .<sup>(٢)</sup>

ومع ذلك فإن الأستاذ محمود شاكر رحمه الله يمتلك قدرة فريدة وفائقة الدقة في تتبع الظواهر الأدبية واستقراءها، واستخلاص أحكام نقدية هي أشبه ما تكون بالقوانين الرياضية التي يصعب إبطالها وإيجاد حلول أخرى لها ، ولعل كتابه هذا (نمط صعب ونمط مخيف) وإن كان وصفاً لهذه القصيدة التي دار عليها هذا الكتاب ، فإن الكتاب بنفسه نمط صعب ونمط مخيف لا يستطيعه إلا علماء أجلاء مثل محمود شاكر رحمه الله ، فهذا النمط من النقد المحكم والقراءة الآنية الفاحصة لم يأت إلا بعد انقطاعه للعلم والمعرفة والثقافة الواسعة ، بالإضافة إلى ما استودعه الله فيه من الذوق الذي يتجسس مواطن الصلات بين الأبيات كما يجس الطبيب علة المريض ، ولا يخفى بأن " دراسة علاقات المعاني بين الأبيات، وصلات الخصائص البلاغية بعضها ببعض في الشعر لا بد أن يكون مسبقاً بجهد واع وكبير ، وقد رأينا نموذجاً لهذا العمل في دراسة...محمود شاكر لقصيدة، إن بالشعب الذي دون سلع، وهو في تقديرنا نموذج يحتذى في هذا الباب "<sup>(٣)</sup>.

---

(١) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ج ٣ ، ص : ١٢٥٥ .

(٢) في كتابه تاج العروس ، ج ٢١ ، ص ٢١١ .

(٣) خصائص التراكيب ، لمحمد أبو موسى ، ص : ٢٦١ .

## الفصل الرابع : الموقف الاستنباطي

لقد تشعبت المسالك النقدية في العصر العلمي الزاخر الذي عاش فيه محمود شاكر رحمه الله ، وذلك نتاج طبيعي لتعدد المعطيات التي أديرت بها الحركة النقدية والأدبية في ذلك العصر ، ما بين انفتاح على الموروث الغربي وإعجاب بنظرياته وآرائه وتطبيقاته ، وما بين تمسك أصيل بموروث الأمة الإسلامية والعربية بتعصب يقود إلى رفض كل ما هو دخيل على الثقافة العربية ، واعتباره كفوراً أدبياً وثقافياً يجب على معتنقه الإياب للتراث العربي والاندماج مع موروث علماء التراث .

وما من شك أن حضور التراث العربي في ثقافة الناقد مطلب لا مناص منه ، فهو يساعد على تنشئة العقل وتدريب الملكة وتحصين الفكر ، وهو السبيل الوحيد لمعرفة الطريقة العلمية التي كان يفكر بها علماء الأمة الأجلاء ، ومن ثم محاولة إيجاد طريقة تفكير للتجديد والابتكار يكون منطلقها طريقة تفكير العلماء ، ومنتهىها الإبداع والتجديد ، وغايتها خدمة العلم والمعرفة .

والحق أن محمود شاكر رحمه الله قد عني عناية فائقة بالتراث العربي في كافة مجالاته ، فثقافته قامت على أساس من كتب التراث العربي في كافة المجالات والتخصصات بحثاً عن منهج علمي قويم ؛ أراد منه مقارعة تلك المناهج التي ظهرت في عصره وتعددت سماتها ومسمياتها ، وكان له ذلك بفضل الله عليه وتوفيقه له ، ولم تقتصر علاقة محمود شاكر بالتراث العربي في التشقف به والتدرب عليه والاعتیاد على طرائقه ومناهجه ، بل تجاوز ذلك إلى جهوده العلمية الحثيثة والمضنية في إخراج المخطوطات وتحقيقها والتعليق عليها بتعليقات وشروح كانت ولا زالت موطن اهتمام الدارسين وطلبة العلم ومجالاً علمياً خصباً .

ومع علاقة محمود شاكر الوطيدة بالتراث العربي وحب له ومعاملته له معاملة الابن البار لوالديه ، فإنه لم يُسلم نفسه وعقله لآراء علماء التراث واستنباطاتهم وأحكامهم ، فلم يكن حب الموروث العربي وخدمته له شافعاً عنده من مناقشة آراء علماء التراث وفحصها ، فأقام بينه وبين هؤلاء العلماء شيئاً أشبه ما يكون بالحوار العلمي بين المختصين في القاعات العلمية والثقافية ، حوار لم يلتزم فيه محمود شاكر بلغة واحدة وشخصية واحدة ، فتجده أحياناً يعارض الآراء ويحججها ويستدرك على بعض العلماء ، وتجده في نسق آخر لا يكتفي بالمعارضة ورد الرأي بالرأي ، بل ينجح إلى نقض حجة الآخر وإبطال أدلته وإزهاق صحة رأيه ، وتجده أحياناً أخرى يشير إشارة عابرة إلى بعض مواطن زلل العلماء وعثراتهم لا يُفصل القول فيها ولا ينقضها ، وتجده في



أحيان كثيرة ابنا باراً للتراث العربي ولعلمائه الأجلاء ، يوافق آراءهم ويحتج لها ويضيف لها أدلة تقويها وتدعمها مع ثناء عاطر ودعاء موصول ، بأسلوب وشخصية كأنها الوجه الآخر لشخصية الأستاذ رحمه الله الحادة الجادة التي يحدثننا عنها طلابه ومريدوه ، ولم يكن تباين شخصية الأستاذ هذه حِكْراً على علماء التراث العربي ، بل تسرب أثرها لعلماء عصره الذين حاكم آراء بعضهم وعارض آراء البعض الآخر ، ونقض أدلة واستنباطات بعضهم ، وأيد بعضهم واحتج لهم وقوى جانبهم .

ولابد من الإيمان بأن الموقف الاستنباطي عند محمود شاكر ينطلق من الشك وينتهي بالاستنباط والاستنتاج ، وأقصد بالشك المنهجي الذي لا يقوم على أساس الكفر بأولية المعرفة والتنكر لها ، وإنما يقوم على أساس التثبت من مصداقيتها والتأكد من صحتها ، وسيتولى هذا الفصل بعد توفيق الله ومشيتته المواقف الاستنباطية المتباينة لمحمود شاكر تجاه آراء العلماء باختلاف زمانهم ، وقد قمت بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، تشكل الخطوط العريضة للمواقف الاستنباطية لمحمود شاكر وهي :

١- القبول .

٢- الاعتراض.

٣- النقض.

وسنورد لكل واحد من هذه المواقف جملة من الأمثلة ، تتمثل في الممارسات التطبيقية لمحمود شاكر تجاه آراء العلماء واستنباطاتهم باختلاف زمانهم ، وينبغي قبل البدء في ذلك التنويه على عدة أمور :

أولاً : جاء الموقف الاستنباطي لمحمود شاكر متبايناً مع علماء التراث لأسباب كثيرة ، أهمها جانب الرواية والدقة والاستقصاء في نقل الأخبار ، والطرائق النقدية لقراءة النصوص الشعرية على مستوى اللغة وعلى مستوى الدلالة والجمالية .

ثانياً : جاء الموقف الاستنباطي لمحمود شاكر متبايناً مع علماء عصره نتيجة تقديسهم أو جفوتهم للثقافة العربية والتراث العربي وأخص منه النقدي والأدبي .

ثالثاً : جاء الموقف الاستنباطي لمحمود شاكر متبايناً مع علماء اللغة نتيجة منهجه التدوقي الخالص الذي رأى فيه أن جهود علماء اللغة قد لا تكون كافية لفهم النص الشعري ، بل وفي بعض المواضع تكون هذه الجهود أشبه بالتواييت التي يدفن فيها جمال الشعر .

## المبحث الأول : القبول

ناقش محمود شاكر رحمه الله العديد من القضايا الأدبية والنقدية ، واعترضه خلال نقاشه لتلك القضايا آراء بعض العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين ، وكان يقف من بعض آراء أولئك العلماء موقف القبول ، ونقصد بالقبول هنا قبوله لآراء العلماء والأخذ بها والاعتماد عليها ، وربما يعتمد إلى الزيادة عليها والاستدلال لها وتقوية جانبها ، إيماناً منه بصحة هذه الآراء التي قبلها وآمن بصحتها ، ومن ذلك موافقتان له في قضية واحدة: أولاهما موافقة مجزوءة ، والأخرى موافقة تامة لا اجتزاء فيها ، أما موافقته المجزوءة فقد جاءت لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني على خلفية رأي له في كتاب مفقود لأبي عثمان الجاحظ ، حيث رأى الباقلاني أن كتاب الجاحظ (الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه)<sup>(١)</sup> ، لم يكن فيه من الإضافة العلمية إلا ترديد لأقوال المتكلمين من قبله ، وأن هذا الكتاب لم يستطع الكشف عن اللبس الحاصل في إعجاز القرآن الكريم ، يقول أبو بكر الباقلاني :

"وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى"<sup>(٢)</sup>

وقد وافق محمود شاكر الباقلاني موافقة مجتزئة شطرها الأول أن كتاب الجاحظ هذا قد سلك مسالك المتكلمين، وذلك بعد أن قام شاكر بنقل كلام للجاحظ نفسه لا غيره يصف فيه كتابه هذا في نظم القرآن ، ويبين فيه عن منهجه وعن الموضوعات التي قام بمناقشتها فيه ، وهو كلام يتوافق مع إدعاء الباقلاني السابق ، وذلك قول الجاحظ عن كتابه هذا في كتابه الحيوان :

" ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن ؛ لتعرف بها فصل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول ، والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبتك لك في باب الإيجاز وترك الفضول ، فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

---

(١) هذه التسمية التي أطلقها الجاحظ بنفسه على كتابه المفقود هذا ، ينظر لكتابه الحيوان ج ١، ص ٩ ، وقد اشتهر بين أهل العلم بنظم القرآن اختصاراً .

(٢) إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط ٣، عام بدون ، لدار المعارف بمصر،

(٣) سورة الواقعة ، الآية الكرمة رقم : ١٩ .

وهاتان الكلمتان قد جمعنا جميع عيوب خمر أهل الدنيا ، وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال :

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾<sup>(١)</sup>

جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني ، وهذا كثير قد دلتك عليه ، فإن أردته فموضعه مشهور<sup>(٢)</sup>

قال شاعر بعد اقتصاصه كلام الجاحظ السابق معلقاً على حكم الباقلاني :

"وإذن ، فغير منكر أن يكون الجاحظ قد سلك في أبواب من هذا الكتاب مسالك المتكلمين كما قال

القاضي الباقلاني فإن الجاحظ نفسه قد دلنا على ذلك فيما نقلته آنفاً من كلامه " .<sup>(٣)</sup>

ولكن كلام الجاحظ السابق لم يكن كافياً عند محمود شاعر لإنهاء القضية ، وإعطاء موافقة كلية على حكم الباقلاني في منهج كتاب الجاحظ المفقود ، فما قاله الباقلاني من وجهة نظر شاعر لا ينطبق على كل كتاب الجاحظ ، بل ينطبق على أبواب فيه دون أبواب ، وأقسام فيه دون أقسام ، ومعنى ذلك أن حكم الباقلاني على الكتاب ليس على إطلاقه بل هو جزئي لا يصل إلى الشمولية والعموم ، وقد قال الأستاذ محمود شاعر مكملًا حكمه السابق الموافق للباقلاني :

" ..... ولكنه أيضاً قد سلك غير مسالك المتكلمين في أبواب أخرى منه كالتى أشار إليها في هذا النص ، القريب السالف ، وتكلم في وجوه ليس للمتكلمين فيها منفذ ؛ لأنها من عمل الكتاب والبلغاء ، والذين يتذوقون البيان تذوقاً ، أرهبته الخبرة والإلف والشغف ... بالبيان "<sup>(٤)</sup>

إذن فمحمود شاعر لم يقبل رأي القاضي الباقلاني على علته ، ولم يسلم له بصحته لذاته ، بل استدل له من كلام الجاحظ نفسه على كتابه ، ورأى أن ما ذكره الجاحظ عن كتابه في هذا الموضع يؤيد حكم القاضي الباقلاني الذي أطلقه عن كتاب الجاحظ (الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه) ، ومعنى أنه لم يسلم للباقلاني فإن شاعر وعلى عادته العلمية لا بد وأن يتحرى ويستقصي قبل موقفه الاستنباطي ، وحينما وجد دليلاً على صحة استنباط الباقلاني وسلامة حكمه وافقه على ذلك .

(١) سورة الواقعة ، الآية الكرمة رقم (٣٣) .

(٢) الحيوان للجاحظ ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

(٣) مداخل إعجاز القرآن لمحمود شاعر ، ص : ٧٢ .

(٤) السابق : ص ٧٢ .

على أن المقدمة التي قدم بها شاكر لكلام الباقلاني هذا وقبل موافقته له توحى بأنه سيعترض عليه ويرد رأيه، فقد وجد في كلام الباقلاني هذا نوعين من الغبن :

أولهما الغبن الأصغر : وهو مستفاد من سياق الكلام كله ومتمثل في أن كتاب الجاحظ لم يزد فيه عن كلام المتكلمين ، وهو غبن إنكار الجهود النقدية والبلاغية التي تضمنها الكتاب.

ثانيهما الغبن الأعظم : وهو إيهام الباقلاني أن المتكلمين قد سبقوا إلى مثل ما سبق إليه الجاحظ في هذا الكتاب ، وهو غبن جحدان أسبقية الجاحظ وتقدمه على جماعة المتكلمين.

واتهم شاكر الباقلاني بأنه متحامل على الجاحظ لا غير ، وأن حكمه النقدي هذا منطلقه هذا التحامل ، وقصده الغض والتقليل من شأن أبي عثمان الجاحظ وكتابه هذا في نظم القرآن .

وكلا الغبنين السابقين وبعدهما التقليل والغض من شأن الجاحظ مردود عند شاكر ومدفوع بكلام العلماء وشهاداتهم للجاحظ نفسه غير شهادة الباقلاني هذه ، وفي هذا يقول الأستاذ محمود شاكر رحمه الله في ذلك وهو ما يمثل أنموذج الموافقة التامة والقبول المطلق برأي العلماء في هذه القضية :

" وهذا الكتاب اليوم مفقود مع شهرته المستفيضة التي كانت عند أهل القرنين الرابع والخامس من الهجرة ، وليس في أيدينا منه نصوص تذكر ، فحكمنا عليه غير ممكن ، وإنما نقتصر فيه على قول أبي عثمان نفسه وعلى بعض أقوال من رأى الكتاب ، وكان أقربهم إلى أبي عثمان زمناً هو ابن الخياط المعتزلي أبو الحسن عبد الرحيم بن مُجَدِّد بن عثمان المتوفى أوائل القرن الرابع الهجري فهو يقول في كتابه الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد <sup>(١)</sup> :

" لا يعرف المتكلمون أحداً منهم نصر الرسالة واحتج للنبوة بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ ، ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه ، وأنه حجة لمحمد ﷺ على نبوته غير كتاب الجاحظ " . <sup>(٢)</sup>

وهذه موافقة تامة غير مجزوءة للأستاذ محمود شاكر على كلام ابن الخياط المعتزلي في كتاب الجاحظ المفقود في

---

(١) هنا نهاية كلام الأستاذ محمود شاكر رحمه الله في مداخل إعجاز القرآن ، ص : ٧٠ .

(٢) كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم ، لأبي الحسين عبد الرحيم بن عثمان الخياط المعتزلي ، مقدمة وتحقيق نبرج ، ط ٢ ، عام ١٩٩٦م ، مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة ، ص ١٥٤-١٥٥ .

نظم القرآن ، وهي موافقة مقابلة تماماً لموافقته المجزوءة على كلام الباقلاني في كتاب الجاحظ هذا ، فقد أخذ شاكر من كلام ابن الخياط علو كعب الجاحظ نفسه وتميز كتابه المفقود في نظم القرآن الكريم ، وذلك بعد أن أقر الأستاذ رحمه الله بصعوبة إطلاق أحكام نقدية على كتاب مفقود ، وعلق إطلاق الأحكام النقدية على كتاب الجاحظ المفقود بثلاث اعتبارات :

الاعتبار الأول : كلام الجاحظ نفسه عن كتابه هذا .

الاعتبار الثاني : كلام العلماء الذين رأوا كتاب الجاحظ هذا .

الاعتبار الثالث : قرب زمان ذلك العالم الذي رأى كتاب الجاحظ هذا من زمان أبي عثمان الجاحظ نفسه .

وكل هذه الاعتبارات يرى شاكر أنها تدعم رأيه في أن كتاب الجاحظ هذا كتاب نفيس مستفيض الشهرة بين علماء القرنين الرابع والخامس الهجري ، وأن الجاحظ لم يسلك في كامل هذا الكتاب مسالك المتكلمين ، أما الاعتبار الأول فقد اقتصر الأستاذ رحمه الله من كلام الجاحظ ما يؤيد رأيه ، أما كلام العلماء الذين قرأوا كتاب الجاحظ هذا فهو مقيد بالاعتبار الثالث وهو الاعتبار الزماني ، فقرب ابن الخياط المعتزلي من زمان الجاحظ يعطي رأيه أولوية في القبول والأخذ به والاعتماد عليه ، وقيده هذا لم يأت به إلا لإخراج كلام الباقلاني منه ، فالباقلاني وإن كان من علماء القرن الخامس الذين رأوا كتاب الجاحظ ، إلا أن بعد زمانه عن زمان الجاحظ يعط ابن الخياط المعتزلي الأولوية في قبول رأيه لقرب زمانه عن زمان الباقلاني .

والحق أن الحكم على كتاب مفقود والاعتماد على آراء المطلعين عليه لا يتمخض عنه أحكام دقيقة ، فالجاحظ كغيره من العلماء له مريدون وله مبغضون ، فالمريدون له قد يطلقون أحكاماً نابعة من الموقف الشخصي أو حتى المذهبي تجعل من كتابه المفقود هذا كتاباً لا يشق له غبار في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم ، بل ويجعلون كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني مستنسجاً من هذا الكتاب أو أنه هو نفسه ، وغير المريدون للجاحظ قد يطلقون أحكاماً عن كتابه هذا تتضمن تكراراً لما سبقه من جهود العلماء قبله ، وأنه ليس فيه من الفائدة المرجوة ما ينصح بالاعتماد عليه والركون إليه ، والأحكام الحقيقية على الكتب والمؤلفات لا يمكن أن تكون إلا بعد قراءتها والاطلاع عليها ومعرفة ما فيها .

أما قول شاكر إن الباقلاني متحامل على الجاحظ وبسبب من ذلك يجب أن تؤخذ أقوال الباقلاني عن الجاحظ بعد تمحيص كبير ، يخرج بها من أثر الموقف الشخصي والنفسي إلى النقد الموضوعي العلمي المعلن ، فإن كلام شاكر في هذا التحامل ناتج عن اطلاع ودراية ، فالباقلاني كان شديد التحامل على مؤلفات الجاحظ وعلى منهجه في تأليفها ، ويرى أن الجاحظ يعتمد فيها إلى تطريز عباراته القليلة بالبيوت السائرة ، والأمثال النادرة ، والحكم المنقولة ، والقصص العجيبة المأثورة ، ليسيّط على لب القارئ ، ويخلط كلامه بها حتى يكاد يكون منها وما هو بمنها في شيء ، بل وتجاوز ذلك كله إلى الدعوة لمطالعة بعض كتب الجاحظ الخالية صفحتها تماماً من نظمه البديع ، وكلامه المليح ، وعندما يقوم الباقلاني بمقارنة الجاحظ بغيره من الأدباء يرى أن الجاحظ أقل شأنًا في الأدب وفن الكتابة من بعض طلابه وتلامذته ، فابن العميد مقدم على الجاحظ في رأي الباقلاني لأنه يستوفي كلامه ومعانيه على حدود مذهبه ومنهجه ، ويصل بتأليفه إلى الكمال في حدود صناعته ، ولا يقتصر على نقل كلام غيره وخلطه بكلامه كالجاحظ ، ذلك الجاحظ الذي يُتبع سطرًا واحدًا من تأليفه أوراقًا من كلام الناس ، ويتبع صفحته التي من تأليفه كتابًا من كلام الناس ، ولا بد من اقتصاص كلام الباقلاني على طوله في ذلك لئلا يستبان تحامله الشديد على منهج الجاحظ ومؤلفاته على نحو يزعزع الثقة في عد كلامه نقدًا موضوعيًا معللاً يمكن الاعتماد عليه ، يقول الباقلاني في ذلك :

"كذلك قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السمات الذي لا يؤخذ فيه، والباب الذي لا يذهب عنه، وأنت تجد قومًا يرون كلامه قريبًا ، ومنهجه معيًّا ، ونطاق قوله ضيقًا ، حتى يستعين بكلام غيره ، ويفزع إلى ما يوشح به كلامه ، من بيت سائر ، ومثل نادر، وحكمة ممهدة منقولة ، وقصة عجيبة مأثورة ، وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة ، وألفاظ يسيرة ، فإذا أحوج إلى تطويل الكلام خاليًا عن شيء يستعين به - فيخلط بقوله من قول غيره - كان كلامًا ككلام غيره ، فإن أردت أن تحقق هذا، فانظر في كتبه في " نظم القرآن " وفي " الرد على النصارى " وفي " خبر الواحد " وغير ذلك مما يجري هذا المجرى، هل تجد في ذلك كله ورقة واحدة تشتمل على نظم بديع أو كلام مليح؟ على أن متأخري الكتاب قد نازعوه في طريقته، وجاذبوه على منهجه، فمنهم من ساواه حين ساماه ، ومنهم من أبر عليه إذ باراه ، هذا أبو الفضل ابن العميد قد سلك مسلكه ، وأخذ طريقه، فلم يقصر عنه، ولعله قد بان تقدمه عليه ، لأنه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه، ويكملها على شروط صناعته، ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو

كلامه، كما ترى " الجاحظ " يفعله في كتبه، متى ذكر من كلامه سطرًا أتبعه من كلام الناس أوراقًا، وإذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابًا .." (١)

هذه المقطوعة على طولها تثبت أن الباقلاني شديد التحامل على منهج الجاحظ ومؤلفاته إن لم يكن التحامل على الجاحظ نفسه شخصيًا ، وليس الشأن هنا أن يتم نقض كلام الباقلاني بإثبات المنزلة البيانية التي كان يحتلها الجاحظ ، وليس الشأن هنا أن يتم نقضها بإثبات لجهود الجاحظ العلمية والأدبية وخدمته الجليلة للأدب العربي ، فمنزلة الجاحظ الأدبية والنقدية في التراث العربي أشد وضوحًا من أن توضح ، وجهوده الأدبية والنقدية كانت وبحق اللبنة الرئيسية والدعائم الأولى التي أسست لمنهج النقد وعلمية الأدب العربي ، وقد يكون من السهل إثبات تناقض كلام الباقلاني هذا من بنيته الداخلية ، فبعض كلامه في هذه المقطوعة يناقض بعضه الآخر ، فالباقلاني أراد الانتقاص من شأن أدب الجاحظ والغض من رصانة أسلوبه والتقليل من قدرته على التأليف والتعبير ، فقلوه (على أن متأخري الكتاب قد نازعوه في طريقته) دليل نطقت به حروف الباقلاني وبشكل صريح على تقدم الجاحظ وعلو منزلته التأليفية ومقدرته البيانية وروقه الأسلوبية ، إذ لو لم يكن كذلك لما نازعه على طريقته هذه من جاء بعده من الكتاب والأدباء ، فيكفي الجاحظ أن يكون أنموذجًا يحاول كتاب كبار كابن العميد تطبيقه ومثاله أعلى يقتدى به ، " على أن تفضيل الباقلاني لابن العميد في بعض ما هو من شأنه على الجاحظ ، مفخرة للجاحظ نفسه ، واعترافاً بفضله ، وتقديرًا لبلاغته ؛ لأن ابن العميد يعد من تلاميذ الجاحظ الذين تخرجوا بكتبه وترسموا خطاه في بيانه وقوة عارضته وبلغ أسلوبه " (٢).

ومن نماذج قبول محمود شاكر لاستنباطات العلماء ونقداتهم وزيادته عليها ، قبوله لرأي أستاذه الرافعي قام فيه بنقد عباس العقاد ، وذلك في قول العقاد يصف ويصور خليج ستانلي أو حمام البحر في مدينة الإسكندرية بمصر :

يَا وَيْحَ قَلْبِكَ مِنْ هَدَفٍ      بَيْنَ الْأَنَاقَةِ وَالتَّـرَفِ

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ، ص : ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) أدب الجاحظ ، لحسن السندوي، ط ١، عام ١٩٣١ م ، للمطبعة الرحمانية بالقاهرة، ص ٥٥-٥٦.

بَلْ يَنْزِلُ الْوَلَانِ الرَّيْبُ —

عِ قَدْ اِخْتَلَفْنَ وَمَا اِخْتَلَفَ

أَلْقَى هُنَّ بِقَوْسِهِ

قُزَحٌ وَأَذْبَرَ وَأَنْصَرَفَ

فَلَيْسَنَّ مِنْ أَسْلَابِهِ

شَتَّى الْمَطَارِفِ وَالطُّرَفِ<sup>(١)</sup>

وَحَلَعْنَ مِنْ أَلْوَانِهِ

تُحَفًا تَنْمُ عَلَى تُحَفٍ

عَيْدُ الشَّبَابِ فَلَا كَلَا

مَ وَلَا مَلَامَ وَلَا حَرْفَ<sup>(٢)</sup>

وقد خصص أبو فهر لموافقته نقد أستاذه الرافعي للعقاد في هذا الموضوع جزءاً كبيراً من مقالة كاملة جعلها قسماً ثالثاً من سلسلة مقالات أسمائها (بين الرافعي والعقاد)<sup>(٣)</sup>، حدد فيها موطن نقد أستاذه الرافعي ووجهه ، ونقد سيد قطب لنقد أستاذه ووجهه ، وموافقته لبعض نقد أستاذه وزيادته على تلك الموافقة ، وإبطال بعض من رأي سيد قطب ورد بعض من حجته عليه في هذا الموضوع ، وبيان ذلك أنّ الرافعي خطأً العقاد لغوياً حينما فصل ( قوس عن قزح ) في قوله:

أَلْقَى هُنَّ بِقَوْسِهِ

قُزَحٌ وَأَذْبَرَ وَأَنْصَرَفَ

وقد استدلل الرافعي على ذلك بقول ابن منظور في اللسان : " وقوس قزح: طرائق متقوسة تبدو في السماء أيام الربيع، زاد الأزهري: غب المطر بحمرة وصفرة وخضرة، وهو غير مصروف، ولا يفصل قزح من قوس ؛ لا يقال: تأمل قزح فما أبين قوسه"<sup>(٤)</sup> ، ويرى الرافعي أنه إذا كان لا يجوز أن يفصل القوس عن القزح ؛ فكيف للعقاد أن يمنح لقزح المفصولة إدباراً وانصرافاً .

---

(١) فسّر العقاد المطارف : جمع مطرف وهو الرداء ، والطُرف : ما يستملح ويستظرف ، ديوان وحي الأربعين لعباس العقاد ، ص : ٤٦ .

(٢) السابق ، ص : ٤٦ .

(٣) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان ، ٢١ - ٢٧ .

(٤) لسان العرب لابن منظور ، ج ٢، ص ٥٦٣ .



أما سيد قطب فلم يعجبه نقد الرافعي هذا ، ووصفه بأنه تلاعب بألفاظ اللغة العربية - وهو ما أثار حفيظة الأستاذ شاکر -، يقول سيد قطب معلقاً على نقد الرافعي :

"فمن ذا الذي يغفل عن طرافة هذا (الخيال) الذي يتصور (قزحاً) ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان، وهن يتناهبن هذه الأسلاب، بينما هو مدبر منصرف ، مغلوب على أمره ، لا يستطيع النصفة ممن غلب جماهن جماله! ألا تستحق مثل هذه الطرافة، ومثل تلك الحيوية من الناقد إلا أن يذهب إلى القاموس أو اللسان ، ينظر هنالك هل يفصل قوس عن قزح أولاً يفصل ؟ ثم يكمل الكلام بتهكم بارد لا يرد على الفطرة المستقيمة في معرض هذا الجمال!"<sup>(١)</sup>

ونقد سيد قطب هذا للرافعي ووصفه له بأنه تلاعب بألفاظ اللغة ، هو في حقيقة الأمر ما دفع الأستاذ محمود شاکر للدفاع عن نقد أستاذه ، وموافقة رأيه وقبول حجته والاستدلال لها وتقوية جانبها ، ومن ثم النهوض للرد على سيد قطب ونقض رأيه وإبطال حجته واستدلاله ، حيث رأى الأستاذ شاکر أن من أعجب العجب أن يرى رأي الرافعي تلاعباً بألفاظ اللغة ، ومن العجب أيضاً ألا يرى أن بيت العقاد هذا هو عين التلاعب باللغة من غير طائل إلا لترميم قافية البيت<sup>(٢)</sup>، ويرى الأستاذ أن الرافعي قد ذهب في نقده إلى " رأي أصحاب اللغة في امتناع الفصل بينهما ، وأن الحرفين كالكلمة الواحدة على تتابعهما ، وعلى ذلك لا يقال " ألقى قزح قوسه، وأولى إذن ألا يقال إن قزح أدبر وانصرف ؛ لأنه ليس بذاته يدل على معنى ، أو يقع اسماً لشيء بعينه ، فهو إذن لا يجوز عليه الإسناد ؛ إسناد الخبر أو الفعل كالإلقاء والإدبار و الانصراف ، فأين التلاعب في هذا الرأي باللفظ اللغوي ؟ ولو قد كان وقع في بعض كلام الرافعي فصل أحدهما عن الآخر لأمكن أن يقال إنه يتلاعب باللفظ ، ولكن ذلك لم يكن ..."<sup>(٣)</sup>.

إذن فهذا قبول صريح من محمود شاکر لرأي عالم كبير وأستاذ جليل وهو مصطفى الرافعي ، وهو قبول مرتبط

---

(١) مقالة من برجننا العاجي : لسيد قطب ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٥٢ ، بتاريخ : ١٩٣٨/٠٥/٠٢ هـ .

(٢) جمهرة مقالات محمود شاکر لعادل سليمان ، ص : ٢٢ .

(٣) السابق ، ص : ٢٣ .

برأي أصحاب اللغة ، المانعين فصل كلمتي قوس قزح عن بعضهما البعض على اعتبار أنها كلمة واحدة ، مبرراً رأي أستاذه باعتماده على رأي ابن منظور المذكور آنفاً والمتضمن عدم جواز الفصل بين قوس وقزح ، ويرى شاكر كأستاذه الرافعي أن الانصراف والإدبار من الأولوية بمكان ألا يسندان إلى قزح مادام الفصل بينه وبين قوس ممنوع في اللغة من أصله ، ثم برأ أستاذه الرافعي من تهمة التلاعب بألفاظ اللغة التي اتهمه بها سيد قطب ، وأقر بثبوت هذه التهمة على أستاذه فيما لو قام الرافعي نفسه باستخدام قوس مفصولة عن قزح ، وخالف تنظيره النقدي من الوجهة اللغوية استعماله اللغوي في الإبداع الأدبي ، وفي هذا تعريض بالعقاد الذي خالف تنظيره تطبيقه في هذه القضية تحديداً ، فقد عاب العقاد في كتابه رواية قمييز في الميزان ، وهو كتاب قام فيه العقاد بنقد مسرحية قمييز الشعرية التي قام بتأليفها أمير الشعراء أحمد شوقي ، حيث كان من ضمن نقادات العقاد لهذه المسرحية بأن فيها مخالفة لبعض استعمالات اللغة العربية ، ومن ذلك نقده لقول شوقي على لسان أحد المجان :

أَلْقَدَحَا أَلْقَدَحَا                      الْحُمُرُ تَنْفِي التَّرَحَا  
قَصُراً رَأَى أُمَ فَلَكَأ                      وَشَجَرًا أُمَ قُزَحَا<sup>(١)</sup>

حيث قال العقاد في ذلك :

" ويقول قزح ، ولا تذكر قزح إلا مع قوس "<sup>(٢)</sup>

وقد اتخذ شاكر من نقدة العقاد هذه سبيلاً لاثامه بعدم عربية عبارته ، فأهل اللغة ويمثلهم ابن منظور لم ينصوا في منعهم إلا على الفصل دون الذُكر ، بمعنى أن الممنوع عند أهل اللغة أن يفصل قوس عن قزح مثل : ألقى قزح بقوسه ، أما ذكر أحدهما دون الآخر فلم ينص عليه المنع ولم يشير إليه ، وهذا أول مأخذ على العقاد في نقده هذه ، أما المأخذ الثاني فإن شاكر يرى بأن العقاد نفسه قد خالف تنظيره تطبيقه حينما استخدم الكلمتين مفصولة عن بعضيهما قبل مضي ستة أشهر من نقده هذه وذلك في قوله السابق :

(١) قمييز لأحمد شوقي، ط بدون ، عام ٢٠١٢م ، المؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر ، ص ٤٠ .

(٢) رواية قمييز في الميزان ، لعباس العقاد، ط ١ ، عام ١٩٧٠م ، لدار الكتاب العربي، ص : ١٥ .

أَلْقَى هُنَّ بِقَوْسِهِ

فُزَحْ وَأَذْبَرَ وَأَنْصَرَ

وبناء عليه وبحسب ما يريده الأستاذ شاکر : فإن العقاد هو الأولى والأجدر بتهمة التلاعب باللغة من الرافي.

والحق أن قبول الأستاذ محمود شاکر رحمه الله لرأي أستاذه هذا مبني على أساس العلاقة الوطيدة التي كانت تربطه بأستاذه الرافي ، والتي يرى أن لزامها عليه أن يذب عن أستاذه ويدافع عنه ويتأول له ويقوي جانبه ، ودليل ذلك أن محمود شاکر لم يعمد إلى تخطئة العقاد بشكل مباشر كما فعل أستاذه ، بل قام بتقصي استخدام العرب لهاتين الكلمتين وانتهى إلى أن لقزح ثلاثة أوجه من الرأي عند أهل العربية :

أولها : أن قزح اسم شيطان أو ملك موكل به ، وهذا المعنى مستخلص من حديث رفعه بعض العلماء إلى النبي ﷺ وبعضهم أوقفه على بعض أصحابه رضوان الله عليهم ، وهو قوله :

" لَا تَقُولُوا: قَوْسٌ فُزَحْ فَإِنَّ فُزَحَ شَيْطَانٌ وَلَكِنْ قُولُوا: قَوْسُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ " (١)

(١) هذا الحديث مرفوع إلى النبي ﷺ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ ، ط ١ ، عام : ١٩٧٤ م ، لدار السعادة بمصر ، وورد موقوفاً لعلي بن طالب رضي الله عنه في الجامع في الحديث لابن وهب ، ل محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي ، تحقيق : مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير ، ص : ١٠٥ ، ط ١ ، عام ١٩٩٥ م ، لدار ابن الجوزي بالرياض ، وأوقفه ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي على علي بن طالب رضي الله عنه أيضاً برواية " لَا تَقُلْ قَوْسٌ فُزَحْ فَإِنَّ فُزَحَ الشَّيْطَانُ وَلَكِنَّهُ الْقَوْسُ وَهِيَ أَمَانَةٌ مِنَ الْعَرَقِ " في كتابه ، المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما ، دراسة وتحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهميش ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ط ٣ ، عام ٢٠٠٠ م ، لدار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ، ورفعته عن ابن عباس محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، برواية : " لَا تَقُولُوا قَوْسٌ فُزَحْ فَإِنَّ فُزَحَ هُوَ الشَّيْطَانُ وَلَكِنْ قُولُوا قَوْسُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ " ، في كتابه : اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة ، المعروف بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ط ١ ، عام ١٩٨٦ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، أما البخاري فقد أوقفه على ابن عباس بدون نهي عن تسمية قوس قزح بهذا الاسم ، ورواية " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْمَجَرَّةُ: بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، وَأَمَّا قَوْسٌ فُزَحٌ: فَأَمَانٌ مِنَ الْعَرَقِ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ " في كتابه الأدب المفرد ، تحقيق علي عبد الباسط مزيد - وعلي عبد المقصود رضوان ، ص ٣٥٢ ، ط ١ ، عام ٢٠٠٣ م ، لمكتبة الخانجي بمصر ، وفي حدود بحثي واطلاعي وفيما بين يدي من كتب الحديث لم أجد الحديث منسوباً لابن عباس كما قاله الأستاذ شاکر بهذه الرواية أو رواية أخرى تتضمن النهي ، ومن المحتمل أن يكون الأستاذ اعتمد في ذلك على كتب اللغة التي أوقفت الحديث على ابن عباس رضي الله عنهما ومنها : تهذيب اللغة ، لابن منصور الأزهري ج ٤ ، ص ١٩ =

ثانيها : أن القزح هي الطرائق والألوان التي في القوس ، والواحدة منها تسمى قزحة ، وهذا المعنى مما نصت عليه معاجم اللغة <sup>(١)</sup> ، وهو المعنى الدارج والمتداول لهاتين الكلمتين مجتمعتين بين العامة والخاصة . وثالثها : أن يكون من قزح بمعنى علا وارتفع وهو مما نصت عليه معاجم اللغة أيضاً ، <sup>(٢)</sup> ، وقد رأى شاعر بناء على هذه الوجوه الثلاثة أن الوجه الأول لا يضر فيه انفصال قوس عن قزح ؛ لأنهما قد أضيفا لبعضهما بالنسبة كما أضيف كتاب لمحمد في قولك : (كتاب مُجَد) ، وبناء عليه فقد أجاز بعضهم أن يستبدل تسمية العرب الأوائل له فقالوا قوس الغمام وقوس السحاب ، ويقصد الأستاذ شاعر من ذلك ما ورد في شعر بعض الشعراء من تسمية قوس قزح بقوس السماء و قوس الغمام و قوس السحاب ، مثل قول ابن الرومي <sup>(٣)</sup>:

= وكذلك في كتاب المحكم والمحيط الأعظم ، لعلي بن إسماعيل بن سيده ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ ، وكذلك أوقفه ابن سيده على ابن عباس في كتابه المخصص ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ ، وكذلك في لسان العرب لابن منظور : ج ٢ ، ص : ٥٦٣ ، وكذلك أوقفه على ابن عباس صاحب : تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، حققه وعلق عليه وصنع فهرسه: السيد الشرقاوي، ط ١ ، عام : ١٩٨٧ م ، مكتبة الخانجي بمصر ، ، ص : ٤١٧ ، وكذلك في تاج العروس لمرتضى الزبيدي ، ج ٧ ، ص ٥٧ .

(١) قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : " وَقَوْسٌ قُزَحٌ : طريقة مُتَقَوِّسَةٌ تَبْدُو فِي السَّمَاءِ " ، ينظر للعين ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، وقال أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي : " الْقَزَحُ : الطَّرَائِقُ ، فِي الَّتِي يُقَالُ لَهَا : قَوْسٌ قُزَحٍ ، الْوَاحِدَةُ قُزْحَةٌ " ، ينظر لكتابه : مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج ٥ ، ص : ٨٥ ، ط ١ ، عام : ١٩٧٩ م ، لدار الفكر العربي ، وقال ابن سيده: " وَقَوْسٌ قُزَحٌ : طَرَائِقٌ مُتَقَوِّسَةٌ تَبْدُو فِي السَّمَاءِ أَيَّامَ الرَّبِيعِ بِحُمْرَةٍ وَصُفْرَةٍ وَخُضْرَةٍ . " ، ينظر لكتابه المحكم والمحيط الأعظم ، ج ٢ ، ص : ٥٦٤ ، وكذلك أورده في كتابه المخصص ، ج ٢ ، ص : ٤٢٥ ، وجاء في كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: لنشوان بن سعيد الحميري اليمني " قوس قُزَح: التي تبدو أيام المطر بحمرة وخضرة وصفرة ، " ، تحقيق : حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن علي الإيراني ، يوسف مُجَد عبد الله ، ، ط ١ ، عام ١٩٩٩ م ، لدار الفكر المعاصر ببيروت ، ج ٨ ، ص ٥٤٧٤ .

(٢) قال ابن منظور : " قَزَحَ الشَّيْءُ إِذَا ارْتَفَعَ " ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص : ٥٦٣ ، وقال الفيروزآبادي " قَزَحَ : ارْتَفَعَ ، وَمِنْهُ : سِعْرٌ قَزَحٌ : غَالٍ .. " القاموس المحيط ، ص : ٢٣٦ ، وقال مرتضى الزبيدي : " قَزَحَ الشَّيْءُ ، إِذَا ارْتَفَعَ ، وَمِنْهُ : سِعْرٌ قَزَحٌ ، أَي : غَالٍ .. " ج ٧ ، ص ٥٨ .

(٣) علي بن العباس بن جورجس الرومي ، ولد في ٢٢١ هـ ، قال عنه المرزباني : " أشعر أهل زمانه بعد البحري وأكثرهم شعراً وأحسنهم أوصافاً وأبلغهم هجاءً وأوسعهم افتناناً في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه ..... وهو في الهجاء مقدم لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره غزارة قول وخبث منطق ولا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس ومرؤوس إلا وعاد عليه فهجاه ممن أحسن إليه أم قصر في ثوابه فلذلك قلت فائدته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته " ، توفي ٢٨٣ هـ ، ينظر معجم الشعراء للمرزباني : ص : ٢٨٩ .

وَقَدْ نَشَرْتُ أَيْدِي السَّحَابِ مَطَارِفًا  
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ الْعَمَامِ بِخُمْرَةٍ  
وقول أبي الوأواء الدمشقي<sup>(٢)</sup>:  
سَقِيًّا لِيَوْمَ بَدَا قَوْسُ الْعَمَامِ بِهِ  
كَأَنَّهُ قَوْسُ رَامٍ وَالْبُرُوقُ لَهُ  
وقول مُجَدِّد بن عبد المنعم الخيمي<sup>(٤)</sup>:  
إِذَا مَا رَمَى بِسَهَامِ الْقَطَارِ  
رَأَيْتَ الْفَوَاقِعَ فِي سَطْحِهِ  
ومنه قول البارودي<sup>(٦)</sup>:  
عَلَى الْجَوِّ دُكْنًا وَهِيَ خُضِرُ عَلَى الْأَرْضِ  
عَلَى أَحْضَرٍ فِي أَصْفَرٍ وَسَطٌ مُبْيَضٌ<sup>(١)</sup>  
وَالشَّمْسُ مُسْفِرَةٌ وَالْبَرْقُ خَلَّاسٌ  
رَشَقُ السَّهَامِ وَعَيْنُ الشَّمْسِ بُرْجَاسٌ<sup>(٣)</sup>  
عَلَى هَدَفِ الْمَاءِ قَوْسُ الْعَمَامِ  
رُؤُوسَ نِصَالٍ لِيَتْلِكَ السَّهَامُ<sup>(٥)</sup>

- (١) ديوان ابن الرومي، ج ٢، ص: ٢٩٧.
- (٢) أبو الفرج مُجَدِّد بن أحمد العناني الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء، لقب بـ "الوأواء" لأنه كان منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه، كان يخلو منذ صغره للمطالعة والا ستماع، وأكب على قراءة دواوين الشعر، وحفظ ديوان أبي نواس، وابن المعتز، وأبو تمام، والمتنبي، وكان شديد الإعجاب بشعر المتنبي، اختلف في تاريخ وفاته، ورجح محقق ديوانه أنه توفي سنة: ٣٧٠هـ، ينظر لترجمته في مقدمة ديوانه تحقيق سامي الدهان، ط ٢، عام: ١٩٩٣م، لدار صادر ببيروت.
- (٣) ديوان الوأواء الدمشقي، ص: ١٣١.
- (٤) "شهاب الدين ابن الخيمي مُجَدِّد بن عبد المنعم بن مُجَدِّد شهاب الدين ابن الخيمي الأنصاري اليمني الأصل المصري الدار الشاعر... علت سنه وحدث بكثير من مروياته، ... كان هو المقدم على شعراء عصره مع المشاركة في كثير من العلوم، وباشروا وقف مدرسة الشافعي ومشهد الحسين وفيه أمانة ومعرفة وكان معروفاً بالأجوبة المسكتة ولم يعرف منه غضب، عاش اثنتين وثمانين سنة أو أكثر وتوفي ٦٨٥هـ الوافي بالوفيات: لصلاح الدين الصفدي، ج: ٤، ص: ٣٩.
- (٥) لم أجده لمحمد بن عبد المنعم ديواناً، وهذه الأبيات منسوبة له في سرور النفس بمدارك الخواص الخمس، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، تهذيب جمال الدين ابن منظور، تحقيق إحسان عباس، ط ١، عام: ١٩٨٠م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص: ٢٨٧.
- (٦) محمود سامي بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري، شاعر مصري ولد عام ١٢٥٥هـ، نشأ طموحاً يتبوأ مناصب مهمة بعد ان التحق بالسلك العسكري، وقد ثقف نفسه بالاطلاع على التراث العربي.. فقرأ دواوين الشعراء وحفظ شعرهم في صغره، وهو رائد مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي الحديث، وهو أحد زعماء، تولى وزارة الحربية ثم رئاسة الوزراء باختيار الثوار له. لقب برب السيف والقلم، ينظر لترجمته في مقدمة ديوانه، تحقيق: علي الجارم، ومُجَدِّد شفيق، ط بدون، عام ١٩٩٨م، لدار العودة ببيروت.

كَأَنَّ قَوْسَ الْعَمَامِ الْعُرِّيَّ قَنَطَرَةً  
مَعْقُودَةٌ فَوْقَ طَامِي الْمَاءِ سَيَّالٍ  
إِذَا الشُّعَاعُ تَرَاءَى حُلْفَهَا نَشَرَتْ  
بَدَائِعاً ذَاتَ أَلْوَانٍ وَأَشْكَالٍ<sup>(١)</sup>

ومن أمثلة تسميته بقوس السحاب قول ابن معتوق في المدح<sup>(٢)</sup>:  
يَذُّ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ مِنْ أَنَا مِلْهَا  
تَسْرِي الْأَيَادِي وَفِيهَا يَنْزِلُ الْأَمَلُ  
كَأَنَّ حَاطَمَهُ يَوْمَ النَّوَالِ بِهَا  
قَوْسُ السَّحَابِ الْعَوَادِي حِينَ يَنْهَمِلُ<sup>(٣)</sup>

وقول معروف الرصافي<sup>(٤)</sup>:  
تَتَنَازَرُ الْقَطَرَاتُ فِي أَطْرَافِهَا  
فَكَأَنَّهَا هِيَ لَوْلُؤٌ مَنُشُورٌ  
يَنْحَلُّ فِيهَا النُّورُ حَتَّى قَدْ تَرَى  
قَوْسَ السَّحَابِ لَهَا بِهَا تَصَوِيرٌ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البارودي : ص ٤٥٠-٤٥١ .

(٢) شهاب الدين بن معتوق الموسوي الحويزي ، " شاعر العراق في عصره ، ولد سنة ١٠٢٥ هـ ، ونشأ بالبصرة ، وبها تعلم الأدب ، وقال الشعر وأجاد ، واتصل بالسيد خان أحد أمراء البصرة من قبل الدولة الإيرانية ، وكان وقتئذ يملك العراق والبحرين ، ومدحه ... وأكثر شعره مقصور عليه وعلى أهل بيته ، فغمره بالإحساس ، وهو من كبار شعراء الشيعة ، فقد مدح علياً عليه السلام ، وأهل البيت بما يخرج عن حد الشرع والعقل ، ويمتاز شعره بالركة وكثرة المجازات حتى تكاد الحقيقة تحمل فيه بالجملة توفي سنة ١١١١ هـ " ينظر لترجمته في نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم ، ينظر في ترجمته لنزهة الأبصار في محاسن الأشعار ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم نسخة إلكترونية ولم أجد الكتاب الأصل ، ص : ١٦٤ .

(٣) ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء لشهاب الدين الموسوي المعروف بابن معتوق ، ضبط سعيد الشرتوني ، ط بدون ، عام : ١٨٨٥ م ، المطبعة الأدبية ببيروت ، ص : ١٢٧ .

(٤) معروف بن عبد الغني بن محمود الجباري ، ولد عام ١٢٩٢ هـ ، ولد ونشأ في بغداد ، من أب كردي النسب وأم تركمانية ، وعين الرصافي معلماً في مدرسة الراشدية التي أنشأها الشيخ عبد الوهاب النائب ، شمال الأعظمية ، ثم نقل مدرساً للأدب العربي في الأعدادية ببغداد ، أيام الوالي نامق باشا الصغير ، ثم سافر إلى إسطنبول فلم يلحظ برعاية ، ثم عين مدرساً لمادة اللغة العربية في الكلية الشاهانية ومحرراً لجريدة سبيل الرشاد ، وأصدر جريدة الأمل ، وأنتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وبعد ذلك عين مفتشاً في مديرية المعارف ببغداد ، ثم عين أستاذاً في اللغة العربية بدار المعلمين العالية ، توفي الرصافي بداره في محلة السفينة في الأعظمية ليلة الجمعة في ربيع الآخر من عام ١٣٦٤ هـ ، وشيع بموكب مهيب سار فيه الأدباء والأعيان ورجال الصحافة ، ينظر لترجمته في البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، ، ط ٣ : بدون ، عام : ١٩٧٢ م ، لمطبعة الرابطة ببغداد ، ص : ١٠٣-١٠٥ .

(٥) ديوان معروف الرصافي ، مراجعة مصطفى الغلاييني ، ط : بدون ، عام : ٢٠١٢ م ، لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة ، ص ٣٣٦ .

ويرى شاكر أن الوجهين الثاني والثالث لا يجوز فيهما فصل قوس عن قزح البتة ، وذلك عند إرادة الطرائق المتقوسة التي تبدو في السماء ؛ لأن الكلمتين حينهما تنزلان منزلة الكلمة الواحدة .  
ويبدو جلياً أن شاكرأً ضنين كل الضن بالحكم للعقاد على أستاذه الرافي ؛ فبعد أن انتهى من هذا الاستقراء والإيجاز ذكر ما نصه :

"ونحن نرى أن العقاد قد ذهب - وإن لم يرد ذلك - إلى الوجه الأول ، وأن شعره يحمل على رأي جائز في العربية ...."<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يستطيع القول بأن موافقة محمود شاكر لرأي أستاذه الرافي في هذه المسألة موافقة غريبة جداً ، فقد تبين له بعد أن استقرأ معاني قوس قزح وربطها بأحكامها اللغوية في الفصل وعدم جواز الفصل ، أن العقاد قد حمل شعره على وجه جائز في العربية ، وبناء عليه فإن الوجه الذي بنى عليه الرافي نقده فاسد ومردود بتصويب شاكر للعقاد ، ولكن ود الرافي وجهه حال دون ذلك ودون تخطئة شاكر له والانتصار للعقاد عليه، وفي قوله في العبارة السابقة (وإن لم يرد ذلك) ما فيه من عدم رغبته في تصويب العقاد وتخطئة أستاذه ، فالعقاد حين يصيب بشعره وجهها من وجوه اللغة فإنه لم يرد ذلك بل جاء محض الصدفة والتوفيق ، أما الرافي فحين يخطئ العقاد في وجه تميزه له العربية فهو إنما وافق رأي أصحاب اللغة فحسب ، وهو وإن خطأً وجهاً جائزاً في لغة العرب فإنه لا تثريب عليه .

هذا والشواهد من فصيح الكلام صريحة بجواز الفصل بين قوس وقزح ، ومنه قول نابغة بني شيبان<sup>(٢)</sup>:

أَشْحَذَ إِذْ هَبَّتِ الشَّمَالُ لَهُ  
سَيْقَ رُكَامٍ فَالْغَيْمُ مُنْسَرِحٌ<sup>(٣)</sup>

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر لعادل سليمان ، ص : ٢٣ .

(٢) " اسمه عبد الله بن المخارق وقيل اسمه جميل بن سعد بن معقل والأول أثبت وهو إسلامي كثير الشعر ، شاعر بدوي من شعراء الطبقة الأولى .... وكان .. منقطعاً إلى عبد الملك بن مروان ، مداحاً له ، وكان ينشد الشعر فيكثر ، حتى إذا فرغ قبض على لسانه فقال: لأسلطن عليك ما يسؤوك: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " لم أجد له في كتب التراجم التي بين يدي تاريخ وفاة ، ينظر لترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج ٣٣ ، ص : ٢٦ ، وينظر كذلك الوافي بالوفيات للصفدي ، ج : ١٧ ، ص : ٢٢٦ .

(٣) أشحد : ساق وطرده ، " شَحَذْتُهُ أَي سَقَّيْتُهُ سَوْقاً شَدِيداً " ، ينظر للسان العرب لجمال الدين ابن منظور : ج ٣ ، ص : ٤٩٤ .

تَلُوْخٌ فِيْهِ لَمَّا قَضَى وَطَرًا قَوْسٌ حَنَاهَا فِيْ مُزْنِهِ قُزْحٌ<sup>(١)</sup>

فقرح كما يلاحظ جاءت مفصولة عن قوس ، وعلى ذلك استخدم الشعراء في بعض أشعارهم هاتين الكلمتين مفصولتين لأغراض بيانية تشبه إلى حد كبير في غرضها الجمالي استخدام العقاد لها .

فالعقاد إنما فصل قوس عن قرح ليتصور أن حسناوات شاطئ إستانلي قد ألقى عليهن قرح أقواسه ، وهن يرتدين هذه الأقواس التي ألقاها والتي تحولت إلى غنائم وأسلاب يأخذها المنتصر غنيمة وعنوة من المهزوم ، وما جاءت الغنائم والأسلاب إلا بعد أن نشبت معركة بين جمال ما ألقاه قرح من أقواس ، وجمال الحسناوات التي ألقيت عليهن تلك الأقواس ، وقد انتصر جمال الفتيات على الأقواس فاستلبن تلك الأقواس فارتدينها فردن بهاء وجمالاً ، أما قرح فقد أدبر وانصرف وقد أسقط في يده بعد أن خسر تلك المعركة خسارة لا يستطيع بعدها الانتصاف ممن ألحق به هذه الهزيمة .

هذا وقد جرت الشعراء أيضاً على فصل قوس عن قوس اقتداءً بفصيح الكلام ، ومن ذلك قول بديع الزمان الهمذاني<sup>(٢)</sup>:

وَمُنْعَلَقًا أَوْوَلُهُ      يُمْنَى الشَّيْخِ يَنْفَسِخُ

فَيَعْلَمُ أَنَّ وَادَيْنَا      هَا أَوْ لَاهُ يَنْفَسِخُ

وَيُبْرِزُ سِرَّهُ أَمْلِي      وَيُطْلِعُ قَوْسَهُ قُزْحُ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان نابغة بني شيبان، ط١، عام : ١٩٣٢م ، لدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ص : ١٠٣ .

(٢) " أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، الحافظ المعروف ببديع الزمان؛ ولد عام ٣٥٨هـ وهو صاحب الرسائل الرائقة ، والمقامات الفائقة .... وهو أحد الفضلاء الفصحاء، روى عن أبي الحسين أحمد بن فارس صاحب " المجمل " في اللغة وعن غيره، وسكن هراة من بلاد خراسان ، وتوفي رحمة الله تعالى بهراة يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة؛ قال الحاكم المذكور: وسمعت الثقات يحكون أنه مات من السكنة وعجل دفنه، فأفاق في قبره وسمع صوته بالليل، وأنه نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر " ، ينظر لوفيات الأعيان لابن خلكان ، ج : ١، ص : ١٢٩ .

(٣) ديوان بديع الزمان الهمذاني ، تحقيق : يسري عبد الغني ، ط: ٣، عام ٢٠٠٣م ، لدار الكتب العلمية ببلبنان بيروت ،



ومنه أيضا قول ابن حمديس<sup>(١)</sup>:

وَالْجُوْ أَقْبَلَ فِي تَرَائِبِ مُزْنِهِ  
صَابَتْ فَأَضْحَكَتِ النَّدِيمَ بِأَكْوُسٍ  
عَهْدِي بِهِ مِنْ نَقْطِهِنَّ يُقْطَبُ<sup>(٢)</sup>  
ومنه أيضا قول لسان الدين الخطيب<sup>(٣)</sup>:

وَحَقَّتْ بِهِ عُوجُ الْقِسِيِّ ضُلُوعَهَا  
فَكَأَنَّمَا فُرُحٌ حَنْتَ أَقْوَأَسَهُ  
تَعَالُ فِيهِ جَوَانِحًا وَقُلُوبًا  
أَيْدِي الْعَمَامِ وَأَمْطَرَتْ شُؤْبُوبًا<sup>(٤)</sup>

(١) أبو مُجَدَّ عبد الجبار بن أبي بكر ابن مُجَدَّ بن حمديس الأزدي الصقلي، وحمديس بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وكسر الدال المهملة ولد في سرقوسة بصقلية أثناء حكم المسلمين لها عام ٤٤٧هـ ، وتعلّم فيها، وشارك في بعض معارك المسلمين ، مدح المعتمد بن عباد وكان من شعراء بلاطه ، وتردد على المعتمد في محبسه في أغمات وفاء له، ومدح أبي طاهر يحيى بن تميم الصنهاجي، ثم ابنه عليًا ، فابنه الحسن ، قال ابن بسام في حقه: " هو شاعر ماهر يقرطس أغراض المعاني البديعة، ويعبر عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة، ويتصرف في التشبيه المصيب، ويغوص في بحر الكلم على در المعنى الغريب " ، وتوفي عام ٥٢٧هـ بجزيرة ميورقة ودفن إلى جنب قبر ابن اللبانة الشاعر المشهور، ينظر لترجمته في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لعلي بن بسام الشنتري، تحقيق إحسان عباس ، القسم الرابع : الجزء الأول : ، ص : ٣٢٠ ، ط بدون، عام ١٩٩٧م، لدار الثقافة ببيروت ، وينظر أيضا في وفيات الأعيان لابن خلكان ، وينظر لمقدمة ديوانه ، تقديم وتصحيح إحسان عباس ، ط بدون ، عام بدون ، لدار صادر ببيروت ج٣، ص ٢١٢ .

(٢) لم أجد هذين البيتين في ديوان ابن حمديس الذي صححه وقدم له إحسان عباس ، وقد نسبها ابن بسام له في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج٧، ص : ٣٤٢ .

(٣) مُجَدَّ بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السِّلْمَانِي، قرطبي الأصل ، ولد سنة ٧١٣ هـ ، نشأ لسان الدين بغرناطة، وتأدّب على شيوخها، وهم أكثر، فأخذ عنهم القرآن، والفقه، والتفسير، واللغة، والرواية، والطب، وصناعة التعديل ، التزم خدمة عدد من السلاطين كأبي الحجاج والسروي مُجَدَّ الخامس المعروف بالغني بالله وتعرف على علماء المغرب وأصحاب مناصبها كابن خلدون وغيره وبدأ فيها يكتب بعض آثاره المنظومة والمنثورة ، وله تأليفات كثيرة تربو على الستين مؤلفاً، ما بين كتاب ورسالة، منها: آداب الوزارة، الإحاطة في أخبار غرناطة، أوصاف الناس في التاريخ والصلاة، جيش التوشيح، رقم الحلل في نظم الدول، روضة التعريف بالحب الشريف، ربحانة الكتاب وغيرها ، توفي عام ٧٧٦هـ ، ينظر لترجمته وافية في مقدمة ديوانه ، صنعة وتحقيق وتقديم : مُجَدَّ مفتاح ، ط١، عام : ١٩٨٩م ، لدار الثقافة بالدار البيضاء .

(٤) البيتان في ديوانه، ج١، ص ١٢٨ .

أما علماء النحو فقد تطرقوا كثيراً لقوس قزح عند حديثهم عن باب الخبر ، إذ إنهم يقولون بامتناع الإخبار عن الاسم الذي ليس تحته معنى ، كقولك مُجَد بن أبي مُجَد ، فقولك ابن أبي مُجَد يمتنع أن يكون خبراً إذا كان مُجَد نفسه غير موجود ويقاس عليه كل أمر غير موجود ولا معروف نحو قولهم: ابن قنطرة، وحمار قبان، وسام أبرص، وأبو يراقش، وبنات أوبر، وأبو الحصين، وأم حنين، وبنات نعش، فكل واحد من هذه الأسماء المضاف إليها لا يُقصد به شيء معروف ، ومما يدخل في منع النحاة هذا منعهم الإخبار عن قوس بقزح ، إذا كان المقصود بهما الطرائق التي في السماء ذات الألوان التي قصد إليها العقاد ، فهي تعامل حينئذ معاملة مُجَد المعلوم في التركيب السابق ، وكأن القوس لا يمكن أن يأتي إلا متبوعاً بقزح لأنه هو الذي يولده وينتجه كما ينتج أبو مُجَد مُجَداً ، وحينما يعترض لبعضهم بيت من فصيح الكلام يخبر فيه قوس عن قزح ؛ فإنهم يجعلون قزح من أسماء الشياطين التي وضعها الجاهليون ، وهذا هو ما يقصده شاعر في الوجه الأول من الوجوه الثلاثة التي ذكرت آنفاً، وهو الوجه الذي لا يضر فيه انفصال قوس عن قزح ؛ لأنهما قد أضيفا لبعضهما بالنسبة كما أضيف كتاب لمحمد في قولك : (كتاب مُجَد ) ، وبناء عليه فقد أجاز بعضهم أن يستبدل تسمية العرب الأوائل له فقالوا قوس الغمام وقوس السحاب ، يقول ابن عصفور في ذلك : " وأما امتناع الإخبار عن الاسم الذي ليس تحته معنى كبكر بن أبي بكر، فلائذ ذلك كذباً، إذ ليس بكر موجوداً فتخبر عنه ، من النحويين من أجاز الإخبار عن الاسم الذي ليس تحته معنى، واستدل على ذلك بقول الشاعر:

فَكَاثِمًا نَظَرُوا إِلَى قَمَرٍ      أَوْ حَيْثُ عَلَّقَ قَوْسُهُ قُزَحٌ<sup>(١)</sup>

فأخبر عن قُزَح من قوله: قوس قُزَح، وقد قيل إن قُزَح اسم الشيطان، وكأن العرب قد وضعت قوساً للشيطان، ويكون هذا من أكاذيبها ، وقُزَح طريق في السماء ذو ألوان، فعلى هذا ليس لمن أجاز الإخبار عن الاسم الذي ليس تحته معنى دليل في قوله: (أَوْ حَيْثُ عَلَّقَ قَوْسُهُ قُزَحٌ) ؛ لأن قُزَح قد قيل إنه اسم الشيطان فلم يك قط في هذا البيت إخبار عما ليس تحته معنى<sup>(٢)</sup> .

(١) البيت منسوب لابن عبد الأسد في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ص : ١٢٥١ ، ومنسوب لشقيق بن سليك

الأسدي في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ، لبدر الدين العيني ، تحقيق: علي مُجَد فاخر ، أحمد مُجَد توفيق السوداني ، عبد العزيز مُجَد فاخر ، ط١ ، عام ٢٠١٠م ، لدار السلام بمصر ، ج٤ : ، ص : ١٩٨١ .

(٢) شرح جمل الزجاجي ، لأبي الحسن علي بن عصفور الإشبيلي ، تقديم وفهرسة : فواز الشعار ، إشراف : إميل بديع

يعقوب ، ، ط١ ، عام : ١٩٩٨م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ج٣ ، ص ٩٢-٩٣ .

وبناء على كل ما ذكر فإن بيتي العقاد اللذين ذكر فيهما قوس قزح مجاز بحسب آراء بعض العلماء فيه ، ومتوافق مع فصيح الكلام من شعر العرب ، وجار مجرى شعر الشعراء الذين يقتدى بخيالهم وفكرهم وتصويرهم ، فقد قام العقاد بتوظيف قوس قزح بطريقته الخاصة ، كما قام بعض الشعراء ممن تم الاستشهاد آنفاً بشعرهم في فصل قزح عن قوسه ، والعقاد محسن في تصرفه بقوس قزح وتوظيفه توظيفاً جمالياً وإحسانه ، لا يزيد عن إحسان شعراء العربية السابقين عليه واللاحقين به ، والذين يحسب لهم لا عليهم توظيف ما يمكن توظيفه في جمالية الشعر .

وسيكون نقد الرافعي أشد دقة وأكثر قبولاً لو أسند رأيه على رأي بعض أهل اللغة ، فصرامة عبارة الرافعي وتهكمه الشديد ببيت العقاد توحيان بأن العقاد قد ارتكب خطأ شنيعاً في اللغة أجمع أهل اللغة على عده خطأ ، وكل ما في الأمر أن بعض أهل اللغة وليس كلهم رأى عدم فصل قوس عن قزح ، ويضاف من العلماء إلى ابن منظور ابن سيده ومرتضى الزبيدي الذين منعوا فصل قوس عن قزح ، حيث استند الرافعي إلى كلام ابن منظور وبني حكمه عليه وهو مسبق بكلام ابن سيده في كتابيه (المخصص) و(المحيط المحكم) ، حيث منع في كل منهما فصل قوس عن قزح دون أن يعلل ذلك ، قال ابن سيده في كتابه المخصص :

"قال صاحب العين قوس قزح طرائق متقوسة تبدو في السماء أيام الربيع بصفرة وحمرة وخضرة ولا يفصل قوس من قزح" (١).

وقال في المحيط المحكم :

"وقوس قزح: طرائق متقوسة تبدو في السماء أيام الربيع بجمرة وصفرة وخضرة ، ولا يفصل قزح من قوس ، لا يقال : تَأْمَلُ قُزْحَ فَمَا أَبَيَّنَ قَوْسَهُ" (٢) .

ثم تبعه ابن منظور في لسانه (٣) ، ثم جاء مرتضى الزبيدي في تاج العروس فاستنسخ كلام ابن سيده فقال :

"وَلَا يُفْصَلُ قُزْحٌ مِنْ قَوْسٍ، لَا يُقَالُ: تَأْمَلُ قُزْحَ فَمَا أَبَيَّنَ قَوْسَهُ" (٤)

(١) المخصص لعلي بن سيده ، ج ٢ ، ص : ٤٢٥ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن سيده ، ج ٢ ، ص : ٥٦٤ .

(٣) لسان العرب : ج ٢ ، ص : ٥٦٣ .

(٤) تاج العروس لمرتضى الزبيدي ، ج ٧ ، ص : ٥٧ .

وليس الأمر في تبرئة الرافعي من الخطأ في إصدار الحكم النقدي كما برره شاكر ، فشاكر يرى أن الرافعي منع فصل قوس عن قرح في بيتي العقاد على رأي بعض أهل اللغة ، وأنه لم يتلاعب بناء على ذلك بألفاظ اللغة ، والحق أن الرافعي منع فصل قوس عن قرح في كل كلام وعده عيباً لغوياً ، ويبدو جلياً من طريقة نقده وتهكمه بالعقاد أنه العقاد قد أخطأ في اللغة خطأ فاحشاً لا يغفر له ، والسؤال الذي لا بد منه هنا :

هل يجوز لنا أن نحكم النص الشعري على أساس حكم لغوي اختص به عدد نزر من العلماء ؟ إن محاكمة النصوص الشعرية على أساس من ذلك سوف تجعل من النص تابوتاً يتم في داخله وأد جمال اللغة وتوسعها ، وإن كان ذلك واقع لا محالة فما أجمل أن يقع بعد استقراء للظواهر اللغوية ، وربط دلالات الكلمات ومعانيها بقواعد اللغة العامة وضوابطها الرئيسية ، وما أجمل ذلك الاستقراء النحوي اللغوي الذي استقره الأستاذ محمود شاكر رحمه الله في هذه القضية ، حيث مزج فيه آراء كبار العلماء بفهمه الخاص وبمدلول تركيب (قوس قرح) مستقراً في ثنايا ذلك فصيح كلام العرب ، فخرج بناء على ذلك بثلاثة وجوه في حسن عرض وإيجاز ، برأ منها العقاد من الخطأ اللغوي على مضض وباضطرار اضطرته إليه الأمانة العلمية .

بقي أن يضاف إلى مذكره الأستاذ في أن الوجه الأول من وجوه معاني قوس قرح أن قرح اسم شيطان أو ملك موكل به ، وأن هذا المعنى مستخلص من الحديث أو الأثر " لا تقولوا قوس قرح ..... " ، أن بعض أهل اللغة يقولون إن قرح جبل بمزدلفة ، وأن القوس مضاف إلى هذا الجبل بعينه في قولنا قوس قرح ؛ لأن هذا القوس إنما شاهده العرب من فوق جبل قرح فأضيف إليه بناء على ذلك ، وفي ذلك يقول صاحب التكملة والذيل على درة الغواص :

"وقيل: قُرح اسم جبل بالمزدلفة رُؤي عليه فنسب إليه ، قال "السكري : كان يظهر من وراء الجبل فيرى نصفه كأنه قوس ، فسموه قوس قرح" (١)

---

(١) التكملة والذيل على درة الغواص ، لموهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ، المحقق: عبد الحفيظ فرغلي ،

ط١ ، عام ١٩٩٦م ، لدار الجيل ببيروت ، ص: ٩٠٥ .

## المبحث الثاني الاعتراض

لا يخفى على من يطالع نتاج الأستاذ محمود شاعر كثرة الاعتراضات العلمية التي اعترض بها على عديد من أحكام وآراء العلماء القدامى والمحدثين ، وتشكل هذه الاعتراضات ظاهرة علمية تستحق إفرادها بدراسات خاصة في شتى تخصصات علوم اللغة العربية ؛ لأنها متنوعة ما بين اللغة والأدب والنقد والبلاغة العربية ، والمقصود بالاعتراض هنا عند الأستاذ ذلك النوع من الاستدراكات الذي يتركز على قضايا عامة أقرب ما تكون إلى الرأي الانطباعي والاستنباط الشخصي والتي لا تعتمد كثيراً على أدلة مادية ، وهذه الاعتراضات مبنوثة في كتب محمود شاعر المؤلفة والمحققة .

وقد يكون من الطبيعي أن تكتنز الكتب المؤلفة لعالم كبير مثل محمود شاعر بنفائس علمية كثيرة ؛ لأن التأليف آنية البوح العلمي والسبيل إلى تفصيل الآراء وإحكام الاستنباط وتنويع الأدلة وتدوين النتائج ، أما تحقيق التراث فقليلة هي الكتب التي قام محققوها بإجهااد حواشيتها بتعليقات وآراء وأحكام واعتراضات واستدراكات وزيادات .

ومن هذا القليل تلك الكتب التي قام بتحقيقها محمود شاعر رحمه الله ، مثل : طبقات فحول الشعراء ، وتفسير جامع البيان ، وجمهرة نسب قريش والوحشيات ، فقد تكون الغاية العلمية لطالب العلم حين يريد قراءة هذه الكتب التي حققها شاعر أن تتصل ثقافته بمتون كبار العلماء ، وأن تتسلح معرفته بأرائهم وأحكامهم ومناهجهم البحثية وأساليبهم وتصنيفاتهم ، وحتى محاولة الوصول إلى الطريقة التي كان يفكر بها هؤلاء العلماء ، هذه الغايات التي قد ينشدها طالب العلم قبل تناوله واحداً من الكتب التي قام شاعر بتحقيقها ، ولكنه سيفاجأ بتلك التعليقات النفيسة في الحواشي للأستاذ محمود شاعر في هذه الكتب المثال على وجه خاص ، والتي أتت على شكل ملاحظات واعتراضات واستدراكات وزيادات وتصويبات ، والتي هي في حقيقة الأمر نفائس معرفية وعلمية قد تذهل طالب العلم عن المتن الذي هو مبتغاه وغايته ، وقد تجذبه إليها جذباً ينازع الجذب والتأثير الذي يحدثه متن هذه الكتب في ذهن ونفس طالب العلم ؛ لأن جلها في حقيقة الأمر يبلغ من الأهمية مبلغاً جَدَّ خطير ، كيف لا وبعضها تكسر قوالب وقواعد وتواجه فكر قامات علمية ومعرفية كان لها الفضل بعد الله في إثراء المعرفة العربية ، وجل هذه الاعتراضات تخرج بمدار الدرس الأدبي التقليدي إلى أفق جديد ، لا يعرف إلا مواجهة النص بجسارة ، ولا يحتكم إلا إلى دلالاته ، ولا يعزله عن سياقه الكلي والتاريخي

ووجهته النفسية ، الأمر الذي يسهل تسرب أثر ما أودعه شاكر في تلك التعليقات على العلم وعلى طلبة العلم، ولا بد من التأكيد هنا على أن المتأمل في تلك الاعتراضات وطريقته في معالجتها ، يصل إلى أن الشك المنهجي هو الذي أثر عليه كثيراً في قراءته وتعليقه على كتب تحقيق التراث بشكل خاص .

فليس من الهين أن يُسلم الأستاذ شاكر عقله وذنه لكل ما يقوله مؤلفو تلك الكتب ولا حتى فيما نسبوه ورووه ، وحين يجد ما يصطدم مع أفقه الثقافي والمعرفي يعارض ويحاج ، ويسوق الأدلة بأسلوب علمي وبأداة تذوقية ذات نمط فريد .

وعند إنعام النظر في تلك الاعتراضات التي تضمنتها كتب تحقيق التراث هذه فإنه لا يتوهم بأن الأستاذ حاج وعارض من أجل الاعتراض وخالف من أجل أن يعرف ، بل حاج وحاوّر تمكناً ودراية وخدمة للعلم ، ومن أجل أن يكون الصواب والفهم وترقي الناقد مع إحساس الشاعر هي كلمة الفصل العليا ، التي يحتكم إليها أرباب الأدب وطالبي البغية الشعرية والمقصدية النصية.

ومن الأحكام الأدبية التي عارض فيها الأستاذ محمود شاكر ابن سلام الجمحي تعليقه على حكم أطلقه ابن سلام على سبب مقدمة امرئ القيس على غيره من شعراء عصره ، حيث قال ابن سلام :

" فاحتجّ لامرئ القيس من يقدمه قال : ما قال مالم يقولوا ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب ، وأتبعته فيها الشعراء : استيقاف صحبه ، والتبكاء في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ، وشبه النساء بالظباء والبَيْض ، وشبه الخيل بالعُقبان والعصي ، وقيد الأوابد ، وأجاد في التشبيه ، وفصل بين النسيب وبين المعنى..."<sup>(١)</sup>

واعترض عليه الأستاذ شاكر بقوله :

"يريد ما يتميز به شعر الملك الضليل من إخلاصه القول في النسيب ، لا يخلطه بصفة ناقتة أو فرسه أو صيده أو مآثره ، فإذا فرغ من النسيب الخالص أخذ في أي معنى من هذه المعاني، وهذا بين جدا في شعره ، هذا على أني أرى أكثر هذه الفضائل ، وإن كانت بينة في شعر امرئ القيس ، لا يتاح إثبات سبقه إليها ، لما ضاع من قديم شعر العرب ، ولأنها ليست من الخفاء بالموضع الذي يدل عليه هذا الوصف المفرط بابتداعه لها ، واتباع الشعراء له فيها ، ولشعر الملك الضليل براعة أخرى هي أحق بأن تكون السبب في تفضيله ، وتقديمه على كثير

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ج ١ ص ٥٥ .

من شعراء الناس لا العرب وحدهم" (١).

إذن فحكم ابن سلام هذا وإن كان قد أورده على لسان غيره ، فإنه ينص على أن الفضل في مقدمة امرئ القيس ليس لأنه قال ما لم يقله الشعراء ، بل لأنه سبق شعراء العرب قاطبة على سنن ابتدعها في الشعر واتبعها من بعده ، وذكر منها استيقاف الصحب .... واختتمها بالفصل بين النسيب وبين الأغراض الأخرى ، أو الغرض الذي جاءت من أجله القصيدة.

وينبغي قبل تناول كلام الأستاذ شاكر هذا بيان أن اعتراضه ليس على مقدمة امرئ القيس على غيره من الشعراء ، فابن سلام وإن تعصب لامرئ القيس وقال بتقدمته على شعراء العربية في عصره ، فإن شاكر يرى أن امرأ القيس ولبراعة أخرى لم يذكرها ابن سلام يستحق أن يكون مقدماً على شعراء الناس كلهم العربي وغير العربي ، وهذا من صريح كلامه في اعتراضه السابق حيث قال : " ولشعر الملك الضليل براعة أخرى هي أحق بأن تكون السبب في تفضيله ، وتقديمه على كثير من شعراء الناس لا العرب وحدهم " ، ووجه اعتراضه الدقيق على تلك الأمور التي جعلها ابن سلام سبباً في مقدمة امرئ القيس ، وعند تدقيق النظر في اعتراض الأستاذ محمود شاكر على ابن سلام في هذا ، فقد يلاحظ أن الاعتراض يركز على ضرورة الاستدلال للاستنباط ، فلكي يستطيع ابن سلام وغيره إقناعنا فلا بد من إيراد أدلة تدمغ القول في أن هذه الأمور مجتمعة كانت السبب في مقدمة امرئ القيس عن غيره من الشعراء ، ولكن ذلك متعذر على كل من يريد إثباته ، وذلك لارتباطه بقضية قدم وحدثة الشعر المتعلقة بما ضاع من شعر العرب وما بقي منه ، فلا يعلم بناء على ذلك هل امرؤ القيس سابق أم مسبوق ؟ ولا يعلم هل هو متبع أو مبتدع ؟ ولا سبيل لتحديد ذلك إلا بالقبض على جميع موروث الشعر العربي منذ تكوينه الأول ، وقد صدق الأستاذ رحمه الله ، فتحديد السابقين على امرئ القيس من الشعراء وجمع نتائجهم أمر متعذر لا يمكن أن يثبت مع تعذره سبق امرئ القيس وغيره على فن من الفنون وغرض من الأغراض أو حتى سمة فنية من السمات الفنية في الشعر ، وقد يكون من الصواب الإيمان بما قاله النقاد ويقولونه حتى اليوم في أن نمط القصيدة الجاهلية لا يمكن أن يكون ولد دفعة واحدة من لسان شاعر واحد ، فلا بد له من مراحل سابقة لم تصل إلينا تدرج فيها الشعر حتى وصل إلى ما وصل إليه عند امرئ القيس وغيره من شعراء الجاهلية .

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي حاشية رقم (٥) ، ج ١ ص ٥٥.

ولابد من الإشارة هنا إلى تسرب أثر حكم ابن سلام هذا على النقد من بعده ، وهذا التسرب لا يعني أنه حكم صحيح يقوم على أدلة مقنعة ، ومن هؤلاء العلماء أبو بكر الباقلاني الذي قال :

" وأنت لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ، ولا تتوقف في فصاحته ، وتعلم أنه قد أبدع في طرق الشعر أموراً أثبت فيها ، من ذكر الديار والوقوف عليها ، إلى ما يصل بذلك من البديع الذي أبدعه ، والتشبيه الذي أحدثه ، والمليح الذي تجدد في شعره ، والتصرف الكثير الذي تصادفه في قوله ، والوجوه التي ينقسم إليها كلامه ؛ من صناعة ، وطبع ، وسلاسة ، وعفو ، ومتانة ، ورقة ، وأسباب محمد ، وأمور تُؤثر وتُمدح... " (١)

وكرر ابن قتيبة قول ابن سلام هذا وذكره بنصه في قوله :

" وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، وأتبعته عليها الشعراء ، من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ. " (٢) .

ومن هذا الأثر ما قاله قدامة بن جعفر في نقد الشعر في تعليق له على بيت لامرئ القيس :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاهَا  
بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ (٣)

قال قدامة :

" فإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد ، فلم يتكلم باللفظ بعينه ، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد - وهي الوحوش - كالمقيدة له إذا نحا في طلبها ، والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة ، فيقولون : هو أول من قيد الأوابد ، وإنما غزا بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن الناس من الاستجادة لقوله مثلهم عند إتيانه بالردف له " (٤) وغير هؤلاء العلماء كثير ، ولكنه حكم انطباعي لا يعتمد على دليل ولا يقوي جانبه مادة شعرية سابقة .

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ، ص : ١٥٨ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص : ١١٠ .

(٣) ديوان امرئ القيس ، ص : ١١٨ .

(٤) نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، ط : بدون ، عام بدون لدار الكتب العلمية

بيروت ، ص : ١٥٨ .



ومن الاعتراضات التي يكثر ورودها عند الأستاذ محمود شاكر رحمه الله اعتراضاته على نسبة الأبيات الشعرية إلى غير من نسبت إليه ، ويكثر ورود هذه الاعتراضات في كتب التراث التي قام بتحقيقها ولا سيما طبقات فحول الشعراء وجمهرة نسب قريش وجامع البيان ، وقد يكتفي محمود شاكر عند قيامه بتصويب هذه النسبة دون تعليقات أخرى غير ثبت المراجع وتوجيه رأيه ، أما إذ تعلق الأمر بصنع الشعر الجاهلي ونحله ووضعه فإنه لا يكتفي بتصويب هذه النسبة بل تجده يستطرد لشخصية العالم الذي تجرأ على القول بوضع الشعر الجاهلي وصنعه ونحله ، على أن محمود شاكر لا ينكر أن من الشعر الجاهلي ما هو مصنوع ومنحول ، ولكنه لا يصل عنده إلى حد الكثرة التي يفسد بها الشعر الجاهلي ، ولحاساسية هذا الأمر عنده قد تجده حتى مع إقراره بوضع الشاعر الجاهلي ونحله وصنعة بعضه لا يصف من قام بذلك بما يتلاءم مع أوصافهم اللفظية من النحل والصناعة والوضع ، فلا يسميهم مثلاً بالوضاعين نسبة إلى الوضع الذي تعارف عليه علماء العربية ، بل يرميهم بالكذب ويسميهم بالكذابين<sup>(١)</sup> ؛ ولذلك تكون ألفاظه النقدية جافة وكأقسي ما يكون حين يتعلق الأمر بصناعة الشعر الجاهلي ووضعه ، جفاء قد يصل به ليطال شخصية من قال بذلك الوضع ، ومن بين أولئك العلماء محمد بن محمود الشنقيطي<sup>(٢)</sup> رحمهم الله جميعاً ، فقد علق الشنقيطي على بيت شعري استشهد به ابن سيده ولم ينسبه

(١) ينظر للحاشية رقم (١) من طبقات فحول الشعراء ، ج ١ ، ص : ٤ .

(٢) " محمد محمود بن أحمد بن محمد التركي الشنقيطي : علامة عصره في اللغة والأدب ، شاعر ، أموي النسب اشتهر والده بالتلاميذ (تصنيف التلاميذ) فعرف بابن التلاميذ ، ولد في شنقيط (موريتانية) وانتقل الى المشرق ، فأقام بمصر ، ورحل إلى مكة فاتصل بأميرها الشريف عبد الله فأكرمه وأحبه لعلمه ، قال صاحب الوسيط: وانتدبه حكومة الآستانة (أيام السلطان عبد الحميد الثاني) للسفر إلى إسبانية والاطلاع على ما فيها من المخطوطات العربية، وإعلامها بما ليس منه في مكتباتها بالآستانة ، فقام بذلك ، ويقال: إنه بعد عودته طلب المكافأة على عمله ، قبل تقديم الأوراق ، فأهمل أمره ، وبقيت مذكراته عنده ، وسافر إلى المدينة ، فلم يكن على وفاق مع علمائها ، فطلبوا إخراجهم ، فرحل إلى مصر ، ونزل عند نقيب أشرفها (محمد توفيق البكري) فبالغ في إكرامه ، واستعان به على تأليف كتابه (أراجيز العرب) ثم طبع الكتاب منسوباً إلى البكري وحده ، فغضب الشنقيطي ، وفارقه ، ووصل الخلاف إلى القضاء ، واتصل بالشيخ محمد عبده فسعى له بمرتب من الأوقاف ، فاستقر بالقاهرة إلى أن توفي ، من كتبه (الحماسة السنية في الرحلة العلمية) ضمنها شيئاً من أخباره وقصائده ، و(عذب المنهل - خ) أرجوزة، و (إحقاق الحق) حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليميني ، بين فيها أغلاطه ، وصحح بعض الأوهام الواقعة في الطبعة البولاقية من الأغاني ، توفي بالقاهرة عام : ١٣٢٢ هـ " ، ينظر لترجمته في الأعلام للزركلي : ج ٧ ، ص ٨٩ .

لأحد في كتابه المخصص على أنه مصنوع ، قام بصنعه من يرغب في إيجاد دليل على دعواه المجردة ، وهذا البيت هو قول الشاعر :

أَلَا ضَرَبْتُ تِلْكَ الْفَتَاةَ هَجِينَهَا  
أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رِيَّيَ مَمِينَهَا

يقول الشنقيطي ولا بد من نقل كلامه على طوله حتى يعلم الأمر:

"قلت قول علي بن سيده ، وأنشدوا لبعض شعراء الجاهلية : ألا ضربت .... قول من لم يَعْرِف حقيقة بيته المستشهد به ، وحقيقته أنه صنعه بعض الرجال الذين يحبون إيجاد الشواهد المعدومة لدعاويهم المجردة فلفقه من بيت الشنفرى المشهور<sup>(١)</sup> ، والوضع والصنعة ظاهران فيه كظهور شمس الضحى ، وركاكنه تنادي جهاراً بصحة وضعه وصنعتة ، والصواب وهو الحق المجمع عليه أن الشاعر الجاهلي المشار إليه بالبعض هو الشنفرى ... وهذا البيت ليس في شعره المروي عنه الملفق منه هذا البيت المصنوع ، وقصته مع الجارية السلامية عند أهل العلم وشعره مروي بروايتين فاصغ لهما تعلم الحق :

أَلَا كَيْتَ شِعْرِي، وَالتَّلْهُفُ ضَلَّةٌ  
بِمَا ضَرَبْتُ كَفُّ الْفَتَاةِ هَجِينَهَا<sup>(٢)</sup>

.....

وثانية الروايتين قوله :

أَلَا هَلْ أَتَى فِتْيَانٌ قَوْمِي جَمَاعَةً  
بِمَا لَطَمْتُ كَفُّ الْفَتَاةِ هَجِينَهَا<sup>(٣)</sup>

..... " (٤)

وقد استشهد بهذا البيت ابن جرير الطبري في جامع البيان ، وحين علق عليه محمود شاكر استدعى تعليق الشنقيطي الذي لم يرق له مطلقاً ، فقال:

" لم أجد قائل البيت ، واستشهد به ابن سيده في المخصص .... وعلق على البيت مُجَّد .... الشنقيطي،

---

(١) سيأتي في كلام الشنقيطي بيت الشنفرى المشهور هذا .

(٢) هذه رواية أبي الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني، ط ١، عام ١٤١٥ هـ ، لدار إحياء التراث العربى بيروت ، ج: ٢١ ، ص : ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) هذه رواية ديوان الشنفرى : ص ٧٧ .

(٤) هنا نهاية تعليق الشنقيطي ونقله ، ينظر إلى : المخصص لابن سيده ، تحقيق وتعليق : مُجَّد محمود الشنقيطي ، ط : بدون، عام بدون ، لدار الطباعة الأميرية ، ج : ١٧ ، ص : ١٥٢-١٥٣ .

وادعى أن البيت مصنوع ..... ، والشنقيطي رحمه الله كان كثير الاستطالة ، سريعاً إلى المباهاة بعلمه وروايته، والذي قاله من ادعاء الصنعة لا يقوم ، وكفى بالبيت الذي يليه دليلاً على فساد زعمه أن الدافع لصنعه: إيجاد الشواهد المعدومة، لدعوى مجردة ، وليس في البيت ركافة ولا صنعة " (١)

هذا اعتراض شاكر على الشنقيطي في هذا البيت ، ومن تمام بيان الأمر أن تتم الإبانة عن وجه استشهاد الطبري وابن سيده بهذا البيت ، حيث تلقف المفسرون بعد ابن جرير هذا البيت للاستدلال به على أن العرب كانت تعرف (الرحمن) ، وقد تهجم ابن جرير على من وصفهم بالأغبياء الذين ينكرون معرفة العرب بالرحمن ، وأن هذه اللفظة لم تكن ضمن مفرداتهم اللغوية التي جاءت عليها لغتهم الفصيحة ؛ ومن أجل ذلك عند هؤلاء الأغبياء جاء قوله تعالى :

﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ (٢)

"إنكاراً منهم لهذا الاسم ، كأنه كان محالاً عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته" (٣)، ومن هنا استشهد ابن جرير بهذا البيت على ورود الرحمن في شعر العرب الفصيح الذي يثبت استخدامهم لكلمة الرحمن، ثم تواردت بعض كتب المفسرين على هذا البيت بعد ابن جرير تستدل به على ذلك ، ولا تنسب فيه إلا لمجهول ، ولا تشفعه بيت بعده آخر ، ومن هذه التفاسير : (التفسير البسيط) (٤) ، و (تفسير القرآن العظيم) (٥). أما ابن سيده فقد جاء البيت عنده في معرض نقله تساؤل البعض عن سبب تقدمه الرحمن على الرحيم مع أن الرحمن أبلغ ، "وإنما يُبدأ في نحو هذا بالأقل ثم يُتبع الأكثر ، كقولهم : (فلان جواد يعطي العشرات والمئتين

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري ، الحاشية رقم (٢) ، ج ١ ، ص : ١٣١ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية الكريمة رقم : ٦٠ .

(٣) جامع البيان لابن جرير الطبري ، ج ١ ، ص : ١٣١ .

(٤) لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من عمادة البحث العلمي بتنسيقه ، ط ١ ، عام : ١٤٣٠ هـ ، لمطابع الجامعة ، ج : ١ ، ص : ٤٥٦ .

(٥) لإسماعيل بن كثير الدمشقي ، تقديم : يوسف المرعشلي، ط ٦ ، عام ١٩٩٣ م ، لدار المعرفة ببيروت ، ج : ١ ، ص : ٢٣ .

والألوف " <sup>(١)</sup> ، وقد استدلل بالبيت على أن الرحمن صفة لله كانت العرب تعرفها في لغتهم قبل مجيء الإسلام، وقد ناقش العلماء قبل ابن سيده هذه القضية من وجهة نظر نحوية لغوية ، مثل الزجاجي الذي قال : " وكان بعض النحويين يذهب إلى أن الرحمن معرب وليس بعربي محض ، وذكر أبو بكر بن الأنباري أن أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً كان يذهب إلى ذلك ، ولم ينعم الذهاب إلى هذا المذهب النظر ، لأن الرحمن معروف الاشتقاق والتصريف في كلام العرب ، والأعجمي لا معنى له في كلام العرب ولا تصريف ، وأنشد أهل اللغة هذا البيت وزعموا أنه جاهلي: أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِيْنَهَا ..... " <sup>(٢)</sup> .

إذن فرأي الشنقيطي ينص على أن البيت مصنوع من الذين يحبون إيجاد الشواهد المعدومة لدعاويهم المجردة فلفقوه من بيت الشنفرى الذي ذكره بروايته ، وأن الصنعة فيه ظاهرة ظهور الشمس في الضحى ، أما شاعر فلا يرى في هذا البيت صنعة وقدم له دليلاً بالبيت الذي يليه ، وقد أعياني البحث في حدود ما بين يدي من المراجع العلمية لإيجاد بيت يلي هذا البيت ، فلم أجد من ذكره إلا وتراً لا شافع له ، ثم وقعت على إيضاح من محمود عبد الرحمن الرضواني <sup>(٣)</sup> ملخصه أن الأستاذ قصد البيت التالي لهذا البيت من الأبيات التي استدلل بها ابن جرير الطبري على أن الرحمن كان في كلام العرب ولغتهم ، وهو قول الشاعر :

عَجَلْتُمْ عَلَيْنَا عَجَلْتَيْنَا عَلَيْكُمْ  
وَمَا يَشَاءُ الرَّحْمَنُ يَعْقِدُ وَيُطْلِقُ <sup>(٤)</sup>

وهو إيضاح أقرب ما يكون للصواب ، حيث إنه الدليل الأول لمحمود شاعر على أن الرحمن جاءت في لغة

(١) المخصص لابن سيده ، ج : ١٧ ، ص : ١٥٢ .

(٢) اشتقاق أسماء الله ، لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي ، تحقيق : عبد المحسن المبارك ، ط ٢ ، عام : ١٩٨٦ م ، لمؤسسة الرسالة ببيروت ، ص : ٤٢ .

(٣) ينظر لشيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود مُجَّد شاعر ، لمحمود الرضواني ، ص : ٤٢٧ .

(٤) نسب ابن جرير هذا البيت لسلامة بن جندل السعدي ، وهو في ديوانه ، صنعة : مُجَّد الأحول ، تحقيق فخرالدين قباوة ، ص ١٨٢ ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، و سلامة شاعر جاهلي اسمه : سلامة بن جندل بن عبد الرحمن بن عبد عمرو بن الحارث ، أبو مالك ، من أشهر فرسان العرب ، وأحد وصاف الخيل المشهورين ، وأخوه أحمد شاعر فارس مشهور ، وقد عد ابن سلام الجمحي سلامة من شعراء الطبقة السابعة ، كان يخشى الهرم ، وينعي الشباب ويرثيه ، وهو يشعر بديب الموت لكنه كان يسلي نفسه بالغزو ومصاحبة السلاح ... " ينظر لترجمته في موسوعة شعراء العصر الجاهلي ، لعبد عون الروضان ، ص : ١٤٧ .

العرب وأن فصيح العربية قد اشتمل عليها ، وعليه فإن ( الرحمن ) وإن كانت لفظة إسلامية فإنها واردة في شعر العرب وورودها بنفس دلالتها الإسلامية يبطل ادعاء الشنقيطي بأن البيت مصنوع لاشتمالها عليه . وبالإضافة إلى حساسية صنعة ونحل ووضع الشعر الجاهلي عند محمود شاعر ، فيبدو أن ما أثاره على الشنقيطي ودفع به إلى الاعتراض أن القول بصنعة هذا البيت ووضعه ؛ أنه يسقط وجه استدلال ابن جرير الطبري به على أن العرب كانت تعرف الرحمن وكان في لغتهم ، ومحمود متعصب جداً لرأي الإمام الطبري في ذلك ، بل واعتبره رداً مفحماً على من يقول بذلك من كتاب عصره ومن يسوق له في المحاضرات والمؤلفات ، يقول شاعر بعد أن قال ابن جرير بغباء من ينكر معرفة العرب للرحمن ويجحد وروده في لغتهم :

"لا يزال أهل الغباء في عصرنا يكتبونه ، ويتبجحون بذكره في محاضراتهم وكتبهم، نقلاً عن الذين يتبعون ما سقط من الأقوال، وهم الأعاجم الذين يؤلفون فيما لا يحسنون باسم الاستشراق ، ورد الطبري مفحماً لمن كان له عن الجهل والخطأ رده تنهاه عن المكابرة"<sup>(١)</sup>.

أما الدليل الثاني لمحمود شاعر على أن الرحمن كانت مما يستخدمه العرب في لغتهم ؛ فقد تفرد به مستنداً على رواية لابن سلام الجمحي في كتابه الطبقات ، والعجيب أن هذه الرواية لا تنطق بأي شيء يخص هذه المسألة بعينها لا من قريب ولا من بعيد ، ومضمونها أن ابن سلام الجمحي في طبقاته حين ترجم لسلامة بن جندل قائل البيت موطن الاعتراض قال في نسبه : (سلامة بن جندل بن عبد الرحمن)<sup>(٢)</sup>

ثم قال الأستاذ محمد شاعر رحمه الله:

" ..... فإن صحت رواية ابن سلام ، فهي دليل آخر قوي على فساد دعوى الشنقيطي " .<sup>(٣)</sup>

ووجه استشهاد شاعر ورود الرحمن في تسمية جد سلامة بن جندل ، وعلى هذا فإن صحت رواية ابن سلام في نسب سلامة هذا فإن الرحمن ليست فقط مستخدمة في كلام العرب ، بل وكانت مما يسمى به الأعلام والأشخاص ، وهذا مما يقوي القول بأن الرحمن دارجة في لغة العرب ومعروفة لديها ، على أن شاعر احتاط في استدلاله هذا لنفسه وربط صحة استدلاله بصحة رواية ابن سلام ، واعترف بأن غير ابن سلام الجمحي ينسبه

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري ، ج : ١ ، ص : ١٣١ ، الحاشية رقم (١) .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ج : ١ ، ص : ١٥٥ .

(٣) السابق ، نفس الجزء والصفحة الحاشية رقم (٤) .

إلى ابن عبد بدون إضافة الرحمن إليها ، ولعله كان يقصد في ذلك بعضاً من المراجع التي جاء فيها نسب الشاعر على أنه (سلامة بن جندل بن عبد عمرو) ومنها :

- جُمِّل من أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّادُري .<sup>(١)</sup>
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، للحسن بن بشر الأمدى.<sup>(٢)</sup>
- جمهرة أنساب العرب ، لعلي بن أحمد بن سعيد بن الظاهري .<sup>(٣)</sup>
- منتهى الطلب في أشعار العرب ، لمحمد بن المبارك بن مُجَدِّ بن ميمون البغدادي .<sup>(٤)</sup>
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي .<sup>(٥)</sup>

وعليه فإن الاستدلال برواية ابن سلام الجمحي وحدها بورود عبد الرحمن في نسب الشاعر قد لا يكون قوياً كقوة الاستدلال بورود الرحمن في فصيح الكلام ؛ لأنه معلق من شاكر نفسه بصحة رواية ابن سلام الجمحي . وقد يكون من الجيد في هذه المسألة استدعاء القصة المشهورة في صلح الحديبية ، حينما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ﷺ بكتابة شروط الصلح بين المسلمين والمشركين ، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قد استبشر خيراً بمجيء سهيل بن عمرو<sup>(٦)</sup> ، فقال النبي ﷺ :

" «لَقَدْ سَهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» ... فجاء سهيل بن عمرو فقال : هَاتِ أَكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا ، فدعا النبي

(١) تحقيق ، سهيل زكار ، رياض الزركلي ، ط ١ ، عام : ١٩٩٦ م ، لدار الفكر ببيروت ، ج : ١٢ ، ص : ٣٤٨ .

(٢) ص : ٤٣ .

(٣) تحقيق عبد السلام هارون ، ج ١ ، ص : ٢١٧ ، ط ٥ ، عام بدون ، لدار المعارف بالقاهرة .

(٤) ج ١ ، ص : ١٤٢ .

(٥) ج ٤ ، ص : ٢٧ .

(٦) " سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ... ، وأمه حبي بنت قيس بن ضبيس من خزاعة وخرج سهيل ابن عمرو من مكة إلى حنين مع النبي ﷺ وهو على شركه فأسلم بالجعرانة وأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ من غنائم حنين مائة من الإبل وقد روى سهيل عن النبي ﷺ أحاديث ، .... قال أبو سعد بن أبي فضالة الأنصاري : اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو إلى الشام ليالي أغزانا أبو بكر الصديق فسمعت سهيلاً يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير من عمله عمره في أهله» قال سهيل : فأنا أرباط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة أبداً فمات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة ويكنى سهيل أبا يزيد " ، ينظر للطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٥ ، ص : ٤٥٣ وما بعدها .

ﷺ الكاتب ، فقال النبي ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قال سهيل: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ أَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتُ تَكْتُبُ ، فقال المسلمون: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقال النبي ﷺ : أَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، ثم قال: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فقال سهيل: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فقال النبي ﷺ : وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي، أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .....<sup>(١)</sup> .

وغاية الأمر أن البيت الذي استدل به ابن جرير ونسبه لمجهول (موطن اعتراض شاكر) وبيت سلامة ابن جندل، هما في حقيقة الأمر دليلان ينهضان برأي ابن جرير وإقرار محمود شاكر رحمهم الله جميعاً ، ولو لم يكن بين يدينا إلا هذا الحديث لكان كافياً في الاستدلال على عدم معرفة العرب بالرحمن وعدم استخدامهم له في لغتهم في حال تم التغاضي عن بعض ما فيه من الإشارات والإيحاءات ، وبيان ذلك أن سهيل بن عمرو جحد أن يكون له معرفة بالرحمن ، وظاهر الأمر أن سهيل بن عمرو يخص لفظة الرحمن فقط ، إذ لو لم يقتض ظاهر الأمر ذلك لقال : أَمَّا الرَّحْمَنُ والرحيم ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُمَا ..... ، ولكنه حين طلب استبدال بسملة الرسول ﷺ استبدلها بقوله : باسمك اللهم ، فلو كان الأمر مختصاً بالرحمن دون غيرها لقال : باسمك اللهم الرحيم بحذف لفظة الرحمن فقط لو كانت وحدها موضع جهله وإنكاره ؛ وعليه فإن استبداله للبسملة باسمك اللهم ليس مأمه لفظة الرحمن ، وليس سببه عدم استخدام العرب لها في كلامهم ، بل هو محمول على ما عرف به المشركون من إنكارهم وعدم رغبتهم في الاعتراف والإقرار بما جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ حتى ولو كان الأمر متعلقاً بصياغة كتاب للصلح ، فلم يكن من سهيل بن عمرو إلا مراعاة أدق ما يمكن مراعاته لإبرام بنود الصلح بين قريش وبين رسول الله ﷺ ، ورفضه لأن يكتب (مُحَمَّدُ رسول الله ) دليل على تلك الأهمية التي كان سهيل يوليها للغة بنود الصلح ومراعاته لأدق تفاصيلها ، فقبول سهيل بكتابة بسم الله الرحمن والرحيم وكتابة مُحَمَّدُ رسول الله ﷺ في رقاع الصلح يحسم أمر إقرارهم بما بعث به النبي ﷺ ، ولو كان من قريش إقرار بذلك لما عقد صلح الحديبية من أصله ، وبهذا يكون حكم ابن جرير وإقرار شاكر غير مدفوعين بنص هذا الحديث .

أما ادعاء الشنقيطي الصنعة في البيت فإن إدعاء تلفيقه من بيتي الشنفرى لورود كلمة الرحمن فيه إدعاء لا يقوم عليه دليل ، ولو كان الأمر كذلك لوجب التسليم لادعاءات مرجليوث وبعده طه حسين ومشاركتهم الشك

(١) صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص : ٩٧٤ .

في الشعر الجاهلي ، كونه جاهلي الاسم اسلامي الألفاظ ، ودفع هذا الأمر وبيانه قد أسهب فيه العلماء وشغل فيه الأساتذة ، ولا سيما الأستاذ محمود شاعر رحمه الله ، وهذا الأمر تحديداً هو مما أثار محمود شاعر على الشنقيطي ، وما دفعه للتهجم عليه .

ومن النماذج التي كثرت فيها اعتراضات محمود شاعر الأدبية اعتراضاته على نسبة بيت لقائل معين ، وقد كان أغلب ورود هذا النوع من الاعتراض عنده في كتبه التي قام بتحقيقها ، فقد اعترض الأستاذ على ابن سلام الجمحي في نسبته لعدد من الأبيات في طبقات فحول الشعراء ، ومنها هذا البيت :

أَكْثَرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمْ وَأَطْوِي عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحَ الْمُبَرَّدَ

فقد نسبته ابن سلام الجمحي <sup>(١)</sup> إلى قيس بن الخطيم <sup>(٢)</sup> ، وهذه النسبة لم يرضها محمود شاعر فاعتراض عليها بقوله :

"هذا البيت لم يرو في ديوانه ، وهو ثابت في شعر حسان ... يتمدح ببره بالفقير والجار في زمن الجذب والشتاء فهو يشركهم مع عياله في زادهم ويجوع هو ، فلا يطوي بطنه إلا على الماء الخالص مع شدة برده زمن الشتاء" <sup>(٣)</sup>.

وعليه فإن الذي دفع شاكراً للاعتراض على نسبة هذا البيت لقيس بن الخطيم عدم وروده في ديوانه من ناحية ،

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) قيس بن الخطيم واسمه ثابت بن عبيد بن عمرو بن سواد بن ظفر وهو كعب بن الخزرج بن عمرو ... وقيس يكنى أبا يزيد ، والخطيم فيما ذكر ابن الكلبي في الألقاب قال: إِنَّمَا سُمِّيَ عَبْدًا بن عبد العزى بن محسن بن عقيدة بن وهب بن الحارث بن جشم بن لؤي بن غالب الخطيم: لَأَنَّهُ ضَرَبَ عَلَى أَنْفِهِ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وكان مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، أحمر الشفتين ، براق الشنايا ، حسن الصورة، شاعر مجيد فحل ومن الناس من يفضلوه على حسان شعراً وقال حسان: إنا إذا نافرنا العرب فأردنا أن نخرج الحبرات من شعرنا أتينا بشعر قيس بن الخطيم ، وقَدِمَ قيس على النبي ﷺ بمكة فعرض عليه الإسلام فقال: إني لأعدم أن الذي تأمرني به خير مما تأمرني به نفسي وفيها بقية من ذاك فأذهب فأستمع من النساء والخمر وتقدم بلدنا فأتبعك ، فقتل قبل أن يتبعه ﷺ ، ينظر لترجمته في معجم الشعراء للمزباني ، ص : ٣٢١ ، وينظر للمبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ، لعثمان بن جني الموصلي ، قراءة وتعليق : مروان العطية ، شيخ الزايد ، ط ١ ، عام ١٩٨٨ م ، لدار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق ، ص : ٩٣ .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ج ١ ، ص : ٢٣٠ ، الحاشية رقم : ٢ .



وثبته في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ، والحق أن بعضاً من كتب التراث قد تواترت على نسبة البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، ومن بين هذه الكتب :

- جمهرة أشعار العرب ، محمد بن أبي الخطاب القرشي .<sup>(١)</sup>
- الأنساب ، لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري .<sup>(٢)</sup>
- الكامل في التاريخ ، لعز الدين بن الأثير .<sup>(٣)</sup>

ولم أجد غير ابن سلام الجمحي نسبته لقيس بن الخطيم في حدود بحثي واطلاعي وفيما وقع بين يدي من مراجع .

أما على مستوى الدواوين الشعرية فالبيت مثبت في ديوان كل من الشعاعين ، فديوان قيس بن الخطيم ورد فيه هذا البيت من قصيدة مطلعها :

تَرْوِّحُ مِنَ الْحُسْنَاءِ أُمُّ أَنْتَ مُعْتَدِي  
وَكَيْفَ انْطِلَاقُ عَاشِقٍ لَمْ يُزَوِّدِ<sup>(٤)</sup>

أما ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه فقد ورد فيه البيت في ثنايا خبر يزيد من حظوظ نسبة البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، وملخص الخبر أن رجلاً من بني الحرث بن الخزرج لقي رجلاً من الأوس خارجاً من عند ظفر له ، وكان مع الخزرجي قوس رمى به الأوسي فقتله .

فلما بلغ قوم الأوسي نبأ مقتل صاحبهم يَبْتَو من قتل صاحبهم فقتلوه بداره ، وكان من عادة العرب ألا يقتل الرجل في داره ، فلما علمت الخزرج مقتل صاحبهم في داره اتهموا الأوس بقتله فهبوا إليهم ، فالتقى الفريقان فدارت بينهم معركة استمرت أربعة أيام ، حتى نالت كل قبيلة من أختها ، فقال قيس بن الخطيم هذه القصيدة التي أولها :

تَرْوِّحُ مِنَ الْحُسْنَاءِ أُمُّ أَنْتَ مُعْتَدِي  
وَكَيْفَ انْطِلَاقُ عَاشِقٍ لَمْ يُزَوِّدِ

ولم يرد البيت في هذه القصيدة ، فرد عليه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقصيدة منها هذا البيت وهي قوله :

(١) تحقيق : علي محمد البجاوي، ط بدون ، عام بدون ، لدار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ص : ٤٩٣ .

(٢) تحقيق ، إحسان النص ، ط ٤ ، عام : ٢٠٠٦ م ، لدار عُمان للطباعة والنشر ، ج ٢ ، ص : ٥٦٦ .

(٣) ج ١ ، ص : ٥٨٩ .

(٤) ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب ، ط ١ ، عام : ١٩٦٢ م ، لمطبعة العاني ببغداد ،

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْحَيِّ يَأْشَعْتُ مَا نَبَا  
لِسَانِي وَسَيَفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا  
وَأَنْ أَكُذَا مَالٍ قَلِيلٍ أَجْدُ بِهِ  
فَلَا الْمَالُ يُنْسِينِي حَيَائِي وَلَا  
أَكْثَرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمْ  
وَأَطْوِي عَلَى الْمَاءِ الْقِرَاحَ الْمُبَرَّدَ<sup>(١)</sup>  
وَعَلَيَّ لِسَانِي فِي الْخُطُوبِ وَلَا يَدَيَّ  
وَيَبْلُغُ، مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ، مِدْودِي  
وَأِنْ يُهْتَصِرَ عُودِي عَلَى الْجُهْدِ يُحْمَدِ  
وَأَفْعَاتُ الدَّهْرِ يَفْلُلْنَ مِنْ رَدِي

فالبيت هنا واقع بعد إخوانه وفي موضعه الذي يزيد من الإيمان برأي شاعر وقبلة علماء التراث في نسبته لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، ويضاف تناسقه إلى نسبة أهل العلم البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، أما موضع البيت في قصيدة قيس ابن الخطيم ، فهو مسبوق بقوله :

تَحَمَّلْتُ مَا كَانَتْ مُزِينَةٌ تَشْتَكِي  
أَرَى كَثْرَةَ الْمَعْرُوفِ يُورِثُ أَهْلَهُ  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُفْضِلْ وَلَمْ يَلْقَ نَجْدَةً  
وَإِنِّي لِأَعْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ  
أَكْثَرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمْ  
مِنْ الظُّلَمِ فِي الْأَخْلَافِ حِمْلَ التَّغْمُدِ  
وَسُودَ عَصْرِ السُّوءِ غَيْرَ الْمُسَوِّدِ  
مَعَ الْقَوْمِ فَلْيَقْعُدْ بِصُغْرِ وَيَبْعُدِ  
يَرَى النَّاسَ ضَلَالًا وَلَيْسَ بِمُهْتَدِي  
وَأَطْوِي عَلَى الْمَاءِ الْقِرَاحَ الْمُبَرَّدِ

وقد لا يلاحظ تناسبه مع ما سبقه من الأبيات كتناسبه مع ما سبقه من أبيات حسان بن ثابت رضي الله عنه ، على أن القصيدتين فيهما أبيات مشتركة غير هذا البيت ما بين القصيدتين ، الأمر الذي يزيد من صعوبة القطع بنسبة البيت على وجه الجزم لأي من الشعارين .

ومن اعتراضات محمود شاعر رحمه الله في نسبة الأبيات اعتراضه أيضاً على ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء ، وذلك أن ابن سلام الجمحي نسب هذا البيت للفرزدق :

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ  
وَأَلَا فَإِنِّي لَا أَحَالُكَ نَاجِيَاً

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ص : ٧٨ - ٨٣ .

أما محمود شاکر فيقول بعد نسبة ابن سلام هذه :

"لا أعرف هذا البيت للفرزدق وليس في ديوانه ، وإنما هو للأسود بن سريع التميمي <sup>(١)</sup> ، صحابي وكان شاعراً محسناً ، وذكره ابن قتيبة في المعارف .. .... وقال سرقة الفرزدق ..... " <sup>(٢)</sup> .

وذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين ولم ينسبه لأحد <sup>(٣)</sup> ، ونسبه صاحب الطبقات الكبرى لعسّس بن سلامة <sup>(٤)</sup> ، حيث كان عسّس " جالسا عند قبر فقال: إني قاتل بيت شعر ، فقبل له : يا أبا صفرة أتقول الشعر عند القبر؟ وقال: إني لقائله:  
فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ..... " <sup>(٥)</sup> .

وذكره الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في باب (الفصّاص الأيّناء) ، ونسبه للأسود بن سريع التميمي <sup>(٦)</sup> ،

(١) الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن نزال بن مرة ، من بني مرة بن عُبَيْد، السَّعْدِيّ، التَّمِيمِيّ، ويكنى أبو عبد الله، غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ غَزَوَاتٍ ، وَكَانَ شَاعِرًا وَقَاصًّا ، قَتَّ أَيَّامَ الْجَمَلِ سَنَةَ ٢٤ هـ ، يَنْظُرُ لَتَرْجُمَتِهِ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ ، لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْبَخَارِيِّ ، طُبِعَ تَحْتَ مِرَاقِبَةٍ : مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمَعِيدِ خَانَ، لدائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد ، ج ١، ص : ٤٤٥ .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ج : ١، ص : ١٨٢ ، الحاشية رقم (٣) .

(٣) العين للخليل بن أحمد ، ج : ٢، ص : ٩٢ .

(٤) " عسّس بن سلامة البَصْرِيّ التَّمِيمِيّ ، صحابي جليل ، رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، وَالْأَزْرَقُ بْنُ قَيْسٍ الْحَارِثِيُّ . يَقُولُونَ حَدِيثَهُ مُرْسَلًا ، وَإِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَنِيَّتُهُ أَبُو صَفْرَةَ وَيُقَالُ أَبُو صَفِيرَةَ . مِنْ حَدِيثِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَسَّسَ بْنَ سَلَامَةَ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَى الْجَبَلَ لِيَتَعَبَّدَ فَفَقَدَ فَطَلَبَ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : إني نذرت أن أعتزل فأُتَعَبَّدَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَفْعَلْهُ أَوْ لَا يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَلَصَبْرٌ أَحَدَكُمْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فِي بَعْضِ مَوَاطِنِ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَتِهِ خَالِيًا أَرْبَعِينَ عَامًا " ، يَنْظُرُ لَتَرْجُمَتِهِ فِي الْإِسْتِيعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ ، لِيُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ بْنِ عَاصِمِ النَّمَرِيِّ الْقُرْطُبِيِّ ، تَحْقِيقٌ : عَلِيِّ مُحَمَّدٍ الْبَجَاوِيِّ ، ج : ٣ ، ص : ١٢٣٩ ، ط ١ ، عام ١٩٩٢ م ، لِدَارِ الْجِيلِ بِيْرُوتَ ، وَيَنْظُرُ أَيْضًا لَكِتَابِ الثَّقَاتِ ، مُحَمَّدُ بْنُ حَبَانَ ، طُبِعَ تَحْتَ مِرَاقِبَةٍ : مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمَعِيدِ خَانَ ، ط ١ ، عام ١٩٧٣ م ، لدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، ج ٥، ص : ٢٨٧ .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٧، ص : ١٥٣ .

(٦) البيان والتبيين للجاحظ ، ج ١، ص : ٣٦٧ .

ونسبه أيضاً عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري للأسود بن سريع التميمي <sup>(١)</sup> واتهم الفرزدق بسرقة من الأسود، وذكره السرقسطي في الدلائل في غريب الحديث في خبر فيه موعظة وإرشاد يقترب من رواية ابن صاحب الطبقات ، ونسبه لعسوس بن سلامة ، وملخص خبر السرقسطي أن عسوس بن سلامة كان عند أصحابه فقال لهم :

" سأحدثكم بيت من الشعر، فجعلوا ينظرون، ويقولون: ما نصنع بالشعر؟ فقال:

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ..... "

قال (الراوي) : قال: فما رأيتم بكوا من موعظة بكاءهم منه <sup>(٢)</sup>

وقد نسبه لذي الرمة إبراهيم بن مُجَدِّ البیهقي صاحب كتاب المحاسن والمساوي <sup>(٣)</sup>، وذكره أحمد بن فارس بدون نسبة <sup>(٤)</sup>، ونسبه أبو هلال العسكري للأسود بن سريع في كتابه الأوائل <sup>(٥)</sup>، وفي كتابه جمهرة الأمثال قال أن أصل هذا البيت مثل لامرأة اسمها الهيجمانه بنت عبشمس وهو قولها : " ثكلتك إن لم أكن رأيت مقروعا (فَانْجُ وَلَا إِخَالِكَ نَاجِيَا) فأرسلتها مثلاً " <sup>(٦)</sup> ، وقد نسبه للفرزدق أبو منصور الثعالبي في كتابه التمثيل والمحاضرة <sup>(٧)</sup>، وذكره ابن سيده بدون نسبة في كتابه المحكم <sup>(٨)</sup>، ولم ينسبه الزمخشري في أساس البلاغة لأحد <sup>(٩)</sup>،

(١) المعارف ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط ٢ ، عام : ١٩٩٢ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، ص : ٥٥٧ .

(٢) الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي ، تحقيق: مُجَدِّ بن عبد الله القناص ، ط ١ ، عام : ٢٠٠١ م ، مكتبة العبيكان بالرياض ، ج ٢ ، ص : ٤٤٤ .

(٣) المحاسن والمساوي لإبراهيم بن مُجَدِّ البیهقي، بدون ، عام بدون ، لدار صادر بيروت ، ص ٣٥٤ .

(٤) مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ج: ٤ ، ص : ٣٥٥ .

(٥) الأوائل ، لأبي هلال العسكري، ط ١ ، عام : ١٤٠٨ هـ ، لدار البشير بطنطا ، ص : ٣٧٠ .

(٦) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، ج ١ ، ص : ٢٧٦ .

(٧) التمثيل والمحاضرة ، لعبد الملك بن مُجَدِّ بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، تحقيق: عبد الفتاح مُجَدِّ الحلوي، ط ٢ ، عام ١٩٨١ م ، للدر العربية للكتاب، ص : ٦٩ .

(٨) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، ج ٢ ، ص : ٧٠ .

(٩) أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشري ، ج ١ ، ص : ٦٦٥ .

أما في كتابه المستقصى في أمثال العرب فقد نسب له لعس بن سلامة<sup>(١)</sup> ، وفي كتابه ربيع الأبرار أورد هذا البيت في باب الموت وما يتصل به ، وجاء به في خبر قال فيه :

".....دفنا صالحاً لنا فمددنا على القبر ثوبا، فجاء صلة بن أشيم العدوي<sup>(٢)</sup> فرفع الثوب ونادى: يا فلان :  
إِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ....."<sup>(٣)</sup>

فلا يعلم من صياغة هذا الخبر أن صلة هذا هو الذي قال البيت ، أو أنه استشهد به واستحضره على نحو ما يفعله الوعاظ من سرد الأبيات دون نسبة ، ولم أجد لصلة بن أشيم في حدود بحثي وإطلاعي وفيما وقع بين يدي من المراجع شعراً يروى عنه ، فلعل البيت الذي أورده الزمخشري في هذا الخبر جاء على لسان صلة كشاهد استدعاه .

وقد نسب أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي هذا البيت في معجم الأدباء إلى الفرزدق<sup>(٤)</sup> ، وتبع

- 
- (١) المستقصى في أمثال العرب ، لجار الله الزمخشري ، ج ١، ص : ٣٨٥ .
- (٢) صلة بن أشيم العدوي ، مختلف فيه هل هو صحابي أم تابعي ، وله حديث رواه عن النبي ﷺ فعن صلة بن أشيم، أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " من صلى صلاة لا يذكر فيها شيئاً من أمر الدنيا، لم يسأل الله شيئاً من أمر إلا أعطاه " وبعضهم يقول بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر صلة فقال، فيما روى يزيد بن جابر، قال: بلغنا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " يكون في أمي رجل، يقال له: صلة، يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا .... ، ويكنى أبو الصهباء من عباد أهل البصرة وزهادهم روى عنه أهلها قتل سنة خمس وسبعين بكابل في أول ولاية الحجاج بن يوسف وقد قيل إن أبا الصهباء قتل في ولاية يزيد بن معاوية ، قال عنه ابن سعد في الطبقات : " صلة بن أشيم العدوي من بني عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويكنى أبا الصهباء، وكان ثقة، له فضل وورع " ، وقال عنه الذهبي : " ما علمته روى سوى حديث واحد عن ابن عباس ، ينظر في ترجمته للطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٧، ص : ١٣٤ ، وينظر لأسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير ، تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، ، ط ١، عام ١٩٩٤ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت ، ج ٣، ص : ٣٥ ، وينظر للمقتنى في سرد الكنى ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق ، محمد صالح عبد العزيز المراد ، ط ١، عام : ١٤٠٨ هـ ، للمجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، ج ١، ص : ٣٢١ ، وينظر لسير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ج ٤، ص : ٤٧٨ .

(٣) ربيع الأبرار لجار الله الزمخشري ، ج ٥، ص : ١٣٣ .

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ج ٦، ص : ٢٧٨٧ .

ياقوت ابن سلام في نسبه البيت للفزدق ، بل ولم يثبت إلا على لسان ابن سلام الجمحي .  
ونقل سبط الجوزي خبر الزمخشري في ربيع الأبرار وجاء بالبيت في خبر صلة بن أشيم العدوي <sup>(١)</sup> ، ونسبه  
المستعصي للفزدق <sup>(٢)</sup> ، ولم ينسبه ابن منظور لأحد <sup>(٣)</sup> ، ونسبه للفزدق صاحب نهاية الأرب في فنون  
الأدب <sup>(٤)</sup> ، ونسبه لعسكس بن سلامة صاحب الإصابة في تمييز الصحابة <sup>(٥)</sup> ، ولم ينسبه مرتضى الزبيدي في تاج  
العروس لأحد متابعاً في ذلك ابن منظور <sup>(٦)</sup> .

وبذلك يعلم أن من نسب هذا البيت للفزدق غير ابن سلام الجمحي ، ابن قتيبة (يقول سرقه الفزدق) ، وأبو  
منصور الثعالبي ، وياقوت الحموي ، والمستعصي .

أما من قال إنه للأسود بن سريع التميمي قبل محمود شاعر فأولهم الجاحظ ، وابن قتيبة ، وأبو هلال  
العسكري .

أما من نسبته لعسكس بن سلامة فأولهم ابن سعد ، وبعده السرقسطي ، ثم جاز الله الزمخشري ، وابن حجر  
العسقلاني .

أما من جاء بخبر صلة بن أشيم فجاء الله الزمخشري ، ثم سبط الجوزي .  
ولم ينسبه لذي الرمة إلا إبراهيم بن محمد البيهقي .

أما من نسبته لمجهول فأولهم الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وبعده ابن منظور ، ثم مرتضى الزبيدي .  
أما على مستوى الدواوين الشعرية فمن الطبيعي جداً وبحسب الخلاف المذكور بعضه آنفاً في نسبة هذا البيت  
أن تتم نسبته في ديوان من نسب إليه ، فالبيت مثبت في ديوان ذي الرمة <sup>(٧)</sup> ، ولكن لم أجده في ديوان

- 
- (١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، ليوسف بن قزأوغلي المعروف بسبط الجوزي ، ج ٩ ، ص : ١٧٩ .
  - (٢) الدر الفريد وبيت القصيد ، لمحمد بن أيدير المستعصي ، ج ٧ ، ص : ٣٨٧ .
  - (٣) لسان العرب لابن منظور ، ج ٤ ، ص : ٣٠٠٥ .
  - (٤) نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تحقيق : مفيد قمحية ، ط ١ ، عام  
٢٠٠٤ م ، لدار الكتب العلمية بيروت ، ج ٣ ، ص : ٧٠ .
  - (٥) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، ج ٧ ، ص : ١٦٩ .
  - (٦) تاج العروس ، ج ١٧ ، ص : ٤٨٨ .
  - (٧) ديوان ذي الرمة ، ص : ٢٩٢ .

الفرزدق كما قاله الأستاذ محمود شاکر ، أما الأسود بن سریع التميمي فلم أجد له ديواناً وإنما كانت نسبته إليه عند شاکر بحسب من قال بذلك من العلماء الأنف ذكرهم .

وحتى ديوان ذي الرمة الذي وجد فيه هذا البيت فقد وجد فرداً لا شافع له ، الأمر الذي يصعب القطع بنسبة البيت لأحد من نسبه العلماء إليه ، ويبدو أن شاکراً قد ذهب إلى نسبة الجاحظ وابن قتيبة ثقة منه في تقصيهما ودقتهما ، وليس له دليل إلا هذه الثقة منه بهما ، ولو وجد بين يديه دليلاً غير ذلك لم يتردد مطلقاً في الإبانة عنه ، شأنه في ذلك شأن اعتراضاته وتعليقاته التي غالباً ما تشكل ضعفي المتن في الصفحة الواحدة من كتاب طبقات فحول الشعراء .

وقد لا يكون الاعتراض عند محمود شاکر مبنياً على وجه القطع والجزم ، فهناك اعتراضات عنده مبنية على الظن لم يقطع برأيه الصريح فيها كغيرها ، ولا يعني بناء تلك الاعتراضات على الشك والظن أنها عبثية ليس لها أساس تنطلق منه ، فشكك شاکر مثلاً في نسبة هذا البيت لغير أبي سفيان بن الحارث<sup>(١)</sup> :

أَبُوكَ أَبُو سَوٍّ وَحَالِكَ مِثْلُهُ وَهَلْ تُشَبِّهَنَّ إِلَّا أَبَاكَ وَحَالِكَ

كان مبعثه كلام ابن سلام في نسبة هذا البيت ، مقرونة بترجمة لشاعر اطلع عليها في معجم الشعراء لياقوت الحموي ، وبيان ذلك أن ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء قال في البيت السابق وبعده قوله :

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ لَا تَلُومَهُ عَلَى اللَّؤْمِ مَنْ أَلْفَى أَبَاهُ كَذَلِكَ

"ويروى الناس لأبي سفيان بن الحارث يقول لحسان : وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ ..... فأخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مَطْعُون الجمحي قَالَهَا ونَحْلَهَا أَبَا سَفْيَانَ ، وقريش ترويه في أشعارها تُريدُ بذلك الْأَنْصَارَ وَالرَّدَّ عَلَى حَسَّان" (٢).

أما محمود شاکر رحمه الله فلم يطمئن لنسبة الناس الذين ذكرهم ابن سلام الجمحي البيت لأبي سفيان ابن

---

(١) اسمه " المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبو سفيان، وقيل: أبو عبد الملك، أسلم عام الفتح ، ثبت مع

رسول الله ﷺ يوم حنين ، شهد هو وابنه حنينا ، توفي سنة عشرين ، أمه: غزية بنت قيس بن طريف بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعه بن الحارث بن فهر، لقي رسول الله ﷺ في الطريق في مخرجه إلى الفتح، فأسلم ومدحه " ، ينظر معرفة الصحابة ، لأحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي ، ط ١ ، عام : ١٩٩٨ م ، لدار الوطن للنشر بالرياض ج ٥ ، ص : ٢٥٨٥ .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ج ١ ، ص : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

الحارث ، ولم يرق له أيضاً تصويب ياقوت الحموي لهذه النسبة بناء على عدم اطمئنانه لهذه النسبة ، فقال معقباً على ذلك :

"في معجم الشعراء ... في ترجمة فرات بن حيان <sup>(١)</sup> البيت الأول ومعه بيت منسوبان لفرات ، وصحح نسبتها إلى أبي سفيان بن الحارث ، والبيت الثاني هو :

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى  
وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَلِكَ  
وأظن أن هذا البيت لغير أبي سفيان ، وانظر زيادات ديوان حسان .... نقلا عن ديوان المعاني .... منسوبين إلى حسان " <sup>(٢)</sup> .

وبالعودة إلى رأي ابن سلام يلاحظ بأنه لا يميل إلى نسبة الأبيات لأبي سفيان بن الحارث ، وإن لم يصرح بذلك صراحة ، وهناك أدلة من كلامه تدل على هذا الأمر :

أولها : أنه نسب هذه النسبة للناس ، وكلمة الناس تدل على عموم غير موثوق به في المفهوم المعرفي ، ففي هؤلاء الناس الذين ذكرهم ابن سلام بهذه النسبة أناس غير مختصين بأمور الشعر وغير معينين بنقده كعناية علماء الشعر به ، وهذا الجنس من الناس لا يهتم بنسبة البيت لصاحبه بقدر ما يهتم بالاستشهاد ، وعليه فإن دوران نسبة هذا البيت لأبي سفيان على ألسنتهم لا يعتد به كثيراً ، كما يعتد برأي العلماء الذين ذكرهم في استنباطه الثاني والمتضمن نحل هذه الأبيات على لسان أبي سفيان .

---

(١) " فرات بن حيان العجلي وهو فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب بن حية بن ربيعة بن سعد ابن عجل ، حليف بني سهم ، كان دليلاً هادياً للطرق ، بعث رسول الله ﷺ سرية لزيد بن حارثة في مائة راكب ليعترضوا لغير قريش ، وكان دليلهم فرات بن حيان ، فأصابوا العير ، وأسرُوا فراتاً ، فأُتي به رسول الله ﷺ أسيراً ، فقال : أسلمت لرب العالمين ، فأطلقه ولم يقتله ، فلم يزل يغزو مع رسول الله ﷺ إلى أن قبض فتحول ، فنزل الكوفة وابتنى بها داراً في بني عجل ، وعقبه بها ، وقد كان حليفاً لبني سهم ، وكان عينا لأبي سفيان بن حرب ، فأمر النبي ﷺ عليه وسلم بقتله ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وَقَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات ابن حيان ، ينظر لترجمته في معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني ، ج ٤ ، ص : ٢٢٩٣ ، و ينظر لترجمته أيضاً في تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الكلبي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط ١ ، عام : ١٩٨٠ م ، المؤسسة الرسالة ببيروت ، ج ٢٣ ، ص : ٤٧ .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ج ١ ، ص : ٢٥٠ ، الحاشية رقم : (١) .



ثانياً : يزيد من حظوظ القول بميل ابن سلام لتبثئة أبي سفيان من هذه النسبة ، وصفه لمن قال بأنها منحولة عليه بـ (أهل العلم من أهل المدينة) ، فهم علماء أهل اختصاص ودراية ليسوا كالناس الذي نسبوا البيت لأبي سفيان ، فهم الأحق بأخذ رأيهم بحكم اختصاصهم ومنزلتهم العلمية ، ويزيد من حظوتهم لديه أنهم من أهل المدينة المنورة وهو الموطن الذي قيلت فيه الأبيات وموطن حسان بن ثابت رضي الله عنه المهجو بهذه الأبيات ، وموطن الشخص الذي قام بنحلها حسان وهو بحسب رأي ابن سلام (قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي)<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن هذا الأثر الخفي من عدم ميل ابن سلام الجمحي لهذه النسبة تسربت إلى نفس محمود شاعر ، فاستدعى كلاماً لياقوت الحموي في معجم الشعراء قال فيه شاعر بأن ياقوت الحموي صحح نسبة البيت الأول ومعه بيت آخر لأبي سفيان بن الحارث وذلك في ترجمة ياقوت الحموي لقدامة بن موسى الجمحي ، واعترض محمود شاعر بطريق الظن الراجح لديه على تصحيح ياقوت النسبة لأبي سفيان بن الحارث ، ولم ينسبها شاعر لأحد ولم يقل بنحلها على أحد ، ولكنه أحال إلى ديوان حسان بن ثابت نقلاً عن ديوان المعاني<sup>(٢)</sup> الذي نسب البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، واكتفى بهذه الإحالة دون إبانة عن تأييد منه أو اعتراض على نسبتها لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، ولكن عدم اعتراضه عليها دليل على الأقل بقبوله الأدنى لها ، ولا بد من التنويه على أن كلام شاعر وظنه منحصر في البيت الأول المشهور : أَبُوكَ أَبُو سَوْءٍ ..... ، حيث قام بوضع إشارة مرجعية في نهاية هذا البيت ، ثم كان ما كان منه الاعتراض المبني على الظن .

أما كلام ياقوت الحموي الذي دفعه الظن للاعتراض عليه ، فقد جاء في معجم الشعراء أثناء ترجمة ياقوت لفرات بن حيان العجلي ، ونص كلام ياقوت في ذلك :

" فرات بن حيان. كان دليل قريش في الجاهلية وهو ممن هجا رسول الله ﷺ ثم مدحه فقبل مديحه. وله يقول حسان بن ثابت:

(١) قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي ، وأمه نفيعة بنت عبد الله بن عقيل بن أبي طالب راوية للحديث، من الثقات، من أهل مكة ، كان إمام المسجد النبوي ، روى عن ابن عمر وروى عنه عبد العزيز بن محمد ووكيع وعثمان بن عمر ، ينظر لترجمته في الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي، ط١، عام : ١٩٥٢م ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت ، ج:٧، ص : ١٢٨ .

(٢) ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري ، ج١، ص : ١٨٢ .

فَإِنْ نَلَقَ فِي تَطَوُّفِنَا وَالتَّمَاثِيلِ  
فُرَاتَ بَنٍ حَيَّانٍ يَكُنْ وَهْنٌ هَالِكِ

فأجابه فرات ويقال هي لأبي سفيان بن الحارث:

أَبُوكَ أَبُو سَوْءٍ وَحَالُكَ مِثْلُهُ  
وَهْلٌ تُشَبِّهُنْ إِلَّا أَبَاكَ وَحَالُكَ

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَمُخْطِئِي وَمَا دَرَى  
وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَلِكَ<sup>(١)</sup>

وكما هو ملاحظ فليس في كلام ياقوت الحموي تصحيح نسبة البيت لأبي سفيان بن الحارث كما فهمه الأستاذ محمود شاعر رحمه الله ، فياقوت الحموي نسب البيت لفرات بن حيان بشكل صريح ، ثم جاء بلغة تمريض حين قال بنسبتها لأبي سفيان بن الحارث ، فقال : (ويقال هي لأبي سفيان بن الحارث) ، وهي ذاتها لغة التمريض والارتباب التي عابها شاعر على ابن كثير في روايته المتضمنة بأن راهباً اجتمع بأبي العلاء في بعض الصوامع وأواه عنده في الليل وشككه في دينه ، والتي تمت الإشارة إليها سابقاً في هذا البحث في قصة تعليم أبي العلاء المعري .<sup>(٢)</sup>

وعليه فإن اعتراض شاعر المبني على الظن قائم على وهم منه في تصحيح ياقوت الحموي نسبة هذه الأبيات لأبي سفيان بن الحارث ، ومنطلقه الرئيس تبرئة أبي سفيان بن الحارث من نسبة هذه الأبيات له . أما ظن شاعر الذي دفع به إلى هذا الاعتراض فقد يبدو أنه من قبيل الظن الراجح الذي هو دون مرتبة اليقين ، والذي يعده علماء المنطق إحدى الطرق التي تقود إلى المعرفة وتساعد الإنسان للوصول إليها<sup>(٣)</sup> ، وهو ظن يقارب اليقين حتى لا يكاد تخطر على البال نسبة هذا البيت لأبي سفيان بن الحارث .

أما العلماء بعد ابن سلام رحمه الله فلم يتفقوا على نسبة هذين البيتين لأحد ، فالبلاذري في جملته ينسبها لأبي سفيان بن الحارث<sup>(٤)</sup> ، وياقوت الحموي كما سبق ذكره آنفاً ينسبها لفرات بن حيان ، والحاتمي يكتفي بنقل كلام ابن سلام ويكتفي بنسبته لها<sup>(٥)</sup> ، وأبو هلال العسكري ينسبها لحسان بن ثابت رضي الله عنه في كتابيه جمهرة

(١) معجم الشعراء ، لياقوت الحموي ، ص : ٣١٧ .

(٢) ينظر لصفحة : ٢٨١ من هذا البحث وما بعدها .

(٣) ضوابط المعرفة لعبد الرحمن بن حبنكة الميداني ، ص : ١٢٥ .

(٤) جمل من أنساب الأشراف ، لأحمد البلاذري ، ج: ٤ ، ص : ٢٩٦ .

(٥) حلية المحاضرة للحاتمي ، ج ٢ ، ص : ٣٨ .

الأمثال<sup>(١)</sup> وديوان المعاني<sup>(٢)</sup> ، وينسبها لحسان بن ثابت رضي الله عنه أيضاً شهاب الدين النويري<sup>(٣)</sup> .

ولابد من الإشارة إلى أن هذا البيت موطن اعتراض محمود شاكر رحمه الله مثبت في ديوان الشاعر عامر ابن الطفيل<sup>(٤)</sup> ، الذي رواه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري<sup>(٥)</sup> ، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب<sup>(٦)</sup> ، وقد ورد البيت ثالثاً لبيتين قال أبو بكر الأنباري أنه قالها في هجاء رجل لم يذكره الطفيل ، والأبيات بحسب رواية ابن الأنباري ساكنة القافية ، وهي قوله :

وَأَنْتَ لِسَوْدَاءِ الْمَعَاصِمِ جَعْدَةٌ  
وَأَقْعَسَ مِنْ نَسْلِ الْإِمَاءِ الْعَوَارِكُ

- (١) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، ج ٢ ، ص : ٢٤٤ .
- (٢) ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري ، ج ١ ، ص : ١٨٢ .
- (٣) نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين النويري ، ج ٣ ، ص : ٢٧٨ .
- (٤) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، شاعر جاهلي وفارس فناك وسيد من سادات بني جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن ، قاد عامر بن الطفيل قومه في عدد من المعارك ، منها يوم فيف الرياح ، والرقيم ، وذو نجب ، اشتهر بفروسيته ، أدرك الإسلام شيخاً فوفد على رسول الله وهو في المدينة بعد فتح مكة ، يريد الغدر به ، فلم يجرؤ عليه ، فدعاه إلى الإسلام فاشتراط أن يجعل له نصف ثمار المدينة وأن يجعله ولي الأمر من بعده ، فرده ، فعاد حانقاً ، ينظر في ترجمته في موسوعة شعراء العصر الجاهلي ، ص : ١٨٣ ومابعدا .
- (٥) أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري ، المقرئ النحوي ، ولد سنة ٢٧٢هـ ، كان صادقاً حافظاً ذا دين ، قال أبو علي القالي : كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل : ثلاث مائة ألف بيت شاهد في القرآن ، وقال عنه أبو علي التنوخي : كان ابن الأنباري يملئ من حفظه ، ما أملئ من دفتر قط ، كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظاً للغة ، له كتب : (الوقف والابتداء) ، وكتاب (المشكل) ، و (غريب الغريب النبوي) ، و (شرح المفضليات) ، و (شرح وغيرها ، مات ٣٢٨ هـ ببغداد عن سبع وخمسين سنة ، ينظر لترجمته في سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ ، ص : ٢٧٤ .
- (٦) أحمد بن يحيى النحوي بن يزيد ، مولى بني شيبان ، المعروف بثعلب . فاق من تقدم من الكوفيين وأهل عصره منهم ، وكان قد ناظر أصحاب الفراء وساوهم ، ولد عام ٢٩١هـ ، نظر أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في النحو وله ثمان عشرة سنة ، وصنّف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان ثقةً صدوقاً حافظاً للغة عالماً بالمعاني ، وكان يدرس كتب الفراء وكتب الكسائي درساً ، ولم يكن يعلم مذهب البصريين ، ولا مستخرجاً للقياس ولا مطالباً له . وكان يقول : قال الفراء ، وقال الكسائي ، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة في ذلك لم يغرق في النظر ، توفي عام ٢٩١هـ ، ينظر لترجمته في طبقات النحويين واللغويين ، محمد بن الحسن الإشبيلي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، عام بدون ، لدار المعارف بمصر ، ص : ١٤١ .

تَبِيعَ لِقَوْمٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ صَمِيمِهِمْ

وَلَكِنَّهُ مِنْ نَسْلِ آخَرَ هَالِكٍ

أَبُوكَ أَبُو سَوْءٍ وَحَالُكَ مِثْلُهُ

وَهَلْ تُشَبِّهَنُ إِلَّا أَبَاكَ وَحَالُكَ<sup>(١)</sup>

والحق أن رواية ابن الأنباري هذه وقبلها رأي ابن سلام الجمحي الأنف الذَّكَرُ في نحل الأبيات ، يصل بظن محمود شاكر إلى ما يشبه اليقين في عدم نسبة هذه الأبيات لأبي سفيان بن الحارث ، فابن سلام الجمحي وابن الأنباري هما من هما في التقصي والتدقيق والعلم باللغة والشعر ، ونسبة ابن الأنباري هذه أكد في ترجيح ظن الأستاذ شاكر رحمه الله ؛ لأنه عني بشرح ديوان عامر بن الطفيل ، ولو انتهى إليه نسبة هذه الأبيات لغير عامر ابن الطفيل لم يتردد مطلقاً في الإبانة عن ذلك ، فهو ثقة وصاحب حفظ ودراية باللغة والشعر .

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل، ط بدون ، عام ١٩٧٩م ، دار صادر بيروت ، ص : ٨٧ وما بعدها.

### المبحث الثالث : النقض :

النقض هو واحد من أهم المواقف الاستنباطية عند الأستاذ محمود شاکر رحمه الله ، وهو يختلف عن الاعتراض من حيث التناول والمعالجة ، فالاعتراض عند الأستاذ كما سبق يتركز على قضايا عامة أقرب ما تكون إلى الرأي الانطباعي والاستنباط الشخصي لا تعتمد على أدلة ، ولذلك لا يكون في الاعتراض عند شاکر نقض للأدلة لعدم وجودها ، وإنما يكون منه اعتراض يقابل به الرأي الآخر مبني على أساس تذوقي ، وقوامه ثقافة واسعة ودربة مثقفة .

أما النقض عند شاکر فهو ذلك الموقف الاستنباطي الذي يعتمد إلى حجة الرأي الآخر وأدلتها ، فيقوم بنقضها وإفساد أدلتها وطمس ملامح وجوه الاستشهاد بها ، وإثبات تناقضها من باطنها ، و ربما هدمها عن طريق إثبات تعارض وصدام بينها وبين آراء أخرى لنفس الشخص ، معتمداً في ذلك كله على قدرة فائقة واطلاع واسع وتقص دقيق لمحيط القضية التي يريد نقض رأي عالم فيها ، ولا يشترك النقض مع الاعتراض إلا في عدم التسليم للرأي الآخر ، والاعتماد على الذوق والدربة والثقافة الواسعة .

ومن النماذج التي نقض فيها الأستاذ شاکر آراء العلماء نقضه للعديد من آراء القاضي التنوخي<sup>(١)</sup> في نسب المتنبي ، حيث قام الأستاذ بتفعيل منهجه التذوقي وباستدعاء أفعه الثقافي في النظر في تلك الروايات ومعالجتها بحسب الافتراضات العلمية التي افترضها في قراءته للمتنبي ، وقد نقل ابن العديم في كتابه (بغية الطلب في تاريخ حلب ) هذه الروايات التي نقض فيها الأستاذ محمود شاکر رحمه الله آراء القاضي التنوخي في نسب المتنبي ، ورأى الأستاذ شاکر أن التنوخي جاهل في آرائه هذه " بأساليب الوضع المتقنة التي جرى عليها شيوخ الوضّاعين وأحكموا أمرها حتى خفيت على الحفي البصير من العلماء والأدباء "<sup>(٢)</sup> .

ولا بد من نقل روايات القاضي التنوخي في هذا الموضوع ، قبل تناول محمود شاکر لها وقيامه بنقضها ، وهي

---

(١) القاضي : أبو علي المحسن بن علي بن مُحمَّد بن داود بن الفهم التنوخي ، ولد عام ٣٢٧هـ أو ٣٢٩هـ ، على خلاف في ذلك ، وأبوه هو القاضي علي بن مُحمَّد التنوخي، من أبرز أدباء ووجهاء عصره ، نزل ببغداد وأقام بها ، وحدث إلى حين وفاته وكان سماعه صحيحاً، وكان أدبياً شاعراً أخبارياً ، ولي لقضاء بعدة نواحٍ، وحكى عن نفسه أنه في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كان متولي القضاء بواسط ، قال عنه الثعالبي : " هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل بمجد أبيه وفضله، والفرع المسند لأصله، والنائب عنه في حياته، والقائم مقامه ، بعد وفاته " ، توفي عام : ٣٨٤هـ .

(٢) المتنبي لمحمود شاکر ، ص : ١٤٧ .

بحسب ترتيبها في كتاب ابن العديم :

الرواية الأولى : عن القاضي التنوخي ، عن أبي الحسن مُجَدِّد بن يحيى الزبيدي العلوي<sup>(١)</sup> ، قال : " كان المتنبي وهو صبي ينزل في جوارى بالكوفة ، وكان يعرف أبوه بعيان السقاء ، يستقي لنا ولأهل المحلة " <sup>(٢)</sup>

الرواية الثانية : قال التنوخي عن أبي الحسن العلوي : كان عيدان والد المتنبي يذكر أنه جعفي ، وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا أشك فيها ، وكانت جارتنا ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات " <sup>(٣)</sup>.

الرواية الثالثة : " قال التنوخي : قال أبي : فاتفق مجيء المتنبي بعد سنين إلى الأهواز منصرفاً من فارس.....وسألت المتنبي عن نسبه ، فما اعترف لي به ، وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوي البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي أنتسب إليها ، وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني " <sup>(٤)</sup>

الرواية الرابعة : " قال التنوخي عن أبيه : واجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أبي الحسن بن أم شيان الهاشمي الكوفي <sup>(٥)</sup> وجرى ذكر المتنبي فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى عيدان ، يستقي على بعير له ، وكان جعفياً صحيح النسب " <sup>(٦)</sup>.

---

(١) لم أجد له ترجمة غير مذكوره عنه الأستاذ محمود شاكر رحمه الله من اسمه وخبر له في كتابه المتنبي : ص : ١٣٨ ،

الحاشية رقم (٣) .

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ، لكمال الدين بن العديم ، تحقيق : سهيل زكار ، ج٣ ، ص : ٦٤٢ ، ط بدون ، عام بدون ، لدار الفكر .

(٣) السابق ، ص : ٦٤٣ .

(٤) السابق ، نفسه .

(٥) "مُجَدِّد بن صالح بن علي بن يحيى بن عبد الله بن مُجَدِّد بن عبيد الله بن عيسى بن موسى بن مُجَدِّد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو الحارث الهاشمي يعرف بابن أم شيان وهو أخو القاضي أبي الحسن مُجَدِّد بن صالح ، وكان الأصغر .... درس فقه مالك .... خرج عن بغداد إلى خراسان ، فحدث بها .... ورد .... نيسابور ، وأقام بها مدة يتكلم على مذهب مالك ، ثم دخل بخارى فقلد قضاء نسا سنة ٣٥٥ هـ ، وتوفي ببخارى سنة ٣٦٠ هـ ، ينظر لترجمته في تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص : ٣٣٧ .

(٦) بغية الطلب في تاريخ حلب ، لابن العديم : ج١٣ ، ص : ٦٤٣ .

افتتح شاعر هذه الروايات مجتمعة القسم الذي عقده في كتابه المتنبي تحت عنوان (المتنبي أخبار نسبه ونقدها)<sup>(١)</sup>، وانطلق في نقد هذه الروايات من افتراض أن المتنبي قد ابتلي في حياته وبعد موته بكم هائل من عداوة الشعراء والنقاد وبغضائهم لم يكن لها مثيل لغيره من الشعراء ، الأمر الذي جعل الألسن تزل والأقلام تخطئ في رصد تاريخ الشاعر المتنبي ؛ إذ إن هذه البلية أسهمت وبشكل فاعل في تدوين ادعاءات وتزييف حقائق ولا سيما في نسب المتنبي ، كانت تهدف إلى الغض من منزلته والتقليل من شأنه والخط من مكانته .

جعل شاعر هذا الأمر بين عينيه قبل أن يياشر نقض روايات التنوخي التي تتصادم مع افتراضه ، الأمر الذي ألزمه بنقض كل رواية منها على حدة ، متخذاً من الشك المنهجي مبرراً علمياً ومنهجياً لإعادة النظر في هذه الروايات ، فانطلق من افتراضه وشكه المنهجي إلى هذه الروايات فنقضها واحداً تلو الآخر ، ولعل أكثر ما يجعل بين هذه الروايات ترابطاً أنها مروية عن شخص واحد ، وهو القاضي المحسن بن علي التنوخي ؛ ولذلك رأى شاعر قبل نقض هذه الروايات من داخلها أن يبدأ بهذا الرابط المنتظم لهذه الروايات بناء على افتراضه العام الأولي والمتضمن كثرة العداوات التي واجهت المتنبي ، فبدأ بترجمة للقاضي التنوخي ذكر فيها بأنه تقلد القضاء عام تسعة وأربعين وثلاث مائة وألف للهجرة النبوية المشرفة ، وكان من أصحاب الوزير أبي محمد المهلب<sup>(٢)</sup> ، وكان المتنبي حين دخل بغداد في طريقه إلى عضد الدولة بشيراز قد نأى بنفسه عن مدح الوزير المهلب ، فأغرى به

(١) ينظر لقضية نسب المتنبي عند محمود شاعر في كتابه المتنبي ، ص : ١٤٣ - ١٦٥ .

(٢) وهو أبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الله وزير معز الدولة ابن بويه ، تولى وزارته لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله ، كان له مع ارتفاع القدر ، واتساع الصدر وعلو الهمة وقبض الكف ما هو مشهور عنه، وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الفاقة حتى أنه سافر مرة مجرداً مع رفيق له واشتبهى اللحم فلم يقدر عليه فقال له يذكر فيها سوء حاله وفاقته، فلما سمع رفيقه الأبيات راح فباع أحد قميصيه واشترى بدرهم لحماً وطبخه وأحضره إليه فأكل وشكره ، ثم تنقلت بالمهلب الأحوال والأيام حتى ولي الوزارة لمعز الدولة ببغداد وضاق الحال برفيقه الذي اشترى له اللحم وسمع به فقصده ودخل عليه وهو جالس في دست الوزارة فأنشد عليه إليه أبياتاً يذكره فيها بفاقته وبالأبيات التي قالها فيها ، فأمر له في الحال بسبعمئة درهم ووقع في رقعته : «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» ، توفي سنة ٣٥٠ هـ تقريباً ، ينظر لترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ، وينظر إنباء الأمراء بأنباء الوزراء ، لمحمد بن علي بن خمارويه ، تحقيق : مهنا حمد المهنا ، ص : ٥٥ ، ط ١ ، عام ١٩٩٨ م ، لدار البشائر الإسلامية ببيروت ، ج ٢ ، ص : ١٢٤ .

الشعراء وغير الشعراء ، ورأى شاكر أن هذه الصحبة التي كانت بين الوزير المهلي المتنفذ في أمور الدولة وبين القاضي التنوخي كفيفة لأن تتسبب في أن يناصر القاضي المتنبي العدا ، وهذا الاستنباط يصلح لأن يكون حكماً عاماً على بطلان هذه الروايات ؛ كونها إدعاءات مبنية على محاباة القاضي لوزير الدولة ، وأنها روايات مفبركة كاذبة تقصد النيل من المتنبي ، الذي لم يكن منه إلا الترفع عن مدح الوزير المهلي ، والذي كان القاضي التنوخي أحد أصدقائه المقربين وندمائه المخصوصين ، ولذلك لم يتردد الأستاذ مطلقاً في وصف روايات التنوخي بالكذب والتلفيق .

ثم عمد شاكر بعد هذا الحكم العام إلى الروايات نفسها محاولاً نقضها من بنائها الداخلي لإثبات كذبها وتلفيقها على نسب المتنبي ، محاولاً استدعاء كل ما يمكنه استدعاءه لنقض الرواية من داخلها ، فابتدأ بأدبيات النسيج الاجتماعي الذي تتصف به الشخصية العربية والإسلامية ، فهي شخصية مبنية على توقير واحترام الصغير للكبير والتلطف عند الحديث إليه ، ومن بين ذلك عدم الجرأة على طرح أسئلة لا يراعى فيها فارق السن مما يوجب احترام الكبير وتوقيره ، فذكر شاكر أن التنوخي -حين سأل المتنبي عن نسبه فما اعترف له به -كان شاباً في السابعة والعشرين من عمره ، وكان المتنبي قد تيف على الخمسين سنة ؛ لأنه لقيه بالأهواز منصرفاً من فارس من عند عضد الدولة قبيل وفاته عام أربعة وخمسين وثلاث مائة للهجرة ، فكيف يُظن أن التنوخي يسأل المتنبي عن قضية نسبه وبينهما من السن أكثر من خمسة وعشرين عاماً ؟ ثم كيف له أن يسأله عن ذلك والمتنبي معروف بتعاليه وترفعه حتى عن الوزراء والخلفاء ؟

ثم انتقل شاكر إلى إجابة المتنبي عن سؤال التنوخي عن نسبه لنقضه أيضاً من خلال مقارنة هذه الإجابة بما عرف عن شخصية المتنبي ، وأولها أن المتنبي لم يكن يطوي البلاد وحده أي منفرداً ، ولعل نقض الأستاذ هنا لهذه المقولة تحديداً غير كاف في إمكانية نقضها ، فمسير ركب مع المتنبي حين يطوي البلاد لا يغني عنه شيء في مواجهة قبيلة تريد النيل منه ، فبماذا يواجه الركب القبيلة ؟ فلربما كان ما جاء في هذا الخبر على لسان المتنبي أنه يطوي البلاد وحده ، مبنياً على أساس تهوين وتحقير العدد الذي كان يرافقه في سفره بإزاء القبيلة التي تريد النيل منه حتى كأنه وحيداً ليس معه أحد ، والدليل على عدم معنى الفردية المطلقة من قوله وحيداً موجود في بغية الطلب في تاريخ حلب نفسه ، الذي نقل سؤال التنوخي للمتنبي ونقل تعليل المتنبي لعدم إظهار نسبه كونه يقطع البلاد وحيداً ، فقد ذكر ابن العديم أن المتنبي حين فرّ من مصر وصار إلى الكوفة ، قصد ابن



العميد <sup>(١)</sup> فمدحه ونال وصله ، وطلب منه ابن العميد أن يمضي إلى عضد الدولة <sup>(٢)</sup> فمضى إليه فمدحه ووصله، وفارقه على أن يأتي بعياله ويحيي بهم إليه ، وسار المتنبي حتى وصل إلى النعمانية فوجد أثراً لخليل يترصد له فرسانها ، فصادفته فطعنوه طعنة ثم احتزوا رأسه ، وأخذوا ماكان معه من المال ، ثم يقول ابن العديم: "كان مذهبه أن يحمل ماله معه أين توجه، وقتل ابنه معه وغلّام من جملة خمسة غلّمة كانوا معه" <sup>(٣)</sup>.

فهذا الرواية صريحة في عدم قطع المتنبي للبلاد وحيداً بدون رفقة أحد ، ولو تم تجاهل ذلك والتغاضي عنه ، فكيف يأمن المتنبي على نفسه أن يكون وحيداً ومعه أمواله التي يحملها دائماً معه ؟

(١) أبو الفضل مُحمَّد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن مُحمَّد الكاتب، المعروف بابن العميد ، والعميد لقب والده ، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم ، وكان فيه فضل وأدب وله ترسل ، وتولى وزارته عقيب موت وزيره أبي علي ابن القمي، وذلك في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه، وكان يسمى الجاحظ الثاني، وكان كامل الرئاسة جليل المقدار، من بعض أتباعه الصاحب ابن عباد - المقدم ذكره - ولأجل صحبته قيل له الصاحب، وكان له في الرسائل اليد البيضاء ، قال الثعالبي في كتاب " اليتيمة " : كان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد ، توفي عام ٣٥٩هـ ، وفي وفاته خلاف بين أصحاب التراجم ، ينظر لترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ٥، ص : ١٠٣ ، وينظر أيضاً لتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي ، ج ٨، ص : ١٣٩ .

(٢) عضد الدولة لقبه السلطاني ، واسمه " فنا خسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه " ، كان ملكاً على بلاد شيراز وما حولها من الأطراف ولد بأصفهان ، فتح قرمان وعمان ، هزم الترك في واسط ، وظفر بالعراق بعد استيلائه على بغداد ، غزا جرجان وطبرستان ، عرف برعايته للعلماء و احسانه على الفقراء ، وفد عليه كثير من الشعراء منهم ابن بابك و أبو الطيب المتنبي . كان عضد الدولة ملكاً فطنا و ذا تدبير. من تدابير في جمع الخلافة و الملك أنه أمر بأن يقع بينه وبين أبو بكر عبد الكريم الطائع بالله الخليفة العباسية وصلة بابنته الكبرى، فعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مائة ألف دينار وبنى الأمر فيه على أن يرزق ولداً ذكرها منها فيوَلَّى العهد وتصير الخلافة في بيت بني بويه ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية ، قال عنه سبط ابن العمري : "أول من خطب بالشاهنشاه في الإسلام" ، توفي سنة ٣٧٢هـ ، ينظر لترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ٤ ، ص : ٥٠ ، وينظر أيضاً لكنوز الذهب في تاريخ حلب ، لأحمد بن إبراهيم بن مُحمَّد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر سبط ابن العمري، ط بدون ، عام بدون ، لدار القلم بحلب . ج ٢، ص ٧١ .

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، ج ٢، ص : ٦٨١ .

ولكن شاكراً أجهز على هذه الرواية بنقضه الثاني فيها ، وذلك بعد أن استدعى ما عُرف عن شخصية المتنبي وسيرته ، فقد ذكر أن المتنبي لم يتردد في خروجه وحيداً غير محروس يوم قتل مع أنه موعود بالقتل ، وقد أرصد له قاتلوه بل وتحقق هو بنفسه من ذلك ، فكيف يصح أن ينسب إلى المتنبي مع شجاعته هذه مقولة " أنا رجل أخطب القبائل وأطوي البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي أنتسب إليها ، وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني " .

ومع إصرار شاعر على نقض كلام روايات التنوخي ابتداء بالشك فيه أولاً كشخص كونه نديم الوزير المهلب عدو المتنبي ، ونقضه الرواية من بنائها الداخلي ثانياً ، فقد لجأ إلى مقابلة كل رواية من روايات التنوخي ببعضها البعض ليثبت تعارضاً بين ما أدلت به كل رواية من شهادة ، وكأن كل رواية من روايات التنوخي كفيلة بأن تنقض بنفسها أختها دون حاجة لنقضها من داخلها ، ولاشك بأن إثبات التعارض بين روايتين لشخص واحد لموضوع واحد كفيل بنقض الروايتين معاً ، ثم إن تمكين ذلك وتقريره في ذهن المتلقي يلقي بظلاله على باقي الروايات الأخرى ، فلا يجد عندها المتلقي بدءاً من الشك في كافة الروايات المتصلة بذات الموضوع ، بل وربما يتسرب الشك إلى مواطن أخرى منفصلة عنه ، ولذلك عمد شاعر إلى مقابلة الروايتين الثالثة والرابعة ببعضهما البعض ، فوجد أن الخبر الرابع من أخبار التنوخي مشتمل على قوله عن المتنبي (كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى عيدان يسقي على بعير له) ، وقابل هذا بقوله في الرواية الثالثة (متى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي أنتسب إليها ، وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني) ، واستنبط من هذه المقابلة ما يثبت تعارضاً فادحاً بين الروايتين ، أدت إلى نقض كل واحدة منهما الأخرى ، وذلك أن المتنبي ولد عيدان السقاء الذي سقطت عليه ساقطة المهن (السقاية) ، من ذا الذي يريد عنده ثأراً وينشد منه طائلة ؟ وقد صدق الأستاذ شاعر رحمه الله ، فالسقاء وما شاكله من أرباب المهن ليس مطعماً في ثارات العرب وأيامهم ، وليس يبعد أن العرب في ثاراتهم كانت تفاخر بقتل السادة ومن في حكمهم من كبار القوم ، ولا يفاخرون غالباً بأخذ طائلتهم ممن يقوم على خدمة أكابرهم وسادتهم كالسقاء ، ومن ذلك قول ابن الزبير يفاخر في قتل قريش سادة المسلمين وكبرائهم في يوم أحد :

فَقَتَلْنَا النَّصَفَ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا مِثْلَ بَدْرِ فَأَعْتَدَلُ<sup>(١)</sup>

(١) ديوان شعر عبد الله بن الزبير ، ص ٤٢ .

ثم يدلف شاكر بعد ذلك إلى شخصية المتنبي نفسها ، تلك الشخصية المتعالية المترفعة عن الوزراء والأمراء ، والتي هي مثبتة في شعره وفي الأخبار التي رويت عنه ، فيتساءل محمود شاكر :

" وهلاً أدرك هذا المترفع المتعالي على الملوك والأمراء - عنيت المتنبي - بنسبه رجلاً آخر غير هذا السقاء - الذي هو - أبوه فوقف علي بنسبته ، ما كان يضير هذا الرجل لو أنه كان قد سئل عن نسبه كما يوهم التنوخي أن يرتفع بنسبه شيئاً إلى رجل من الناس غير منكور ولا محقر ؟ <sup>(١)</sup>"

والحق أن محمود شاكر أعمل في نقض روايات التنوخي عقله وحاجج به حججاً منطقياً ، ومن ذلك هذه المقطوعة الآتية الذكر والتي يريد منها الإجهاز التام على الادعاء القائل أن أبا المتنبي كان سقياً ، وإثبات أن هذا الادعاء داخل تحت نطاق بختان العداوات وأراجيف الحساد والمبغضين ، وعند تدقيق النظر فيما قاله شاكر هنا يلاحظ بأن المتنبي في روايات التنوخي هذه - وبحسب فهم الأستاذ - قد رضي لنفسه أن ينتسب إلى من وصفه بالمحقر ولا شك أنه يقصد من ذلك السقاء ؛ لأن هذه المهنة اختيرت بعناية للغض من شأنه وتحقيره والخط من منزلته المتعالية ، الأمر الذي دفع شاكر ليتساءل : لماذا لم يرتفع المتنبي بنسبه إلى رجل غير منكور وغير محقر بما يتناسب مع شخصيته المتعالية المترفعة حتى عن الوزراء والأمراء ؟

والذي أثبتته شاكر من روايات التنوخي الأربع الآتية الذكر ليس فيها إلا أن المتنبي لم يعترف للتنوخي بنسبه ، فلم يقر المتنبي بنسبه لما هو أدنى من السقاء ولما هو أعلى منه ، بل لم يعترف له بنسبه لتحقيق غايته وهدفه من عدم الانتساب لأحد حتى لا يؤخذ بطائلة غيره ، وعليه فليس من المتنبي إقرار أصلاً بنسبه في هذه الروايات للسقاء ولا لغيره حتى يستساغ أن يتساءل الأستاذ محمود شاكر : (ما كان يضير هذا الرجل لو أنه كان قد سئل عن نسبه كما يوهم التنوخي أن يرتفع بنسبه شيئاً إلى رجل من الناس غير منكور ولا محقر ؟).

ثم يطالب شاكر التنوخي رحمه الله تعالى أن يقيم الدليل القاطع بأن المتنبي جعفي النسب ، والدليل الذي طلبه شاكر لإثبات أن المتنبي جعفي النسب ، ذلك النسب المتصل المعروف غير المنكر ، واعتبر الأستاذ أن إثبات ذلك أمر لا بد من حتى يتم التسليم بأن المتنبي جعفياً ، واعتبر شاكر أن إقامة دليل على ذلك باستحداث نسبة للمتنبي مما يتعذر ؛ لأن الرواة قد اختلفوا في جد المتنبي الأدنى والذي بعده ، فكيف - مع وجود هذا الاختلاف - يتم الاتفاق على نسب متصل للمتنبي معروف غير منكر ؟ .

---

(١) المتنبي لمحمود شاكر ، ص : ١٤٨ .

على الرغم من أن قدراً لا بأس به من كتب التراجم والطبقات ، تقول في نسب المتنبي بعيدان السقاء وبعجفية النسب تأثراً بروايات التنوخي في ذلك على أغلب الظن ، ومنها ماهو سابق عن ابن العديم ومنها ماهو متأخر عنه ، الأمر الذي يزيد من عبء نقض ما اشتملت عليه هذه الكتب مما لا يراه شاكر في السقاية وجعفية النسب ، لا سيما وأن الغالب منها لم تعتمد في نسبة المتنبي على رواية التنوخي تحديداً ، إذ لو اعتمدت عليه لأحالت إليه ، ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر :

١- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، نسب المتنبي عنده : " أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي " (١).

٢- الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا ، نسب المتنبي عنده : " أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر، كان أبوه يعرف بعيدان السقاء " (٢) .

٣- الأنساب ، لعبد الكريم بن مُجَدِّد بن منصور التميمي السمعاني المروزي ، نسب المتنبي عنده " أبو الطيب أحمد بن الحسين ابن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الشاعر، المعروف بالمتنبي " (٣).

٤- تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، ونسب المتنبي عنده : " أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي " (٤).

٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لكمال الدين الأنباري ، نسب المتنبي عنده : " أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي " (٥).

وما جاء في هذه الكتب سابق لابن العديم الذي أثبت روايات التنوخي والذي حدده شاكر قبل تجريحه في روايات التنوخي ، أما ما جاء بعده من كتب فهي أيضاً على سبيل التمثيل لا الحصر :

(١) تحقيق : بشار عواد معروف، ط١، عام ٢٠٠٢م ، لدار الغرب الإسلامي ببيروت ، ج٥، ص : ١٦٤ .

(٢) ج٦، ص : ٩٩ ، ط١، عام ١٩٩٠م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .

(٣) تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، الناشر : دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد ، الفارق الحديثة للطباعة والنشر ، ج١٢، ص : ٧٧ .

(٤) ج٧١، ص : ٧٦ .

(٥) ص : ٢١٩ .

- (١) وفيات الأعيان لابن خلكان ، نسب المتنبي عنده : "أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور، وقيل: هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار" <sup>(١)</sup>.
- (٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، جمال الدين بن منظور ، نسب المتنبي عنده : " أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي" <sup>(٢)</sup>
- (٣) مجمع الآداب في معجم الألقاب ، لابن الفوطي الشيباني ، ونسب المتنبي عنده : "المتنبي أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد بن عبدان الكندي الكوفي" <sup>(٣)</sup>
- (٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين الذهبي ، نسب المتنبي عنده: "أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي المتنبي" <sup>(٤)</sup>
- (٥) سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، نسب المتنبي عنده في هذا الكتاب : "أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي" <sup>(٥)</sup>
- (٦) الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين الصفدي ، نسب المتنبي عنده : "أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الكوفي" <sup>(٦)</sup>
- (٧) لسان الميزان ، أحمد بن حجر العسقلاني ، نسب المتنبي عنده : أحمد" بن الحسين بن الحسن الجعفي الكندي" <sup>(٧)</sup>
- (٨) نزهة الألباب في الألقاب ، لابن حجر العسقلاني ، ونسب المتنبي عنده في هذا الكتاب : " أحمد بن الحسين الجعفي" <sup>(٨)</sup>

- 
- (١) ج١، ص : ١٢٠ .
- (٢) تحقيق : روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، مُجَّد مطيع، ط١، عام ١٩٨٤ م ، لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق ، ج٣، ص : ٤٨ .
- (٣) تحقيق : مُجَّد الكاظم، ط١، عام ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الطباعة بوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ببيروت ، ج٤، ص : ٣٤٥ .
- (٤) ج٨، ص : ١٤ .
- (٥) ج١٢، ص : ٢٥٥ .
- (٦) ج٦، ص : ٢٠٨ .
- (٧) تحقيق : دائرة المعارف النظامية بالهند، ط٢، عام ١٩٧١ م ، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر ببيروت ، ج١، ص : ١٥٩ .
- (٨) تحقيق : عبد العزيز السديري، ط١، عام ١٩٨٩ م ، مكتبة الرشد بالرياض، ج٢، ص : ١٥٢ .

وغيرها العديد من الكتب التي يبدو فيها جلياً تسرب أثر روايات التنوخي ، فنقض الأستاذ شاعر رحمه الله لروايات التنوخي في حقيقة الأمر لا يختص بهذه الرواية فقط وبكتاب ابن العديم ، بل لابد وأن يتسرب أثره لهذه الكتب وغيرها التي قضت في نسب المتنبي بما قضى به القاضي التنوخي .

وقبل أن يختم شاعر حجاجه العقلي في نسب المتنبي بعدة تساؤلات ، تحمل وراء علامات استفهامها كماً هائلاً من إنكار روايات التنوخي في نسب المتنبي فيتساءل الأستاذ رحمه الله :

ألم يكن بين العرب جميعاً من يعرف أن الرجل جعفي القبيلة غير التنوخي ومن نقل عنه التنوخي ؟  
أكان من التنوخي حرص على ألا يذيع نسب المتنبي ؟ وإذا كان فلماذا ؟

واختتم شاعر نقضه لروايات التنوخي باستدلال من شعر المتنبي نفسه ، على ما جرت به عادته في هذا الكتاب النفيس الذي أعاد فيه قراءة المتنبي من شعره ، فقد تقرر لشاعر رحمه الله الطعن في رواية التنوخي لنسق تاريخي تمخض عنه شعر للمتنبي في التنوخين أنفسهم ، وذلك أن المتنبي في أول أمره بأنطاكية واللاذقية ، وقد كان التنوخيون ينزلون بهما ، وكان بينهم وبين المتنبي مودة كان لها عظيم الأثر في مدح المتنبي لهم ورثاء أمراتهم والدفاع عنهم ، وبعد أن أقام طويلاً بينهم نشبت بين أبناء العمومة من التنوخين أنفسهم عداوة ، بعد أن جرى الخبر بأنهم يشمتون بموت بعضهم البعض ، فلجأ الشامتون إلى المتنبي يريدون منه شعراً ينفي عنهم الشماتة المنسوبة إليهم ففعل المتنبي ، وقال :

أَبْنَاءُ عَمِّ كُلِّ ذَنْبٍ لِإِمْرٍ  
إِلَّا السَّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَعْفُورٌ  
طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءٍ وَدَادِهِمْ  
وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ<sup>(١)</sup>

يقول شاعر بعد سرده لهذه الواقعة :

"وهذه العداوة التي كانت بين التنوخين مما يحجزنا عن الثقة بأقوال أحد من تنوخ : كأبي علي التنوخي ممن يذكر من أمر أبي الطيب شيئاً ، وعيلنا أن لا نطمئن إلى قوله حتى تقطعنا الحجة بأنه كانوا لا يميلون إلى هوى ، ولا يصغون أفئدتهم إلى بغضة ، فما ظنك بأبي علي التنوخي وهو قد اجتمعت الدلائل كما رأيت على وهن روايته واختلاط حديثه وبيان هواه ؟"<sup>(٢)</sup>

(١) ديوان المتنبي ، ص : ٧٤ .

(٢) المتنبي لمحمود شاعر ، ص : ١٤٩-١٥٠ .

أما الرواية التي تقول بأن والد المتنبي (عيدان السقاء) فقد نالها من شك شاكِر ورده لها ما نال غيرها ، ولكنه تنبه إلى أن أمر عيدان السقاء لم يكن حكراً على أبي علي التنوخي ، فقد كان أهم محور من محاور هجاء شعراء العراق للمتنبي محور (السقاء) الذي لم ينل والده فحسب بل ناله هو شخصياً ، ورد ذلك كله بأنه واقع في نطاق الحسد والاتهامات الباطلة التي كان يتهم بها المتنبي ، فقد كان شعراء العراق يخافون أن ينال أبو الطيب من الخطوة ما ناله في باقي الأمصار التي رحل إليها ، فيستولي وحده دونهم على ما يكون للشعراء من المدح ، فيذهب بأرزاقهم ويكسد بمدائحهم بضائعهم ، ويسحب بساط مجالس الملوك و الأمراء والوزراء من تحت أرجلهم ، فأعجلوه هجاء ، واتهموه ووالده بالسقاية نكاية ، للحط من منزلته والغض من شأنه ، كقول ابن لنكك البصري<sup>(١)</sup> :

قُولُوا لِأَهْلِ زَمَانٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ      ضَلُّوا عَنِ الرُّشْدِ مِنْ جَهْلٍ بِهِمْ وَعُمُوا  
أَعْطَيْتُمُ الْمُتَنَبِّيَ فَوْقَ مُنَيِّهِ      فَرَوَّجُوهُ بِرَغَمِ أُمَهَاتِكُمْ  
لَكِنَّ بَعْدَازَ جَادَ الْعَيْثُ سَاكِنَهَا      نَعَاهُمْ فِي قَفَا السَّقَاءِ تَزْدَجِمُ<sup>(٢)</sup>

وتوصل شاكِر بعد ذلك إلى أن "ذكر المتنبي بالسوء وزعمهم أن أباه كان سقاء من مصنوعات العراق وتجارته التي كان المهلب وزيراً لها ....."<sup>(٣)</sup> .

وتساءل لينقض رأي كل من قال أنه أو أباه سقائين :

(١) مُجَّد بن مُجَّد بن جعفر، أبو الحسين بن لنكك البصري النحوي الشاعر ، من أهل البصرة كان من النحاة الفضلاء والأدباء النبلاء ، وصفه الثعالبي بفرد البصرة وصدر أدبائها ، وقال: أكثر شعره ملح وطرف ، جليها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره ، وكان معاصراً للمتنبي وهجاءه ، توفي نحو ٣٦٠ هـ ينظر لترجمته في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام لشمس الدين الذهبي ، ج٧ ، ص : ٩١٥ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطي ، ج١ ، ص : ٢١٩ ، والأعلام للزركلي ، ج٧ ، ص : ٢٠ .

(٢) لم أجد ديوان ابن لنكك ، ووجدت هذه الأبيات منسوبة له في كتاب ( أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ) لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق : مُجَّد محيي الدين عبد الحميد ، ص ٤١ ، ط بدون ، عام بدون ، مكتبة الحسين التجارية ، وكذلك كتابه يتيمة الدهر ، ، (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) ليوسف البديعي، ط١ ، عام ١٣٠٨ هـ ، للمطبعة العامرة الشرفية ، ج١ ، ص : ١٧٨ .

(٣) المتنبي ، محمود شاكِر ص : ١٥٩ .

كيف يصح أن يتهم ووالده بالسقاية مع تعاليه وخیالاته ؟ وشواهد شعره تنطق بأنه كان لا يرى نفسه إلا متعالياً عن غيره ؟

والحق أن نسب المتنبي قضية تحدث عنها الكثير من أهل العلم في قديم الزمان وحديثه ، و لازالت حتى الآن تمثل مادة للبحث العلمي الذي يطالعنا كل مرة بجديد ، فقد مضى آنفاً رصد لبعض آراء العلماء القدامى في نسب أبي الطيب ، وغالب الظن أن ما قاله العلماء القدامى لم يكن بمعزل عن روايات أبي علي التنوخي ؛ لأنها لم تخرج في غالب الأمر على مضمون تلك الروايات مجتمعة أو فرادى .

وقضية نسب المتنبي يكتنفها غموض ليس لمثلها في قضايا المتنبي غموض مثله ، غموض في مادة المتنبي الشعرية التي لم تقطع القول بذلك وتكف عنه كل قلم تناول نسبه من عصره حتى عصرنا ، وغموض حتى في روايات العلماء أنفسهم حتى لا تكاد مع آرائهم تصل إلى حكم تطمئن إليه النفس ، وإذا كان بُعد الزمان بين المتنبي وبين من جاء بعده من النقاد والمؤرخين والنسابين ذريعة لأن يقال : بأنهم متبعون في نسبه لأثر العلماء المعاصرين والأقرب زماناً له ، فلا يُطمأن إلى ما قالوه في نسب المتنبي باعتباره نقلاً لا أكثر ، فإن قرب الزمان للعلماء بل ومعاصرة بعضهم للمتنبي لم تكن هي الأخرى كفيلة بالقطع في هذا الأمر وحسمه ، على أن هذا الأمر تحديداً كان محل نظر من محمود شاعر في مطارحاته النقدية ، فالأستاذ رحمه الله كان تطمئن نفسه إلى ترجمة الأقرب زماناً والمعاصر للمترجم له ، وكانت نفسه أشد اطمئناناً في ذلك من ترجمات كل من ابتعد زمانه عن زمان المترجم له ، ولذلك عاب على لويس عوض هذا الأمر تحديداً فبعد أن قام بسرد مؤلفي الكتب التي ترجمت لأبي العلاء المعري مرتبين بحسب زمانهم ، ومقسمين بحسب معاصرتهم لأبي العلاء المعري وتأخرهم عنه ، قال الأستاذ بعد أن اتهم لويس بأنه لم يطلع إلا على كتاب طه حسين في أبي العلاء :

" فأبي أستاذ جامعي...يستطيع أن يغفل الاطلاع على هذا كله ، ويقتصر على نقل من كتاب محدث ألف منذ أكثر من خمسين سنة ، ويتجاهل كل ما كتبه المحدثون بعد هذا الكتاب ، إلا أن يكون في دراسته ملفقاً متعجلاً طياشاً " (١) .

وبناء على ذلك قام الأستاذ بسرد العلماء الذين ترجموا لأبي العلاء بحسب زمانهم عنه ، وتوصل إلى أن العلماء الذين عاصروا أبا العلاء المعري وترجموا له لم يذكروا قصة تعليمه مع أنهم أقرب العلماء عهداً به ، وهم أبو

---

(١) أباطيل وأسمار لمحمود شاعر : ص ٢٧ .



منصور الثعالبي ، والخطيب البغدادي ، والباخرزي في دمية القصر <sup>(١)</sup> ، ولكنه تذوق محمود شاعر وشخصيته النقدية التي لا تعرف الاستقرار على قاعدة تفرز نتائج لا تطمئن إليها نفسه ، فلو ألزم الأستاذ نفسه بما ألزم به لويس عوض في ترجمة أبي العلاء المعري ، واعتمد على رواية المعاصرين للمتنبي كاعتماده على معاصري أبي العلاء ، للزمه أن يقول بكل ما قاله أبو علي التنوخي عن نسب المتنبي ، ولكنه لم يفعل إجراء منهجه التدقيقي الذي يجريه على كلام .

لقد كانت قضية نسب المتنبي شاغلة الدرس الأدبي والنقدي ولا زالت ، ولقد أتاح غموضها لمن يتناولها تناولها من وجهة نقدية برؤية خاصة ، قد يعتمد فيها على مفهوم نصوص المتنبي ويكون تأويلها دليلاً على نتائج ذلك التناول ، وقد يعتمد فيها على كلام العلماء في نسبه وتكون الموازنة بينها دليلاً على نتائج ذلك التناول ، وقد يمزج بين الأمرين ليكون المزج دليلاً على ذلك التناول ، وهذا تحديداً ما فعله محمود شاعر عند تناوله نسب المتنبي ، ومثال ذلك - مما نحن بصدد الحديث عنه هنا وأقصد روايات التنوخي - مقام به الأستاذ رحمه الله بعد نقض رواية عيدان السقاء ، باستدعاء نص للمتنبي أفرزت قراءته الخاصة له ومزجه بروايات التنوخي دليلاً آخر مادي على نقض رواية عيدان السقاء ، وذلك بعد أن استدعى قول المتنبي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا  
بِأَنِّي خَيْرُ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ  
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَذْيٍ  
وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ <sup>(٢)</sup>

واستنبط من هذه الأبيات تلك الأنفة والتعالي اللتين كانتا تسيطران على نفسه وشخصيته ، فكيف مع هذه الأنفة و مع هذا الشعور العظيم بالتعالي أن يكون المتنبي سقاءً أو ابناً لسقاء ؟  
وتساءل شاعر حينها لماذا لم ينبز أبو فراس الحمداني (عدو المتنبي) - وكان حاضراً حينما أنشد المتنبي قصيدته هذه- المتنبي بأنه سقاء أو أن أباه سقاء حتى يخرج به من طور التعظيم والتعالي ؟ ولماذا اكتفى أبو فراس من شدة غيظه من هذه القصيدة بقوله للمتنبي : (ومن أنت يادعي كندة ؟) ؟ <sup>(٣)</sup>

(١) ينظر لصفحة ٢٧٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) ديوان المتنبي ، ص : ٣٣٢.

(٣) هذا جزء من اعتراضات - إن صحت - اعترض بها أبو فراس الحمداني الشاعر على المتنبي أثناء إنشاده لهذه القصيدة في حضرة سيف الدولة ، تسببت في أن شج سيف الدولة رأس المتنبي ، ينظر للصباح المنبي في حيشة المتنبي، ليوسف البديعي ، ج ١ ، ص : ٦٧-٧١.

هذا والقطع في قضية نسب المتنبي مما يصعب القول به للغموض الذي اكتنفها ، ولكثرة الحاسدين والناقمين لأبي الطيب سواء كانوا نقاداً أو شعراء أو رواة أو مؤرخين ، ولعدم وجود دليل قاطع من شعر المتنبي نفسه يستطيع به الباحث في نسب المتنبي أن يحسم الأمر ، ولطه حسين في ذلك كلام جميل في كتابه (مع المتنبي) يحسن نقله في هذا الموضع ، يقول فيه :

"..تعود الناس أن يؤمنوا بأن المتنبي رجل عربي خالص النسب ، ينتهي من قبل أبيه إلى جعفي ومن قبل أمه إلى همدان ، وهما حيان من أحياء اليمن .... وجائز جداً أن يكون المتنبي عربياً ، وجائز أن يكون من عرب الجنوب .... ولكن الشيء الذي ليس فيه شك هو أن ديوانه لا يثبت هذا ولا يؤكد ، بل لا يسجله ولا يذكره .... أكان المتنبي يعرف أباه ؟ قال المؤرخون نعم ، ولم يقل المتنبي شيئاً ، فأنت تقرأ ديوانه .... فلا تجد فيه ذكراً لهذا الرجل .... لم يمدحه المتنبي ، ولم يفخر به ، ولم يرثه المتنبي ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات "(١).

وليس شاعر وحده من اشتغل حين قرأ المتنبي بقضية نسبه ، فهو مسبق بكتاب أستاذه طه حسين (مع المتنبي ) ، وهذا الكتاب هو الذي قضى على ما تبقى من ود بين شاعر وأستاذه طه حسين ، حيث يدعي شاعر أن كتاب أستاذه ليس إلا سطواً ملفعاً على كتابه الذي صدر بعد كتاب شاعر بسنة تقريباً أو أقل (٢)، ورأى طه حسين في نسب المتنبي أن مولد المتنبي "كان شاذاً وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ ، وتأثر به في سيرته كلها، ولم يستطع أن يلائم بين نفسه الشاذة وبين البيئة الكوفية التي كان يراد له أن يعيش فيها " (٣).

ومع أن آراء شاعر في كتابه المتنبي الذي جاء بعد كتاب أستاذه قد نال رضا واستحسان كثير من أهل العلم والأدباء والنقاد في زمانه وحتى زماننا هذا ، وحاز به على جائزة الملك فيصل العالمية ، فإن قراءته للمتنبي لم تكف أقلام الباحثين عن الخوض في نسب المتنبي حتى زماننا هذا .

هذا والحق أن يشتغل الدارسون بما خلفه المتنبي من عظيم أثره الأدبي الذي لا يزال سامقاً عن غيره ، ولا أجد فائدة كبيرة تلقي بظلالها على الدرس الأدبي من تناول نسبه والخوض فيه ، فرمما يقود هذا الأمر إلى فحش من القول ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) مع المتنبي ، لطه حسين ، ط بدون ، عام ٢٠١٢ م ، المؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر ، ص : ١٢ .

(٢) ينظر لكتاب المتنبي ، لمحمود شاعر ، ص : ٩٩ وما بعدها .

(٣) مع المتنبي لطه حسين ، ص : ٢٢ .

ومن نماذج نقض الآراء عند محمود شاكر رحمه الله نقضه لرأي زكي مبارك في كتابه النشر الفني ، حيث طرح زكي مبارك رأياً نقدياً عجيباً استدل عليه بإجماع أهل العلم الذين أرتخوا للإسلام وأرتخوا للغة العربية ، ويتلخص هذا الرأي في أن العرب لم يكن لهم وجود أدبي وسياسي قبل عصر النبوة المطهرة ، مستنداً على ذلك بإجماع مؤرخي الإسلام ومؤرخي اللغة ، وأن الدين الإسلامي هو من بعثهم من مرقدهم الثقافي والسياسي ، يقول زكي مبارك في ذلك :

" هل كان للعرب نثر فني في عصر الجاهلية؟ وهل كانوا يفصحون عن أغراضهم بغير الشعر والخطب والأمثال؟ لقد اتفق مؤرخو اللغة العربية وآدابها كما اتفق مؤرخو الإسلام على أن العرب لم يكن لهم وجود أدبي ولا سياسي قبل عصر النبوة ، وأن الإسلام هو الذي أحياهم بعد موت ، ونبّهم بعد خمول ، وهذا الاتفاق يرجع إلى أصلين: فهو عند مؤرخي الإسلام من المسلمين تأييد لنزعة دينية يراد بها إثبات أن الإسلام هو الذي خلق العرب خلقاً... فنقلهم من الظلمات إلى النور ، ومن العدم إلى الوجود، وهو عند مؤرخي اللغة العربية وآدابها يرجع إلى الشك في كثير من النصوص الأدبية التي أثّرت عن العرب قبل الإسلام من خطب وأسجاع وأمثال"<sup>(١)</sup>.

والحق أن نقل إجماع العلماء في قضية ما يُعدّ من أقوى الأدلة على صحة الاستنباط ، ومحاولة نقض المجمع عليه قد تكون محاولة يائسة لا يكتب لها نجاح ولا فلاح ، فهو يضيف إلى الحكم المُستنبط قوة ومنعة ، ويجعله في عداد المسلمات التي لا تقبل الشك ولا يحتملها الخطأ والريب ، ويضيف إلى المُستنبط مرجعية علمية يتكئ عليها طلبة العلم حين ينقلون الإجماع عنه ، والإجماع عند العلماء هو اتفاقهم على رأي بحسب اختصاصهم ، فقد يكون الإجماع من علماء الشريعة ، وقد يكون من علماء العقيدة ، وقد يكون من علماء التاريخ ، وقد يكون من علماء التفسير ، وقد يكون من علماء اللغة ، وغير ذلك من العلوم التي لها ضوابط علمية ومادة يصح معها أن يكون الإجماع . ومعنى الإجماع كما هو معلوم أن جميع العلماء قديمهم وحديثهم قد اجتمعوا في حكم واحد على قضية واحدة ، فإن خالفهم عالم واحد فلا يسمى إجماعاً كما هو معلوم عند كبار علماء أصول الفقه ، ولا بد أن يكون المخالف عالماً من العلماء المعترين حتى يكون رأيه مبدداً للإجماع ، يقول

---

(١) النشر الفني في القرن الرابع ، لزكي مبارك ط بدون ، عام ٢٠١٢ م ، المؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر ، ص :

صاحب أصول الشاشي :

" والمعتبر في هذا الباب إجماع أهل الرأي والاجتهاد فلا يعتبر بقول العوام والمتكلم والمحدث الذي لا بصيرة له" (١).

وعليه فإن زكي مبارك في حكمه هذا قد نقل إجماع مؤرخي الإسلام ومؤرخي اللغة العربية منذ أن خط أول قلم في تأريخ الإسلام واللغة حتى زمانه ، وهو أمر جد خطير لا بد أن يحيط فيه ناقل الإجماع بكتب كثيرة وأقوال قد يقولها العلماء في كتبهم ، وقد ينقلها عنهم آخرون في تضاعيف كتب أخرى ، ولذلك رأى أحمد ابن حنبل (٢) على جلاله قدره في العلم أن يحتاط الرجل لنفسه عند نقل الإجماع ، فيبتعد عن قولهم (أجمع أهل العلم) إلى ما يقاربها من عبارات لا تحمل معناها كلياً ، كقولهم (لم ينته إلي) ، و (لا أعلم أحداً قال بغير ذلك) قال الإمام ابن حنبل رحمه الله :

" .... من ادعى الإجماع فهو كذب ، لعل الناس قد اختلفوا .... ولكن يقول: لا يعلم الناس يختلفون ، أو لم يبلغه ذلك ، ولم ينته إليه ... " (٣).

هذا أول ما تقع عليه عين من يقرأ كلام زكي مبارك الذي نقل فيه هذا الإجماع الخطير ، أما عين محمود شاكر فقد وقعت على هذا الكلام كله ، ونقله كما هو في مقالته التي أسماها باسم كتاب زكي مبارك كما هو ، وقد

---

(١) أصول الشاشي ، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي ، ط بدون ، عام بدون ، لدار الكتاب العربي ببيروت ، ص ٢٩١ .

(٢) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، المروزي الأصل ، ولد عام ١٦٤ هـ ، كان إمام المحدثين ، صنف كتابه المسند ، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره ، وقيل : إنه كان يحفظ ألف ألف حديث ، وكان من أصحاب الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنهما - وخواصه ، ولم يزل مصاحبه (١) إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر ، وقال في حقه : خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل ، ودعي إلى القول بخلق القرآن فضرب وحبس على امتناعه ، أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل ، منهم محمد بن اسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري ، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع ، توفي عام ٢٤١ هـ . ، ينظر في ترجمته وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ١ ، ص : ٦٤ ، وينظر لسير أعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص : ١٤٢ .

(٣) الجامع لعلوم الإمام أحمد ، لخالد الرباط ، سيد عزت ، ط ١ ، عام : ٢٠٠٩ م ، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق

استهل نقد هذا الكتاب معذراً للقارئ على عدم اتساع عمود مقال لنقد كتاب كامل ، ولكنه ذكر أنه سيختار من كتاب زكي مبارك مواضع يضمنها نقده في هذه المقالة ، وكان أول هذه المواضع التي وعد بنقدها أول خمسة أسطر من الفصل الأول من الكتاب ، ويبدو أن شاكراً تعتمد أن يختار من صدر كتاب زكي مبارك كلامه الآنف الذكر فينقضه ، ولعل ما دفعه لذلك أن نقض أول قضية في الكتاب تغري باهتزاز ثقة القارئ بما فيه ؛ لأنه الأساس القويم الذي تبنى عليه باقي الآراء ، ولأن أثر ذلك الاهتزاز سيكون صادمًا لنفس وعقل المتلقي ؛ لأنه أول ما يطالعه في هذا الكتاب .

وأول ما بدأ به شاكراً في نقده مطالبة زكي مبارك بأن يحدد مفهوم النثر الفني الذي سمى به كتابه هذا ، فليس في كتاب زكي مبارك ما يحدد هذا المفهوم وما يستوفي الدلالة عليه ، وقد ذكر شاكراً بأنه أعيا نفسه وهو يحاول الاعتذار لزكي مبارك في إيجاد مفهوم للنثر الفني إلا أن ذلك لم يكتب له النجاح ، وادعاء شاكراً لهذا الإعياء إيغال منه في تعمية دلالة النثر الفني الذي سمى به زكي مبارك كتابه ، ومبالغة منه مأمها وبغيته إنكار وجود هذا التركيب (النثر الفني) ، ويبدو جلياً أن شاكراً يقصد من ذلك استهجان وصف النثر بالفني ، وكأنه يقول بأن كلمة النثر وحدها كافية في الدلالة على النثر قسيم الأدب في الشعر العربي ، فلا حاجة عنده لوصفه بالفني .

وغير بعيد أن يكون زكي مبارك أراد بالنثر الفني ما يريده الأدباء والنقاد في العصر الحديث ، فقد تواضع بعض نقاد العصر الحديث وأدبائه على وصف النثر بالفني بـ " النثر الذي نتجاوز به لغة التخاطب العادية إلى حيث يتوفر فيه شرطان أساسيان هما: التفكير من جهة، والجمال من جهة ثانية وهذا النوع الأخير يعتبر أدباً ، ولا يشك أحدٌ في أنه جزء منه " (١) .

وبذلك يكون النثر الفني مقابلاً للنثر غير الفني ، فالنثر الفني قوامه التعبير الأدبي الجمالي الذي لا يكون شعراً إلا لأنه غير موزون ولا مقفى ، أما النثر غير الفني فلا تصح مقابله بالنثر الفني إلا إذا قصد منه ذلك النوع من النثر الذي يستخدمه فئام الناس في تخاطبهم اليومي ، بلغة تخلو من الأدبية والجمال ، ولكنه فحسب نثر تواصلية وانفعال تعبيرية ، وحينما يصف النقاد النثر بالفني فهم يريدون إقصاء لغة التخاطب العادية من هذا

---

(١) المدخل في فن التحرير الصحفي ، لعبد اللطيف محمود حمزة طه ، عام بدون ، للهيئة العامة المصرية للكتاب ، ص:

النثر ، فهي خارجة عن حدود الدراسة الأدبية التي تدرس النثر على أنه قسيم للشعر ، والحق أن وصف النثر بالفني لم يكن إلا نتيجة استقراء للنثر العربي على مر العصور ، ذلك النثر الذي استطاع أن يظل خالداً مع وجود الشعر الشاغل الأول لكل من يولي وجهه شطر الأدب العربي ، فلم يصمد من النثر إلا ما تحقق فيه الجمال والأدبية كالخطب والرسائل والأمثال ونحوها ، أما النثر غير الفني الخالي من الأدبية والجمالية فلم يكتب له بقاء ولا خلود ، ولشوقي ضيف كلام في هذا يحسن نقله في هذا الموضوع وهو قوله :

" النثر هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقواف ، وهو على ضربين: أما الضرب الأول فهو النثر العادي يقال في لغة التخاطب ، وليس لهذا الضرب قيمة أدبية ..... وأما الضرب الثاني، فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة ، وهذا الضرب هو الذي يعنى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه، وبيان ما مر به من أحداث وأطوار ، وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص ، وهو يتفرع إلى جدولين كبيرين ، هما الخطابة والكتابة الفنية -ويسمئها بعض الباحثين باسم النثر الفني- وهي تشمل القصص المكتوب، كما تشمل الرسائل الأدبية المحبرة ، وقد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة"<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن وصف زكي مبارك للنثر بالفني وصف مبرر ، له اعتبار وله دوافع وله دلالة يقوم بها وينهض عليها ، والحق أننا في حاجة ملحة اليوم لأن نصف النثر بالفني ؛ لأن كثيراً من النثر الذي نجده اليوم وخصوصاً مما هو في وسائل إعلامنا المقروءة والمسموعة لا يرقى لأن يكون أدبياً ، بل هو إلى لغة التخاطب العادية أقرب وألصق.

ثم ينتقل شاكر من مفهوم النثر الفني إلى أول سؤال طرحه زكي مبارك في مقطوعته السابقة (موطن نقض شاكر) ، وهو قوله (هل كان للعرب نثر فني ؟).

وقبل أن يُناقش نقض شاكر لإجابة هذا التساؤل ، لابد من معرفة إجابة زكي مبارك نفسها موطن نقض شاكر وتحفظه ، فزكي مبارك يرى أن للعرب نثر فني قبل الإسلام يتناسب مع صفاء أذهانهم وسلامة طبائعهم ، ولكن لا وجود لهذا النوع من النثر بين يدينا لأنه ضاع ، لأمية العرب ، ولقلة تدوينها ، وابتعاد ذلك النثر عن الحياة الجديدة التي جاء بها الإسلام ودوّنها القرآن الكريم .

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، لشوقي ضيف ، ط ١٣ ، لدار المعارف بمصر ، ص : ١٥ .

ويرى زكي مبارك أن ما نقله الرواة من النصوص النثرية ليس بكاف لتحديد أساليب النثر الجاهلي ، وبالتالي فهو غير قادر على تحديد مدرسة نثرية وغير قادر أيضاً على تحديد مذهب اجتماعي ، وبمقدوره أن يكون معيناً على تحديد بعض أذواقهم الوضعية ، ومذاهبهم السياسية ، واتجاهاتهم الدينية ، هذه باختصار إجابة زكي مبارك لسؤاله (هل كان للعرب نثر في ؟) ، ذلك التساؤل الذي طرحه في صدر كتابه (النثر الفني) الذي كان رسالته للحصول على درجة الدكتوراة في الأدب من جامعة السربون .

يبد أن إجابات زكي مبارك لم تكن مقنعة غاية الإقناع محمود شاكر ، فخالفه في رأي ووافقه في آخر ، وبدأ بما خالفه فيه ، حيث يرى شاكر أن العرب أميون لا يقرأون ولا يكتبون إلا قليلاً من أهل المدن كمكة ، والمدينة المنورة ، وأطراف اليمن ، ومشارف الشام ، ونواحي الحيرة ، ويرى شاكر أن من كان يعرف الكتابة من العرب الجاهليين فإن تأثيره العلمي سيطر محدوداً ؛ لأن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم عهد بالقراءة ولا بالكتابة ، ولو افترض أن الكتاب القلة كان لهم جهد كبير في التأليف والكتابة ، فإن ذلك الجهد أيضاً لن يكون مؤثراً تأثيراً كبيراً ؛ لأنهم " يؤلفون لمن لا يقرأ ولا يكتب " <sup>(١)</sup> ، ولكن لا يعني القول بذلك إنكار أن يكون للعرب نثر يجري على ألسنتهم كلاماً كالكلام المرسل الذي يجري على ألسنة غيرهم ، ولهم قليل من المكاتبات المهمة والتي كان لها من الشهرة والذيع ما جعل الشعراء أنفسهم يروونها في أشعارهم ، كالعهد ، والرسائل العظيمة الخطر ، وقد استدلل شاكر على ذلك بما كتبه لقيط بن يعمر الإيادي <sup>(٢)</sup> ، الذي كتب إلى قومه رسالة بالحيرة يحذرهم كسرى ، الذي أجمع على غزو قبيلته إياد ، فأرسل إليهم لقيط بن يعمر - وكان كاتباً بديوان كسرى قصيدته المشهورة : يَا دَارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَرَعَا ..... ، والتي منها قول لقيط :

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر ، لعادل سليمان ، ج ٢ ، ص ٦٨٣ .

(٢) لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي ، شاعر جاهلي فحل ، من أهل الحيرة. كان يحسن الفارسية. واتصل بكسرى " سابور " ذي الأكتاف ، فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته ، ومن مقدمي مترجميه ، وهو صاحب القصيدة التي مطلعها :

يَا دَارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَرَعَا هَاجَتْ لِي الْهَمَّ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَجَعَا

وهي من غرر الشعر ، بعث بها إلى قومه " بني إياد " يندرهم بأن كسرى وجه جيشا لغزوهم ، وسقطت القصيدة في يد أوصلتها إلى كسرى ، فسخط عليه ، وقطع لسانه ، ثم قتله ، ينظر لترجمته الأعلام للزركلي ، ج ٥ ، ص : ٢٤٤ ، وينظر لموسوعة شعراء العصر الجاهلي ، لعبد عون الروضان ، ص : ٢٨١ .

هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالتَّذِيرُ لَكُمْ لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا<sup>(١)</sup>

وقد قصد شاكر إلى هذا البيت تحديداً لورود كلمة (كتابي) فيه لتكون دليلاً واضحاً الحجة على أن للعرب الجاهليين كتاباً ومكاتبات تشتمل على رسائل عظيمة الخطر كرسالة لقيط بن يعمر هذه .

واستدل شاكر أيضاً على أن تلك الرسائل لم تكن فعلاً يمارس فحسب ، بل وصلت من الأهمية والذيع ما جعل الشعراء يذكرونها في أشعارهم ، كقول الحارث بن حلزة اليشكري<sup>(٢)</sup>:

وَأَذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قُدَّ

مَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكَفْلَاءُ

حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدِّيِّ وَهَلْ يَنْـ

قُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءِ<sup>(٣)</sup>

وعليه فإن شاكر يرى أنه ليس بإمكاننا مطلقاً أن ننكر أن العرب كانت تتراسل وتتكاتب في بعض أحيائهم ، وكل ما يستطيع نكرانه أنهم كانوا يصنفون الكتب ويؤلفون الرسائل في الأغراض الكبيرة ، هذه الأدلة النقلية التي نقض بها شاكر إجابة زكي مبارك .

وقبل أن يختم شاكر نقضه واستنباطه واستدلّاه في هذه القضية برأي يرى فيه : أن ليس من المعقول أن يسأل زكي مبارك سؤاله (هل كان للعرب نثر فني ؟) ، لأنه لا يعقل أيضاً أن يكون في الجزيرة العربية كتاب تفرغوا للكتابة حتى يُسأل هذا السؤال ، وسبب ذلك عند شاكر أن كلام العرب في محاوراتهم ومجالسهم وخطبهم كان هو الكلام المتخذ في الرسائل والعهود وغير ذلك ، إذ إن هذه اللغة العربية ، التي بين أيدينا والتي نزل بها القرآن والتي كان يتكلم بها الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ، كانت إلى القرن الثاني والثالث من الهجرة تؤخذ من العرب البداة<sup>(٤)</sup> .

ونوه الأستاذ محمود شاكر رحمه الله إلى أمر رآه مهماً في هذا الصدد ، حيث أشار إلى أن النبي ﷺ نفسه كان

(١) القصيدة في ديوان لقيط بن يعمر ، تحقيق عبد المعيد خان ، ط بدون ، عام ١٩٧١ م ، دار الأمانة ببيروت ، ص ٣٦ .

(٢) الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي: شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق ، وهو أحد أصحاب المعلقات. كان أبرص فخوراً، ارتحل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك، بالخير، ومطلعها: (آذنتنا بينها أسماء) جمع بها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم. وفي الأمثال (أفخر من الحارث بن حلزة) إشارة إلى إكثاره من الفخر في معلقته هذه ، ينظر في ترجمته للأعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص : ١٥٤ ، وينظر لموسوعة شعراء العصر الجاهلي ، لعبد عون الروضان ، ص : ٧٩ .

(٣) ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق اميل يعقوب ، ط ١ ، عام ١٩٩١ م ، لدار الكتاب العربي ببيروت، ص : ٣٦ .

(٤) جمهرة مقالات محمود شاكر ، لعادل سليمان ، ج ٢ ، ص : ٦٨٤ .



أمياً لا يقرأ ولا يكتب ومع أميته فكان ﷺ أفصح العرب ، وكان من بين أصحابه من يجيد الكتابة كعمر وعثمان وعلي ﷺ أجمعين، ويرى الأستاذ أن من يتدبر ذلك يجد أن النثر لم يكن مما تعني له العرب بالكتابة والتدوين ، ولو كانت كذلك لدون الصحابة الكتاب ﷺ بعضاً من نثر النبي ﷺ ، ولكنهم عاملوه بما يعامل به الكلام المرسل الذي يجري على السجية والطبع ، بخلاف الشعر الذي ميزه ويميزه عن النثر قافيته ووزنه .

أما الإجماع الذي نقله زكي مبارك والذي نقل فيه اتفاق مؤرخي الإسلام واللغة على أن العرب لم يكن لهم وجود سياسي وأدبي ، فقد نقضه شاكر نقضاً مباشراً ورده رداً كلياً وأتى عليه من فهم زكي مبارك له ، ورأى شاكر أن أحداً من العلماء لم يقل بذلك مطلقاً ، وإنما كانوا يعنون بالجهل ما يتصل بأمر التوحيد والعقيدة ، حيث نقلهم التوحيد واستخرجتهم رسالة النبي ﷺ وبعثته من الظلمات إلى النور ، أما على مستوى العلم والمعرفة وخصوصاً ما يتعلق باللسان واللغة ، فإن العرب الجاهليين أنفسهم قد استشهد بشعرهم ونثرهم في تفسير القرآن الكريم ، أما الوجود السياسي فإن العلماء كانوا يقصدون عند حديثهم عن العرب الجاهليين أنهم لم يكونوا أمة متآزرة تحت حكم واحد وراية واحدة وسيادة متصلة ، حتى جاء الإسلام فجمعهم تحت لوائه .  
والحق أن هذه القضية لم تكن حديثة النشأة عند زكي مبارك ، وليس نقض شاكر لها بحديث النشأة أيضاً، فهذه القضية قديمة قدم الجاحظ أبي عثمان ، الذي دائماً ما كان يرى أن العرب أمة أمية قليلة التدوين تعتمد على البديهة والارتجال ، يقول الجاحظ :

" وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس، ولم يذكروه بالخطابة ، ولا بهذا الجنس من البلاغة، وفي الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكير ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم. وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجمالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام .....<sup>(١)</sup> .

وهذه القضية تزداد تعقيداً كلما تم ربطها بحالة العرب القدامى العلمية والمعرفية ، فمما يدور على ألسنة بعض العلماء أن العرب القدامى لم يكونوا أهل معارف وعلوم ولا حتى تفكير ، وإنما كان ما يميل حتى من حياتهم إلى العلمية فإنه ذو طابع فطري لا يساعد كثيراً إلى إنشاء نثر فني بمعناه المخصوص ، وذات هذا الأمر هو ما

(١) البيان والتبيين للجاحظ ، ج ٣، ص: ٢٨ .

قصده زكي مبارك حينما ذكر في كلامه السابق الأنف الذكر أن للعرب نثراً فنياً قبل الإسلام يتناسب مع صفاء أذهانهم وسلامة طبائعهم .

وينصرف الذهن عند قراءة كلام زكي مبارك إلى محاولة تجهيل العرب وتعريضهم حتى من أقل طرق التفكير والمعرفة ، ذلك التجهيل الذي تنبه له وباقتدار ناصر الدين الأسد في كتابه النفيس مصادر الشعر الجاهلي ، وهو تجهيل لم يكتف بعرب ما قبل ظهور الإسلام ، بل تسرب أثره ليمتد إلى الصحابة أنفسهم رضوان الله عليهم ، فابن قتيبة الدينوري يرى إمعاناً منه في ذلك تعميم الأمية المعرفية عن الصحابة رضوان الله عليهم ، ويرى أنه لم يكن يكتب منهم إلا الواحد والاثنان ، وذلك بعد أن ذكر ابن قتيبة حديثين عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة ، أولهما ينهى عن كتابة سنته وأن من كتبها فلا بد أن يحوها ، وثانيها حث النبي صلى الله عليه وسلم على قيد العلم بالكتابة ، فعقب ابن قتيبة على سماح النبي ﷺ الكتابة بقوله :

" أن يكون خص بهذا عبد الله بن عمرو ، لأنه كان قارئاً للكتب المتقدمة ، ويكتب بالسريانية والعربية وكان غيره من الصحابة أميين ، لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان ، وإذا كتب لم يتقن ، ولم يصب التهججي ، فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم ، ولما أمن على عبد الله بن عمرو ذلك ، أذن له " (١)

وقد تناول ناصر الدين الأسد كل ما يتعلق بمحاولة تجهيل العرب القدامى في جوانبهم العلمية والمعرفية والتفكيرية ، بما لا يدع حاجة لتكراره في هذا البحث (٢) ، ويكفي أن يقال في ذلك أن العرب ما قبل البعثة النبوية المطهرة لم تكن خالية من الكتاب وبعض من عندهم علم ومعرفة فحسب ، بل كان العرب يقدرّون أهل العلم بالكتابة وينزلونهم حق منزلتهم ، وتقدير أهل الكتابة وخاصته هو المرحلة الثانية التي لا تكون إلا بعد وجود الكتابة نفسها ، وبيان ذلك أن العرب القدامى كانت تطلق اسم (الكامل) على الشاعر الذي يجيد الكتابة إلى جانب إجادته الشعر ، وأظنهم لم يصفوه بالكمال إلا لتكامل مهارته العقلية والارتجالية الشعرية ، بمهارة التدوين والكتابة العملية ، فينتج عنهما معاً ما يصفونه بالكمال ، يقول صاحب أخبار المدينة :

" كان يقال لرافع بن مالك (الكامل) لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون لمن كان كاتباً وشاعراً (الكامل) " (٣).

(١) تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة الدينوري ، ط ٢ ، عام ١٩٩٩ م ، مؤسسة الإشراف ، ص : ٤١٢ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ، لناصر الدين الأسد ، ط ٧ ، عام ١٩٨٨ م ، لدار المعارف بمصر ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٣) أخبار المدينة ، لمحمد بن الحسن بن زبالة ، تحقيق ، صلاح سلامة ، ط ١ ، عام ٢٠٠٣ م ، لمركز بحوث ودراسات المدينة

وعند مناقشة آراء زكي مبارك بإزاء نقض محمود شاكر يتبين أن الإجماع الذي ذكره زكي مبارك إجماع غير دقيق، فليس في كتب التاريخ التي نقل زكي إجماعها ما يطمس الهوية العربية الأدبية والسياسية ، فالكتابة مثلاً كواحد من ملامح الوجود الأدبي الذي نفسه زكي مبارك كلياً بإجماع غير دقيق ، ذكر بعض المؤرخين أنها كانت منتشرة بين العرب ، وأن بعضاً من العرب كانوا كتاباً ، يقول صاحب فتوح البلدان :

" كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون وهم سعد بن عباد بن دليم والمنذر بن عمرو وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، فكان يكتب العربية والعبرانية ورافع بن مالك وأسيد بن حضير ومعن بن عدي البلوى حليف الأنصار وبشير بن سعد وسعد بن الربيع وأوس بن خولى وعبد الله بن أبي المنافق"<sup>(١)</sup>

وإن ذكرت بعضها شيئاً قد يتوهمه أحد أن فيه إنكار للوجود الأدبي عند العرب ، فإن واقع الحياة الاجتماعية للعرب القدامى خير من يقدح في ذلك أسوة بباقي العوالم الاجتماعية البدائية ، فمن الصواب والاحتياط في ذلك التوازن بين الغلو والإنكار ، فلا ينكر أن للعرب معرفة بالكتابة ، ولا يقال بأنها منتشرة بينهم كانتشارها بين الأمم التي عاصرتهم ، ومن الجيد في هذا الباب استدعاء قول ابن فارس :

" فأما من حكي عنه من الأعراب، الَّذِينَ لَمْ يعرفوا الهمز والجرّ والكاف والdal، فإنَّ لَمْ نزعْ أن العرب كلها مدرّاً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم: فما كلُّ يعرف الكتابة والخطّ والقراءة، وأبو حيّة كان أمس؛ وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخطّ ويقرأ، وكان في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه سلم- كاتبون منهم أمير المؤمنين عليّ صلوات الله تعالى عليه وعثمان وزيد وغيرهم."<sup>(٢)</sup>

أما الوجود السياسي فقد أحسن الأستاذ شاكر رحمه الله حينما أتى على زكي مبارك من فهمه ، فلا يعني أن تنافر وتناحر العرب فيما بينهم قبل الإسلام أن تطمس هويتهم السياسية ، فالعرب كان فيهم ملوك وممالك ،

(١) فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى البلاذري، ط بدون ، عام ١٩٨٨ م ، لدار ومكتبة الهلال ببغداد، ص : ٤٥٥ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأحمد بن فارس، ط ١، عام ١٩٩٧ م ، المؤسسة

" ولقد كان لهؤلاء العرب ملوك فخام ودول عظام، اشتهر من دولهم ثلاث: دولة التبابعة ودولة المناذرة ودولة الغساسنة ، والدولة الأولى أسست في الألف الثاني قبل الميلاد ، فإن المؤرخين يذكرون منها ملوكا كثيرين قبل بلقيس التي كانت في زمن سليمان عليه السلام بن داود عليه السلام ، وهي مؤسسة على أنقاض دوله قحطان التي كانت قبل الميلاد بنحو ألفي سنة ، فهي أقدمهن عهداً وأكثرهن حضارة وأبقاهن أثراً وأوسعهن ملكاً" (١)

فالغساسنة ملوك الشام، " وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد" (٢)، والمناذرة ملوك الحيرة وهم بنو عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ (٣)، و لايعني القول بذلك إثبات أن العرب كانت تعيش رقباً سياسياً ووحدة اجتماعية وقبلية ، فالعرب قبل الإسلام كانت تنمن من التنافر والانقسام لا شك في ذلك ولا ريب ، وكان الحكم القبلي يسيطر على العديد من أجزائها ، ولكن وجود ذلك لا ينفي مطلقاً أن للعرب في باقي الأنحاء وجود سياسي وممالك وملوك .

أما قول زكي مبارك بوجود نثر في للعرب قبل الإسلام يتناسب مع صفاء أذهانهم وسلامة طبائعهم ، ولكن لا وجود لهذا النوع من النثر بين يدينا ؛ لأنه ضاع لأمية العرب ولقلة تدوينها ، وابتعاد ذلك النثر عن الحياة الجديدة التي جاء بها الإسلام ودونها القرآن الكريم ، فقد أحسن الأستاذ شاکر أيضاً رحمه الله حين أثبت أن للعرب كتاباً يهتمون بالتدوين والكتابة في مجالات لا تصل إلى حد التأليف والتصنيف ، وأن النثر الذي وصفه زكي مبارك بالفني لم يكن محلاً لاهتمامهم وعنايتهم تدويناً وحفظاً ، لأنه يجري في يومهم وليلتهم مجرى الحديث المرسل والكلام التواصلي الذي يدور على ألسنة الناس بداهة ، ومع ذلك فقد وصل إلينا العديد من النماذج المشرقة للنثر في العصر الجاهلي ، كالخطب والأمثال والقصص والأسجاع وغيرها ، واشتهر من الأدباء النثرين في العصر الجاهلي رجال عرفوا بالنثر ، كقس بن ساعدة الإيادي ، وأكثم بن صيفي ، وعامر بن الظرب

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، لمبارك بن مُجَّد الميلي الجزائري ، تقديم: مُجَّد الميلي، ط بدون ، عام ١٩٨٦ م ،

للمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر ، ج ٢، ص ١٣ .

(٢) المختصر في أخبار البشر ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن مُجَّد ابن عمر بن شاهنشاه، ط ١، عام بدون،

للمطبعة الحسينية المصرية ، ج ١، ص ١٠١ .

(٣) السابق ، ج ١، ص : ٧٠ .

وغيرهم ، بل إن بعض من نسميهم بالجاهليين قد تجاوز في محيط التدوين النثر الفني إلى الثقافة المعرفية والحكم والأمثال القديمة ، ومن ذلك ما رواه أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة أن سويد بن الصامت <sup>(١)</sup> قدم على النبي ﷺ "حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، وَكَانَ سُؤْيِدٌ يُسَمِّيهِ قَوْمُهُ فِيهِمُ الْكَامِلُ؛ لِسِنِّهِ وَجِلْدِهِ وَشَعْرِهِ قَالَ: فَتَصَدَّى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَاهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ سُؤْيِدٌ: فَلَعَلَّ الَّذِي مَعَكَ مِثْلُ الَّذِي مَعِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا الَّذِي مَعَكَ؟» فَقَالَ مَجَلَّةٌ لُقْمَانُ، يَعْنِي حِكْمَةً لُقْمَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْرَضَهَا عَلَيَّ» ، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ حَسَنٌ، وَالَّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْهُ: فُرَّانٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ هُوَ هُدًى وَنُورٌ " ، فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَقَوْلٌ حَسَنٌ .... " <sup>(٢)</sup>

فقد يصح الاستدلال بهذا الخبر على أن العرب كانت تستخدم الكتابة لما هو أبعد من عهودهم السياسية والقبلية ومراسلاتهم ، فوجود مثل هذه المجلة بين يدي سويد بن الصامت دليل على أن العرب كانت تتجاوز محيط التدوين إلى الثقافة الدينية والحكم والأمثال القديمة المتوارثة ، بل ويتجاوز ذلك كله تلك المدارس التي كان يُعلِّم فيها ما قبل الإسلام " معلِّمون يعلمون القراءة والكتابة وضروباً من العلم، منها : أخبار الأولين وقصص التاريخ ؛ وقامت في البيئات الجاهلية المتحضرة مثل: مكة والمدينة والطائف والحيرة والأنبار وغيرها مدارس يتعلم فيها الصبيان الكتابة العربية " <sup>(٣)</sup> ، ومن ذلك ما رواه الإمام الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى :

﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup>

(١) سويد بن الصامت الأوسي، لقي النبي ﷺ بسوق ذي الحجاز من مكة في حجة حجها سويد على ما كانوا يحجون عليه في الجاهلية، وذلك في أول مبعث النبي ﷺ ودعائه إلى الله عز وجل، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فلم يرد عليه سويد شيئاً، ويزعم قومه أنه مات مسلماً وهو شيخ كبير، قتلته الخزرج في وقعة كانت بين الأوس والخزرج، وكان شاعراً محسناً كثير الحكم في شعره، وكان قومه يدعونه الكامل لحكمة شعره وشرفه فيهم، وقد شكَّ في إسلامه ، ينظر في ترجمته للاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عاصم النمري ، ج ٢، ص ٦٧٧ ،

(٢) دلائل النبوة ، لأبي بكر البيهقي ، تحقيق عبد المعطي قلعي، ط ١، عام ١٩٨٨م ، لدار الكتب العلمية بيروت، ج ٢، ص : ٤١٩ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ، لناصر الدين الأسد ، ص ٥٢ .

(٤) سورة القلم ، الآية الكريمة رقم (١٥).

" كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من شياطين قريش ، وكان يؤذي رسول الله ﷺ ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، تعلم بها أحاديث ملوك فارس ، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسا فذكر بالله ، وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم يقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلّموا ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ثم يقول: ما محمد أحسن حديثاً مني قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثماني آيات من القرآن قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وليس الاستشهاد بمثل هذه الأخبار لإثبات أن العرب ما قبل الإسلام كانت تدون نثرها الفني تدويناً كبيراً ، فلو كان الأمر كذلك لانتهدت القضية بوجود نثر فني جاهلي يستطيع العودة إليه كمادة علمية صالحة لاستنباط خصائص النثر الجاهلي وأنماطه ، ولكن الاستشهاد بمثل هذه الأخبار لبيان أن العرب كانت تعرف الكتابة والتدوين في خارج محيط المكاتبات والمراسلات السياسية ومكاتبات العهود والمواثيق ، أما النثر الفني فلا يستطيع الاحتكام إلا لما وصل بين يدينا منه من الخطب والأسجاع والحكم والأمثال والأقوال النثرية الماثورة عن عرب ما قبل الإسلام مما هو مبثوث بين تضاعيف كتب أهل العلم .

---

(١) جامع البيان ، للإمام الطبري ، ج ١٩ ، ص : ٢٣٨ .

## الخلاصة

وبعد أن حاول هذا البحث مقارنة مفاهيم الاستنباط بين الأصوليين والبلاغيين ، وسبر إجراءات المنهج الاستنباطي الحديث وضوابطه ، ورصد مصادر المعرفة عند محمود شاكر ، وتعداد أهم طرائقه وأنماطه ومواقفه الاستنباطية ، ومناقشة ذلك كله وفق نماذج منتقاة خضعت لميزان النقد والتحليل ، تشكلت إثر ذلك كله بعض من النتائج التي أوجزها فيما يلي :

١- اشتراك الأصوليين والبلاغيين حين يطبقون المنهج الاستنباطي التراثي في الاعتماد على مدونة بحث واحدة وهي القرآن الكريم ، باعتباره مصدراً تشريعياً عند الأصوليين ، ومدونة للكشف عن أسرار الإعجاز والنمط العالي من البيان عند البلاغيين ، الأمر الذي وحد الهدف المعرفي عند الفريقين في البحث القرآني ، والمتمثل في استخلاص الأحكام ، وقد تسبب عمق البحث الأصولي في نيل ثقة اللغويين عند تناولهم القرآن الكريم ، بحيث شكل الرأي الأصولي مرجعاً لأهل اللغة .

٢- لم تكن علوم العربية سبيل البلاغيين وحدهم وأداتهم الرئيسة في الاستنباط ، فقد كانت علوم اللغة العربية بجميع فروعها هي القنطرة التي سار عليها الأصوليون في تأصيل القواعد الفقهية واستنباط الأحكام الشرعية ، وقد جاءت تبعاً لذلك بعض مسميات مباحث علم الأصول مطابقة لبعض المصطلحات ومباحث علوم اللغة العربية الصرفة بفروعها ، ولم يقف الأصوليون على مسافة واحدة عند بعض المسائل اللغوية الهامة ، بل اختلفوا فيما بينهم إذ لم يرتضوا أن يسلموا أنفسهم لتقليد علمائهم المؤسسين لعلم الأصول ، أو حتى تقليد أهل الاختصاص باللغة ، فقد كانت لبعضهم آراء لغوية خاصة تعتمد على الفهم والقراءة والدرية اللغوية والاستنباطية.

٣- مما يقارب مفاهيم الاستنباط بين الأصوليين والبلاغيين اعتماد الفريقين على المنهج الاستنباطي بمفهومه القديم المرتبط بالاستخراج والفهم والإدراك والاستنتاج ، واعتمادهم على الاستقراء التام والناقص كخطوة أولى من خطوات البحث الأصولي والبحث البلاغي ، و اعتماد الفريقين على الجانب الاستدلالي ، وتأثير هذا الجانب يبدو جلياً وواضحاً في الأسلوب الحجاجي عند بعض العلماء .

- ٤ - ارتباط المنهج الاستنباطي الحديث بالفيلسوف الفرنسي ديكارت ، مع وجود أصول لهذا المنهج في التراث العربي ابتداء من الجاحظ وانتهاء بحامد الغزالي .
- ٥ - حصر المنهج الاستنباطي في الشك إجراء مخالف لعتبات المنهج الاستنباطي ، فالشك هو القاعدة الأولى من عتبات المنهج الاستنباطي ، وهو الأمر الذي سوغ للبعض تسمية منهج ديكارت بمنهج الشك وهو وسم خاطئ ، لا يتفق مع إجراءات المنهج وضوابطه .
- ٦ - تشابه منهج ديكارت الاستنباطي ومنهج محمود شاعر التدوقي في الإجراءات والضوابط والمعالجة للقضايا العلمية ، واستدعاء المنهجين لمناهج علمية مستقلة كأدوات يعالج بها الاستنباط والتدوق ، كالمنهج التاريخي والنفسي يزيد من التقارب والتشابه بين المنهجين .
- ٧ - تطبيق محمود شاعر لمفاصل المنهج الاستنباطي تحت مسمى المنهج التدوقي في كتابيه (المتني) و(نمط صعب ونمط مخيف).
- ٨ - صقل الدربة عند محمود شاعر مرحلة ثانية بعد فطرة الذوق ، وقد استطاع تنمية الدربة لديه وصقلها بوضعها تحت ضوابط أخلاقية ودينية ومنهجية وعرقية .
- ٩ - من أهم المؤثرات على ثقافة محمود شاعر وقدرته الاستنباطية إجادته منذ طفولته ونشأته الأولى لبعض من اللغات الأجنبية كاللغة الإنجليزية والألمانية ، وولعه الشديد منذ طفولته بعلم الرياضيات ؛ مما أسهم في تكوين منهجه التدوقي ، والذي غالباً ما يصل به إلى نتائج ثابتة وصحيحة كنتائج مسائل الرياضيات.
- ١٠ - طه حسين هو الدافع الرئيس لثقافة محمود شاعر ودربته ، وهو السبب الأبرز في تكوين منهجه النقدي .
- ١١ - الانطباع الشخصي عن الناقد الواحد يختلف عند محمود شاعر نتيجة لتغير المواقف النقدية ، ولا يستجيب غالباً إلا لعنصري الموافقة والمخالفة .



- ١٢- الأسلوب الاستنباطي عند محمود شاعر يتسم بالرصانة والنمط العالي من الإبانة والإقناع ، ويأخذ طابع الحدة والتوتر والهجوم العنيف عندما يتعلق الأمر بالسطو على الجهود العلمية ، أو محاولة تغريب الثقافة والإبداع العربيين .
- ١٣- النزعة العرقية والاعتزاز المتصاعد بالهوية العربية يقف وراء كثير من الأحكام التي أطلقها شاعر على كثير من المستشرقين ومن تابعهم من علماء العرب المعاصرين .
- ١٤- استطاع محمود شاعر أن يستفيد من علم مصطلح الحديث في مجالات الدرس الأدبي والنقدي ، وأن يجعله واحداً من أدواته الرئيسة في معالجة رواية الأدب ورواته على حد سواء .
- ١٥- تطبيق محمود شاعر للمنهج التدوقي أفضى به إلى مخالفة بعض قواعد وأصول منهج تحقيق المخطوطات العلمية ، ومنها جراته على النص ، وقد تسبب ذلك في استبداله مصطلح التحقيق بالقراءة والتعليق مصدراً بها بعض تحقيقاته للمخطوطات .
- ١٦- التنشئة الاجتماعية والاستعداد الذاتي أسهمتا في تمكن محمود شاعر من الجانب اللغوي ، وترقي إحساسه بالنغم والجرس .
- ١٧- عدم ثقة محمود شاعر في شرح اللغويين لبعض من دواوين الشعر أفضى به إلى بعض من الأحكام النقدية غير الدقيقة ، والتي كان منطلقها فهمه الخاص للغة والاستخداماتها في سياقها الشعري .
- ١٨- استخدم محمود شاعر القياس والاجتهاد في تفسير بعض معاني المفردات ، مستقلاً بذلك عما نصت عليه معاجم اللغة ، ومقترحاً إضافة نتائج قياسه واجتهاده لتلك المعاجم .
- ١٩- عدم ثقة محمود شاعر المطلقة في معاجم اللغة تسبب في عدم تقصيه لها ، وكان وراء كثير من الأحكام اللغوية غير الدقيقة التي أطلقها وعارض بها علماء ومعاجم اللغة .
- ٢٠- التأويل الملائم لدلالات السياق الإعرابية أضاف مزيد فضل وبراعة في مواجهة محمود شاعر للنصوص.

٢١- كان لوعي محمود شاكر بالمهارات النصية والمقاربات التطبيقية للجانب الإيقاعي في النص ، الفضل بعد الله في حسن تأويله وصحة استنباطاته ونبوغ استدلالاته .

٢٢- تمايز الطرائق الاستنباطية عند محمود شاكر ما بين المنطوق وأدلتها الظاهرة ، والمفهوم وتأويله ، ويأتي هذا التمايز استجابة طبيعية لاختلاف المواضيع والقضايا التي عالجها .

٢٣- جاء الاستنباط بالمنطوق عند محمود شاكر معتمداً على التدقيق ، والمصطلحات النقدية والبلاغية ، والجانب اللغوي .

٢٤- طريق الاستنباط بتأويل المفاهيم الاصطلاحية هيأ لمحمود شاكر استحداث مصطلحات نقدية وبلاغية وبحثية ، سواء كانت جديدة مبتكرة ، أو مستجبة من علوم أخرى للنقد والأدب .

٢٥- طريق الاستنباط بالتأويل يرتبط كثيراً عند محمود شاكر بالسياق الخارجي للنص ، ويرتبط كذلك بتعدد الروايات واختلاف الرواة .

٢٦- أخضع محمود شاكر بعض النصوص الشعرية لمؤثرات تاريخية واجتماعية ، مما تسبب في تعديله لبعض المرويات الشعرية وفق إملاءات هذه المؤثرات .

٢٧- تنوعت المواقف الاستنباطية عند محمود شاكر بين القبول والنقض والاعتراض ؛ نتيجة لتطبيقه المنهج التدقيقي ، واستجابة طبيعية لموقفه وشخصيته النقدية وتجربته العميقة .

٢٨- جاء قبول محمود شاكر لبعض آراء وأحكام علماء التراث متبايناً بين القبول المجرد ، أو الزيادة ، أو تقوية الرأي والحكم النقدي بالاستدلال المباشر أو غير المباشر ، أو استخدام تقنية الحجاج المنطقي ، موائماً في ذلك بين قوة الرأي وضعفه ، وبين شخصيته النقدية ، ومنهجه التدقيقي ، وطبيعة القضايا والأحكام والآراء النقدية والأدبية .

٢٩- جاء قبول محمود شاكر لبعض استنباطات العلماء مبنياً على انطباع وعلاقات شخصية ، مما أسهم في تردد شاكر عن الإفصاح فيها بصراحة عن الخطأ والصواب في تلك الاستنباطات .

٣٠- استدراكات محمود شاكر على علماء التراث مبنية على أساس علمي ، ولم تكن مبنية على أساس الاستدراك المجرد غير المعلل ، سواء حالفه التوفيق في هذه الاستدراكات أم لم يحالفه .

٣١- خلو بعض اعتراضات محمود شاكر على علماء التراث من الأدلة ؛ سببه عدم وجود أدلة أصلا على تلك الآراء التي اعترض عليها .

٣٢- تميز موقف النقض من بين المواقف الاستنباطية عند محمود شاكر بالشمولية والاستقصاء ومراعاة التسلسل الزمني والمؤثرات التاريخية والاجتماعية .

هذا وإنني أحمد الله على تمام هذه الدراسة ، فقد تكشف لي وأنا في معرضها بأن تناول قامة علمية وشخصية فذة كمحمود شاكر رحمه الله ، يحتاج إلى فريق عمل وسنوات عمل غير قليلة لاستيعاب كل جهوده النقدية والأدبية والبلاغية واللغوية والنحوية ؛ لكونه عالماً جليلاً أطراف علمه مترامية ، وأفقه الفكري والثقافي غاية في الامتداد والعمق ، حتى وجدتني جراء ذلك أقترح على طلبة العلم تناول هذه الشخصية الفذة في مسارات محددة ، تجتمع كلها مع ما سبقها لتشكّل مادة علمية قد تسهم في رصد جهوده من ناحية ، وتحاول من ناحية أخرى معرفة الطريقة التي كان يفكر بها ، وحسب طلبة العلم فضلا معرفة هذه الطريقة ؛ لأنها السبيل الأمثل للإبداع والنبوغ ، ومن أهم الدراسات التي أقترحها : دراسة لغوية يقوم بها زملاؤنا المختصون من أهل اللغة ، قوامها حصر استدراكات محمود شاكر على معاجم اللغة واقتراحاته لها ، ووضعها في موضع النقد والمساءلة ، وغايتها معرفة قيمة هذه الاستدراكات في ضوء البحث اللغوي والمعجمي ، ومن ثم تقديم نتائج هذه الدراسة لتكون نواة لدراسة لاحقة لها يقوم بها زملاؤنا المختصون في المجال النقدي والأدبي ، قوامها رصد ملامح تأثير هذه الآراء على توجيه قراءة النص عند محمود شاكر ، وغايتها الكشف عن القيمة العلمية لهذه الاستدراكات في ضوء البحث النقدي والأدبي ، مبتهلا إلى الله جل في علاه أن يجعل التوفيق حليفنا ، والسداد والرشاد طريقنا ، والله وحده حسبي ونعم الوكيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## المصادر والمراجع :

- (١) أباطيل وأسمار لمحمود شاكر ، ط١ ، عام ١٣٩١ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- (٢) ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد ، دراسة وتحقيق : محمود جاسم مُجّد ، ط١ ، عام ١٤٠٧ هـ لمؤسسة الرسالة ببيروت.
- (٣) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، تحقيق مُجّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ ، عام ١٣٩٤ هـ ، للهيئة المصرية العامة للكتاب.
- (٤) الأحكام السلطانية لعلي بن مُجّد بن حبيب الماوردي ، تحقيق : أحمد مبارك البغدادي ، ط١ ، عام ١٤٠٩ هـ ، مكتبة دار ابن قتيبة بالكويت .
- (٥) أخبار المدينة ، لمحمد بن الحسن بن زباله ، تحقيق ، صلاح سلامة ، ط١ ، عام ٢٠٠٣ م ، لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.
- (٦) أدب الجاحظ ، لحسن السندوي ، ط١ ، عام ١٩٣١ م ، للمطبعة الرحمانية بالقاهرة .
- (٧) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا ، لعفيف عبد الرحمن ، ط١ ، عام ١٩٨٥ م ، لدار الفكر بالأردن
- (٨) الأدب العربي المعاصر في مصر شوقي ضيف ط١٣ ، عام : بدون ، لدار المعارف المصرية .
- (٩) الأدب المفرد للبخاري، تحقيق علي عبد الباسط مزيد - وعلي عبد المقصود رضوان ، ط١ ، عام : ٢٠٠٣ م ، مكتبة الخانجي بمصر .
- (١٠) آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية لمحسن بنت أحمد قربان ، رسالة علمية تمت مناقشتها في جامعة أم القرى بمكة المكرمة الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ١٤٢٩-١٤٣٠ هـ تحت إشراف الدكتور عليان بن مُجّد الحازمي.

(١١) أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشري ، تحقيق مُجَّد باسل عيون السود ، ط١ ، عام ١٤١٩ هـ ،  
لدار الكتب العلمية ببيروت .

(١٢) الاستدلال البلاغي لشكري مبخوت ط١ ، عام ٢٠٠٦ م ، لدار الكتاب الجديدة المتحدة  
بينغازي.

(١٣) الاستدلال عند الأصوليين للدكتور : أسعد الكفراوي ، ط١ ، عام ١٤٢٣ هـ ، لدار السلام  
بالقاهرة.

(١٤) الاستدلال في منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، للباحثة : خديجة كلاتمة ، جامعة مُجَّد خيضر  
بالجزائر.

(١٥) الاستشراق في الأدبيات العربية لعلي النملة ، ط١ ، عام ١٤١٤ هـ ، لمركز الملك فيصل  
للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

(١٦) الاستقراء وأثره في القواعد الأصولية والفقهية دراسة نظرية تطبيقية للطيب السنوسي أحمد ، ط٣ ، عام ١٤٣٠ هـ ، لدار التدمرية بالرياض.

(١٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عبد الله بن مُجَّد بن عبد البر بن عاصم النمري  
القرطبي ، تحقيق : علي مُجَّد البجاوي ، ط١ ، عام ١٩٩٢ م ، لدار الجيل ببيروت .

(١٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير ، تحقيق : علي مُجَّد معوض ، عادل أحمد  
عبد الموجود ، ط١ ، عام ١٩٩٤ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .

(١٩) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود شاكر ط٣ ، عام ١٤١٣ هـ ، لدار  
المدني.

(٢٠) الإسلام والاستشراق لمحمود حمدي زقزوق ، ط١ ، عام ١٤٠٤ هـ مكتبة وهبة بالقاهرة.

- (٢١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، للحسن بن أحمد بن مُجَدِّ الأعرابي الملقب بالأسود الغُندجاني ، تحقيق مُجَدِّ علي سلطاني، ط١ ، عام ١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- (٢٢) أسماء خيل العرب وفرسانها ، لأبي عبد الله مُجَدِّ بن زياد الأعرابي ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، ط١ ، عام ٢٠٠٩م ، لدار البشائر بدمشق .
- (٢٣) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، للخالدين : أبو بكر مُجَدِّ بن هاشم الخالدي ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي ، تحقيق مُجَدِّ علي دقة ، ط١ ، عام ١٩٩٥م ، لوزارة الثقافة السورية .
- (٢٤) اشتقاق أسماء الله ، لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي ، تحقيق : عبد المحسن المبارك ، ط٢ ، عام : ١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- (٢٥) الإصابة في تمييز الصحابة ، لأحمد بن علي بن مُجَدِّ بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلى مُجَدِّ معوض ، ط١ ، عام ١٤١٥هـ ، لدار الكتب العلمية بيروت .
- (٢٦) إصلاح غلط المحدثين ، لحمد بن مُجَدِّ بن إبراهيم بن الخطاب البستي تحقيق حاتم الضامن ط٢ ، عام ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- (٢٧) أصول السرخسي ، لمحمد بن أحمد السرخسي ، حقق أصوله : أبو الوفا الأفغاني ، ط١ ، عام ١٤١٤هـ ، للجنة إحياء المعارف النعمانية .
- (٢٨) أصول الشاشي ، نظام الدين أبو علي أحمد بن مُجَدِّ بن إسحاق الشاشي ، ط بدون ، عام بدون ، لدار الكتاب العربي بيروت .
- (٢٩) أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ، ط١ ، عام ١٤٠٦هـ ، لدار الفكر بدمشق .
- (٣٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد المختار الشنقيطي، ط١ ، عام ١٩٩٥م ، لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

- (٣١) إعجاز القرآن لأبي بكر مُحمَّد بن الطيب الباقلائي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط٣ ، عام بدون ، لدار المعارف بمصر.
- (٣٢) إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين بن أحمد ، ط٤ ، عام ١٤١٥ هـ ، لدار اليمامة بدمشق .
- (٣٣) الأعلام لخير الدين الزركلي ط١٥ ، عام ٢٠٠٢ م ، لدار العلم للملايين.
- (٣٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية تحقيق: مُحمَّد عبد السلام إبراهيم ، ط: ١ ، عام ١٤١١ هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (٣٥) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ط١ ، عام ١٩٣٥ م لدار الكتب المصرية بالقاهرة .
- (٣٦) الفصول في الأصول ، لأحمد بن علي الجصاص ، تحقيق الدكتور : عجيل النشمي ، ط٢ ، عام ١٤١٤ هـ ، لوزارة الأوقاف الكويتية.
- (٣٧) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور ناصر العقل ط ٧ ، عام ١٤١٩ هـ ، لدار عالم الكتب ببيروت.
- (٣٨) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - ﷺ - والثلاثة الخلفاء ، لسليمان الكلاعي ، تحقيق كمال الدين عز الدين علي ، ط ٤ ، عام ٢٠٠١ م ، لعالم الكتب ببيروت .
- (٣٩) أمالي المرتضى ، للشريف المرتضى علي بن الحسين ، تحقيق مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، عام ١٩٥٤ م ، لدار الحلبي
- (٤٠) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ، لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، حققه وشرحه وصححه محمود شاكر ، ط٢ ، عام بدون ، للشؤون الدينية بقطر.
- (٤١) الأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي ، تحقيق وتقديم مُحمَّد الأعرجي ، ط٢ ، عام ٢٠٠١ م ، للمجمع الثقافي بأبوظبي بالإمارات العربية المتحدة.

- (٤٢) الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف، لعبد الله بن السيد البطليوسي ، تحقيق : مُجَّد رضوان الداية ، ط ٢ ، عام ١٤٠٣ هـ ، لدار الفكر ببيروت .
- (٤٣) أنوار الربيع في أنواع البديع ، تأليف ابن معصوم المدني ، تحقيق ، شاعر هادي شكر ، ط ١ ، ١٩٦٩ م ، لمطبعة النعمان بالعراق .
- (٤٤) الأنساب لأبي سعد السمعاني ، تقديم وتعليق ، عمر البارودي ، ط ١ ، عام ١٩٨٨ م ، لدار الجنان بدمشق .
- (٤٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لعلي بن يوسف القفطي ، تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، عام ١٩٨٢ م ، لدار الفكر العربي بالقاهرة .
- (٤٦) إنباء الأمراء بأنباء الوزراء ، لمحمد بن علي بن خمارويه ، تحقيق : مهنا حمد المهنا ، ط ١ ، عام ١٩٩٨ م ، لدار البشائر الإسلامية ببيروت .
- (٤٧) الأنساب ، لسلمة بن مسلم العوتي الصحاري ، تحقيق ، إحسان النص ، ط ٤ ، عام : ٢٠٠٦ م ، لدار عُمان للطباعة والنشر .
- (٤٨) الأنساب ، لعبد الكريم بن مُجَّد بن منصور التميمي السمعاني المروزي تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، ط بدون ، عام بدون ، الفارق الحديثة للطباعة والنشر .
- (٤٩) الأوائل ، لأبي هلال العسكري ، ط ١ ، عام : ١٤٠٨ هـ ، لدار البشير بطنطا .
- (٥٠) البارع في علم العروض ، لأبي القاسم القطاع ، تحقيق مُجَّد عبد الدايم ، ط ٢ ، عام ١٤٠٥ هـ ، مكتبة الفيصلية بمكة المكرمة .
- (٥١) البحث الأدبي ، طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره ، لشوقي ضيف ط ٧ ، عام ١٩٧٢ م ، لدار المعارف المصرية .
- (٥٢) البحث العلمي ، لإبراهيم مُجَّد تركي ، ط ١ ، عام : ٢٠١٠ م ، لمطابع شتات بمصر .



(٥٣) البحر المحيط في أصول الفقه ، لبدر الدين الزركشي ، تحرير : د. عبد الستار أبو غدة ، ط ٢ ، عام ١٤١٣ هـ ، لدار الصفوة للطباعة والنشر بالغردقة بمصر.

(٥٤) البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان مُحمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق عادل أحمد ، علي معوض ، شارك في التحقيق ، زكريا النوتي ، أحمد الجمل ، ط ١ ، عام ١٩٩٣ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .

(٥٥) البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق صدقي جميل ، ط بدون ، عام ١٤٢٠ هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت .

(٥٦) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ، تحقيق محمود مطرجي ، ط ٢ ، عام ١٤٢٥ هـ ، لدار الفكر ببيروت .

(٥٧) البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق عبد الله التركي ، ط بدون ، عام ١٤٢٤ هـ لدار هجر للطباعة.

(٥٨) البديع في نقد الشعر ، تحقيق أحمد أحمد بدوي، و حامد عبد المجيد ، مراجعة إبراهيم مصطفى ، ط ١ ، تاريخ بدون ، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة .

(٥٩) البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، لإبراهيم عبد الغني الدروبي البغدادي ، ط ٣ : بدون ، عام : ١٩٧٢ م ، لمطبعة الرابطة ببغداد .

(٦٠) البرصان والعرجان والعميان والحولان ، لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق الشيخ عبدالسلام هارون ط ١ ، عام ١٤١٠ هـ ، لدار الجبل ببيروت.

(٦١) بغية الطلب في تاريخ حلب ، لكمال الدين بن العديم ، تحقيق : سهيل زكار ، ط بدون ، عام بدون ، لدار الفكر .

(٦٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، ١٩٦٤ م ، لمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- (٦٣) بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور ، صححه وشرحه: أحمد الألفي ، ط ١ ، عام ١٩٠٨ م ، مطبعة مدرسة والده عباس الأول بالقاهرة .
- (٦٤) بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ليحيى بن أبي بكر الحرصي، عني به : أنور بن أبي بكر الشخي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٩ م ، لدار المنهاج للنشر والتوزيع بجدة .
- (٦٥) التأملات في الفلسفة الأولى لديكارت ، ترجمة عثمان أمين ، ط ١ ، عام ١٩٨٠ م ، لدار الأنجلو المصرية.
- (٦٦) تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة الدينوري ، ط ٢ ، عام ١٩٩٩ م ، لمؤسسة الإشراف.
- (٦٧) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري ، شرح ونشر السيد أحمد صقر ، ط ٢ ، عام ١٣٩٣ هـ ، لدار التراث العربي.
- (٦٨) تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي ، لمجموعة من المحققين ، ط ١ ، عام ١٨٨٩ م ، لدار الهداية .
- (٦٩) تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف ، ط ١١ ، عام بدون ، لدار المعارف المصرية.
- (٧٠) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١ ، عام ٢٠٠٣ م ، لدار الغرب الإسلامي في تونس .
- (٧١) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط ١ ، عام ٢٠٠٢ م ، لدار الغرب الإسلامي ببيروت .
- (٧٢) تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، لمبارك بن محمد الميللي الجزائري ، تقديم: محمد الميللي ، ط بدون، عام ١٩٨٦ م ، للمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر .

- (٧٣) تاريخ الخميس في أحوال أنفـس النفـيس ، المؤلف: حسين بن مُجـد بن الحسن الدِّيار بَكْري ، ط بدون ، تاريخ بدون ، لمؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ببيروت .
- (٧٤) تاريخ دمشق أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق ، عمرو ابن غرامة العمروي ، ط٤، عام ١٩٩٥م ، لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بعمّان .
- (٧٥) تاريخ الفلسفة الحديث ، ليوسف بطرس كرم ، ط١، عام ٢٠١٢م ، لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة.
- (٧٦) التاريخ الكبير ، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، طبع تحت مراقبة : مُجـد عبد المعيد خان ، ط بدون ، تاريخ بدون ، لدائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد .
- (٧٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس، ط٤، عام ١٩٨٢م ، لدار الثقافة ببيروت.
- (٧٨) تجديد ذكرى أبي العلاء ، لطف حسين ، ط٦، عام ١٩٦٣م ، لدار المعارف بمصر.
- (٧٩) تحت راية القرآن ، لمصطفى صادق الرافعي ، ط ١، ١٤٢٣هـ ، للمكتبة العصرية ببيروت.
- (٨٠) تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ، ط٧، عام ١٩٩٨م ، لمكتبة الخانجي بالقاهرة.
- (٨١) التذكرة الحمدونية لأبي المعالي البغدادي ، ط١، عام ١٤١٧هـ ، لدار صادر ببيروت .
- (٨٢) تصحيح التصحيح وتحريـر التحريف ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، حققه وعلق عليه وصنع فهرسه: السيد الشرقاوي ، ط١، عام : ١٩٨٧م ، لمكتبة الخانجي بمصر .
- (٨٣) تصحيح الفصح ، لابن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان ، تحقيق ، مُجـد بدوي المختون ، ط١، عام ١٩٩٨م ، للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .
- (٨٤) التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط٧، عام ٢٠٠٩م ، لمكتبة وهبة بالقاهرة.

(٨٥) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، لأنيس المقدسي ، ط٢ ، عام ١٩٦٠ م ، لدار العلم للملايين بيروت .

(٨٦) التفسير البسيط لعلي بن أحمد بن مُجَّد بن علي الواحدي ، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام مُجَّد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من عمادة البحث العلمي بتنسيقه ، ط١ ، عام : ١٤٣٠ هـ لمطابع الجامعة .

(٨٧) تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير الدمشقي ، تقديم : يوسف المرعشلي ، ط٦ ، عام ١٩٩٣ م ، لدار المعرفة بيروت .

(٨٨) تفسير مقاتل بن سليمان ، لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ، تحقيق عبد الله محمود شحاته ، ط١ ، عام ١٤٢٣ هـ ، لدار إحياء التراث العربي بيروت.

(٨٩) التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري ، لحماي صمود ، ط١ ، عام ١٩٨١ م ، للمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية .

(٩٠) تعقيبات على الاستشراق إدوارد سعيد ،: ترجمة وتحرير صبحي حديدي ط١ ، عام ١٩٩٦ م ، للمؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت .

(٩١) التكملة والذيل على درة الغواص ، لموهوب بن أحمد بن مُجَّد بن الخضر الجوالقي ، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي ، ط١ ، عام ١٩٩٦ م ، لدار الجيل بيروت .

(٩٢) التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، لحسن الصغاني ، ط٢ ، عام ١٩٧١ م ، لمطبعة دار الكتب بالقاهرة .

(٩٣) تلبس إبليس ، لعبد الرحمن بن علي بن مُجَّد الجوزي ، ط١ ، عام ٢٠٠١ م ، لدار الفكر للطباعة والنشر بيروت .

(٩٤) التمثيل والمحاضرة ، لعبد الملك بن مُجَّد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، تحقيق: عبد الفتاح مُجَّد الحلو ، ط٢ ، عام ١٩٨١ م ، للدر العربية للكتاب.

- (٩٥) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ، مُحمَّد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي المصري، المعروف بناظر الجيش، تحقيق : علي مُحمَّد فاخر ، جابر مُحمَّد البراجة ، إبراهيم جمعة العجمي ، جابر السيد مبارك ، علي السنوسي مُحمَّد ، مُحمَّد راغب نزال ، ط١ ، عام ١٤٢٨ هـ ، لدار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة .
- (٩٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الكلبي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط١ ، عام : ١٩٨٠ م ، لمؤسسة الرسالة ببيروت .
- (٩٧) تهذيب اللغة لأبي منصور مُحمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، تحقيق : مُحمَّد عوض مرعب، ط١ ، عام ٢٠٠١ م ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت.
- (٩٨) التيجان في ملوك حمير ، لعبد الملك بن هشام ، تحقيق : مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، ط١ ، عام ١٣٤٧ هـ ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، بصنعاء .
- (٩٩) الثقات ، لمحمد بن حبان، طبع تحت مراقبة : مُحمَّد عبد المعيد خان ط١ ، عام ١٩٧٣ م، لدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد .
- (١٠٠) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق وتعليق مُحمَّد خلف الله أحمد ومُحمَّد زغلول سلام ط٣ ، عام ١٩٧٦ م لدار المعارف بمصر .
- (١٠١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، تحقيق أحمد شاکر ومحمود شاکر ، ط١ ، عام ١٤٢٢ هـ لمؤسسة الرسالة.
- (١٠٢) الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري ) ، لأبي عبد الله مُحمَّد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، عام ١٩٨٧ م ، لدار ابن كثير ، اليمامة ببيروت .
- (١٠٣) الجامع في الحديث لابن وهب ، ل مُحمَّد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي ، تحقيق : مصطفى حسن حسين مُحمَّد أبو الخير ، ط١ ، عام ١٩٩٥ م ، لدار ابن الجوزي بالرياض.

- (١٠٤) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لمحمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشارك في تحقيق الجزء الأول مُجدد رضوان عرقسوسي ، ط١ ، عام ٢٠٠٦ م ، لمؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ببيروت .
- (١٠٥) الجامع لعلوم الإمام أحمد ، لخالد الرباط ، سيد عزت ، ط١ ، عام : ٢٠٠٩ م ، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية .
- (١٠٦) الجبال والأمكنة والمياه ، لجار الله بن محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري تحقيق أحمد عبد التواب عوض ، ط١ ، عام ١٩٩٩ م ، لدار الفضيلة للنشر والتوزيع بالقاهرة .
- (١٠٧) الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي ، ط١ ، عام : ١٩٥٢ م ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت.
- (١٠٨) جريدة البلاغ عدد نوفمبر للعام ١٩٢٣ م .
- (١٠٩) جمهرة أشعار العرب ، لمحمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق : علي مُجدد البجاوي ، ط بدون ، عام بدون ، لدار نخضة مصر للطباعة والنشر .
- (١١٠) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، تحقيق : مُجدد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، ط٢ ، عام ١٩٨٨ م ، لدار الجيل ببيروت .
- (١١١) جمهرة أنساب العرب ، لعلي بن أحمد بن سعيد بن الظاهري ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٥ ، عام بدون ، لدار المعارف بالقاهرة .
- (١١٢) جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، عام ١٩٨٧ م ، لدار العلم للملايين ببيروت .
- (١١٣) جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، لعادل سليمان جمال ط بدون ، عام : بدون ، لمكتبة الخانجي بالقاهرة.
- (١١٤) جُمُل من أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري ، تحقيق ، سهيل زكار ، رياض الزركلي ، ط١ ، عام : ١٩٩٦ م ، لدار الفكر ببيروت .

- (١١٥) جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار، حققه وشرحه محمود شاكر ، ط١ ، عام ١٣١٨هـ ، لدار المدني .
- (١١٦) جوامع السيرة النبوية لابن حزم الأندلسي ، ضبط وتصحيح عبد الكريم الجندي ، ط١ ، عام ٢٠٠٢م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (١١٧) الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير ، للباحثة نعيمة يعمران، جامعة مولود معمري الجزائرية.
- (١١٨) حكم الجاهلية لأحمد مُجدد شاكر ط١ ، عام ١٩٢٢م، لمكتبة السنة بالقاهرة .
- (١١٩) حكمة الصين: دراسة تحليلية لعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور ، لفؤاد مُجدد شبل ، ط١ ، عام ١٩٦٨م ، لدار المعارف المصرية .
- (١٢٠) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، لمحمد الحاتمي ، تحقيق جعفر الكتاني ، ط بدون ، عام ١٩٧٩م ، دار الرشيد بالعراق .
- (١٢١) الحماسة البصرية لصدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري تحقيق عادل سليمان، ط١ ، عام ١٩٩٩م ، لمكتبة الخانجي بالقاهرة .
- (١٢٢) الحماسة البصرية ، لصدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ، تحقيق مختار الدين أحمد ، ط بدون ، تاريخ بدون ، لعالم الكتب العربية ببيروت .
- (١٢٣) حياة الرافعي لمحمد العريان ، ط٣ ، لعام ١٩٥٥م ، للمكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .
- (١٢٤) خاص الخاص لأبي منصور الثعالبي، شرح وتعليق مأمون بن محيي الدين الجنان ، ط١ ، عام ١٩٩٤م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (١٢٥) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤ ، عام ١٩٩٧م ، لمكتبة الخانجي بالقاهرة .

(١٢٦) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، ط ٤ ، عام ١٩٨٩ م ، للهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٢٧) خطوات وضوابط البحث العلمي للدكتور أمين منتصر، ط ١، عام ١٤٣١ هـ، لدار الفكر العربي بمصر.

(١٢٨) دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي لعبد الرحمن بدوي باب، ط ٢، عام ١٩٨٦ م، لدار العلم للملايين.

(١٢٩) دَرْجُ الدُّرِّ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ ، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، دراسة وتحقيق: (الفاحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْن، (وشاركة في بقية الأجزاء): إِيَاد عبد اللطيف القيسي، ط ١، عام ٢٠٠٨ م ، مجلة الحكمة البريطانية .

(١٣٠) دروس في الألسنية العامة لفريدناند دي سوسير ، تعريب صالح القرمادي ، ومُحَمَّد الشاوش ط ٣، عام ١٩٨٥ م للدار العربية للكتاب.

(١٣١) الدر الفريد وبيت القصيد ، لمحمد بن أيدير المستعصمي ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط ١، عام ٢٠١٥ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت

(١٣٢) دقة المحدثين في نقل السنة وتدوينها ونشأة علمي مصطلح الحديث والجرح والتعديل لعمر مُجَدَّ عبد الرحمن، ط ١، عام ١٤١٩ هـ ، لدار المعرفة.

(١٣٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود شاكر ، ط ٣، عام ١٤١٣ هـ ، لدار المدني.

(١٣٤) الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي ، تحقيق: مُجَدَّ بن عبد الله القناص ، ط ١ ، عام : ٢٠٠١ م ، مكتبة العبيكان بالرياض .

(١٣٥) دلائل النبوة ، لأبي بكر البيهقي ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، ط ١، عام ١٩٨٨ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .



(١٣٦) دمية القصر وعصرة أهل العصر ، لعلي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، ط١،  
عام ١٤١٤هـ ، لدار الحيل بيروت .

(١٣٧) ديكارت مبادئ الفلسفة ترجمة : عثمان أمين ط١ ، عام ١٩٧٥م ، لدار الثقافة للطباعة  
والنشر بالقاهرة .

(١٣٨) ديوان ابن حمديس ، تقديم وتصحيح إحسان عباس ، ط بدون ، عام بدون ، لدار صادر  
بيروت.

(١٣٩) ديوان ابن رشيق القيرواني ، جمعه ورتبه عبد الرحمن باغي ، ط بدون ، عام ١٩٨٩م ، لدار  
الثقافة بيروت .

(١٤٠) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، شرحه وقد له ووضع فهرسه سوهاام المصري ط١ ، عام ١٤١٩هـ ،  
للمكتب الإسلامي بيروت ودمشق وعمّان .

(١٤١) ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ ، شرح وجمع مُحمّد التونجي ، ط١، عام ١٩٩٤م ، لدار الكتاب  
العربي بيروت .

(١٤٢) ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح خليل الدويهي ، ط٢، عام ١٩٩٤م ، لدار الكتاب العربي  
بيروت.

(١٤٣) ديوان الأقيشر الأسدي ، صنعة : مُحمّد علي دقة ، ط١، عام ١٩٩٧م ، لدار صادر للطباعة  
والنشر بيروت .

(١٤٤) ديوان امرئ القيس ، تحقيق مُحمّد أبو الفضل إبراهيم ، ط٥، عام بدون ، لدار المعارف بمصر .

(١٤٥) ديوان امرئ القيس ضبط مصطفى عبد الشافي ، ط٥ ، عام ١٤٢٥هـ، لدار الكتب العلمية  
بيروت.

(١٤٦) ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح مُحمَّد يوسف نجم ، ط١ ، عام ١٩٨٠م ، لدار بيروت للطباعة والنشر .

(١٤٧) ديوان البارودي ، تحقيق : علي الجارم ، ومُحمَّد شفيق ، ط بدون ، عام ١٩٩٨م ، لدار العودة بيروت .

(١٤٨) ديوان البحري ، شرح وتحقيق : حسن بن كامل الصيرفي ، ط٣ ، عام بدون ، لدار المعارف المصرية .

(١٤٩) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، قدم له وشرحه مجيد طراد ، ط١ ، عام ١٩٩٤م ، لدار الكتاب العربي بيروت .

(١٥٠) ديوان جرير ، شرح حمدو طماس ، ط٢ ، عام ١٤٢٦هـ ، لدار المعرفة بيروت .

(١٥١) ديوان الحارث بن حلزة ، تحقيق اميل يعقوب ، ط١ ، عام ١٩٩١م ، لدار الكتاب العربي بيروت .

(١٥٢) ديوان حسان بن ثابت ، شرح وتقديم عبدأ علي مهنا ، ط٢ ، عام ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية بيروت .

(١٥٣) ديوان الخنساء ، شرح معانيه ومفرداته حمدو طماس ، ط٢ ، عام ٢٠٠٤م ، لدار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

(١٥٤) ديوان ذي الرمة ، تقديم وشرح أحمد حسن بسج ، ط١ ، عام ١٩٩٥م ، لدار الكتب العلمية بيروت .

(١٥٥) ديوان رؤية بن العجاج ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد ، ط بدون ، عام بدون ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع بالكويت .

(١٥٦) ديوان سلامة بن جندل السعدي ، صنعة : مُحمَّد الأحول ، تحقيق فخرالدين قباوة ، ط٢ ، ١٩٨٧م لدار الكتب العلمية بيروت .

(١٥٧) ديوان الشماخ بن ضرار الديباني ، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي ، ط ١ ، تاريخ ١٩٦٨ م ، لدار المعارف بمصر.

(١٥٨) ديوان الشماخ بن ضرار الصحابي الغطفاني ، تحقيق مُجد الأمين الشنقيطي، ط بدون ، تاريخ بدون، مطبعة السعادة بمصر.

(١٥٩) ديوان الشنفرى ، جمع وتحقيق إميل يعقوب ، ط ٢، عام ١٩٩٦ م ، لدار الكتاب العربي بيروت .

(١٦٠) ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء لشهاب الدين الموسوي المعروف بابن معتوق ، ضبط سعيد الشرتوني ، ط بدون ، عام : ١٨٨٥ م ، المطبعة الأدبية ببيروت .

(١٦١) ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلام الشنتمري ، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، ط ٢، للمؤسسة العربية للنشر والتوزيع بيروت ، ودائرة الثقافة والفنون بالبحرين.

(١٦٢) ديوان عامر بن الطفيل ، وما بعدها ، ط بدون ، عام ١٩٧٩ م ، دار صادر ببيروت.

(١٦٣) ديوان عبد الله ابن المعتز ، ط ١، عام بدون ، لدار صادر ببيروت .

(١٦٤) ديوان الفرزدق شرح وضبط وتقديم علي فاعور، ط ١ ، عام ١٩٨٧ ، لدار الكتب العلمية بيروت.

(١٦٥) ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب ، ط ١، عام : ١٩٦٢ م ، لمطبعة العاني ببغداد .

(١٦٦) ديوان كُثَيِّر ، جمعه وشرحه إحسان عباس ، ط بدون ، عام ١٣٩١ م ، لدار الثقافة للنشر والتوزيع ببلبنان .

(١٦٧) ديوان كعب بن زهير ، تحقيق وشرح علي فاعور ، ط١ ، عام ١٩٩٧م لدار الكتب العلمية بيروت.

(١٦٨) ديوان كعب بن زهير صنعة أبي سعيد السكري شرح د مفيد قميحة ط ، عام ١٩٨٩م لدار الشواف بالرياض.

(١٦٩) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق : سامي مكى ، ط١ ، عام ١٩٦٦م ، طبع في مطبعة المعارف ببغداد .

(١٧٠) ديوان لسان الدين الخطيب ، صنعة وتحقيق وتقديم : مُجَّد مفتاح ، ط١ ، عام : ١٩٨٩م ، لدار الثقافة بالدار البيضاء.

(١٧١) ديوان لقيط بن يعمر ، تحقيق عبد المعيد خان ، ط بدون ، عام ١٩٧١م ، دار الأمانة بيروت.

(١٧٢) ديوان المتنبي ، ط بدون ، عام ١٩٨٣م ، لدار بيروت للطباعة والنشر .

(١٧٣) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، نشرته مكتبة القدسي عن نسخة الشيخين : مُجَّد عبده ، و مُجَّد محمود الشنقيطي ، ط١ ، عام ١٣٥٢هـ ، لمكتبة القدسي بالقاهرة.

(١٧٤) ديوان معاوية بين أبي سفيان جمعه وحققه وشرحه : فاروق أسليم بن أحمد ، ط١ ، عام ١٩٩٦م ، لدار صادر بيروت .

(١٧٥) ديوان معروف الرصافي ، مراجعة مصطفى الغلاييني ، ط: بدون ، عام : ٢٠١٢ م ، لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة .

(١٧٦) ديوان النابغة الذبياني ، شرح حمدو طماس ، ص٦٧ ، ط٢ ، عام ١٤٢٦هـ ، لدار المعرفة بيروت.

- (١٧٧) ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، ط٣ ، عام ١٩٩٦م لدار الكتب العلمية ببيروت.
- (١٧٨) ديوان الوأواء الدمشقي تحقيق سامي الدهان ، ط٢ ، عام : ١٩٩٣م ، لدار صادر ببيروت .
- (١٧٩) ديوان وحي الأربعين لعباس بن محمود العقاد ، ط١ ، عام ٢٠١٢م ، لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر .
- (١٨٠) ديوان وضاح اليمن ، وبذيله كتاب مأساة الشاعر وضاح ، تأليف مُجَّد الأثري ، وأحمد الزيات ، جمعه وقدم له وشرحه : مُجَّد خير البقاعي ، ط١ ، عام ١٩٩٦م ، لدار صادر للطباعة والنشر ببيروت.
- (١٨١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لعلي بن بسام الشنتريني ، تحقيق إحسان عباس ، ط بدون ، عام ١٩٩٧م ، لدار الثقافة ببيروت .
- (١٨٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، لمحمود الزمخشري ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، ط١ ، عام ١٩٩٢م ، لمؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت .
- (١٨٣) الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية لصفي الرحمن المباركفوري ، ط١ ، عام ٢٠٠٧م ، لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر .
- (١٨٤) رسائل الجاحظ ، الرسائل الأدبية ، لأبي عثمان الجاحظ ، تقديم وتبويب وشرح : علي أبو ملحم ، ط بدون ، عام : ٢٠٠٢م ، لدار ومكتبة الهلال ببيروت.
- (١٨٥) رسائل الرافعي لمحمود أبو رية ، ط١ ، لعام ١٩٥٠م ، لدار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.
- (١٨٦) الرسالة للإمام المطلبي مُجَّد الشافعي تحقيق أحمد شاكر ، ط ١ ، عام ١٣٩٩هـ ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر.
- (١٨٧) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح ، تحقيق وشرح . عائشة عبد الرحمن ، ط ٩ ، لعام ١٩٧٧م ، لدار المعارف المصرية .

(١٨٨) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر ، ط١ ، عام ١٩٩٧ م ، للهيئة المصرية العامة للكتاب .

(١٨٩) رواية قمبيز في الميزان ، لعباس العقاد، ط ١ ، عام ١٩٧٠ م ، لدار الكتاب العربي .

(١٩٠) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، لعبد الرحمن السهيلي ، تحقيق عمر السلامي ، ط١ ، عام ٢٠٠٠ م ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت .

(١٩١) زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن مُجَدَّ الجوزي ، ط٣ ، عام ١٤٠٤ هـ، للمكتب الإسلامي ببيروت .

(١٩٢) زهر الآداب وثمر الألباب ، لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك، وحققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه ، مُجَدَّ محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، عام بدون ، لدار الجيل ببيروت .

(١٩٣) السبع المعلقات مقارنة سيمائية/ أنثروبولوجية ، لعبد الملك مرتاض ، ط بدون ، تاريخ بدون ، لدار رسلان للطباعة والنشر بسوريا .

(١٩٤) سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة ، ط١ ، عام ١٤٣٢ ، لمكتبة وهبة بالقاهرة .

(١٩٥) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي مُجَدَّ معوض ، ط١ ، عام ١٩٩٣ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .

(١٩٦) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ط ١ ، عام ١٩٨٢ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت.

(١٩٧) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي ، هذبة: مُجَدَّ بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) ، تحقيق إحسان عباس ، ط١ ، ١٩٨٠ م ، للمؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت .

- (١٩٨) سمط اللآلئ ، اللآلئ في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري ، بمشطرة عبد العزيز الميمني له في أبحاثه ، ط١ ، عام ١٩٣٥ م ، لدار الكتب العلمية بيروت.
- (١٩٩) سير أعلام النبلاء : لشمس الدين الذهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط : ٣ ، عام : ١٤٠٥ هـ ، لمؤسسة الرسالة بيروت.
- (٢٠٠) السيرة النبوية لابن هشام لجمال الدين عبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلي ، ط٢ ، عام ١٩٥٥ م ، لشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- (٢٠١) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ط١ ، عام ١٩٧٦ م ، لدار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
- (٢٠٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، لأحمد أحمد غلوش ، ط١ ، عام ٢٠٠٤ م ، لمؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت.
- (٢٠٣) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت ط١ ، عام ١٩٣٤ م ، للمكتبة الأهلية بيروت .
- (٢٠٤) شرح أبيات سيبويه ، لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق مُجد علي الريح هاشم ، راجعه طه عبد الرؤوف سعد ، ط١ ، عام ١٩٧٤ م ، لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة .
- (٢٠٥) شرح أسرار البلاغة للدكتور مُجد إبراهيم شادي ، ط١ ، عام ٢٠١٢ م ، لدار اليقين بمصر.
- (٢٠٦) شرح جمل الزجاجي ، لأبي الحسن علي بن عصفور الإشبيلي ، تقديم وفهرسة : فواز الشعار ، إشراف : إميل بديع يعقوب ، ط١ ، عام : ١٩٩٨ م ، لدار الكتب العلمية بيروت .
- (٢٠٧) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ، تقديم وفهرسة: راجي الأسمر ، ط٢ ، عام ١٩٩٤ م ، لدار الكتاب العربي بيروت.

(٢٠٨) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام للمرزوقي تحقيق غريد الشيخ ، ط١، عام ١٤٢٤هـ لدار الكتب العلمية بيروت.

(٢٠٩) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ليحيى بن علي بن مُجَدَّ التبريزي ، كتب حواشيه غريد الشيخ ، ووضع فهرسه أحمد شمس الدين ، ط١، عام ١٤٢١هـ ، لدار الكتب العلمية بيروت.

(٢١٠) شرح ديوان علقمة الفحل ، بقلم السيد أحمد صقر ، تقديم زكي مبارك، ط١، عام ١٩٣٥م، للمطبعة المحمودية بالقاهرة .

(٢١١) شرح ديوان عنتره ، للخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه ، مجيد طراد ، ط١، عام ١٩٩٢م ، لدار الكتاب العربي بيروت .

(٢١٢) شرح ديوان كعب بن زهير صنعة لأبي سعيد بن الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري تحقيق : عباس عبد القادر ط٣، عام ٢٠٠٢ م لدار الكتب والوثائق القومية \_ مركز تحقيق التراث بالقاهرة.

(٢١٣) شرح كافية ابن الحاجب ، لمحمد بن الحسن الإستراباذي ، تحقيق إميل يعقوب ، ط١ ، عام ٢٠٠٦م، لمؤسسة التاريخ العربي بيروت .

(٢١٤) شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق : أحمد حسن مهدي ، وعلي سيد علي ، ط١، عام ١٤٢٩هـ ، لدار الكتب العلمية بيروت.

(٢١٥) شرح الكوكب المنير ، لابن النجار ، تحقيق د . مُجَدَّ الزحيلي ، د. ونزيه حماد ، ط١ ، عام ١٤١٣هـ ، لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

(٢١٦) شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني ويليّه معلقة الحارث اليشكري ، منسوب لأبي عمرو الشيباني ، تحقيق : عبد المجيد هو ، ط١، عام ٢٠٠١م ، لمؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت .

(٢١٧) شرح المعلقات السبع لحسين بن أحمد الزوزني ، تحقيق لجنة التحقيق في الدار العلمية ، ط بدون ، عام ١٩٩٣م ، للدار العلمية بيروت .



- (٢١٨) شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن هبة الله بن مُجَدِّد بن الحسين بن أبي الحديد ، تحقيق مُجَدِّد أبو الفضل ابراهيم ط ١ ، عام ٢٠٠٧ م ، لدار الكتاب العربي ودار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع .
- (٢١٩) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق أحمد مُجَدِّد شاکر ، ط ٢ ، عام ١٩٦٦ م ، دار المعارف بمصر .
- (٢٢٠) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني ، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن علي الإرياني ، يوسف مُجَدِّد عبد الله ، ط ١ ، عام ١٩٩٩ م ، لدار الفكر المعاصر ببيروت .
- (٢٢١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأحمد بن فارس ، تحقيق : أحمد حسن بسج ، ط ١ ، عام ١٤١٨ هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (٢٢٢) الصبح المنبي عن حيشة المتنبي ليوسف البديعي ، ط ١ ، عام ١٣٠٨ هـ ، للمطبعة العامرة الشرفية .
- (٢٢٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٤ ، عام ١٤٠٧ هـ ، لدار العلم للملايين ببيروت .
- (٢٢٤) الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي البجاوي ومُجَدِّد أبو الفضل ، ط (بدون) عام ١٤٣٤ هـ ، المكتبة العصرية ببيروت .
- (٢٢٥) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، قراءة وتعليق محمود شاکر ، ط ١ ، عام بدون ، لدار المدني بجدة .
- (٢٢٦) ضرائر الشعر لابن عصفور ، تحقيق السيد إبراهيم مُجَدِّد ، ط ١ ، عام ١٩٨٠ م ، لدار الأندلس للطباعة والنشر .

(٢٢٧) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط٤ ، ١٤١٤ هـ ، لدار القلم بدمشق .

(٢٢٨) ظل النديم ، لوجدان العلي ، ط١ ، عام ١٤٣٦ هـ ، لمركز تفكر للبحوث والدراسات .

(٢٢٩) الطبقات الكبرى لابن سعد ، تحقيق : إحسان عباس ، ط١ ، عام ١٩٦٨ م ، لدار صادر بيروت

(٢٣٠) الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق علي مُحمَّد عمر ، ط١ ، ط١ ، عام ٢٠٠١ م ، لمكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٢٣١) طبقات النحويين واللغويين ، مُحمَّد بن الحسن الإشبيلي ، تحقيق مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، عام بدون ، لدار المعارف بمصر .

(٢٣٢) الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول ، لابن معصوم المدني ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، عام ١٤٢٨ هـ ، لمؤسسة آل البيت بمشهد إيران .

(٢٣٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ليحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني ، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي ، ط١ ، عام ٢٠٠٢ م ، للمكتبة العصرية ببيروت .

(٢٣٤) طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطق والأصوليين للدكتور : يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين : ، ط٢ ، عام ٢٠٠١ م ، لمكتبة الرشد بالرياض .

(٢٣٥) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، لبدر الدين العيني ، حققه ووضع حواشيه: مُحمَّد مُحمَّد أمين، ط١ ، عام ١٩٨٧ م ، للهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢٣٦) علم الجرح والتعديل لعبد المنعم السيد نجم ، ط١ ، عام ١٤٠٠ هـ ، للجامعة الإسلامية بالمدينة .

(٢٣٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق : مُحمَّد محي الدين عبد الحميد، ط٥ ، عام ١٩٨١ م ، لدار الجيل المصرية للطباعة والنشر .

- (٢٣٨) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور ، ط٢ ، ٢٠٠٥ م ، لدار الكتب العلمية بيروت .
- (٢٣٩) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق : عبد الحميد هندراوي ط ١ ، عام ١٤٢٣ هـ ، لدار الكتب العلمية بيروت.
- (٢٤٠) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، لفتح الدين مُحمَّد اليعمري الربيعي ، تعليق إبراهيم رمضان ، ط ١ ، عام ١٩٩٣ م ، لدار القلم بيروت .
- (٢٤١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لأبي العباس ابن أبي أصيبعة ، تحقيق نزار رضا ، ط بدون ، عام بدون ، لمكتبة الحياة بيروت .
- (٢٤٢) غريب الحديث ، لحمد بن مُحمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرابوي خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، ط بدون ، عام ١٩٨٢ م ، لدار الفكر بدمشق .
- (٢٤٣) فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى البلاذري ، ط بدون ، عام ١٩٨٨ م ، لدار ومكتبة الهلال بيروت.
- (٢٤٤) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين ، ، ط ١ ، عام ١٤١٥ هـ ، لدار ابن كثير بدمشق.
- (٢٤٥) فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه ، لمحمد صالح الشنطي ط ٥ ، عام ١٤٢٢ هـ ، لدار الأندلس للنشر والتوزيع بحائل .
- (٢٤٦) فهرس الفهارس والأثبات ، ومعجم المعاجم والأشياخ والمسلسلات ، لمحمد عبدالحى الكتاني ، اعتنى به إحسان عباس ط ٢ ، عام ١٩٨٢ م ، لدار الغرب الإسلامي بيروت.
- (٢٤٧) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، لشوقي ضيف ، ط ١٣ ، لدار المعارف بمصر.
- (٢٤٨) في الأدب الجاهلي : طه حسين ، ط ٣ ، عام ١٣٥٢ هـ لمطبعة فاروق بالقاهرة .

- (٢٤٩) في تاريخ الأدب الجاهلي لعلي الجندي ، ط١ ، عام ١٩٩١ م ، مكتبة دار التراث بمصر.
- (٢٥٠) في الشعر الجاهلي لطف حسين ، عام ١٩٢٧ م ، لدار المعارف للطباعة والنشر في سوسة بتونس.
- (٢٥١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط٨ ، عام ١٤٢٦ هـ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.
- (٢٥٢) قمباز لأحمد شوقي ، ط بدون ، عام ٢٠١٢ م ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر.
- (٢٥٣) قواعد لتوجيه الفكر لرئيس ديكرات ، ترجمة وتقديم سفيان سعد الله ، ط١ ، عام ٢٠٠١ م ، الناشر : مجموعة سراس بتونس.
- (٢٥٤) الكاشف عن المحصول في علم الأصول ، لمحمد بن محمود العجلي ، تحقيق عادل عبد الجواد وعلي المعوض ، ط١ ، عام ١٤١٩ هـ ، لدار الكتب العلمية بيروت.
- (٢٥٥) الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ط١ ، عام ١٩٩٧ م ، لدار الكتاب العربي بيروت .
- (٢٥٦) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٣ ، عام ١٩٩٧ م ، لدار الفكر العربي بيروت .
- (٢٥٧) الكتاب : لسيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، عام ١٤٠٨ هـ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- (٢٥٨) كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، ما قصد به من الكذب على المسلمين والظعن عليهم ، لأبي الحسين عبد الرحيم بن عثمان الخياط المعتزلي ، مقدمة وتحقيق نيرج ، ط٢ ، عام ١٩٩٦ م ، مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة .
- (٢٥٩) كتاب الهلال : على هامش الغفران ، للويس عوض ، العدد ١٨١ ، إبريل ، ١٩٦٦ م.

(٢٦٠) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ، ط٣، عام ١٤٠٧هـ ، لدار الكتاب العربي ببيروت .

(٢٦١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي الكتاب غير محقق وليس فيه تحديد لعام النشر الناشر : مطبعة الشركة الصحافية العثمانية ، وأعدت نشره : دار الكتاب العربي ببيروت .

(٢٦٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، تحقيق ، محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٢م ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت .

(٢٦٣) كنوز الذهب في تاريخ حلب ، لأحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر سبط ابن العجمي ، لدار القلم بحلب .

(٢٦٤) الكوميديا الإلهية الجحيم لدانتي ، ترجمة حسن عثمان، ط٣، عام بدون ، لدار المعارف المصرية .

(٢٦٥) اللباب في تهذيب الأنساب ، لعز الدين بن الأثير ، ط بدون ، عام بدون ، لدار صادر بيروت .

(٢٦٦) اللزوميات لأبي العلاء المعري ، تحقيق أمين الخانجي ، ط١، عام ١٩٢٤م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٢٦٧) لسان العرب لابن منظور ، ط٨، عام ٢٠١٤م ، لدار صادر ببيروت.

(٢٦٨) لسان الميزان ، لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية بالهند ، ط٢، عام ١٩٧١م ، لمؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر ببيروت .

(٢٦٩) اللغة والنقد الأدبي : لتمام حسان ، ط بدون ، عام : ١٩٨٣م ، للهيئة المصرية العامة للكتاب .

- (٢٧٠) اللآلي المنشورة في الأحاديث المشهورة ، لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المعروف بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ط ١ ، عام ١٩٨٦ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (٢٧١) اللمع في العربية ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : سميح أبو مغلي ، ط بدون ، عام ١٩٨٨ م ، لدار مجدلاوي بعمّان .
- (٢٧٢) المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ، لعثمان بن جني الموصلي ، قراءة وتعليق: مروان العطية ، شيخ الزايد ، ط ١ ، عام ١٩٨٨ م ، لدار المهجرة للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق.
- (٢٧٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط بدون ، عام بدون ، لدار نهضة مصر.
- (٢٧٤) مجاز القرآن صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق مُحمَّد فؤاد سركين ، ط ١ ، عام ١٩٨٨ م ، مكتبة الخانجي بمصر.
- (٢٧٥) مجلة العرب ، السنة العاشرة ، ج : ٥-٦ ، عام ١٩٧٥ م .
- (٢٧٦) مجلة المقتطف : المجلد ٨٤ ، عدد إبريل عام ١٩٣٤ م.
- (٢٧٧) مجلة من المسرح العالمي الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ، العدد ٣٥٨ ، مارس ، عام ٢٠١٢ م .
- (٢٧٨) مجمع الآداب في معجم الألقاب ، لابن الفوطي الشيباني تحقيق : مُحمَّد الكاظم ، ط ١ ، عام ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الطباعة بوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي بإيران .
- (٢٧٩) المحاسن والمساوي لإبراهيم بن مُحمَّد البيهقي ، ط بدون ، عام بدون ، لدار صادر ببيروت .
- (٢٨٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي الراغب الأصفهاني ، تقديم عمر الطباع ، ط ١ ، عام ١٤٢٠ هـ ، لشركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .

- (٢٨١) المحكم والمحيط الأعظم ، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسى ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٠ م ، لدار الكتب العلمية بيروت .
- (٢٨٢) محمود مُجَّد شاکر دراسة في حياته وشعره ، لأمانى حاتم بسيسو ، ط ١ ، عام ١٤٣٤ هـ ، لوزارة الشؤون الإسلامية بدولة الكويت .
- (٢٨٣) محمود مُجَّد شاکر ، الرجل والمنهج ، لعمر حسن القيام ، ط ١ ، عام ١٤١٧ هـ ، لمؤسسة الرسالة بيروت .
- (٢٨٤) محمود مُجَّد شاکر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، لإبراهيم الكوفحي ، ط ١ ، عام ١٩٩٨ م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- (٢٨٥) محمود مُجَّد شاکر قصة قلم لعائدة الشريف ، ط ١ ، عام ١٩٩٧ م ، لدار الهلال المصرية .
- (٢٨٦) مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر ، تحقيق : روحية النحاس ، رياض عبد الحميد مراد ، مُجَّد مطيع ، ط ١ ، عام ١٩٨٤ م ، لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق .
- (٢٨٧) المختصر في أخبار البشر ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن مُجَّد بن عمر بن شاهنشاه ط ١ ، عام بدون ، للمطبعة الحسينية المصرية .
- (٢٨٨) المخصص ، لابن سيده ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، ط ١ ، عام ١٤١٧ هـ ، لدار إحياء التراث العربي بيروت .
- (٢٨٩) المخصص لابن سيده ، تحقيق: مُجَّد محمود الشنقيطي ، ط : بدون ، عام بدون ، لدار الطباعة الأميرية .
- (٢٩٠) مداخل إعجاز القرآن لمحمود شاکر ، ط ١ ، عام ٢٠٠٢ م ، لدار المدني .
- (٢٩١) المدخل في فن التحرير الصحفي ، لعبد اللطيف محمود حمزة ، ط ٥ ، عام بدون ، للهيئة العامة المصرية للكتاب .

(٢٩٢) مراتب النحويين لعبد الواحد بن علي أبي الطيب اللغوي ، تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم ، ط بدون ، عام ٢٠٠٩ م ، لشركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر .

(٢٩٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، يوسف بن قزَّأوغلي بن عبد الله ، تحقيق مُجَّد بركات ، كامل مُجَّد الخراط ، عمار ربحاوي ، مُجَّد رضوان عرقسوسي ، أنور طالب ، فادي المغربي ، رضوان مامو ، مُجَّد معتز كريم الدين ، زاهر إسحاق ، مُجَّد أنس الخن ، إبراهيم الزبيق ، ط ١ ، عام ٢٠١٣ م ، لدار الرسالة العلمية بدمشق .

(٢٩٤) المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما ، لضيء الدين أبو عبد الله مُجَّد بن عبد الواحد المقدسي دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهبش ، ط ٣ ، عام ٢٠٠٠ م ، لدار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

(٢٩٥) المستقصى في أمثال العرب ، لأبي القاسم جابر الله الزمخشري ، ط ٢ ، عام ١٩٨٧ م ، لدار الكتب العلمية بيروت.

(٢٩٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد شاكر ، ط ١ ، عام ١٩٩٥ م ، لدار الحديث بالقاهرة.

(٢٩٧) مصادر الدراسة الأدبية ليوسف أسعد داغر ، ط بدون ، لمنشورات جمعية أهل القلم في لبنان.

(٢٩٨) مصادر الشعر الجاهلي ، لناصر الدين الأسد ، ط ٧ ، عام ١٩٨٨ م ، لدار المعارف بمصر.

(٢٩٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد الحموي ، تحقيق ، يوسف الشيخ مُجَّد ، ط ١ ، عام ١٩٨٧ م ، مكتبة العصرية بيروت.

(٣٠٠) مصطفى صادق الرافعي الناقد والمؤلف ، لإبراهيم الكوفحي ، ط ١ ، عام ١٤١٨ هـ ، لمؤسسة الرسالة بيروت.

(٣٠١) مصطلح الحديث للشيخ مُجَّد بن صالح العثيمين ، ط ١ ، عام ١٤١٥ هـ ، لمكتبة العلم بالقاهرة.

(٣٠٢) المعارف ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط ٢ ، عام ١٩٩٢ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .



(٣٠٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، للحسين بن مسعود بن مُجَدِّد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، ط١ ، عام ١٤٢٠ هـ ، لدار إحياء التراث العربي بيروت .

(٣٠٤) المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق سالم الكرنكوي، و عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، ط١ ، ١٩٤٩ م ، لدائرة المعارف العثمانية ، ثم أعادت تصويرها ونشرها دار الكتب العلمية بيروت ط١ ، عام ١٩٨٤ م .

(٣٠٥) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي ، تحقيق مُجَدِّد محيي الدين عبد الحميد ، ط بدون ، عام ١٩٤٧ م ، لعالم الكتب بيروت .

(٣٠٦) معجم أعلام شعراء المدح النبوي مُجَدِّد أحمد درنيقة تقديم: ياسين الأيوبي ، ط ١ ، عام ٢٠٠٣ م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت .

(٣٠٧) معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي ، ط٢ ، عام ١٩٩٥ م ، لدار صادر بيروت.

(٣٠٨) معجم ديوان الأدب ، لإسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي تحقيق أحمد مختار عمر ، مراجعة إبراهيم أنيس ، ط١ ، عام ٢٠٠٣ م ، لمؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة .

(٣٠٩) معجم الشعراء ، تصحيح وتعليق (كرنكو)، ط٢ ، عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م لدار الكتب العلمية بيروت .

(٣١٠) معجم لغة الفقهاء للدكتور: مُجَدِّد رواس ، ط ١ ، عام ١٤١٦ هـ ، لدار النفائس بيروت.

(٣١١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، ط١ ، عام ١٩٤٥ م ، لعالم الكتب بيروت.

(٣١٢) مع المتنبي ، لطلح حسين ، ط بدون، عام ٢٠١٢ م ، لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر.

(٣١٣) معجم محمود مُجَدِّد شاعر إعداد منذور مُجَدِّد أبو شعر ، ط٢ ، عام ١٤٢٨ هـ ، للمكتب الإسلامي بعمّان .

(٣١٤) المعجم الوسيط للمؤلفين (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، ط ١، عام (بدون) لدار الدعوة.

(٣١٥) معرفة الصحابة ، لأحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، تحقيق: عادل بن يوسف العزاري، ط ١، عام : ١٩٩٨ م ، لدار الوطن للنشر بالرياض .

(٣١٦) المغازي لمحمد بن عمر الواقدي ، تحقيق ، مارسدن جونز، ط ٣ ، عام ١٩٨٩ م ، لدار الأعلمي ببيروت .

(٣١٧) مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ، ط ٣ ، عام ١٤٢٠ هـ ، لدار إحياء التراث العربي .

(٣١٨) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ، ضبط وتعليق نعيم زرزور ، ط ١ ، عام ١٤٠٣ هـ ، لدار الكتب العلمية ببيروت.

(٣١٩) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ، لبدر الدين العيني ، تحقيق: علي محمد فاخر، ، أحمد محمد توفيق السوداني، ، عبد العزيز محمد فاخر ، ط ١، عام ٢٠١٠ م ، لدار السلام بمصر .

(٣٢٠) مقالة : الحجاج عند الجاحظ: بحث في المرجعيات النصيات والآليات لهيثم سرحان ، مقالة علمية نشرت في المجلة العربية للعلوم الإنسانية بجامعة الكويت ، ص ٥٥، العدد ١١٥، العام ٢٠١١ م.

(٣٢١) مقالة : معالم هادئة على طريق سيرة عطرة للطاهر أحمد مكّي ، مجلة الهلال العدد ٧٠، عدد فبراير ١٩٩٧ م.

(٣٢٢) مقالة من برجننا العاجي : لسيد قطب ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٥٢ ، بتاريخ : ١٩٣٨/٠٥/٠٢ هـ.

(٣٢٣) مقال عن المنهج ، تأليف رينيه ديكرت ، وترجمة محمود الخضيرى، ط ٢، عام ١٩٦٨ م، لدار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

- (٣٢٤) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط١ ، عام : ١٩٧٩ م ، لدار الفكر العربي .
- (٣٢٥) المقتنى في سرد الكنى ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق ، مُجَّد صالح عبد العزيز المراد ، ط١ ، عام : ١٤٠٨ هـ ، للمجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة .
- (٣٢٦) المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، للحسن بن بشر الأمدي ، تحقيق : كرنكو ، ط١ ، ١٤١١ هـ ، لدار الجيل ببيروت .
- (٣٢٧) مناهج البحث الأدبي للدكتور يوسف خليف ، ط١ ، عام ١٩٩٧ م ، لدار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة.
- (٣٢٨) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ط٣ ، عام ١٩٧٧ م ، لوكالة المطبوعات الكويتية.
- (٣٢٩) مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي ، للدكتور علي النشار ، عام ١٤٠٤ هـ ، لدار النهضة العربية ببيروت.
- (٣٣٠) مناهج البحث المعاصرة رؤية إسلامية ، لمحمد حسن بخيت ، ط١ ، عام ٢٠١٤ م ، لعالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع بالأردن.
- (٣٣١) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لمحمد بن المبارك بن مُجَّد بن ميمون البغدادي تحقيق : مُجَّد نبيل طريفي، ط١ ، عام ١٩٩٩ م ، لدار صادر ببيروت .
- (٣٣٢) المنطق الصوري لعلي النشار ، ط١ ، عام ٢٠٠٠ م ، لدار المعرفة الجامعية بمصر .
- (٣٣٣) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن الأمدي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط٤ ، عام ١٩٩٤ م ، لدار المعارف ومكتبة الخانجي.
- (٣٣٤) الموافقات لإبراهيم الشاطبي ، تحقيق مشهور حسين آل سلمان ، ط١ ، عام ١٤١٧ هـ ، دار ابن عفان بالقاهرة.

- (٣٣٥) موسوعة شعراء العصر الجاهلي ، إعداد عبد عون الروضان ، ط١ ، عام ٢٠٠١ م ، لدار أسامة للنشر والتوزيع بالأردن.
- (٣٣٦) الموسوعة العربية العالمية ط٢ ، عام ١٤١٩ هـ ، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض .
- (٣٣٧) موسيقى الشعر لإبراهيم أنيس ، ط٢ ، عام ١٩٥٢ م ، لدار الأنجلو المصرية.
- (٣٣٨) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء تحقيق مُجد شمس الدين ، ط١ ، عام ١٩٩٥ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (٣٣٩) موقف أبي فهر محمود شاكر من قضية عمر الشعر الجاهلي ، مقالة علمية في مجلة الأدب الإسلامي ، لمحمود توفيق سعد ، المجموعة الرابعة ، العدد : ١٦ ، شهر ٥-٦ ، للعام ١٤١٨ هـ .
- (٣٤٠) المهذب فيما وقع من القرآن من المعرب لجلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ ، مطبعة فضالة بالإمارات العربية المتحدة.
- (٣٤١) ميزان العمل ، لأبي حامد الغزالي ، تحقيق : سليمان دنيا ، ط١ ، عام ١٩٦٤ م ، لدار المعارف بمصر.
- (٣٤٢) النثر الفني في القرن الرابع ، لزكي مبارك ، ط بدون ، عام ٢٠١٢ م ، لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر.
- (٣٤٣) نحو فلسفة علمية : زكي نجيب محمود ، ط٢ ، عام ١٩٨٠ م ، لدار الأنجلو المصرية.
- (٣٤٤) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم ، نسخة إلكترونية ولم أجد الكتاب الأصل .
- (٣٤٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لكمال الدين الأنباري ، تحقيق إبراهيم السامرائي ط ٣ ، ١٩٨٥ م ، لمكتبة الزرقاء بالأردن .

- (٣٤٦) نزهة الألباب في الألقاب، لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد العزيز السديري ، ط ١، عام ١٩٨٩ م ، مكتبة الرشد بالرياض .
- (٣٤٧) نشأة الفلسفة العلمية ،رشنباخ هانز ،ترجمة فؤاد زكريا ، ط ١ ، عام ١٩٦٨ م ، لدار الكتاب العربي بالقاهرة.
- (٣٤٨) النقد الأدبي الحديث: أصوله واتجاهاته ، لأحمد زكي ، ط ١، عام ١٩٩٧ م ، للشركة المصرية العالمية للنشر ، ومكتبة لبنان .
- (٣٤٩) نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق : مُحمَّد عبد المنعم خفاجي ، ط : بدون ، عام بدون لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (٣٥٠) النقد المنهجي عند العرب منهج البحث في الأدب واللغة ، لمحمد مندور ، ط بدون ، عام ١٩٩٦ م ، لدار النهضة بمصر .
- (٣٥١) نكت الهميان في نكت العميان ، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، علق عليه ووضع حواشيه مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١، عام ٢٠٠٧ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت.
- (٣٥٢) النكت والعيون ، تفسير الماوردي ، علي بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن حبيب البصري البغدادي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، ط بدون ، عام بدون ، لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (٣٥٣) نمط صعب ونمط مخيف لمحمود شاكر ط ١، عام ١٤١٦ هـ ، لمطبعة المدني بجدة.
- (٣٥٤) نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تحقيق: مفيد قمحية ، ط ١، عام ٢٠٠٤ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .
- (٣٥٥) هوميروس الإلياذة ، ترجمة وتقديم سليمان البستاني ، ط ١ ، لعام ٢٠١٢ م ، لمؤسسة هندراوي للتعليم والثقافة بمصر .
- (٣٥٦) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي ، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركلي مصطفى ، ط ١، عام ٢٠٠٠ م ، لدار إحياء التراث ببيروت .

(٣٥٧) الوحشيات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ، تحقيق عبد العزيز الراجكوتي وزارد في حواشيه محمود شاكر ، ط٣ ، عام ١٣٨٨ هـ ، لدار المعارف المصرية .

(٣٥٨) وحي القلم لمصطفى الرافعي، راجعه واعتنى بهدرويش الجويدي ، ط بدون ، تاريخ بدون ، المكتبة العصرية ببيروت.

(٣٥٩) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : مُجَّد أبو الفضل إبراهيم - علي مُجَّد البجاوي ط١ ، عام ١٩٦٦ م، لدار الحلبي .

(٣٦٠) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، علي بن أحمد بن مُجَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي مُجَّد معوض، أحمد مُجَّد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس ، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي ، ط١ ، عام ١٩٩٤ م ، لدار الكتب العلمية ببيروت .

(٣٦١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأحمد بن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، ط١ ، عام ١٩٧٨ م ، لدار صادر ببيروت .

## فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .....	٢
التمهيد : .....	١٠
مفاهيم الاستنباط بين الأصوليين والبلاغيين.....	١٠
القواسم المنهجية المشتركة بين استنباط الأصوليين والبلاغيين.....	١٢
أولاً : البحث في القرآن الكريم .....	١٢
ثانياً : الاعتماد على الجانب اللغوي بمختلف مستوياته.....	١٦
ثالثاً : المنهج العلمي .....	٢١
إجراءات المنهج الاستنباطي وضوابطه.....	٣٠
تعريف المنهج الاستنباطي.....	٣٠
نشأة المنهج الاستنباطي.....	٣٢
ضوابط المنهج الاستنباطي عند ديكرات.....	٣٦
مقاربة بين الاستنباط القديم والحديث.....	٤٠
نجاعة المنهج الاستنباطي في مجالات البحث الأدبي والنقدي.....	٤٢
الفصل الأول : مصادر المعرفة عند محمود شاكر .....	٤٦
المبحث الأول (الذوق والدرية).....	٤٩
مصادر المعرفة ومؤهلالت الناقد (الذوق).....	٤٩
دوافع التذوق عند محمود شاكر.....	٥٠
أساس التذوق عند محمود شاكر.....	٥٣
مصادر المعرفة ومؤهلالت الناقد (الدرية).....	٦٦
ضوابط الدرية عند محمود شاكر.....	٦٨

أولاً : الضابط الأخلاقي.....	٦٨
ثانياً : الضابط العرقي.....	٧١
ثالثاً : الضابط المنهجي.....	٨٢
المبحث الثاني: اللغة والاستعداد الذاتي.....	٨٧
تأويل الدلالة المعجمية عند محمود شاكر.....	٨٨
التأويل الملائم لدلالات السياق.....	٩٤
المقاربة التطبيقية للجانب الإيقاعي في النص.....	٩٧
المبحث الثالث : الثقافة والتجربة.....	١٠٥
مراحل الثقافة والتجربة عند محمود شاكر.....	١٠٧
مرحلة النشأة والتكوين.....	١٠٧
مرحلة الثورة .....	١١٣
مرحلة النضج والإنتاج العلمي.....	١١٧
الفصل الثاني : طرائق الاستنباط.....	١٢٢
المبحث الأول : المنطوق وأدلته الظاهرة.....	١٢٤
الاستنباط من منطوق النص بدلالة التذوق.....	١٢٥
الاستنباط من منطوق النص بدلالة اللغة.....	١٣٤
الاستنباط من منطوق النص بدلالة المصطلح العلمي.....	١٣٩
المبحث الثاني : المفهوم وتأويله.....	١٤٨
طرائق التأويل لمفاهيم المصطلح العلمي.....	١٤٩
المصطلح البلاغي.....	١٥٠
المصطلح النقدي.....	١٦١
المصطلح البحثي.....	١٦٤
الاستنباط بالمفهوم بتأويل التذوق والسياق الخارجي للنص.....	١٧٢



١٨٤	..... الفصل الثالث : أنماط الاستنباط
١٨٥	..... المبحث الأول : الاستنباط بين الأفراد والتركيب
١٨٥	..... أولاً : الاستنباط باعتبار الأفراد
١٩٨	..... ثانياً : الاستنباط باعتبار التركيب
٢٠٨	..... المبحث الثاني : الاستنباط بين الظهور والخفاء
٢٠٨	..... أولاً : الاستنباط الظاهر
٢١٦	..... ثانياً : الاستنباط الخفي
٢٢٨	..... المبحث الثالث : أدلة الاستنباط
٢٢٩	..... الأدلة النقلية
٢٤٩	..... الأدلة العقلية
٢٦٤	..... الأدلة العكسية
٢٧٩	..... الأدلة الاستقرائية
٢٩٦	..... الفصل الرابع : الموقف الاستنباطي
٢٩٨	..... المبحث الأول : القبول
٣١٧	..... المبحث الثاني : الاعتراض
٣٤١	..... المبحث الثالث : النقض
٣٦٧	..... خاتمة الدراسة
٣٧٢	..... قائمة بأسماء المصادر والمراجع
٤٠٧	..... فهرس المحتويات